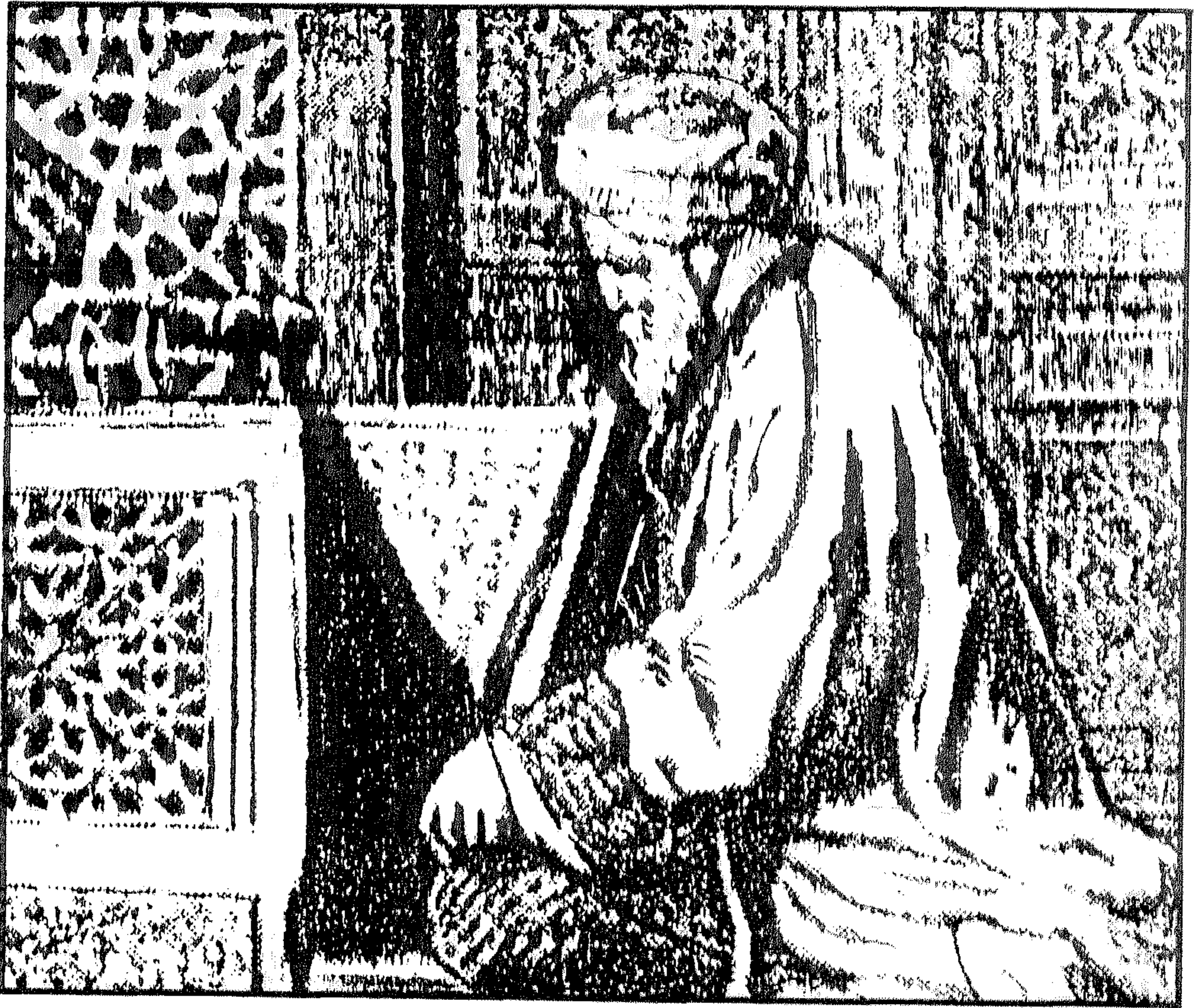


المكتبة التاريخية

قضاة مصر

فى القرن العاشر والرابع الأول
من القرن الحادى عشر المجرى
« للدميرى »



قضاة مصر في القرن العاشر والرابع الاول من القرن الحادى عشر الهجرى

للدميرى

تحقيق وتعليق ودراسة

عبدالرازق عبدالرازق عيسى
يوسف مصطفى الحمودى



٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) القاهرة

٢٥٥٤٥٢٩ ت

٢٥٤٧٥٦٦ فاكس :

٤٢ ميدان البصرة - شارع دجلة - المهندسين

٧٤٩٢١٤٥ تليفاكس :

E-Mail:alarabi5@intouch.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر العربي للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) - القاهرة

ت : ٣٥٥٤٥٢٩ - ٥٩٤١٩٤٣ فاكس ٣٥٤٧٥٦٦

٤٢ ميدان البصرة - شارع دجلة من شهاب - المهندسين

ت . فاكس : ٧٤٩٢١٤٥

E-Mail: alarabi5@intouch.com

الطبعة الأولى

٢٠٠٠

قضاة مصر في القرن العاشر والرابع الأول

من القرن الحادي عشر الهجري "للدميقي"

المحقق: عبدالرازق عبدالرازق عيسى

تصميم الغلاف: مصطفى رمزي

عدد الصفحات: ٣٣٨

إهداء

إلى عبير حسن

بداية الطريق ومنتهاه

والدافع وراء انجاز

هذا الكتاب

عبد الرزاق عيسى

المقدمة

عندما سجلت رسالتي للماجستير عن " القضاء فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ : ١٧٩٨ م : " فوجئت بالعديد من اساتذتى وزملائى الباحثين يحذرونى من عواقب اختيار هذا الموضوع لانه على حد قولهم لاتوجد له مادة، لكن كانت المفاجأة كثرة المادة بشكل كبير جدا ، واثناء اعدادى لهذه الرسالة كانت المفاجأة الاخرى ان هناك العديدون ممن يعتقدون ، ان القضية فى ذلك الوقت كانوا مرتشين واتراك لا يعرفون اللسان العربى لذا فهم يستخدمون التراجمة " وبالرغم من أن هذه المعلومات اصبحت خاطئة ويعيده عن روح العصر وما اثبتته البحث الذى قمت به الا انهم ايضا مصريون على الاستمرار على نفس المنهج، وهو ما يتناقض مع المنهج العلمى الموضوعى .

ووسط هذه الصعوبات ارشدنى استاذى وصديقى د/ محمد عفيفى عبد الخالق استاذ التاريخ الحديث بأداب القاهرة الى " الدميرى " ففوجئت بروعة مابه من معلومات قيمة تحل الكثير من الالغاز حول القضية وحياتهم بل وثقافتهم فكان حلمى ان احقق هذا الكتاب وانشره كجزء من رسالة وهدف عزيز على نفسى طالما حلمت به وهو العمل على تحقيق ونشر التراث المصرى الخاص بالعصر العثمانى فهذا الكتاب يعتبر معجم للقضاة ولؤلفاتهم وهو كما يفيد باحث التاريخ بما يقدمه من معلومات تاريخية يفيد باحث الادب واللغة بما يقدمه من اشعار ونثر تقدم العديد من المعلومات التى تفيدنا فى الحكم على

هذا العصر ، لذا كان القرار بأن استعين بواحد من باحثي اللغة والأدب
ليساعدنى فى تحقيق هذا السفر العديد من المفاهيم حول تاريخ ذلك العصر .

وتحقيق هذا الكتاب امتداد للمنهج الذى بدأناه منذ عامين وهو العمل على
تحقيق ونشر تراث العصر العثمانى وتكوين فريق بحث لهذا الغرض بالاعتماد
على انفسنا بعيدا عن كافة المؤسسات البحثية التى لم نجد منها الا الاعراض
والتجاهل بالرغم من تشجيع العديد من المؤرخين الاجانب والمصريين لنا فى
هذا النهج ومنهم د/ اندريه ريمون . ود/ جيلان ألوم مديرة السيداج التى
قدمت لنا كل عون ومساعدة . وأيضا تشجيع العديد من اساتذنا لنا وعلى
راسهم د/ رؤوف عباس ود/ محمد عفيفى ود/ أحمد عبدالرحيم مصطفى
ود/ حمادة إسماعيل واقدم خالص الشكر والتقدير لهم وللأخوة الاصدقاء
الباحثين . أ . عماد هلال و أ . صبرى العدل على صدق تعاونهما .

ونعاهد القارئ المصرى الحبيب على المضى على الطريق لتحقيق هدف
غال علينا جميعا وهو اخراج مصادر تاريخ مصر فى العصر العثمانى الذى
تعتقد انه مجهل بفعل فاعل ولا يسعنى فى النهاية الا تقديم وافر الشكر لمكتبة
العربى والعاملين بها

عبد الرحمن الزرق عيسى

أولاً : الدراسة

الفصل الأول

القضاة في الدولة المملوكية

القضاة فى الدولة المملوكية

تمهيد :

بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب وصل ابنه توران شاه - إلى مصر سنة ٩٦٦ هـ ١٢٥٠ م وأعلن سلطانا على البلاد ولكنه لم يعترف بالفضل للمماليك الذين حققوا انتصارا على الصليبيين فى موقعة المنصورة كما أنه لم يعترف بالجميل لزوجته أبيه شجرة الدر التى حفظت له العرش حتى وصوله فما كان منهم إلا أن تكالبوا على قتله فى فارسكور فى ٢١ مايو ١٢٥٠ م .

وبمقتل توران شاه سقطت الدولة الأيوبية وتولت شجرة الدر سلطنة على البلاد ويعتبرها المؤرخون أول سلاطين الدولة المملوكية (*) وذلك بحكم انتمائها إلى الرق فهى جارية تركية الجنس وقيل أرمينية وتزوجت بعد الملك الصالح بالقائد عز الدين أيبك الذى أصبح سلطانا على البلاد بعد تنازلها له واستمر الحكم المملوكى قائما فى مصر حتى الفتح العثمانى لها على يد السلطان سليم الأول فى ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م (١) ولعل نشأة المماليك و أصولهم التى ترجع إلى الرق سببا فى إحساسهم

[*] المماليك : ينتمى المماليك الى الرق وكان الخلفاء العباسيون هم أول من استخدم المماليك . أو الرقيق البيض وأعتمدوا عليهم فى توطيد نفوذهم . وفى مصر فى العصر الأيوبي زادت أعداد المماليك زيادة كبيرة ذلك لأن وريثة صلاح الدين من أبنائه وأخوته أقتسموا فيما بينهم تلك الدولة الواسعة ونتيجة لزيادة الاضطرابات وسوء العلاقات بين هؤلاء الحكام لم يجد أمراء المسلمين من أيويين وغير أيويين وسيلة يقفون بها فى وجه خصومهم سوى المماليك فأكثروا من شرائهم وعنوا بتدريبهم وتنشئتهم ليكونوا عدة وسندا لهم وسرعان ما غدا لأولئك المماليك كلمة مسموعة فى الأحداث حتى تولوا حكم البلاد بعد مقتل توران شاه . انظر د / قاسم عبده قاسم، دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى - عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٢ ط ٢ ص ١١٠ .

[١] د / سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧٦ . ج ٢ ص ١١٠ .

بالحرج من نظرة معاصريهم . ولا سيما بعد قيام ثورات العربان في مصر ضدهم ،
ومعاداة بنى أيوب لهم . لذا فقد عملوا على صيغ حكمهم بالصيغة الدينية والاهتمام
بالأمور والمظاهر الدينية ولا سيما القضاء والقائمين عليه لنشر العدالة واكتساب
احترام المعاصرين لهم . غير أنه ما لبث أن أصاب القضاء الضعف وتطرفت إليه
الرشوة والوساطة مما أدى إلى انهياره ، نتيجة أسس اختيار القضاة .

وتذكر المصادر المعاصرة للدولة المملوكية أن طرق التقاضى وتنظم القضاة فى
هذا العصر تنوعت أربعة أنواع هى :

(أ) قضاة الشرع الشريف . (ب) قضاة السياسة .

(ج) قضاة المظالم . (د) قضاة الحسبة .

وحددت اختصاصات كل منهم ولكنها تداخلت بعد ذلك مما أدى إلى الانهيار
الشامل فى أوضاع القضاة ونظمهم .

(أ) قضاة الشرع فى الدولة المملوكية :

بعد سقوط الخلافة الفاطمية ألغى الأيوبيون العمل بالمذهب الشيعى
فى القضاء وعملوا بالمذهب الشافعى نظراً لأن غالبية الشعب المصرى ينتمون
إليه ، وكان قاضى القضاة الشافعى ينيب عنه نوابا للحكم فى البلاد المصرية
، وظل الأمر هكذا حتى فى عهد الدولة المملوكية إلى عهد بيبرس البندقدارى^(*)
الذى أدخل العمل بالمذاهب الأربعة لأول مرة وصار يعين لكل مذهب قاضى قضاة
خاص به^(١) .

[*] بيبرس البندقدارى : تولى الحكم فى ٢٣ أكتوبر ١٢٦٠م لمدة سبعة عشرة عاماً استطاع فى فترة حكمه أن
يظهر قوة الشكيمة فى تصريف الأمور وأظهر بطولات كثيرة فى صد أخطار الصليبيين والتتار عن بلاد
الشام . وعمل على تخفيف الأعباء الملقة على كواهل الأهالى ووضع النظام الإدارى فى مصر والشام فى
العصر المملوكى . انظر د / سعيد عبدالفتاح عاشور - مرجع سابق ص ٢٧٨ .

[١] محمود بن عرنوس : تاريخ القضاء فى الإسلام ، المطبعة الأهلية ، القاهرة د/ت ص ١٠٥

ويرجع السبب في ذلك إلى تعنت القاضى تاج الدين بن بنت الأعمز قاضى مصر فى ذلك الوقت وتشدده فى أحكامه حتى مع السلطان نفسه . كذلك فقد كان الأمير " جمال الدين ايدغدى " يحقد على القاضى " تاج الدين " ويحط من قدره عند السلطان ويرميه بالتشدد فى أحكامه والتوقف فى القضايا التى لا تتفق مع مذهبه فاستغل جلوس السلطان بدار العدل وجاعته عدة شكاوى من شدة القاضى فانتهزها الأمير جمال الدين فرصة وقال له يا قاضى: مذهب الشافعى لك ونولى من كل مذهب قاضيا . فأعجب السلطان ببيرس بهذا رأى وبذلك فقد بدأ العمل بالمذاهب الأربعة من ذى الحجة ٦٦٣ هـ سبتمبر ١٢٦٥ م (١) وربما يكون تمسك السلطان بذلك راجعا إلى استخدام قضاة فى تقليده السلطة مع الخليفة ، وتقليدهم الخليفة أيضا فهم أداة فى يده (٢) فربما أراد السلطان أن يولى فيها قضاة موالين له خوفاً من تشدد القاضى تاج الدين

غير أن هذا الأمر نتج عنه العديد من المساوئ ضربت أطنابها فى نظم التقاضى السائدة ، وكذلك القضاة مما أدى إلى ضياع حقوق المتقاضين واستخدام الحيل فى التقاضى .

فقد أدى العمل بالمذاهب الأربعة إلى انفجار الحزازات العنيفة بين قضاة المذاهب وظهور المشاحنات التى أدت إلى عرقلة إصدار العديد من الأحكام وإلغائها مما ترك أعظم الأثر على هيبه القضاة ويطانتهم (٣)

[١] جلال الدين السيوطى: حسن المحاضرة فى أخبار مصر القاهرة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،

مطبعة عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج٢ ص١٦٦

د/على ابراهيم حسن: دراسات فى تاريخ الممالك البحرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٤ ج٤

ص٣٢٥ - د/حسن ابراهيم حسن ود/على ابراهيم حسن : النظم الإسلامية مكتبة النهضة المصرية

القاهرة ١٩٧٠ ، ص٣٠٧ ، د محمد جمال الدين سرور : الظاهر ببيرس وحضارة مصر فى عصره ، دار

الكتب ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص١٣٨ .

[٢] د/عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ص٩٥ .

[٣] جمال جرجس يوسف : القضاء فى العصر المملوكى ، رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب جامعة

عين شمس . ص١٣٩

ويبدو من خلال مصادر هذه الفترة أن كل قاضى من القضاة الأربعة اعتبر نفسه المدافع عن سيادة مذهبه حتى ولو عن طريق الطعن فى المذاهب الأخرى والقائمين عليها من القضاة ، ولو عن طريق ذكر المثالب الشخصية لهم والخط من قدرهم مما أدى إلى الإيقاع بين قضاة القضاة .

كما أن هذا التعدد أدى إلى تمهيد الطريق أمام أرباب القضايا ، ليحتالوا بلوغ مآربهم ويهجرون قاضيا إلى آخر ويستبدلون مذهباً بسواه متى وجدوا فى ذلك إربتهم . وقد ينجم من وراء هذا التحايل والاستبدال اتساع الخلاف بين المتخاصمين وكذلك فإن فى تعدد القضاة فى البلد الواحد مظهراً للتفرقة بين بنيته وتهيته لإثارة الفتن والخلاف بين الفقهاء (١) ويرغم إدخال العمل بالمذاهب الأربعة فقد بقى لقاضى القضاة الشافعى العديد من الامتيازات عن القضاة الآخرين ، حيث بقى تحت سلطته الإشراف على الأوقاف وبيت المال والإشراف على أموال مودعى اليتامى كذلك تولية النواب فى البلاد المصرية (٢).

وبقيت مصر كما كانت منذ العصر الأيوبي مقسمة إلى قسمين قضائيين أولهما : قضاء القاهرة والوجه البحرى وثانيهما قضاء مصر والوجه القبلى وأحيانا كانا يجمعان فى قسم واحد يتولاهما قاض واحد (٣)

من هذا يتضح مدى ما ترتب من مساوئ بسبب العمل بالمذاهب الأربعة واستغلال ذلك بين المتقاضين للإيقاع ببعضهم مما أدى إلى ضياع الحقوق وغياب العدالة وأدى التنافس بين قضاة المذاهب وإنصرافهم إلى محاولة الدس والإيقاع

[١] محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ونتيجة العلمى والأدبى ، القسم الثانى . مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٧٩ .

[٢] جلال الدين السيوطى : مصدر سابق ، ج ٢ ص ١٦٤ .

- د/ سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

[٣] د/ محمد جمال الدين سرور : مرجع سابق ص ١٢٧ .

- د/ حسن ابراهيم و د/ على ابراهيم - مرجع سابق ص ٢٠٧ .

فيما بينهم إلى ضياع هيبتهم وعدم الثقة في أحكامهم في نفس الوقت الذي استغل فيه المتقاضون الاختلاف في الاجتهاد عند المذاهب المختلفة لصالحهم الخاص ، وتكاثفت هذه العوامل لتؤدي في النهاية إلى انهيار أوضاع القضاة والنظام القضائي ككل .

توليه قضاء الشرع واختصاصاتهم :

وضع الفقهاء المسلمون معايير محددة يجب توافرها فيمن يختار لمنصب القضاء منها العلم بالكتاب والسنة والقياس ، والاجتهاد والتمتع بالمزايا الخلقية والبعد عن السقطات الأخلاقية مثل تقديم الرشوة أو قبولها والتزوير والتدليس . فأساس عمل القاضي هو بث العدالة بين اللاجئين إليه وهنا يبرز سؤال عن كيفية .

اختيار القضاة في العصر المملوكي ؟

تمدنا المصادر المملوكية بالإجابة على هذا التساؤل بأن أهم سمات اختيار القضاة في العصر المملوكي تتمثل في الرغبة في الحصول على المال لحساب السلاطين وجشعهم والاستهانة بهذه المناصب الجليلة ، وأدى هذا إلى أن تطلع إلى شغلها من ليس أهلا لها مثل الخصيان ومضحك السلطان ، وترتب على ذلك وقوع القضاة في أخطاء فقهية وإشاعة ذلك بين العامة مما أثر على مكانة القضاة جميعا ، كذلك فماذا ننتظر ممن دفع الرشوة لتولى هذا المنصب ؟ إلا أن يكون مرتشيا ليجمع ما أنفقه من مال في سبيل توليته .

وكان جشع السلاطين هو الذي يحدد ما يدفعه طالب المنصب ، فعلى سبيل المثال يذكر عن السلطان برقوق (*) [٧٨٤هـ - ١٣٨٢م - ٨٠٢هـ - ١٣٩٩م] أنه كان طماعاً

[*] السلطان برقوق : هو أول سلاطين المماليك الجراكسة (١٣٨٢م : ١٥١٧م) اختص المماليك الجراكسة بالاقطاعات والوظائف الكبيرة على حساب المماليك الترك . وأدت هذه السياسة إلى نشوب كثير من الثورات التي اتصف بها عهده حتى عزل في إحداها ولكنه نجح في العودة إلى السلطنة مرة أخرى ١٣٩٠ : ١٣٩٩م وأوصى بالعرش لأولاده فرج وعبد العزيز وإبراهيم على التوالي كما أنه اختار مجلس الوصاية عليهم . انظر د/ سعيد عبدالفتاح عاشور - مرجع سابق ، ص ١٦٥ .

جداً بحيث لا يقدم على جمع المال شيئاً ولقد أفسد أحوال البلاد بأخذ الرشوة ممن يرغب فى تولي منصب القضاء^(١) وممن بذلوا فى تولية هذا المنصب "قاضى القضاة محيى الدين بن النقيب الشافعى" الذى ولى القضاء ست مرات دفع فيها رشاً وى ستة وثلاثين ألف دينار وكانت ولايته فى هذه الولايات الست نحو سنتين^(٢). كما تولى "القاضى نور الدين بن خليل الحكرى" قاضى قضاة الحنابلة [فى جمادى الأخرى ٨٠٢هـ - ١٤٠٠م] بعد أن دفع خمسين ألف درهم كرشوة . رغم ما عرف به من جهالة وقلة بهجة . كذلك تولى "عز الدين الشيشنى" قاضى قضاة الحنابلة فى ربيع الأول [٩١٩هـ - ١٥١٣م] بعد أن دفع رشوة للسلطان تقدر بألف دينار^(٣) وتولى قاضى القضاة الشافعى جمال الدين محمد المكينى بعد أن سعى فى ولاية القضاء بثلاثة آلاف دينار^(٤) وأدى التنافس بين القضاة إلى بذل شغل الرشوة لخلع بعضهم من القضاء ، والمزايدة بالمال مثل ، قاضى القضاء جمال الدين القلقشندى الذى صرف عن قضاء الشافعية لأنه سعى فيها برشوة مقدارها ثلاثة آلاف دينار بينما عين محيى الدين بن النقيب لأنه بذل خمسة آلاف دينار وكذلك دفع ألفى دينار للذى سعى له من الأمراء^(٥).

وهناك "الشيخ سراج الدين بن الملحق الشافعى" الذى سعى ببذل أربعة آلاف دينار لأجل تولى هذا المنصب فى عهد السلطان برقوق^(٦) وعزل القاضى بدر الدين بن أبى البقاء بعد أن غرم خمسة آلاف دينار رشوة كان قد

[١] ابن حجر العسقلانى - انباء الغمر بأبناء العمر - تحقيق د/حسن حبشى ، لجنة إحياء التراث الإسلامى - القاهرة ١٩٦٩ . ج ٢ ص ٦٨ .

[٢] محمد بن أحمد بن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة - القاهرة ١٩٨٤ ج ٥ ص ٢٥ .

[٣] أحمد عبدالرازق : البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك لهئية لمصرية للكتاب / القاهرة ١٩٧٩ . ص ١٠٥ .

[٤] ابن إياس : مصدر سابق ، ج ٤ ص ١٧١ .

[٥] نفسه ونفس الجزء ، ص ٩١ .

[٦] ابن حجر العسقلانى : مصدر سابق ج ١ ص ١٧٢ .

دفعها عند توليته (١)

بذلك يتضح - كما تمدنا المصادر المعاصرة لهذه الفترة - أنه من النادر أن يتولى قاضى بدون أن يدفع رشوة وكأن الأصل فى ذلك هو التولى بها والاستثناء هو التولى بدونها وهذا يوضح إلى أى مدى وصلت أحوال القضاة فى هذه الآونة . كذلك فقد كان السلاطين يولون أتباعهم لتنفيذ مآربهم الخاصة وبعد تحقيق اغراضهم يعزلونهم مثل قاضى القضاة " محمد بن أبى البقاء " الذى ولاه السلطان ليقرضة ما فى مودع الأيتام من مال (٢) كذلك قاضى القضاة الحنفى " ناصر الدين بن العديم " الذى صار يرشى أهل الدولة بالأوقاف عن طريق تأجيرها لمن يطلبها بأبخس الأجور ليكونوا عوناً له على مقاصده حتى كاد أن يخربها (٣) ولقد أدى ذلك إلى تولية قضاء جهله بالأحكام الشرعية فهناك القاضى " جمال الدين عبدالرحيم الحنفى " فقد ذهب إلى إمراة وأقرت بانقضاء العدة بسقط مخلق (*) فحكم بذلك ثم ادعت أنها حامل فكتب لها فرض حمل ، فأفتى علماء مذهبه بأن ذلك مخالف لهم فعزل وعزر (٤) .

وبذلك نلاحظ أن الكفاءة العلمية والمقدرة فى أمور الشرع والنزاهة فى الأحكام والقدرة على القياس والفهم الصحيح للأمور كانت نادرة التوفر فى القضاء فى هذه الآونة ووثب بدلا منها صفات أخرى كالرشوة والوساطة وتقديم التنازلات للأمراء والسلاطين لأجل تولى هذا المنصب وغالبا ما تكون هذه التنازلات على حساب القضاء نفسه مما ترتب على ذلك انهيار القضاء الشرعى نتيجة لانهيار أسس اختيار القضاة .

[١] نفس المصدر والجزء ، ص ٣٣١

[٢] على بن داود الجوهري الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان - تحقيق د/ حسن حبشى - القاهرة ١٩٦٩ ج ١ ص ٤١٠ .

[*] سقط مخلق : والسقط هى ولادة الولد لغير تمام وقد اسقطته أمه . والمقصود هنا سقوط الجنين غير كامل وموته لأنه سقط قبل تمام مدة الحمل .

[٣] د/ أحمد عبدالرازق : مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

[٤] ابن حجر العسقلانى : مصدر سابق ، ج ١ ص ١٠٤ .

- ابن الصيرفى : مصدر سابق ، ج ١ ص ٩٧ .

وترتب على ذلك أن ساءت سمعة قضاة مصر لتولييتهم بالرشوة وقبولهم إياها في أحكامهم حتى أنها بلغت مسامع العثمانيين ففي شعبان ٩٢٢هـ - أغسطس ١٥١٦م التقى السلطان العثماني سليم الأول مع قضاة مصر الذين وقعوا في أسره بعد مرج دابق أنبهم السلطان قائلاً لهم " أنتو تأخذوا الرشوة على الأحكام الشرعية وتسعوا بالمال حتى تتولوا القضاء " (١)

اختصاصات قضاة الشرع :

أما عن اختصاصات القضاة فلم تكن أعمالهم في ذلك الوقت مقصورة على النظر في قضايا الأحوال الشخصية بل كانوا يتناولون أيضاً النظر في جميع القضايا الدينية والجنائية واتسع اختصاصهم فتناول النظر في دعاوى اثبات الحقوق والأموال التي ليس لها وارث والنظر في أوصياء اليتامى وأموال المحجور عليهم من المجانين والمفلسين وفي وصايا المسلمين (٢) كما اتسعت سلطة قاضي القضاة بحيث تضمنت أمورا ليس لها علاقة بالقضاء ولكنها ضمت إليها حسب العرف والاصطلاح ومنها الخطابة في الجامع الأعظم بالقلعة والإشراف على الأوقاف وتعليم العلوم الشرعية والنظر في بيت المال ، ونظر الجوالي ونظر الخاص ونظر الخزانة ودار الضيافة (٣)

واعتبر الإشراف على الأوقاف من أهم المصادر المالية للقضاة غير أنه لم يكن ثابتاً تحت أيديهم فكثيراً ما يخرج السلاطين الإشراف على الأوقاف من نظر القضاة إلى بعض الموظفين الآخرين كالمحتسب مما يسوء القضاة ووجد من القضاة من جمع بين قضاء مصر والشام في وقت واحد مثل القاضي " الشهاب بن فرفور "

[١] ابن إياس : مصدر سابق ج ٥ ص ٧٤ .

[٢] د/ على إبراهيم حسن : دراسات في الممالك البحرية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ .

- د/ عبدالمنعم ماجد : مرجع سابق ، ج ١ ص ١٠٢ .

[٣] د/ عبدالمنعم ماجد : نفسه ، ج ١ ص ٩٨ .

بل لقد وصل التنافس بين القضاة على تولية المنصب إلى حد اختلاق الوقائع والتزوير بينهم فقد كان بين قاضى القضاة "عبدالرحمن بن خلدون" وبين القاضى "الركراكى" تنافس ، وعقد مجلس أظهر فيه بن خلدون فتوى زعم أنها بخط الركراكى وتتضمن القدح فى السلطان برقوق وبعد التحقيق فيها اتضح فيها أن بن خلدون زورها ، فعزله السلطان لذلك (١) .

ولم يتوقف الأمر على ذلك بل من القضاة من قبل الرشوة على الأحكام التى يصدرها حسب الأهواء ، قال القاضى المالكى "أحمد بن عبدالله" المتوفى فى ٨٣٩ هـ - ١٤٣٥ م كان يتجاهر بأخذ الرشوة وحصل على مال طائل عرف بعد وفاته (٢) .

ووصل الفساد إلى معاونى القضاة فدلسوا وزوروا فى القضايا بغية الحصول على المال ، من ذلك ما حدث مع القاضى ابن خلدون فى أن اثنين من الموظفين العاملين معه أعانا على بيع وقف بأن محيا الكتابة من المكتوب من الرق وقدا تاريخ الإجازة وثبت تزويرها (٣) ومن القضاة من اتسم بصفات أخلاقية سيئة كأن يفحش فى مخاطبه النساء كالقاضى الحسن البغدادى الذى أقره الناصر فى عام ٧٣٨ هـ - ١٣٣٧ م فى القضاء وكان كثير المزاح والهزل والسخف مع بذاءة اللسان والجهل بالأحكام فكانت إذا تحاكت إليه امرأة وزوجها ينصر المرأة ويفحش فى مخاطبتها حتى قال لامرأة تحاكت إليه مع زوجها اكشفى وجهك ثم قال " مثل هذه تزوج بهذا المهر والله إن مبيتها ليلة واحدة يساوى أكثر منه " (٤) وقد ثارت العامة عليه وحرقوا عمامته ، ومزقوا ثيابه وتناولوه بالنعال حتى أدركه بعض الأمراء وخلصوه من أيديهم (٥) .

[١] د/ عبدالخالق حسين - مرجع سابق . ص ٢٧٨

[٢] د/ احمد عبدالرازق - مرجع سابق . ص ١٠٤ .

- د / عبدالخالق حسين - مرجع سابق . ص ٣٢٢ .

[٣] ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر . مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٠ .

[٤] ابن حجر العسقلانى : رفع الأصر . مصدر سابق ص ١٧٦ .

[٥] د/ على ابراهيم حسن : دراسات . مرجع سابق ص ٣٦٧ .

وهناك القاضى "محيى الدين عبدالقادر بن النقيب الشافعى" الذى تولى القضاء ست مرات كان أولها من [٩١٨هـ - ١٥١٢م] وكان غير مشهور السيرة رث الهيئه يجافى النفس يزدرية كل من يراه (١) والقاضى "جلال الدين محمد القزوينى" كان لا يعين أحداً من نوابه إلا بعد أن يجتمع بأحد أولاده ويقدم إليه مبلغاً من المال، وأصاب إبنه جمال الدين مبالغ طائلة من القضاء على سبيل الرشوة (٢) . ومنهم من ساءت سيرته وقبح سلوكه فاستحق المحاكمة ، مثل "القاضى ولى الدين محمد الصفتى" المتوفى [٨٥٤هـ - ١٤٥٠م] وقد اتهم باختلاس أموال الأوقاف وبيع بعضها ، واتهم بأكثر من مخالفة ووصل الأمر إلى سجنه فى سجن المقشرة مع أولى الجرائم (٣) واشتهر بعض القضاة بالتزوير مثل "القاضى عبدالبر بن الشحنة" والذى اتهم ببيع الأوقاف والتزوير فيها هى الأخرى (٤) . ويبدو أن هذا التراخى جاء نتيجة للحياة التى أصبح فيها القضاة وحياة الدعة والترف التى انتقلوا إليها بعد أن طغت شئون الدنيا على الدين فساد التنافس والتحاسد بينهم حتى أن المجالس السلطانية نفسها لم تخل من منازعات بين القضاة (٥) .

ولكن ماذا ننتظر من قضاة تولوا بالرشوة وقبلوا الرشوة فى أحكامهم ووصل الحال بينهم فى تنافسهم إلى تزوير الأوراق واختلاق الوقائع ؟ إن قضاة هذه صفاتهم لا تستقيم بهم الحالة القضائية أبداً فهم السبب المباشر فى انهيارها وتدهورها وتدنى نظرة المعاصرين إليها كما امتد أثر هذا الفساد إلى العاملين فى النظام القضائى .

- [١] ابن اياس : مرجع سابق . ص ٣٦٧ .
 [٢] د/ على ابراهيم حسن : دراسات مرجع سابق . ص ٣٦٧ .
 [٣] د/ عبدالخالق حسين : مرجع سابق . ص ٢٩٥ .
 - د/ أحمد عبدالرازق - مرجع سابق . ص ١٠٥ .
 [٤] ابن اياس : مصدر سابق ج ٤ ص ١١٣ .
 [٥] د/ سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق ص ١٥٩ .

ولقد دعى هذا الفساد إلى امتناع كبار العلماء والمحدثين عن تولي هذا المنصب والفرار منه بل والاختفاء عن الأعين وبعضهم تولاه مكرها لإجبار السلطان له . مثل القاضي " ناصر الدين بن ميلق " الذي تولي قضاء الشافعية في شعبان [٧٨٩هـ أغسطس ١٣٨٧م] (١) كذلك تولي " القاضي بن دقيق العيد " بعد أن هددوه بأن يولوا القضاء رجلاً لا يصلحون له ، فخاف وأوجب على نفسه القبول خشية على العدالة. وذلك في عهد "العادل كتبغا المنصوري " [١٢٩٤ م : ١٢٩٦م] (٢) وهناك أيضاً القاضي برهان الدين بن جماعة "الذي راسله السلطان فامتنع فأرسل إليه رسولاً حلف عنه بالطلاق أن السلطان حلف بالطلاق على قبول هذا المنصب (٣) .

العلاقة بين قضاة الشرع والسلطات الحاكمة :

لقد تدخل الأمراء والسلاطين في الأحكام القضائية التي يصدرها قضاة الشرع كما أنهم تدخلوا في اختيار القضاة منذ البداية ، لذا فلم تكن وساطتهم ترد وقد كان كل أمير يحتضن مجموعة من الفقهاء ويدافع عنهم ، ويتوسط لهم ويعتبرهم من أخصائه ، ومن ثم فإن التعدي على أي فرد منهم يعتبر تعدياً على هذا الأمير وكم من المأسى التي تسببت فيها تلك الوسائط بل أنها كانت أبرز الأسباب لانحدار مستوى شاغلي الوظائف القضائية لأن الوساطة تغفل عن قدر طالب المنصب من حيث علمه ويشغله الأكثر والأقوى وساطة ونفوذاً (٤) وتدخل السلطين وهم المفترض أن يكونوا رقباء على القضاة في أعمالهم لإجبارهم على تنفيذ رغباتهم وإلا فالعزل هو جزاؤهم . فعندما رفض قاضي القضاء الحنفى

[١] محمود رزق سليم : مرجع سابق ص ١٠٣

- د/ على إبراهيم حسن : مصرفى العصور الوسطى مرجع سابق . ص ٣٥٢ .

[٢] جلال الدين السيوطى : رجع سابق . ج ٢ ص ١٦٨ .

[٣] ابن حجر العسقلانى انباء الغمر - مصدر سابق ج ١ ص ٥٣ .

[٤] جمال جرجس يوسف : مرجع سابق . ص ٦٥٠ .

شمس الدين الحريرى تحقيق رغبة السلطان محمد بن قلاوون فى استبدال أرض موقوفة عزله السلطان وجئ بمن ينفذ له رغباته (١) .

ولم تمنع مكانة القضاة لدى السلاطين من القبض عليهم كما لم تحمهم من الإشاعات المغرضة ضدهم فقد قبض على قاضى القضاة الحنفى " عبدالبر بن الشحنة " لو شاية عند السلطان قنصوه الغورى أنه كاتب أحد أعداءه فرسم بنفيه إلى قوص ، فشفع فيه الأتابكى (*) قيت الرجبى (٢) وتعرض القاضى شمس الدين الطبقى لبطش السلطان قنصوه الغورى لأنه حكم فى بعض الوقائع بما اعترض عليه فى ذلك (٣) .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين والأمراء تدخلوا فى أحكام القضاة لحماية أتباعهم إذا ما وقفوا أمام القضاة فى قضايا خاصة بهم والقضاء ملزمون بتنفيذ أحكامهم وإلا فالعزل هو جزاؤهم المنتظر .

وبالرغم من ذلك فقد شهدت تلك الطائفة الكبيرة من الفتاوى التى تضمنتها الوثائق التى وصلتنا من عصر السلاطين المماليك على أن السلاطين اعتمدوا كثيراً على هذه الفتاوى فى كافة تصرفاتهم السياسية والإقتصادية والمالية والإدارية (٤) .

وربما يعود ذلك إلى حرص سلاطين المماليك على صبغ حكمهم بقشرة دينية تخفى وراءها أطماعهم وأهدافهم الحقيقية وإستغلال القضاة كوجهة لهذه الأعمال فمن خلال مطالعة المصادر المملوكية يتضح أنه كثيراً ما نظر السلاطين إلى القضاة نظرة امتهان وإزدراء وتسفيه لأرائهم ولا سيما فى أواخر هذا العصر . فى نفس الوقت لا نرى معارضة بين القضاة والسلاطين إلا إذا تعارضت مع مصالحهم .

واعتبر السلاطين القضاة مصدراً هاماً لتمويل الخزائن السلطانية وذلك بطرق عديدة مثل بيع المناصب لهم، وكذلك المصادرة التى يقوم بها القضاة لصالح الخزانة

[١] د/ عبدالخالق حسين : مرجع سابق . ص ٢٦٥ .

[*] الأتابك :مقدم العسكر والقائد العام للجيش المملوكى .أنظر د/سعيد عبدالفتاح عاشور-مرجع سابق ص ٣٨٧ .

[٢] ابن اياس : مصدر سابق ، ج ٤ ص ٣٨ .

[٣] ابن اياس : مصدر سابق ، ص ٢١١ .

[٤] د/قاسم عبده قاسم : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

السلطانية تحت اسم الشرع الشريف . كذلك الأوقاف سواء بالبيع أو الاستبدال أو سلبها لصالح السلاطين والأمراء .

ومع ذلك لم يكن القضاء بمنأى عن مؤامرات الوزراء ورجال الحكم من منافسيهم ومن أبرز تلك الدسائس التي ذكرتها المصادر المعاصرة لتلك الفترة ما حدث مع القاضي " تقى الدين بن بنت الأعز الشافعى " الذي تولى القضاء للمرة الأولى فى [ربيع الآخر ٦٨٥هـ - مايو ١٢٩٦م] فقد باشر القضاء بعزة ونزاهة وحدث بينه وبين الوزير بن السلعوس عداوة لرفض القاضي وساطة الوزير فى تعيين أحد أتباعه فى وظيفة وذلك لسقوط عدالته فما كان من الوزير إلا أن أخرج عن القاضي وظائفه ، ثم رتب عليه شهود يشهدون عليه بالزور بأمر منكرة حتى قيل إن جملتها مثل الزنى واللوط والزنى بالنصارى وشرب الخمر ونال القاضي من الهوان والعذاب الشئ الكثير (١).

من هذا يتضح أن التدخل المستمر للأمراء والسلاطين فى أحكام القضاء سواء بالوساطة أو الشفاعة أو الإجبار أدى إلى مجانبة العدل وتفشى الزور والظلم فى أعمال القضاء . وكذلك لم تمنع مكانة القضاء لدى السلاطين من تدبير المؤامرات لهم كما لم تحمهم مكانتهم من التعرض للنفى والسجن مع أولى الجرائم لمجرد الوشايات .

ويعتبر تدخل الأمراء والسلاطين فى أعمال القضاء السرطان الذى أصاب الحياة القضائية . وهو العامل الأول فى انهيار القضاء الشرعى فى العصر المملوكى كما يبدو من خلال المصادر المملوكية أن امتناع كبار الفقهاء والعلماء من تولى منصب القضاء فى هذه الآونة أدى إلى تولى فقهاء الدرجة الثانية [صغار الفقهاء] مع قلة علمهم بالفقه وجهلهم بالأحكام الشرعية مما ترتب عليه وقوع أخطاء جسيمة فى أحكامهم .

[١] جلال الدين السيوطى : مصدر سابق ج ٢ ص ١٦٨ .

- ابن حجر العسقلانى : رفع الأصر مصدر سابق ج ١ ص ٢٩٠ .

قضاة العسكر :

لم يكن القضاء الشرعى فى العصر المملوكى قاصراً على قضاة المذاهب الأربعة فقد كان هناك قضاة العسكر وهم المسئولون عن القضاء بين الجند فى الجيش المملوكى وهم يرافقون الجيوش فى حروبها حتى يفصلوا بين الجند فى مشاكلهم ومنازعاتهم خاصة إذا كانت مشاكل لا تحتمل التأجيل وحتى لا ينتج عنها خلل فى الجيش المحارب .

وكان من مهام قاضى العسكر إمداد الجند بما يحتاجون إليه من فتاوى فى المسائل الشرعية التى يعرضونها عليهم ، ويلاحظ أن قضاة العسكر كانوا ثلاثة يمثلون المذاهب الشافعى والحنفى والمالكى وأحياناً كان يوجد قاضى حنبلى (١) وربما يكون عدم وجود قاضى حنبلى فى الجيش راجعاً إلى قلة الحنابلة بين صفوف الجيش بل قلة أتباع المذهب فى مصر عموماً .

وكانت لهم صلاحيات فى الفصل بين العسكر ومن يعملون معهم فى قطاع الجيش من الإداريين والصناع والعمال وغيرهم كما كانوا يفصلون فى القضايا التى يكون العسكرون طرفاً فيها بشرط أن يكون العسكرى مدعى عليه لا مدعياً بناءً على ما قرره الفقهاء من أنه لو تنازع الجندى والبلدى فى قضية وأراد كل منهم أن يحكم قاضيه فالعبرة لقاضى المدعى عليه (٢).

وفى فترة السلم كان مجلس قضاة العسكر فى دار العدل مع القضاة الأربعة ولكنهم كانوا أقل درجة منهم . ومن قضاة العسكر من تولى بيت المال بجانب قضاء العسكر مثل القاضى " محمد بن عبد البر بن يحيى الشبكى " فى عام ٧٦٥هـ ١٣٦٣م (٣) ومنهم من عمل بالتدريس مثل " شمس الدين بن الصائغ الحنفى " قاضى العسكر ومدرس التفسير بجامعة بن طولون (٤).

يتضح من هذا أن قضاة العسكر كانوا هم المسئولون عن القضاء بين أفراد

[١] د/ سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق . ص ٣٧٨ .

[٢] د/ عبدالخالق حسين : مرجع سابق . ص ٥٢٩ .

- د/ محمد جمال الدين سرور : مرجع سابق . ص ١٣٩ .

- د/ على ابراهيم و د/ حسن ابراهيم : مرجع سابق ص ٣١٩ .

[٣] ابن حجر العسقلانى : أنباء الغمر مصدر سابق . ج ١ ص ١١ .

[٤] نفس المصدر ونفس الجزء . ج ١ ص ١١ .

الجيش فى الحرب والسلم وإمدادهم بالرأى والفتاوى فى حالة طلبهم . وقضاة
العسكر أقل درجة من قضاة المذاهب الأربعة ولكنهم يمثلون الجناح الآخر للقضاء
الشرعى فى هذا العصر مع قضاة المذاهب الأربعة . لقد امتدت الرشوة إلى هذا
المنصب أيضاً عند التولية . كما يظهر من خلال مصادر الفترة المملوكية .

قضاة السياسة - القضاء الزمنى :

كان الحكم فى الدولة المملوكية على ضربين : حكم الشرع الشريف ، حكم
السياسة ويقوم عليه الأمراء والحجاب . وحكم السياسة يقصد به تطبيقاً لقوانين
"جنكيز خان" وذلك نتيجة لانتماء بعض الممالك إلى الأصل المغولى ، وكذلك لازدياد
نفوذ الأمراء فى هذه الدولة ، فقد جلسوا للقضاء بين الناس وكان جلوسهم فى
البداية على حياء وخشية جانب ولكنهم ما لبثوا أن نازعوا القضاة فى
اختصاصاتهم حتى لم يعد هناك حد فاصل بين قضاة الشرع وقضاة السياسة
وعمل هؤلاء على الفصل بين المتقاضين بقوانين الياسة (*) .

وكلمة الياسة " كلمة مغولية " أصلها ياسة فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها
سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية وهى ترجع إلى جنكيز خان .
فعندما صارت له دولة قرر قواعد وعقوبات أثبتها فى كتاب سماه ياسه ومن الناس من يسميه يسق ولما تم وضعه
كتب ذلك وجعله شريعته لقومة فالتزموه بعده (١) .

وبذلك فقوانين الياسة ليست نظاماً قضائياً إسلامياً ، وإن نسبت إلى الشرع
لتأخذ صبغة إسلامية وحرفت إلى كلمة السياسة لكى تقرب إلى أذهان المسلمين ولذا
اعتبرت السياسة الشرعية من ظلم الطبقة المملوكية . ومع أنها كانت فى أول الأمر

[*] من القواعد التى توجد فى قانون الياسة ان من زنى قتل ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ومن بال
فى الماء قتل وبها حدود ربما وافق القليل منها الشريعة الإسلامية وأكثرها مخالف . وأنظر القلقشندى :
مصدر سابق ج ٤ ص ٣١١ .

[١] تقى الدين المقرئى : المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة - ١٩٨٧ ط ٢
ج ٢ ص ٢٣٠ .

تتعلق بشئون الطبقة العسكرية وحدها للفصل فى أمورهم ولكن فى النهاية أصبحت تتدخل فى أمور الشرع وأحكامه وتلغيها (١) كذلك يجب أن نعلم أنه لم تكن هنا معايير محددة لقضاء السياسة .

(١) قضاء الحاجب :

عرفت الوظيفة من قبل العصر المملوكى ولكن لم يكن له هذه الأهمية التى تمتع بها شاغلها فى العصر المملوكى والتى أصبحت وظيفة مرموقة لايتولاها إلا أحد أمراء الدولة العظام ، إذا كانت على رتبة نيابة الدولة فى المنزلة (٢) وأطلق على أكبر الحجة حاجب الحجاب والحجابه وظيفة من وظائف أرباب السيوف يجلس صاحبها بدار العدل لينظر فى خصومات الأمراء والأجناد وإختلافهم فى أمور الإقطاعات ونحو ذلك تارة بنفسه وتارة بمشورة السلطان وتارة بمشورة النائب (٣) .

ولقد تطور مفهوم الحجابه وازداد عدد الحجاب ، فبعد أن كان هناك حاجب واحد ، تدرج العدد حتى وصل إلى خمسة حجاب [٧٨٤هـ - ١٣٨٢م] ثم إلى ثمانية حجاب أيام الناصر فرج بن برقوق المتوفى [٨١٥هـ - ١٤١٢م] وبهذا أصبح الحاجب اسماً لمجموعة من الأمراء الذين ينصبون للحكم بين الناس ولم يكن وجودهم قاصراً على القاهرة وحدها باعتبارها عاصمة الملك (٤) .

ولقد أتيح للحاجب أن يتدخل فى اختصاصات القاضى وأن ينظر فى خصومات المدنيين فضلاً عن خصومات الممالك التى كانت من اختصاصه وبذلك فقد امتد نفوذه تدريجياً من القضاء الحربى إلى القضاء المدنى فتدخل فى اختصاصات القاضى (٥) وأصبح حاجب الحجاب ينظر فى كل جليل وحقير بل يغير

[١] د/ عبدالمنعم ماجد : مرجع سابق . ج ١ ص ٩٢ .

[٢] د/ عبدالخالق حسين : مرجع سابق ص ٤٠١ .

[٣] د/ حكيم امين عبدالسيد : قيام دولة المماليك الثانية ، ودار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

[٤] عبدالخالق حسين : مرجع سابق . ص ٤٠٢ .

- د/ حكيم امين : مرجع سابق . ص ١١٩ .

[٥] جلال الدين السيوطى : مصدر سابق . ج ٢ ص ١٣٣ .

- د/ على ابراهيم حسن : دراسات فى عصر المماليك . مرجع سابق . ص ٣٥٥ .

أحياناً على أعمال القاضى العادية كما استخدم السياسة الشرعية أى الإجراءات التى تتبع لإصلاح أمر على أوسع نطاق فى مجلسه وأصبح نظره مجال الرشوة (١).

ويذكر المقرئى أن أول من حكم من الحجاب بين الناس هو الأمير شمس الدين أق سنقر الناصرى " عندما تولى الحجوبية فى عهد " السلطان شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون " فحكم بين الناس كما كان نائب السلطنة يحكم ، إلى أن كانت ولاية الأمير سيف الدين جرجى الذى تولى الحجابة أيام " السلطان صالح بن محمد بن قلاوون " فرسم له أن يتحدث فى أرباب الديون ويفصلهم عن غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحكام فيما تقدم أن يحكموا فى الأمور الشرعية (٢).

ويتضح من المصادر المملوكية أن الحجاب بحكم تكوينهم العسكرى لم تكن قدراتهم وثقافتهم تؤهلهم أن يحكموا بين الناس فى الأمور الشرعية ، كما أدى تعدى الحاجب على اختصاصات القضاة إلى عدم وجود حد فاصل بينهما ، لأنهم أصبحوا يجمعون بين سلطتى التنفيذ والقضاء ، ومع أن المصادر تحدثنا عن أن تعدى الحاجب على سلطة القاضى الشرعى كانت محدودة فى البداية وأن الناس كانوا ينفرون منها إلا أنهم سرعان ما ألفوه ولجأوا إليه بكثرة حتى أصبح الحاجب الجاهل بأمور الشرع يزاحم قضاة الشرع فى أعمالهم .

ولم تكن وظيفة الحجابة بمنأى عن الرشوة فيبدو أن اتساع سلطة الحاجب كانت وراء هذه المبالغ الضخمة التى كانت تبذل بغير حساب على هذه الوظيفة مثل " عبدالعزيز بن محمد الصغير " الذى صار فى ذى الحجة [٨٥٣ هـ ١٤٠٥ م] من جملة

[١] د/ عبدالمنعم ماجد : مرجع سابق . ج ١ . ص ١١١ .

[٢] المقرئى ، مصدر سابق : ج ١ ص ٢٢١ وما بعد .

الحجاب بالقاهرة بعد أن قدم للسلطان جقمق عدة خيول^(١) وبذلك اجتمع الجهل بأمور الشرع مع الرشوة والوساطة فى شخص يحكم بين الناس بالأمور الشرعية. ولقد وصل الأمر إلى حد النزاع بين الحجاب وقضاة الشرع على أخذ الخصوم من على أبوابهم فقد أمر "السلطان برقوق" بعزل "زين الدين الإسكندرى" النائب الحنفى من الحكم وذلك بسبب شكوى مأمور الحجاب لبرقوق من أنه يمنع عنه الخصوم^(٢).

وكانت الدولة تحاول أحياناً أن تمنع الحجاب من التدخل والتحدث فى الأحكام الشرعية فتصدر مرسوماً بذلك ولكن هذا المنع لا يلبث إلا أياماً معدودة ، يكون الأمراء فيها قد نجحوا فى إبطال هذا المرسوم ثم يعودون بعدها لمزاولة نظرهم فى القضايا الشرعية كما كانوا^(٣).

وبذلك فقد كان فى قضاء الحجاب فى قضايا شرعية تعدى على اختصاصات قضاة الشرع ومزاحمة لهم وإضعافاً لمكانتهم فقد اتخذ الحجاب هذا العمل كحرفة يرتزق منها وخاصة عندما زاد عدد الحجاب وليس لهم إقطاع على الإمرة فكان هذا مصدر رزقهم فضلاً عن عدم تحرى الدقة فى الأحكام لضعف إن لم يكن انعدام الثقافة الشرعية والتي تظهر جلية واضحة فى الأحكام التى أصدروها وفى محاولاتهم جمع المال والإثراء على حساب المتخاصمين .

[١] د / احمد عبدالرازق : مرجع سابق . ص ٥٥ .

[٢] ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر . مصدر سابق . ج ١ ص ١٩٤ .

[٣] د / عبدالخالق حسين : مرجع سابق . ج ٢ ص ١٤٢ .

- ابن حجر العسقلانى : انباء الغمر مصدر سابق ج ٢ ص ١٤٢ ، وعن جهل الحجاب بالأمور الشرعية انظر ابن : مصدر سابق . ج ٤ ص ٣٤٠ .

(٢) الأمر :

وقد حرص الأمراء على ممارسة الفصل فى قضايا العامة كمظهر من مظاهر السلطة تساندهم فى ذلك القوة الذاتية التى يتمتعون بها وقدرتهم على إستخلاص الحقوق ، كذلك المهانة والاستهتار بقضاة الشرع لذا فقد أصبح غالبية العامة يلجأون لقضاء الأمراء لقدرتهم على استخلاص حقوقهم من خصومهم .

ولقد احتدم الصراع على أخذ الخصوم من وإلى أى طرف فإذا كان أحد الشكاة توجه إلى قضاة الشرع وغريمة توجه إلى أحد الأمراء فلمن يكون نظر القضية ؟ هل تتم عند الأمراء أم أن الإجراءات تنتهى عند القضاة ؟ وظلت تلك الإحتكاكات مستمرة طوال العصر وكان السلاطين يساندون الأمراء خوفاً من بطشهم وقدرتهم على إثارة المتاعب لهم (١) .

ويبدو أن السلطان كان يأذن للأمير للحكم بين الناس ويعين هؤلاء نقباء على بيوتهم كنقباء القضاة وكذلك يعين الأمراء رسلاً ويحكموا فى الأمور الشرعية ولم يكن هذا الأمر قاصراً على طبقة معينة من كبار الموظفين الإستادار(*) وناظر الخاص(**) والمشير(***) وكاتب السر والدوادار(****) وبذلك فقد تحول كل كبار رجال الدولة إلى قضاة.

[١] جمال جرجس يوسف : مرجع سابق . ص ٥٠ .

[*] الأستاذار : وموضوعها التحدث فى أمر بيوت السلطان كلها من المطايخ والشراب خاناه والغلمان وهو الذى يمشى بطلب السلطان ويحكم فى غلمانه وباب داره وله حديث مطلق وتصرف تام فى استدعاء ما يحتاجه كل من فى بيت السلطان النفقات والكسوى - انظر القلقشندى . مصدر سابق . ج ٤ ص ٢٠ .

[**] ناظر الخاص : هو من كبار الموظفين الذين شاركوا الوزير فى تصريف أعماله ومهمة ناظر الخاص أن ينظر فى خاص أموال السلطان . انظر د/سعيد عاشور - مرجع سابق ص ٤٨٠ .

[***] المشير : وظيفة من الوظائف الكبرى فى الدولة المملوكية جعلها القلقشندى فى الترتيب بعد نيابة السلطنة والوزراء ومع ذلك لا نجد تحديداً لأختصاص صاحب هذه الوظيفة فى المراجع المعاصرة وإن كان من الثابت أنه تولاه عادة بعض كبار رجال الممالك وأن صاحبها كان يحضر مجلس المشورة . د/سعيد عاشور مرجع سابق ص ٤١٢ .

[****] الدوادار : أى ممسك الدواة والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه ويقدم القصص والشكاوى إليه . انظر د/سعيد عاشور : مرجع سابق . ص ٤٣٨ .

وفى أحيان كثيرة يمنع السلطان أرباب الوظائف من الأمراء من الحكم بين الناس ولا يشتكى أحد خصومه إلا إلى الشرع الشريف^(١) ولكن الأمراء عسرياً ما يتدخلون لأعادة ذلك وكأنه قد أصبح حقاً طبيعياً وحجتهم فى ذلك هى الحرص على حقوق الناس من الضياع^(٢) .

وبذلك فقد كان الأمراء يجلسون للأحكام فى كافة أنواع القضايا سواء أكانت قضايا شرعية أو قضايا مدنية وبذلك فلم يعد يوجد أى حد فاصل بين اختصاصات الأمراء وبين اختصاصات قضاء الشرع وثمة مشكلة ، وهى بائى قانون كان يحكم الأمراء ؟ هل كانوا يحكمون بقانون الشريعة أو بقانون السياسة ؟؟ إن المصادر المعاصرة تجيبنا على هذا التساؤل إنهم كانوا يحكمون بقانون المال أى من يدفع أكثر فله ما يريد من الأحكام . وقد اتخذ بعض الأمراء من مكانته كأمرير وكقاضى وسيلة لجمع المال بائى صورة وكذلك للإستيلاء على الأوقاف وعلى أملاك الناس . مثل الأمير طراباى رأس نوبة النوب فعند موته فرح الناس لأنه كان صارماً عسوفاً شديد القسوة^(٣) .

وهكذا على بن أبى الجود الذى ولى الاستادارة واجتمع على بابيه مائة رسول فكان أرباب الصنائع يتركون حرفهم ويعملون رسلاً على بابيه وصار غالب الناس لا يشكون خصومهم إلا من بابيه وكأن الناس على رؤسهم طير منهم فكان العبد يرافع سيدة ويشكوه وينتصف عليه من بابيه وكل من له عدو يشكوه من بابيه ويكذب عليه يقول : هذا لقى مال فيسلب من ذلك الرجل ما لا يقدر عليه^(٤) .

[١] ابن إياس : مصدر سابق . ج ٤ ص ٧٦ .

[٢] ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر مصدر سابق . ج ٢ ص ١٤٢ .

[٣] ابن إياس : مصدر سابق . ج ٤ ص ٢٠٩ .

[٤] ابن إياس : مصدر سابق . ج ٤ ص ٤٤ وقال فيه ابن إياس :

اقول له إذا طيشته رياسة	رويدك لا تعجل فقد غلط الدهر
ترفق يراجع فيك دهرك رأيه	فما سرت إلا والزمان به سكر

قضاة المظالم (*) :

نظر المظالم هو قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيبة ظاهر العفة قليل الطمع كثير الورع لأنه يحتاج في نظره إلى سطوة الحماء وثبت القضاء فيحتاج إلى الجمع بين صفات الفريقين (١).

وفي العصر المملوكي ولرغبة السلاطين في إضفاء الصبغة الدينية على حكمهم فقد جلسوا للنظر في المظالم كعادة الخلفاء والسلاطين من قبل ، وذلك رغبة في اكتسابهم المهابة والاحترام في نظر رعاياهم بعملهم على نشر العدل ، لذا فقد حرص السلاطين الأوائل على الجلوس للمظالم باستمرار .

فقد أقام المعز أيك التركمانى الأمير علاء الدين ايدكين البندقدارى فى نيابة السلطنة فواظب على الجلوس فى المدرسة الصالحية بين القصرين ومعه النواب لينظر فى المظالم ، غير أن السلطان بيبرس هو أول من أفراد أياماً خاصة لقضاء المظالم وواظب عليها وبنى دار العدل كمقر له (٢).

وكانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا فى عصرنا تعرض عليها القضايا إذ القاضى لم يحكم بينهم بالعدل ، وكان الغرض الأساسى من إنشائها هو وقف تعدى ذوى الجاه والحسب ولهذا كانت رئاسة ديوان المظالم تسند لرجل جليل القدر كثير الورع يعرف باسم قاضى المظالم (٣).

[*] يذكر المؤرخون أن أول من أفرد يوماً خاصاً لقضاء المظالم هو الخليفة عبد الملك بن مروان وكان إذا وقف منها على أمر يحتاج مراجعة راجع فيه قاضية أبا إدريس الأودى .

[١] المارودى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٥١ .

[٢] المقرئى : مصدر سابق ج ٢ ص ٢٠٧ .

[٣] د/ حسن إبراهيم ود/ إبراهيم : مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

ولقد كان يحدد لقضاء المظالم أياماً محددة وأوقاتاً مخصوصة لنظر المظالم التي يتقدم بها أحد الرعية وهي تعقد في كل الشهور ماعدا شهر رمضان كذلك فقد كان السلطان هو الذي يحضر لنظر المظالم أو من ينيب عنه من كبار الموظفين ليعطوا المجلس هيبة ووقاراً تردع الظالم وترده عن ظلمه .

ويحضر مع السلطان كبار رجال دولته وهم يجلسون حسب درجاتهم فكان السلطان يجلس على كرسي من الخشب المغشى بالحرير وعن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة هم الشافعي والمالكي وعن يساره قاضيان هم الحنفي والحنبلي . ويلى القاضي المالكي من الجانب الأيمن قضاة العسكر فالحنفي فالمالكي ثم يليهم مفتو دار العدل فوكيل بيت المال ثم ناظر الحسبة . ومن الجانب الأيسر يجلس بعد القاضي الحنبلي الوزير ثم كاتب السر وهكذا تستدير الحلقة ويقف وراء السلطان مماليك صغار من السلاحدارية(*) والجمدارية(**) أما أرباب الوظائف وسائر الأمراء فيظلون وقوفاً (١) .

وبعد ذلك يقوم الدوادار وأعوانه بجمع الشكاوى ويقوم كاتب السر أو موقعو الدست بقراءتها واحدة بعد واحدة أمام هذا الجمع الحاشد من كبار الموظفين وعندئذ يراجع كل صاحب اختصاص من الحاضرين في هذا المجلس هذه الشكاوى سواء أكان من كبار أصحاب الوظائف الديوانية أم الدينية أم أرباب السيوف وتكون المراجعة بحسب الشرع (٢) .

ولكن كان جلوس السلاطين للقضاء بين الناس متقطعاً حسب المشيئة والهوى بل من السلاطين من هجر هذه العادة ولم يجعلها من تقاليده . منهم من أناب عنه نائب سلطنته لأداء هذه المهمة (٣) وبذلك اقتصر جلوس السلاطين بالإيوان كمجرد رسوم شكلية لإحياء المظاهر القديمة للمحكمة ولم يعد يقصد بها إحقاق الحق ونشر العدالة ورد الحقوق إلى أصحابها .

[*] السلاحدار : حامل السلاح بين يدي السلطان .

[**] الجمدارية : وهو الذي يتصدر لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه وأصله جاما دار فحذفت الألف بعد الجيم وبعد الميم استثقلاً وقيل جمدار وهو في الأصل مركب من لفظين فارسيين أحدهما جاما ومعناها الثوب والثاني دار ومعناها ممسك كما تتقدم فيكون المعنى ممسك بالثوب . انظر القلقشندي : ج ٥ ص ٤٥٩ .

[١] د/ سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق . ص ٣٨٠ .

[٢] د/ عبدالمنعم ماجد : مرجع سابق . ج ١ ص ٣٨٠ .

[٣] ابن الصيرفي : مصدر سابق . ج ١ ص ٤١٠ .

ويذكر المؤرخ ابن الصيرفي في أحداث شعبان سنة ٧٩٧ هـ مايو ١٣٩٥ م أن السلطان جلس بدار العدل وهو الإيوان فعملت الخدمة فيه على العادة ، كان له مدة لم تعمل فيه الخدمة نحواً من سنة ونصف (١) .

واشتهر بعض السلاطين بالظلم والجور على الناس وعدم زجر الظالمين مثل السلطان الغوري (٢) فقال فيه ابن إياس :

سلطان مذ كان في ضعفه يمنحنا عدلاً واحساناً
فمذ شفاه الله من دائه أحدث ظلماً فوق ما كانا (٣)

ولم يكن الحكم بالشرع بل بقوانين ربما تعود إلى قوانين الياسه فعلى سبيل المثال عندما جلس السلطان الغوري يوم "الاثنين ١٤ صفر سنة ٩٢٠ هـ، ١١ مارس سنة ١٥١٤ م "جلوساً عاماً"، وفي ذلك اليوم رسم بتوسيط شخصين من الغلمان قد سرقوا زرديتين فوسطهما في الرملة عند سوق الخيل"، ومن القواعد في قوانين الياسه أن من سرق يقتل وهذا بعكس القوانين الإسلامية التي تأمر بقطع يد السارق .

ويتضح من خلال مصادر هذه الفترة أن السلاطين لم يكونوا قادرين دائماً على إنصاف المظلومين من ظالميههم ولا سيما لو كان هؤلاء الظلمه من فئة الأمراء الذين يخشى السلاطين جانبهم خوفاً من قدرتهم على إحداث القلاقل لهم لذا فقد انتفى السبب الأصلي لوجود قضاء المظالم وهو القدرة على رد الحقوق من مغتصبها مهما علت مكانتهم . كما أصبح النظر في أمور المظالم غير دائم واقتصر على كونه إحياء لمظاهر ورسوم المملكة مجرد إحياء شكلي لا يهتم بالجوهر وهو بث العدالة ورد الظالمين .

[١] د/ محمود رزق سليم : مرجع سابق . ص ٥١ .

[٢] ابن إياس . مصدر سابق . ج ٤ ص ٣٢٩ .

[٣] نفس المصدر ونفس الجزء . ص ٣٦٨ .

قضاء المحتسب :

الحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله امتثالاً لقوله تعالى {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} (١) .

وفى العصر المملوكى كانت سلطة القاضى موزعة بينه وبين المحتسب وقاضى المظالم ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات أحياناً مما يستدعى الفصل فيها إلى السرعة ، وكان القضاء والحسبة يسندان فى بعض الأحيان إلى رجل واحد مع ما بين العاملين من التباين فعمل القاضى مبنى على التحقيق والأناة فى الحكم وعمل المحتسب مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل (٢) .

تبين النصوص أن القائم بالحسبة فى أيام المماليك له سلطة تنفيذية كسلطة قاضى القضاة وإن كانت العقوبات التى يفرضها لا تبلغ عقوبات الحدود ويختلف بحسب الذنب وهو ما أطلق عليه التعزير (٣) .

وكان المحتسب يجلس للقضاء بين الناس فى جامعى عمرو والأزهر وزاد نفوذه حتى غدا من اختصاصه الإشراف على رجال الشرطة الذين يقومون بتنفيذ أحكامه (٤) والعقوبات التى يفرضها مثل الردع بإزالة الأمر المخالف مثل كسر أوانى الشرب أو ذهاب المال ويتخذ الضرب كوسيلة للتعزير وذلك عن طريق آلات الضرب أو النفى والتجريس وأحياناً النفى والتوبيخ بالكلام (٥) .

[١] القرآن الكريم . آل عمران آية ١٠٤ .

[٢] د . حسن إبراهيم ود . على إبراهيم حسن : مرجع سابق . ص ٣١٣ .

- د . سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق . ص ٢٨١ .

[٣] د . عبدالمنعم : مرجع سابق ج ١ ص ١٢٨ .

[٤] د . على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ الممالك مرجع سابق . ص ٣٥٢ .

[٥] د . عبدالمنعم ماجد : مرجع سابق - ج ١ ص ١٢٩ .

وبذلك فقد كانت وظيفة المحتسب وظيفه دينية وكان يشترط فيمن يتولى أمرها أن يكون من العلماء لما تشتمل عليه من النظر فى الأحوال الشرعية وإصدار الأحكام وهى أمور تتطلب العلم الشرعى والفقه والحديث واللغة ولكن فى العصر المملوكى لم يكن هناك قاعدة لتعيين المحتسب حتى تولاه الممالك أنفسهم وهم غالباً غير متمكنين من العلوم الشرعية مما أصاب هذه الوظيفة بالتدهور كغيرها من الوظائف فى هذا العصر .

وجميع ماكتبه المؤخرون عن وظيفة المحتسب فى عهد الممالك تشير إلى أهمية دوره من الناحية الإقتصادية وهى أنه على المحتسب أن يتعرف على دقائق كل حرفة وتجارة ليكشف بسهولة عن الغش الذى يرتكب ضد حياة الناس المعيشية وكان المحتسب يستعين فى ذلك بالخبراء الذين يختارون من بين أرباب الصناعات والتجارة الدين سموا العرفاء أو النواب (١) .

كما أن دور المحتسب الأخلاقى والاجتماعى انحدر فى هذا العصر . كما تحدثنا المصادر المعاصرة لانحدار الأخلاق فى معظم فترات هذا العصر ومحاولاتهم التمتع بالترف والجاه حتى وجد من السلاطين من جعل الخمر من رسوم المملكة (*) وبالتالى فقد ترك هؤلاء الفرصة للشعب ليعيش بنفس الطريقة وفى حماية للمفسدين من المحتسب .

وبهذا نجد أن عمل المحتسب كما أقرته الشريعة الغراء من حيث الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لم يكن مستمراً فى كل العهود فعلى سبيل المثال انتشر الانحلال الأخلاقى فى هذه الفترة وانحصر عمل المحتسب على الناحية الإقتصادية فقط وفى ذلك تفريغ لمضمون وظيفة المحتسب وجعلها جوفاء خالية من مضمونها الطبيعى إلى الناحية الشكلية فقط .

كانت هذه هى الحالة القضائية المتدهورة التى وجدها العثمانيون عند دخول مصر فالفساد منتشر فى كافة أرجائها والقضاء الشرعى منهار ، ورجال السياسة والحكم يقضون بما يوافق أهوائهم ومن يدفع أكثر . وأخلاق قضاة الشرع وصفاتهم وطرق توليتهم مشبوهة هى الأخرى . فلا نبالغ إذا قلنا من واقع مصادر هذا العصر أن مصر لم يكن فيها قضاء فى ذلك الوقت .

[١] نفس المرجع ونفس الجزء . ص ١٢٧ .

[*] هو السلطان فرج بن برقوق الذى جعل شرب الخمر من شعائر المملكة وذلك منذ عام ٧٩١هـ / ١٣٨٩ م .

الفصل الثانى

القضاة فى العصر العثمانى

[١] قاضى العسكر

[٢] قضاة الأقاليم

[٣] القسام

أ - القسام العسكرى

ب - القسام العربى

[٤] قضاة الأخطاط فى القاهرة

[٥] الباشا واختصاصاته القضائية

[٦] انحسار الولاية القضائية للقضاة

أ - الأشرف

ب - الإنكشارية

ج - أهل الذمة

د - الأجانب

القضاة فى العصر العثمانى

تـمـهـيد :

عندما فتح العثمانيون مصر وجدوا الاضطرابات تسيطر على كافة الأمور فى البلاد سواء أكانت فى النواحي السياسية أم الاقتصادية أو القضائية . غير أن الناحية القضائية كانت أكثر هذه الأوضاع تردىاً وسوءاً ، فقد حدثت اعتداءات كثرة على القضاة فى نهاية العصر المملوكى وضاعت سلطات قضاة الشرع نتيجة لتدخل قضاة السياسة فى اختصاصات قضاة الشرع حتى لم يعد هناك فاصل بين الاثنين ، لذا عمل العثمانيون على إدخال بعض الإصلاحات على هذا النظام المتهاك بغية إصلاحه .

ومن طبيعة الحكم العثمانى الإبقاء على الوضع القائم فى البلاد للاستفادة من خبرة من سبقوهم فى تسيير الأمور ، ثم بعد ذلك يقومون بوضع النظام بشكل تدريجى ومنظم .

ولم يبلغ السلطان سليم الأول قضاة المذاهب الأربعة فقد أبقاهم فى مناصبهم (١) وإن كان قد أخذ يعمل على تقليل سلطاتهم بأن أدخل من جانبه قاضى سماه قاضى العرب كان بمثابة الرقيب على قضاة مصر ونوابها ، ولا يستطيع أحدهم القيام بأمر من الأمور إلا بعد العرض عليه (٢) .

وأستمرت هذه الإصلاحات فى طريقها المرسوم حتى ربيع الأول ٩٢٤هـ ١٥١٨م وجد " محضر كان يجلس على تكة بباب المدرسة الصالحية وحوله جماعة من

[١] ابن إياس : مصدر سابق . ج ٥ ص ١٦٥

[٢] نفسه ونفس الجزء . ص ١٦٦ .

الإنكشارية فكان لا يقضى أمراً من الأحكام الشرعية حتى يعرض عليه وكان يزعم أنه مستوف على القضاة فى الأمور الشرعية " (١) .

وبعد ذلك تتابعت الخطوات الإصلاحية فى مصر وأدخلت نظم جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القسام العسكرى ، غير أن أهم خطوة فى هذا المجال كانت إلغاء قضاة القضاة من المذاهب الأربعة والعمل بالمذهب الحنفى وجمع السلطة القضائية فى شخص واحد هو قاضى العسكر الذى يعين من قبل السلطان العثمانى مباشرة .

[١] نفسه ونفس الجزء . ص ٢٤٤ .

قاضى عسكر واختصاصاته القضائية

تعيين قاضى العسكر :

كان قاضى العسكر هو رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة فى العهد العثمانى فهو صاحب الولاية القضائية على قضاة محاكم القاهرة ، وإن لم يكن له سلطة على قضاة الأقاليم . ويأتى قاضى عسكر مصر فى البروتوكول العثمانى من حيث الترتيب بعد قضاة إستانبول - مكة المكرمة - المدينة - أدرنة - بروصة (١) بذلك يتضح أنه كان فى مقدمة قضاة الدولة العثمانية .

وكان قاضى العسكر يعين بموجب براءة سلطانية بناء على ترشيح قاضى عسكر الاناضول وهو بالتالى مسئول أمامه ، ويسجل قرار تعيين قاضى العسكر فى سجلات المحاكم على النحو التالى " يوم الاربعاء [١٦ شهر شوال سنة ١٠٠٤ هـ مايو ١٥٩٦م] وفيه ورد الامر الشريف الخاقانى بتولية شيخ الاسلام حضرة سيدنا ومولانا أحمد افندى الانصارى قاضى العسكر المنصورة بروم إيلى سابقا أدام الله تعالى معدلته نظارة الأمور الشرعية بالديار المصرية جعل قدومه مباركا وحفظة فى حركاته وسكناته " ... (٢) .

وبعد صدور البراءة السلطانية بتعيين قاضى العسكر (*) كان يرسل إلى قائم مقام يحل محله حتى وصوله ، وأحيانا كان يختاره من بين العلماء المصريين مثل

[١] Yilmaz Oztuha, osmanli Devleti, Istanbul, 1986, P.7.

[٢] الشهر العقارى: سجلات محكمة الباب - س ٦٤ ، ص ٤٤ ، س ٢٧ ص ٣ ، س ٨٤ ق ١٢٩٥ ص ٢٠٢ ، س ١٤٩ ص ٩ .

[*] يذكر ابن اياس أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو جلىبى أفندى فى رجب ٩٢٨ هـ ١٥٢١م وذلك بعد إلغاء قضاة المذهب الأربعة . بينما يذكر ابن أبى السرور البكرى أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو مصطفى أفندى الرومى فى محرم سنة ٩٢٩ هـ ١٥٢٢م وعلى الرغم من تناقض الروايتين إلا أننا نميل إلى رواية ابن اياس لأنه معاصر للأحداث إضافة إلى اهتمامه بتسجيل المتغيرات التى أدخلها العثمانيون على النظام القضائى بعكس ابن أبى السرور البكرى: الروضة المائوسة فى أخبار مصر المحروسة . تحقيق عبدالرازق عيسى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٦ .

القاضى " عثمان بن محمد باشا " الشهير بقادن زادة فى ولايته الثانية عندما أرسل للشيخ " البدر القرافى " يقول له فالمرجو من مكارمكم انجاز الوعد الموعود والقيام بنفسكم فى استماع كلام الخصام والشهود (١).

وفى حالة وفاة قاضى العسكر وهو فى الخدمة أو عند انتهاء مدته كان الباشا يصدر فرمانا بتعيين قائم مقام عنه حتى يصل القاضى الجديد من إستانبول فعندما توفى شيخ الإسلام " السيد محمد أمين " جلس عوضا عنه " محمد أفندى قريمى " بموجب فرمان من " أبوبكر باشا حاكم مصر " (٢) وفى هذه الحالة كان القائم مقام يطلع إلى الديوان ويلبسه الباشا كركاسنجا با على جوخ احمر وينزل ويتولى أعمال القايمة مقامية حتى قدوم قاضى العسكر إلى مصر (٣).

وعندما كان يقدم قاضى العسكر يأتى معه أهله وأولاده وغالبا ما يتولون أعمالا قضائية بجانبه مثل قاضى العسكر فى عام [١١٣٨ هـ - ١٧٢٥ م] والذي كان له من الأولاد ثلاثة أحدهم قسام عسكرى والثانى قسام عربى والثالث نايب الباب العالى (٤).

وفى حالات السفر أو الغياب يختار قاضى العسكر من يحل محله حتى يعود مثل " أحمد أفندى الناظر فى الأحكام الشرعية بالخانقاة السرياقوسية أصالة وبالديار المصرية خلفه " (٥) وكذلك محمود جلبى الناظر فى الأحكام الشرعية بمدينة بلبيس أصالة والديار المصرية خلافة " (٦).

[١] الديميرى : قضاة مصر فى القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادى عشر الهجرى مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤٦٣ تيمورص ١١٠

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية ، س ١٣٠ ص ١٦٧. سجلات تقارير النظر س ١٨ ص ٢١٦ ، سجلات محكمة طولون ، س ٢٣١ ص ١٤١ / سجلات محكمة الصالحية النجمية ، س ٥٣٤ ص ٣٢٤.

[٣] أحمد شلبى عبدالغنى : أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشا ، تحقيق د/ عبدالرحيم عبدالرحمن ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤١٩ .

[٤] نفس المصدر ، ص ٤٥٣ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى س ٧٠ ق ٤٥٢ ص ١٠٩ .

[٦] الشهر العقارى : سجلات الباب العالى س ٤٦ ق ٦٦١ ص ١١٥ .

ويختار قاضى العسكر له نائباً وهو دائماً يأتى معه من إستانبول ويكون تعيين
النائب دائماً مصاحباً لتعيين قاضى العسكر نفسه ويتمتع بمكانة كبيرة فقد كان
يقوم بأعمال قاضى العسكر فى حالة عدم تواجده .

وأحيانا ما يتولى بعض النواب منصب قاضى العسكر مثل " موسى أفندى "
الذى كان نائباً بالباب فى زمن " قاسم أفندى الكردي " [عام ١٠٣٤ هـ - ١٦٢٤م]
وتولى قاضى عسكر مصر فى [١٠٥٣ هـ - ١٦٤٣م] (١).

وإضافة إلى النائب فقد كان فى المحكمة أربعة من النواب على المذاهب الإسلامية
الأربعة حتى يلجأ إليهم أتباع مذاهبهم وإن كان فى بعض الأحيان وجد بعض قضاة
العسكر الذين منعوا العمل بالمذاهب الأربعة إلا من محكمة الباب العالى (٢).

مدة تولية قضاة العسكر :

يلاحظ أنه فى بداية الفتح العثمانى لم يكن هناك مدة محددة لتولية قضاة
العسكر فقد تولى " مصطفى أفندى الرومى " من عام ٩٢٩ هـ - ١٥٢٠م حتى ٩٣٦ هـ
١٥٢٩ م ومنذ نهاية القرن السادس عشر كانت المدة التى يقضيها قضاة العسكر
تتراوح بين عام وثلاثة أعوام . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى
كانت المدة غالباً عام واحد مثل " كمال أفندى " بل وصلت تولية بعض القضاة إلى
ثلاثة أشهر مثل " مصطفى أفندى محمد البكرى " .

وكثيراً ما كان يتولى قاضى العسكر مرتين أو ثلاثة فى فترات مختلفة . وعلى
ذلك فلم تكن هناك مدة محددة لتعيين قضاة العسكر فقد تدرجت هذه المدة الطويلة
حتى قصرت فيما بين القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر والتى وصلت
فيه مدة القاضى أدناها مما ترتب على ذلك العديد من المساوئ (٣).

[١] محمد بن أبى السرور البكرى : مصدر سابق ورقة ٤٧ .

[٢] الدميرى : مصدر سابق ص ١٠١ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى - تعيين قضاة العسكر انظر ملحق رقم ١ تعيين قاضى
العسكر ونائبه .

مقر قاضى العسكر :

ويبدو من خلال كتابات ابن إياس المعاصر لبدايات الفتح العثمانى لمصر أن أول قاضى عسكر عثمانى وهو " جلبى أفندى " قد جلس فى محكمة الصالحية النجمية وهى التى يصفها بقلعة العلماء والتى كان لها الصدارة والأهمية خلال العصر المملوكى (١) ولكن يبدو أن فترة إتخاذ قاضى العسكر للصالحية كمقر له لم تكن فترة طويلة فقد انتقل إلى مقعد (٢) مامى أزيك السيفى .

وتوجد كتابة تاريخية على إزار خشبى أسفل السقف تدل على أن الأمير مامى السيفى كان يشغل وظيفة عسكرية كان أمير مائة مقدم ألف وهى تعنى أن صاحب هذه الوظيفة من حقه أن يكون مالكا لمائة من المماليك ويتقدم ألف من العسكر فى حالة الحرب ، ويطل المقعد على فناء من المرجح أنه كان يمثل حوش القصر نفسه وتتكون واجهة المقعد من خمسة عقود مدببة على شكل حدوة (٣) .

وأحيانا كان قاضى العسكر يجلس بالديوان العالى للنظر فى القضايا التى تعرض عليه .

[١] ابن إياس : مصدر سابق ج ٥ ص ٤١٨ .

[٢] يسمى هذا المقعد مقعد بيت القاضى ويعتبر مقعد بيت القاضى أجمل مثال للمقعد فى العمارة الإسلامية وهو فى الأصل جزء من قصر أنشأه الأمير مامى السيفى سنة ٩٠١ هـ ١٤٩٥ م كما هو منقوش على العضادة اليسرى للمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر ابن قايتباى . وكلمة المقعد تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ العصور الوسطى . كما أطلق على الميدان الذى أمامه ميدان بيت القاضى بالنحاسين التابع لقسم الجمالية ، انظر د/ سعاد ماهر . القاهرة القديمة وأحيائها : سلسلة المكتبة الثقافية رقم ٧٠ القاهرة ١٩٦٢ م ص ٩٣ .

[٣] قمت بزيارة لمقعد بيت القاضى بالنحاسين وهو مازال يحتفظ ببناؤه ومنظره إلى حد كبير ولكنه تعرض للأهمال الشديد ولا يلقى العناية اللازمة .

الاختصاص القضائي النوعى لقاضى العسكر :

يقصد بالاختصاص النوعى تحديد أنواع معينة من القضايا دون غيرها .
وكان لقاضى العسكر اختصاصات نوعية وكذلك اختصاص قيمي . وكانت
المراسيم تصدر من قاضى العسكر إلى قضاة أخطاط القاهرة تحدد الاختصاص
النوعى له . ولكن يلاحظ أن هذه المراسيم كانت قليلة فى القرن ١٦م وأول مرسوم
يقابلنا فى ٨ ذى القعدة ٩٨٨ هـ [ديسمبر ١٥٨٠م] (١) .
وإن كان فى القرنين السابع عشر والثامن عشر قد زادت هذه المراسيم
والتحذير من الاعتداء على هذه الاختصاصات ، ويفهم من ذلك وجود اعتداءات على
اختصاصات قاضى العسكر من قبل قضاة محاكم القاهرة .

وهذه الاختصاصات هى :

إبطال العقود : فأمام قاضى العسكر أبطل عقد التواجد
المتصادق عليه للشيخ " يحيى بن الشيخ محيى الدين " من جهة وقف السعدى
على مدرسته الكاينة بحدرة البقر وما هو موقوف عليها من قبل السلطان "
الظاهر جقمق " بمقتضى أن عقد التواجد المتصادق عليه بالحجة المؤرخة
فى ٢٦ ذى القعدة فى عام ١٠٠٣ هـ . لم يسند إلا بموجب العقد المعين
وبمقتضى مضى معظم إستيفا المنفعة فى المدة المؤجرة ولكون الأرض إشتغلت
بزراعة الغير ولكون الأجرة المعينه بالحجة دون أجرة المثل إبطالا شرعيا وذلك
لما وضع لديه (٢) .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . س ٩٤ ق ١١٢٥ ص ٢٣٠ عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب س ٦٣ ، ق ١٦٨٥ ص ٤٠٦ ، س ٨٤ ق ١٤٩٨ ص ٣١٧ ، س ١٤٩٠

ق ٩٠٥ ص ٢٤٢ ، س ٢٦٧ ق ١ ص ١ .

الكتابة على الأرض الرزقة (١) : اختص قاضى العسكر

بالنظر فى الأمور الخاصة بالأراضى الرزقة . فقد أبقى قاضى العسكر على " على بن على بن حسن الحمامى " من اهالى منية عفيف بالمنوفية على تواجده فى جميع الرزقة الطين السوداء الكائنة بالناحية المذكورة ومساحتها عشرون فدانا والمؤجرة عليه لواجب [سنة ١٠٠٣هـ - ١٥٩٤م] بستة وعشرون دينارا (٢) .

كتابة التواجر الطويلة : فقد أستاجر " أحمد أوده باشا "

طايفة مستحفظان بمصر المحروسة الشهير بالعنتبلى بن درويش محمد بن المرحوم الدرويش يوسف شيخ تكية قصر العينى وناظرها حالا جميع الحاصلين المتلاصقين لبعضها بعضا لينتفع المستأجر بالحاصلين المذكورين سكناً وإسكناً وأجرة وإجارة . كيف شاء الانتفاع الشرعى لمدة ثلاثين عقداً عدة كل عقد فى ذلك ثلاث سنوات مشتملة على تسعين سنة (٣) .

الإسقاطات فى القرى (*) : ولم يكن يسمح بالإسقاطات فى

القرى وتوثيقها إلا أمام قاض العسكر "فلمدة أشهد على نفسه فخر الأكابر الأمير

[١] اراضى الرزقة : هى مساحات واسعة من الأراضى فى جهات عديدة من البلاد وأنعم بها السلاطين السابقون على بعض الناس وأصبح حق الانتفاع بها ينتقل بالميراث للورثة وهى معفاة من الضرائب ولا يدفع عنها للروزنامة إلا ضريبة رمزية باسم " مال حماية " نظير حماية رجال الإدارة لهذه الأراضى من العبث بها - انظر د عبد الرحيم عبدالرحمن - الريف المصرى فى القرن الثامن عشر - مكتبة مديولى القاهرة ١٩٨٦ ص ٨٧ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات الباب العالى س ٦٣ ق ١٦٠٣ ص ٢٨٥ س ٨٦ ق ٣٩٣ ص ٥٨ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات الباب العالى س ٢٠٩ ق ٢٧٠٠ ص ٢٤٢ / س ٧٨ ق ١٠٦ ص ٢٢ / س ٦٣ ق ١٠٩٠ ص ٢٤٧ .

[*] يقصد بالإسقاطات فى القرى التنازل عن حق المنفعة بالإرض من ملتزمها لشخص آخر فى مقابل مبلغ مال يسمى الحلوان وكانت الإسقاطات بكثرة فى القرن الثامن عشر لدرجة اضطرت قاضى العسكر لتخصيص سجلات خاصة للإسقاطات فقط والسجلات الخاصة بفترة الدراسة تبلغ ٢٨ سجلاً تبدأ من عام ١١٤١هـ - ١٧٢٨م .

عمر أغا كتحدا الجاويشية بمصر الإشهاد الشرعى أنه فرغ ونزل وأسقط حقه لفخر الأماثل الأمير " حسين أفندى بن المحترم الأمير عمر أفندى كاتب خليفة المتفرقة فى التصرف والتحدث والالتزام بجميع الحصص التى قدرها الربع سبعة قراريط شايعاً ذلك فى كامل أراضى ناحية كفر بوريج(*) تابع ولاية الغربية المعلوم ذلك عندهما شرعاً والجارى الحصص المذكورة فى الناحية المرقومة فى تصرف وتحدث والالتزام الأمير "عمر أغا المسقط المرقوم عن حلوان قدره خمس أكياس مصرية كل كيس منها ٢٥ ألف نصف (١) .

الاستبدال فى الأوقاف: وحفاظا على الأوقاف ولنع التلاعب فيها

كانت أمور الاستبدال [أى بيع جزء من الأوقاف مقابل ثمن نقدى أو إستبدالها بأوقاف أخرى] لا تتم إلا بين يدي قاضى العسكر وبإذنه فعندما طلب الأمير مامى بك أن المتضمن بيده وتصرفه وملكه النصف من كامل المكان الخرب المتهدم المسلوب المنفعة الكاين خارج بابى زويله والخرق بخط حدرة الكما حين وقف المرحومين الأخوين عبدالفتاح وكمال الدين المناديل على أولادهما وذريتهما وقد سألوا فى استبدال ذلك لفقرهم وعجزهم عن عمارة ذلك وليس فى الوقف ما يعمر به وثبت ذلك أيضاً لدى شيخ الإسلام ، لذا سمح لهم بالاستبدال (٢) .

الحكم على الغائب : ولا يسمح بنظر الأمور بالفسخ على الغائب [أى

فسخ زواجه] إلا أمام قاضى العسكر وذلك لمنع التلاعب فى هذه الأمور البالغة الحساسية . " فعندما أدعت الحرمة ستيتة بنت حجازى أن زوجها عيسى بن محمد

(*) كفر بوريج : قرية قديمة من اعمال مديرية الغربية ومنذ عام ١٢٣٦ عرفت باسم قرية بوريج . انظر محمد

رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية - الجزء الثانى . القسم الثانى ، دار الكتب القاهرة ١٩٥٨ م ص ٩٧ .

[١] الشهر العقارى ، سجلات إسقاطات القرى س ١ ق ٢ ص ٢ - ق ١٢٧ ص ٣٤ ق ٢٥٩ ص ٦٧

[٢] الشهر العقارى ، سجلات محكمة الباب العالى س ١٢٣ ق ١٣٢ ص ٢٥ / س ٢١٤ ق ٧٤ ص ٢٥ / س ٤٦

ق ٩١٨ ص ١٥٦ / س ٢٠٩ ق ١٣٤ ص ٤٧ / س ٦٣ ق ٩٩٤ ص ٢٢٠ .

البلاصى سافر وغاب عنها الغيبة الشرعية المسوغة لسماع الدعوة والحكم على الغائب وتركها بلا منفق ولا نفقة مدة تزيد على عشرة أشهر وهو مستمر الغيبة وهى متضررة من ذلك وحلفت بالله العظيم على جميع الصفات المشروحة أعلاه . وسألت أن يمكنها من فسخ عقد نكاحها وخيرها مرارا فابت إلا الفسخ ثم سالها ثانيا فقالت بصريح لفظها فسخت نكاحى من عصمة عيسى المذكور لوجود المسوغ المشروح أعلاه الحكم الشرعى" (١) .

كما اختص قاضى العسكر بالنظر فى قضايا ذات اختصاص نوعى اضافة إلى ما سبق :

١- فسخ الانكحة (الطلاق) .

٢- مبايعة الأنقاض .

٣- الكتابة على الواقف بما له من الشرط .

٤- الكتابة على أوقاف الدشايش (*) . (٢)

[١] الشهر العقارى ، سجلات محكمة الباب العالى س ٧٨ ف ١٠ ص ٣٢ ، س ٧٨ ق ٧٨ ص ٢٣٥ ، ق ٢١٩ ص ، س ٩٤ ق ١٥٤٥ ص ٣٦٨ ، س ١٥٣ ق ٣٦٦ ص ٩٥ . ق ٩٤ ص ١٨٩ ، س ٨٦ ق ١٥٩ ص ٢٦ ، س ٣٠٧ ق ٨٩٤ ص ٥٢١ .

[*] الدشايش : هى الأوقاف المرصودة فى مصر على أهالى الحرمين الشريفين . وهذه الأوقاف سابقة للعصر العثمانى . والدشيشة حسويتخذ من بر مرضوض . انظر حسين أفندى الروزنامجى - ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية تحقيق الأستاذ محمد شفيق غربال - مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة مايو ١٩٣٦ م - المجلد الرابع ج ١ ص ٤٥ .

[٢] الشهر العقارى ، سجلات محكمة باب الشعرية - س ٦٤٩ ف ١٠ س ٢ ، س ٦٣٩ ق ٩ ص ٢ ، ق ١٥ ص ١٤ . سجلات محكمة بولاق - س ٦٦ ص ٨٠ ، س ٣٢ ق ١٧٨٢ ص ٥٦٦ .

- سجلات محكمة القناطر السباع س ١٣٣ ق ٢٠ ص ٢ ، س ١٢٦ ق ٢٧٨ ص ٦٤٥ ، ف ٢٧٢ ص ٦٤٥ .

- سجلات محكمة الزاهد س ٦٩٠ ق ١ ص ١ س ٦٨٦ ق ٨٠١ ص ٣٧٦ .

- سجلات محكمة جامع الحاكم س ٧٣٣ ق ١١ ص ٢ ق ١٧ ص ١٧ ص ٣ ، ق ٦ ص ١ .

- سجلات محكمة القسمة العسكرية س ١٤٦ ق ٢١ ص ٢١ / سجلات محكمة القسمة

العربية - س ٩٤ ق ٢ ، ص ٣ .

وكان القضاة يراعون القواعد الفقهية فى أحكامهم . فكان سلوكهم خاضعا لنوعين من الرقابة أحدهما خارجى والأخر داخلى ، وكان الخارجى لا توفره الإجراءات الرسمية الخاصة بالرقابة سواء أكانت على أيدى السلطات المدنية أو الموظفين فى الإدارة القضائية بقدر ما توفره المنافسة الغيورة من جانب منافسيهم المحتملين من العلماء (١) .

أما الرشوة فى الأحكام [المقدمة لقضاء العسكر] فلم تدلنا المصادر إلا على مثال واحد من هؤلاء القضاة (٢) لذا لا يصح أن نعمم عليه أن الغالبية كانوا مرتشين فقد كانت السمة الغالبة على هؤلاء القضاة التقوى والورع وغلبة الدين عليهم والعمل بالقواعد الفقهية التى أرساها الفقهاء من قبل والتحرى فى القضايا التى تعرض عليهم بغية إظهار الحق فيها .

دور قضاة العسكر فى القضايا الجنائية :

يلاحظ أن القضاة فى القضايا المدنية كقضايا الدين مثلاً كانوا يستخدمون القاعدة الشرعية " أن المعسر يسجن " وأمدتنا الوثائق بالكثير من هذه الحالات وإن كانت لم توضح مدة السجن ولا كيفية قضائها . أما القضايا الخاصة بالجنايات فنحن أمام رأيين أولهما : أن القاضى كان يملك سلطة التعزير كما تمدنا الوثائق لكنها لا توضح كيفية تنفيذ التعزير ولا من ينفذها . والرأى الآخر : إن تنفيذ الحدود والأمور الجنائية كانت فى أيدى الباشا (٣) بحكم اختصاصه القضائى . وبذلك يقتصر دور القاضى فى هذا المجال على التحقيق فقط ، وهو ما نميل إليه .

[١] هاملتون جب / هارولد بووين - مرجع سابق ج ١ ص ٢٥٦ .

[٢] أحمد شلبى عبد الغنى - مصدر سابق ص ٣٨٠ .

[٣] انظر الباشا واختصاصاته القضائية فى آخر هذا الفصل .

الاختصاص القيمي لقاضى العسكر :

أختص قاضى العسكر كذلك باختصاص قيمى وهو الذى ترجع قيمة الدعوى موضوع النزاع فيه وتحديد بها بقيمة مالية معينة . فقد حدد قانون تامة سليمان فى المادة " ٣٥ " ذلك بقولة " والقاضى فى مصر مخول سماع قضايا بيت المال التى تقل عن ١٠٠,٠٠٠ أقة والفصل فيها (١) .

كما حددت الأوامر الصادرة من قاضى العسكر إلى قضاة محاكم القاهرة الاختصاص القيمي لقاضى العسكر فى مختلف القضايا ، وفى قضايا التواجر [الإيجار] مازاد على ثلاثة آلاف نصف خاص بقاضى العسكر وأقل من ذلك خاص بالقضاء فى المحاكم الأخرى (٢) أما إيجارات الأوقاف فهى كذلك محددة بثلاثة آلاف نصف (٣) غير أن هذا التحديد لم يكن ثابتا فقد خضعت القيمة المالية للتغير فقد صدر أمر آخر بتحديد القيمة الإيجارية التى توثق أمام قاضى العسكر بستة آلاف نصف (٤) .

وربما يكون مرد هذا التغير هو الانخفاض فى قيمة العملة وتغيرها تبعا للأحوال الاقتصادية فى البلاد .

أما فى المبيعات فقد حددت بأنه ما زاد على خمسمائة ريال لا يوثق إلا أمام قاضى العسكر (٥) كذلك فقد خضعت هذه القيمة للتغير بعد ذلك فحددت بـ ٨٠٠

[١] قانون تامة مادة ٣٥ ص ٧٦ .

[٢] الشهر العقارى ، سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ سجلات محكمة الصالح ، س ٢٢٦ ص ١ .

[٣] الشهر العقارى ، سجلات محكمة مصر القديمة - س ٩٨ ق ٢ ص ٣ ، سجلات محكمة البرمشية ، س ٧١٠ ص ١ من الغلاف .

[٤] الشهر العقارى ، سجلات محكمة بولاق - س ٣٢ ق ١٧٨١ ص ٥٦٦ .

[٥] الشهر العقارى سجلات محكمة طولون - س ٢٣١ ص ١ ، محكمة بولاق - س ٧٦ ص ١ ، سجلات قناطر السباع - س ١٥٢ ص ١ .

ريال حجرا بطاقة (*) بدلاً من ٥٠٠ ريال (١) أما الإسقاطات فى القرى فقد حددت بما زاد على خمسة أكياس (٢) والاستبدال بما زاد على مايتين (٣) .
ويتضح من ذلك اختصاص قاضى العسكر بالنظر فى العقود ذات النصاب المالى الكبير حماية للمتعاقدين ومنعا للتدليس والغش فى هذه المعاملات وكذا حماية الأوقاف وأموالها . كما نلاحظ أن قاضى العسكر هو الذى كان يخص نفسه بهذه الاختصاصات وذلك بحكم ما له من ولاية قضائية على قضاة احياء القاهرة ، وكانت هذه القيمة متغيرة من وقت لآخر لتغير القيمة النقدية .

الطعن فى الأحكام القضائية :

بعد أن أبرزنا أهم الاختصاصات المنوطة بقاضى العسكر يمكننا التساؤل عن أحكام القضاة وهل كانت تنقض أو يمكن استئناف الأحكام أو الطعن فيها أمام قاضى آخر .
اتفق الفقهاء عامة على أن قضاء القاضى لا ينقض حتى إذا قضى القاضى قضاء ثم ظهر له خطؤه لا يرجع عن القضاء الأول وعللوا ذلك بأن تبدل رأى كإنساح النص لا يظهر أثره إلا فى المستقبل وعلى ذلك إذا قضى القاضى المجتهد فى حادثة برأى أداه إليه اجتهاده ثم رفعت إليه حادثة مماثلة لها وكان قد رأى غير الرأى الأول فانه يقضى بالرأى الثانى ولا ينقض القضاء الأول لانه بنى على اجتهاد صحيح (٤) .

[*] الريال حجر بطاقة : عملة تعرف بتالير ترجع إلى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وسمى بذلك نسبة إلى الصورة التى ترى أحد وجهى التالير ومنذ عام ١٧٥١ م بدا التالير فى تسيد أسواق التداول النقدى بمصر على حساب القرش الاسباني لامتيان سببكته واستدارة القطعة التامة العثمانية . رسالة دكتوراه غير منشورة . كلية آثار القاهرة ١٩٩١ . ص ١٩١ .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع - ص ١٥٧ ص ١ .

[٢] الكيس يقدر ب ٢٥ الف نصف فضة .

[٣] الشهر العقارى ، سجلات محكمة الجامع الحاكم - ص ٥٧٨ ص ١ .

[٤] محمود بن محمد بن عرنوس : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

وفى مصر فى العصر العثمانى لم يكن لأية محكمة من الناحية النظرية وضع يفوق وضع المحكمة الأخرى (١).

ولم نعثر فى وثائق المحاكم الشرعية - التى اطلعنا عليها - على أى حكم ينقض حكم قاضى آخر أو إعادة الحكم فى قضية حكم فيها مرة سابقة أمام قاضى مختلف ، كما أن القضاة لم يكونوا يميزون فى أحكامهم بين القضايا المتعلقة بشخصيات الطبقة الحاكمة وقضايا الرعايا المصريين فكثيرا ما حكم لصالح أحد الرعايا ضد خصمه من العسكريين وعليه القوم (٢). وبذلك نجد أن عدم وجود نظام للطعن القضائى فى هذه الفترة يعود إلى المفهوم الإسلامى الذى يفترض فى القاضى أن يحكم وفقا لتعاليم مفهومة واضحة وهى مصادر التشريع الإسلامى ، والأستعانة بفتاوى المفتيين ، أما عندما تتحكم الأهواء وتتعدد القوانين وتتداخل فيما بينها عندئذ تظهر الأحكام الخاطئة والنقض فى أحكام القضاة.

يتضح من ذلك الاتى :

[١] خضع القضاة فى أحكامهم - التى كانت معتمدة بصفة أساسية على التشريعية الإسلامية - لمراقبة العلماء ، لذا فلم يكن هناك شططا فى الأحكام ، وكذلك وفرت هذه الرقابة نوعا من الحرص والحذر من الوقوع فى الأخطاء مثل قبول الرشاوى وغيرها .

[٢] تمتع قضاة العسكر فى هذه الآونة بمكانة عالية بين المصريين لما اشتهروا به من نزاهة وحرص على مصالح الناس وتسهيل إجراءات التقاضى وعدم الإجحاف بهم فى الرسوم القضائية .

[٣] تدرجت مدة قضاة العسكر من الطول إلى القصر ابتداء من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر والتى وصلت فيه مدة القاضى إلى أدنى مدة مما ترتب على ذلك العديد من المساوىء .

[١] هاملتون جب وهارولد بويين : مرجع سابق ج ١ ص ٢٥٤ .

[٢] يذكر د/ حسن عثمان " أنه كان يمكن نقض الأحكام التى يصدرها القضاة والمتعلقة بالشخصيات الكبيرة بعد الرجوع إلى المفتى " وكما رأينا أن هذا رأى ينقصه الكثير من الأدلة . كذلك لم نجد مثل هذا رأى فى الوثائق التى استطعنا الاطلاع عليها ، فى نفس الوقت نجد أنه مخالف لما استقر عليه الفقهاء من أن قضاء القاضى لا ينقض . راجع د/ حسن عثمان : المجلد فى التاريخ المصرى فى العصر العثمانى ١٥١٧ : ١٧٩٨ م - مطبعة البابى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٤١ م ص ٢٥٨ .

الاختصاصات القضائية لقضاة الشرع فى الأقاليم

تعيين قضاة الأقاليم :

قسم الأقليم المصرى إلى ستة وثلاثين قضاء يضم ستة رتب ، وكانت المرتبة الثانية فى كلا القسمين تسمى موصلة " تمهيدية " (١) وكان القضاة فى الأقاليم درجات أعظمهم قضاة المديريات البحرية والثغور .

ويعين قاضى عسكر الأناضول قضاة الأقاليم (٢) ولا توجد سلطة لقاضى عسكر مصر عليهم فهم مستقلون عنه تماما ، كما أن كل أقليم مستقل من الناحية القضائية عن الآخر . وتسجل قرارات التعيين فى سجلات المحكمة كالأتى " مفاخر النواب نواب الشرع الشريف بقضا دمياط وما معه وفقهم الله تعالى ، نعلمهم أنه أحضر إلى الديوان مكتوب من حضرة شيخ الإسلام مولانا محمد أفندى قاضى العسكر المنصور بولاية أناضولى خطابا لأقضى قضاة المسلمين مولانا إبراهيم أفندى مؤرخ فى ١٢ شعبان سنة ١٠٢٨ هـ [يولية ١٦١٨م] مضمونه أن الصداقات الشريفة الخنكارية أنعمت عليه بقضا دمياط والبريون وسلمون ورأس الخليج والعادلية مع عملها وقد رسمنا أن يتقدم النواب بالقضا المذكور مع القرى المذكورة ويجرون بذلك الأحكام الشرعية والقضايا الدينية مع النظر فى المصالح السلطانية والتعلقات الديوانية ويبادروا إلى ذلك من غير تأخير ولا عذر ولا نقض قولاً واحداً وامراً نافذاً جازماً " (٣) .

[١] هاملتون جب وهارولد بويين : مرجع سابق - ج ١ ص ٢٣٥ .

[٢] على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة مطبعة بولاق ، القاهرة ١٣٠٥ هـ . ج ١ ص ٨٨ وما بعدها .

- الشيخ أحمد العريشى : رسالة فى علم وبيان طريق القضاة بمصر واسماؤهم - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٩٤٦ تاريخ ورقة ٢ .

[٣] دار الوثائق القومية ، سجلات محكمة دمياط ، س ٦٠ ق ١٤٥ ص ٧٤ / س ٤٥ ق ١٦٧ ص ٧١ / س ٥١ ق ٢٦١ ص ١٠٢ / س ٢٧ ق ٦٢ ص ٣٤ -

وقبل قدوم القاضى إلى الأقليم الذى تولى قضاءه كان يرسل عنه "قائمقام" مسلم ليتسلم قضاء الأقليم نيابه ويقوم بتوجيه العمل فيه إلى حين حضوره ويسجل ذلك فى الوثائق كالآتى " فى ١٦ ذى القعدة ١٠٢٨ هـ وفى ٩ جلس مسلم سيدنا ومولانا قاضى القضاة شيخ الإسلام : — مولانا إبراهيم أفندى الحاكم الشرعى بثغر دمياط أدام الله تعالى أيامه الزاهرة هو فخر الأمائل والأعيان الأمير عمر جاويش بمصر المحروسة " (١) .

وكان المسلم يحمل معه عند حضوره إلى الأقليم خطاباً من الديوان العالى بتوليه القاضى الذى حضر مسلماً عنه للأقليم (٢) . وأحياناً أخرى كان القاضى يرسل إلى نائب المحكمة يثبته فى نيابته عنه ويأمره بالعمل على تنفيذ الأحكام والنظر فى الأمور بمتقضى الشرع الشريف، حتى حضور القاضى إلى الأقليم (٣) .

كما يبدو من سجلات محاكم الأقاليم أن المحكمة الكبرى فى الأقليم التى كانت مقرراً لقاضى الأقليم وهى غالباً فى عاصمته كان يطلق عليها محكمة الباب العالى (٤) وكانت تتم حركة تنقلات قضائية بين قضاة الأقاليم على سبيل المثال: "نقل السيد عبدالفتاح أفندى قاضى بلبيس إلى قضاء دمياط وشيخى أفندى قاضى دمياط إلى بلبيس" (٥) .

وجرت العادة على أنه فى حالة فراغ اقليم من الأقاليم المصرية من قاضية كان يتولى عليه النيابة من طرف ولاية مصر المحروسة إلى حين يحضر القاضى من إستانبول ، فعندما فرغ ثغر دمياط من القاضى عين الباشا قائمقام من طرفه

[١] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط س . ٦٠ ق ١٤٧ ص ٧٤ / س ٦٤ ق ١٢٠ ص ٥٧ / س ١ ق ٢٦٢ ص ١٠٢ / س ١٥٠ ق ١٢٢ ص ١١٤ .

[٢] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٣٩ ق ٥١٨ ص ١٦٦ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٢٧ ق ٦٣ ص ٣٤ / ودار المحفوظات . سجلات محكمة الإسكندرية ، س ٣ ق ٧٧٨ ص ١٩٨ .

[٤] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط س ١٦ ق ٢٨ ص ٨ ، ص ٧١٤ ، ص ٧١٦ ، ص ١٢٥ .

[٥] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط س ٥١ ص ٢٦ ق ١٠٢ .

ليتولى ضبط الأحكام الشرعية حكم المعتاد إلى أن يحضر القاضى من استانبول^(١). ويظهر أن هذه السلطة انتقلت إلى أمام الباشا فتذكر الوثائق ذلك كالاتى :... "هو أن سيدنا ومولانا محمد أفندى إمام حضرة مولانا الوزير المعظم الواضع خطه الكريم أعلاه قرر الفهامة الشيخ حسن بن المرحوم القاضى عبدالله الدمنهورى فى منصب القضا والأحكام الشرعية بمدينة دمنهور البحيرة وباقى ولاية البحيرة بما آل اليه حسب المعتاد وما جرت عليه العوايد بالديار المصرية ليكون نافذ الأحكام وعليه بتقوى الله تعالى فى جميع الأحوال (٢) .

وعندما يشتكى الناس من قاضى أقليمهم إلى قاضى عسكر الأناضول بوصفة رئيسه القضائى ، كان يتم عزله على الفور مثلما حدث مع " مصطفى أفندى بن تاج الدين أفندى قاضى دمياط " فقد زادت شكاوى الناس منه لأجل ذلك عزل وعين قاضى آخر محلة (٣) .

وأحيانا كثيرة كان يتولى قضاء الشرع بالأقاليم بعض كبار القضاة الذين سبق توليتهم فى قضاء أقاليم كبيرة مثل الروم ايلى ، بل منهم من تولى أعمال المفتى فى السلطنة العثمانية نفسها ، وبعد ذلك تولى قضاء الجيزة (٤) .

ووجد بكل محكمة من محاكم الأقاليم أربعة نواب من المذاهب المختلفة بجانب قاضى الاقليم الرئيسى وكان النائب الحنفى يتميز بكونه نائبا للقاضى ، ويعين هؤلاء النواب من قبل قاضى الأقليم (٥) ولكن لا ينظر النواب فى القضايا إلا بعد الإذن من القاضى الحنفى - وهو القاضى الرئيسى للأقليم (٦) فبعد الحكم فى القضية من جانب النواب تعرض على القاضى الحنفى ليمضيها ويلزم العمل

[١] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٢٧٨ ق ١٥ ص ١٣ .

[٢] دار الوثائق ، سجلات محكمة البحيرة . س ٣٧ ق ١٤٧ ص ٩٩ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٤٥ ق ٦٧ ص ٧١ .

[٤] محمد الامين فضل الله بن محب الله المحبى : خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر . المطبعة الوهبية القاهرة . ج ٢ ص ٣٥٦ .

[٥] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٣٩ ق ٥٨ ص ٢٤ / س ١٦ ق ٣٤١ ص ٦٨ .

[٦] دار الوثائق ، سجلات محكمة البحيرة ، س ٣٥ ق ٦٩٨ ص ٣١٧ / سجلات دمياط س ١٦ ق ٣١٩ ص ٦٦ ، س ٢٦ ق ٩٤ ص ٥٢ .

بمقتضى ما جاء فيها^(١) ويظهر من خلال أسماء النواب أنهم كانوا جميعاً من العلماء المصريين طوال فترة الحكم العثماني مثل الشيخ "عبد السلام الفارسكوري"^(٢) والشيخ "جمال الدين عبدالله الديروطي المالكي"^(٣).

الأقاليم القضائية :

كان يتبع كل إقليم من هذه الأقاليم عدد من النواحي التابعة له ، وكان القاضى يمارس عمله من عاصمة الإقليم ويعين نواباً عنه للنظر فى القضايا فى هذه النواحي فتذكر السجلات " العمدة الفاضل السيد على نايب الشرع الشريف بناحية سنهور بولاية البحيرة "^(٤) وكذلك " علم الأنكحة التى وردت عن أهالى ومال أبى قير من يد مولانا الشيخ على الخطيب والإمام بجامع قلعة أبى قير "^(٥).

وكثيراً ما كان يحدث خلاف بين قضاة الأقاليم على القرى المختلفة ومدى تبعيتها لكل منهم ، وقد تنازع القاضى " على بن صافى " قاضى محلة أبى على والقاضى "محمد بن سنان " قاضى النحرارية بسبب بلدة جناح ومنية جناح وشباس شهدا ومنسلين وشيرابيون وصا الحجارة ، وذكر القاضى محمد أن ذلك متعلق بقضائى المذكور وعارضة على أفندى بن صافى بأن ذلك موجود فى تمسكاته المعمول بها شرعاً ، واتضح أن النواحي المذكورة تتعلق بقضاء محلة أبى على وكفر جعفر ما عدا ناحية صا الحجارة وكفرها ، فإن الأمر استقر بينهما على أن "محمد أفندى بن سنان" يتصرف لهما فقط ويدفع من محصول تقرير شهودها

[١] دار الوثائق ، سجلات محكمة البحيرة ، س ٣٥ ق ١٢١ ص ٥٦ .

[٢] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط س ٥١ ق ٢٩ ص ١٠ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط س ١٦ ق ٥٧٤ ص ١٠٤ .

[٤] دار الوثائق ، سجلات محكمة البحيرة ، س ٤٠ ق ٤٤٠ ص ٢٠٣ .

[٥] دار المحفوظات ، سجلات محكمة الاسكندرية ، س ٧ ق ٣٩١ ص ١١١ .

ثمانماية نصف وتراضيا على ذلك، وكان هذا فى ٣٠ ذى القعدة ١٠٠٣ هـ، يولية ١٥٩٥ م (١).

كما حدث خلاف بين أحمد أفندى بن تاج الدين قاضى بنى سويف ومصطفى أفندى بن محمد القاضى بقمن العروس ، بسبب النواحي التابعة لقضاء قمن المذكورة ، وطال الخصام بينهما وتدخل المصلحون من قضاء الأقاليم الأخرى وتصادقا على البلاد التابعة لكل منهما وتم تحديدها بينهما (٢).

وفى حالات الحاق بعض البلاد إلى أحد قضاة الأقاليم كان ينص على ذلك قرار التعيين لقاضى الأقليم مثل "القاضى بثغر دمياط وفارسكور ومضاقاتها" وأحيانا يطلق عليها "توابعها" أو القاضى "بالتغر المرقوم ولواحقه" (٣) وتتم هذه المضافات بقرار صريح من قاضى عسكر الأناضول مثلما حدث عندما أضيف إلى قاضى دمياط "قرى السروى" (*) وبرمون المضافتين إليه فحال ورود هذا الأمر عليه بالتصرف فى الناحيتين المذكورتين وتجهيز الأحكام الشرعية والقضايا الدينية بهما (٤).

ويتضح من ذلك عدة أمور هى :

{١} أن الأقاليم القضائية كانت مختلفة عن الأقاليم الإدارية فأحيانا كان الأقليم القضائى يجمع بين أماكن فى أقليمين إداريين ، فهى فى الأغلب الأعم أوسع من الأقاليم الإدارية .

{٢} أن قضاة الأقاليم عرفوا الولاية المحلية لمحاكمهم على الأقاليم والقرى التابعة لهم بدليل ما كان يحدث من خلافات بينهم على حدود أقاليمهم ومدى تبعية البلاد لهم .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى ، س ٦٣ ق ٧١٣ ص ١٤٩ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى ، س ٦٣ ق ١٥٣١ ص ٤١٧ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة ، دمياط ، س ١٥٠ ق ٣٥ ص ٣٤ / س ١٥١ ص ١ / س ٢٧٩ ص ٣٤١ .

[*] قرية السرو ، من القرى القديمة اسمها بحجا وعرفت فى عهد العرب باسم السرو وهى من القرى القديمة وكانت تابعة للدقهلية والآن تتبع محافظة دمياط - انظر محمد رمزى ، مرجع سابق القسم الثانى ، الجزء الأول ص ٢٤١

[٤] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٥٧ ق ١٥٢ ص ٨١ / س ٥٧ ق ١٣ ص ٩ .

{٣} أن هذه الأقاليم القضائية لم تكن ثابتة فقد حدث فيها تغيرات كثيرة على مدى الحكم العثماني ، وربما كان ذلك بسبب المضائق والتتابع واللاوحق التي كانت تضاف لهذا الأقليم أو ذلك .

الاختصاصات القضائية لقضاة الأقليم :

نظر قضاة الشرع في الأقاليم في كافة أنواع القضايا التي تعرض عليهم ، فلم تكن هناك قضايا مخصصة لهم ومرد ذلك أن القاضي في الأقليم كان رئيس الهيئة القضائية بهذا الأقليم ، لذا فلم تكن هناك نوعية محددة من القضايا أو اختصاص قضائي نوعي . ومن حق الناس اللجوء إلى المحاكم في أي وقت ورفع الدعوى على خصومهم وطلبهم أمام الشرع . فقد " ذهب لمجلس الشرع الشريف " السيد عبدالله جورجى الجركسى " بالثغر والتمس احضار الشيخ رجب بن الشيخ محمد بن عبدالكريم لدعوى شرعية تسمع منه عليه كونه تعدى بالسب وتناوله بألفاظ قبيحة ، فأرسل إليه قصاد الشرع فلم يجدوه وعلق الدعوى بذلك حين حضوره وصدورها بوجهه " (١) . ويقدم مقدموا الأدراك - وهم المسئولون عن الأمن في الأقاليم - من يقبضوا عليه من المفسدين إلى القاضي الذي يقوم بالنظر في حالة أو الامر بسجنه حتى يظهر من أمره ما تكشف عنه التحريات (٢) .

واعتمد القضاة على البيئة كدليل لإقامة الدعوى عملاً بقول الرسول الكريم : "البيئة على من ادعى واليمين على من أنكر " ، وإذا لم يستطع المدعى إحضار البيئة الدالة على صحة دعواه أمهل ثلاثة أيام فان لم يحضر بما يثبت هذه الدعوى يمنع المدعى المذكور من معارضة المدعى عليه المنع الشرعى . وفي حالة البيئة في الدعوى كان ينص على ذلك في آخر الدعوى بقوله : " وحكم بموجب ما قامت به البيئة الحكم الشرعى المستوفى لشرايطه والواجبات المحررة المرعية " (٣) ومن حق المدعى أن يلتمس يمين المدعى عليه ويقوم القاضي بسماع يمينه (٤) .

[١] دار المحفوظات ، سجلات محكمة الاسكندرية - س ١ ص ٩٩ ص ٣١٠ .

[٢] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٣١ ق ٤٨ ص ١٣ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٣٨ ق ٥٧ ص ٣١ .

[٤] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٣٩ ق ١٠٦ ص ٤٣ .

وفى حالة ما إذا ادعى شخص على خصمه أمام القاضى وأرسل إليه قصاد الشرع ثم تبين أن هذا مجرد افتراء عليه لإحضاره وتغريمه حق الطريق للقصاد وفى هذه الحالة يقوم القاضى بتأديبه التأديب الشرعى^(١) لمنع تكرار مثل هذا الأمر حماية للمتقاضين من الحيل التى قد يلجأ إليها بعضهم لتغريم خصومهم .

ووجد سجن تابع للشرع الشريف فى الأقاليم يطلق عليه " سجن الشرع الشريف " وله أوقاف خاصة به^(٢) وكذلك وجد مستودع شرعى تابع للشرع الشريف وذلك لوضع المواشى المسروقة والغلال المتنازع عليها فيه حتى يتم الحكم فيها وتسليمها لمن له الأحقية فى ذلك^(٣) .

ولم يكن القضاة يقبلون الأمر على علته بل يقومون بالتحقيق فى الأمور تبعا لموافقتها للشرع الشريف ، فعلى سبيل المثال فى حالة تضارب شهادة الشهود تسقط الدعوى ولا تقبل شهادتهم . وفى إحدى القضايا ردها القاضى " لأن شاهدا شهادة مردودة غير مقبولة لاختلاف اللفظ والمعنى والمكان"^(٤) وطلب منهم القاضى إحضار شهود آخرين كشرط لصحة الدعوى .

واختص قضاة الشرع بالطب الشرعى والكشف على الجثة قبل دفنها وذلك بمساعدة الجرايحية^(٥) .

وكان القاضى يلزم أرباب الإدراك متضامنين برد قيمة الأشياء المسروقة فى حالة سرقتها فى أثناء خفارتهم^(٦) وفشلهم فى البحث عن السارق .

[١] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٣٠ ق ٢٨٩ ص ١٣٦ .

[٢] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٦٢ ق ١٦ ص ١١ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٢٩ ق ٦٥١ ص ٢٣٨ .

[٤] دار الوثائق ، سجلات محكمة البحيرة ، س ٢٧ ق ٢٢ ص ٩ .

[٥] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٢٧٩ ق ٣٣٩ ص ٢٦٥ / س ١٥١ ص ١٥٩ ص ١٣٧ ، وسجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٤٢٩ ص ٢٣٤ .

[٦] دار المحفوظات ، سجلات محكمة دمياط ، س ٦ ق ٨٣ / س ٤ ق ٨ .

أما عن أهل الذمة فى الأقاليم فتعج سجلات محاكم الأقاليم بوجود العديد من أنواع القضايا الخاصة بهم حتى فى أخص أمورهم المرتبطة بإجراءات كنسية معينة مثل الزواج (١) والطلاق (٢) وكذلك كانوا يلجأون الى القاضى المسلم فى تقسيم مواريتهم بالفريضة الشرعية (٣) وفى هذه الحالات كان القاضى المسلم يحكم بينهم تبعا للشرع الإسلامى والقواعد الفقهية الإسلامية .

وهن هذا يتضح الاتى:

- {١} يقوم قاضى عسكر الأناضول بتعيين قضاة الأقاليم ولا يتدخل قاضى عسكر مصر فى ذلك إطلاقاً لعدم وجود سلطة قضائية له عليهم . أما فى حالة فراغ المنصب لأى سبب يقوم الباشا [حاكم مصر] بتعيين قائم مقام على الأقليم حتى يصل المعين الجديد من إستانبول .
- {٢} تمتع قضاة الأقاليم بالولاية القضائية على أقاليمهم وتوثيق كافة أنواع القضايا التى تعرض عليهم دون تحديد لها .
- {٣} تعرض قضاة الأقاليم للعزل فى حالة إساءة إستخدام مناصبهم وشكوى الناس منهم .
- {٤} كانت الأقاليم القضائية تختلف عن الأقاليم الإدارية ففى بعض الأحيان كان الأقليم القضائى يضم بلاد تقع فى أكثر من أقليم إدارى .
- {٥} كان قاضى الأقليم يعين نوابا عنه فى البلاد المختلفة التابعة لأقليلة ويحدد لهم اختصاصاتهم القضائية من الناحية النوعية والقيمة .

[١] دار المحفوظات ، سجلات محكمة الاسكندرية ، س ٤ ق ٥٢٦ ص ١٥٠ .

[٢] دار المحفوظات ، سجلات محكمة الإسكندرية ، س ١٥ ق ٢١٤ ص ٤٨ .

[٣] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط ، س ٥٧ ق ٢٢٠ ص ١١٣ ، ق ١٤٥ ص ٧٦ / س ٢٧ ق ٣٦ ص ٢٠ / س ٦٤ ق ٤٥٨ ص ٢٣٦ .

القسام (١)

وجد فى مصر فى العصر العثمانى قاضيان عرف كل منهما بالقسام ، أحدهما هو القسام العسكرى ، والآخر هو القسام العربى .

والقسام هو القاضى المختص بقسمة التركات وتعيين الأوصياء على القصر من أبناء المتوفى وبيع التركات ومحاسبة الأوصياء على القصر ، ولكن اختلف عمل كل من القسام العسكرى عن القسام العربى من ناحية الاختصاص الفئوى . (*) لكل منهما وإن اتفقا فى الاختصاص القضائى لكلاهما .

ولم يكن عمل القسام معروفاً من قبل فى مصر إبان الدولة المملوكية . وإن كان هذا المنصب قائماً فى الدولة العثمانية وطبق فى مصر امتداداً لما هو قائم فى الدولة العثمانية وكذلك لربط قضاة مصر بهيأة قضاة إستانبول .

وكذلك فإن القسامين سواء العسكريين أو العربى فى ممارستهم لأعمالهم - وخاصة قسمتهم التركات - كانوا يتبعون القواعد الشرعية التى أقرها الفقهاء من قبل وكانت لهم رسوم مالية لا يتعدونها .

واختلف تعيين القسام العسكرى عن القسام العربى فالأول كان يعين بقرار من قاضى عسكر الأناضول بينما يعين الآخر بقرار من قاضى عسكر مصر ، وبذلك فالقسام العسكرى أعلى درجة من زميلة القسام العربى .

[١] القسام : الذى يقسم الدور والأرض بين الشركاء فيها . وفى المحكم : الذى يقسم الأشياء بين الناس قال ليلى :

فارضوا بها قسم الملك فانما قسم المعيشة بيننا قسامها .

انظر ابن منظور . لسان العرب . دار المعارف القاهرة د / ت . ج ٥ ص ٣٦٣ .

[*] الاختصاص الفئوى : يقصد به الفئات التى تدرج تحت اختصاص القاضى دون غيره من القضاة .

أولاً : القسم العسكري واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسم العسكري (*) :

يعتبر القسم العسكري من مستحدثات الحكم العثماني في مصر فلم يكن معروفاً من قبل في الدولة المملوكية . وأول إشارة ترد عنه في (جمادى الآخر ٩٢٨ هـ أبريل ١٥٢٢ م) فيذكر ابن إياس ذلك بقوله " أشيع أن حضر صحبة العسكر شخص من العثمانيّة ، يزعم أنه قاض من قضاة ابن عثمان ، وعلى يده مراسيم من السلطان سليمان بأن يستقر متحدثاً على جميع الترك قاطبة ، الأهلية وغير الأهلية ولا يعارضة أحد من الناس في ذلك وأن يأخذ ما يتحصل من كل تركة العشر لبیت المال، أهلية كانت أو غير أهلية ، وأن في مراسيمه أن أحداً من الممالك الجراكسة وأولاد الأتراك قاطبة وأرباب الدولة والأصبهانية (*) والإنكشارية لا يعقدوا عقد نكاح بكر وثيب قاطبة الا عند ذلك القسم (١) .

(*) بالرغم من الرواية التي أوردها ابن إياس فأننا نقع في حيرة بين ما أورده ابن إياس عن نشأة القسم العسكري وبين ما وصلنا من سجلات محكمة القصة العسكرية فالسجل الأول منها يرجع لعام [٩٦١ هـ - ١٥٥٣ م] وبذلك تغيب السجلات بين هذا التاريخ وبين التاريخ الذي أورده ابن إياس [٩٢٨ هـ - ١٥٢١ م] لذا فنحن أمام احتمالين لغياب هذه السجلات وهما :
أ - أنه لم يوجد تسجيل في المحكمة في هذه الفترة التي تصل إلى ٣٣ عام وهو أمر مستبعد لما عرف عن طبيعة الحكم العثماني من تسجيل لكافة الأمور ، كما أن المحاكم الأخرى عرفت التسجيل ووصلتنا سجلاتها في هذه الفترة وهذا يعني وجود تدوين في هذه الفترة .

ب - إن هذه السجلات قد فقدت ولم تعد موجودة - احترقت مثلاً كما حدث في سجلات بعض المحاكم مثل الصالحية النجمية - وهو احتمال قائم لأننا لم نعثر في الوثائق التي أمكننا الاطلاع عليها على أوراق خاصة بمحكمة القصة العسكرية في هذه الفترة . ومما يدعم هذا الرأي أن السجل الأول الذي يحمل رقم واحد من سجلات القصة العسكرية مكمل لما قبله ، وذلك لأنه من المفترض أن السجل الأول يوجد به سبب إنشاء المحكمة وكذلك اختصاصاتها ، لذا فأننا نعتقد أن هذا السجل مكمل لما قبله ، ويدلنا ذلك على صحة التاريخ الذي أورده ابن إياس ولا سيما أنه معاصر للحدث .

[**] الأصبهانية : وتكتب كذلك الأسباهية . وهي فرق الخيالة أو الفرسان وهم " الجمليان - وتفكجيان - والجراكسة " وكان يناط بهم مساعدة كشاف الأقاليم في إدارة البلاد وحفظ الجسور ودعم الجهاز الإداري فيها . ولكن كان قادة هذه الفرق في القاهرة وكانت لهم عوائد مالية على البلاد التي يعملون بها وكذلك على الباشا " في نفس الوقت كانوا يحصلون على مرتباتهم العسكرية . انظر حسين افندي الروزنامجي ، مصدر سابق ص ٢٠

د / حسن عثمان ، مرجع سابق ص ٢٥٥ وما بعده .

[١] ابن إياس ، مصدر سابق ، ج ٥ ص ٤٥١ .

تعيين القسام العسكرى :

يبدو من الوثائق أن قرار تعيين القسام العسكرى يصدر من قاضى عسكر الأناضول مثل قاضى عسكر مصر تماما وفى ذلك دلالة على أهميته ومكانته المرموقة وتنص على كونه نائب لقاضى عسكر الأناضول .

ويسجل قرار تعيينه فى سجلات المحكمة على النحو التالى " لما كان فى اليوم المبارك " ٢٣ من شهر محرم الحرام ٩٨٠ هـ [١٥٧٢م] حضر إلى المحكمة الشرعية المشهورة بالقسمة العسكرية سيدنا ومولانا اقضى قضاة المسلمين ... مولانا شمس الدين ابن سيدنا ومولانا إلياس وجلس بالمحكمة المشار إليها أعلاه قساما نايبا عن سيدنا ومولانا اقضى قضاة الاسلام مولانا أفندى محمد بن نور الله قاضى العسكر المنصور بأناضولى " (١) .

كما كان قرار التعيين ينص على تولية " النظر فى أمور القسمة العسكرية بمصر المحمية ونواحيها " (٢) وينص كذلك على كونه " خادما إلى أعلم العلماء الموحدين قاضى القضاة بمصر " (٣) وشغل القسام العسكرى الى جانب عمله كقسام أعمالا قضائية فى محاكم أخرى من محاكم أخطاط القاهرة مثل " خضر أفندى قاضى الديوان العالى والقسام العسكرى بالديار المصرية " (٤) ومولانا " عبد الله أفندى القاضى بالخانقة السرياقوسية والقسام العسكرى بمصر المحمية " (٥) وشغل القسام كذلك بجانب عمله رئاسة القضاء فى مدن أخرى بعيدة عن القاهرة مثل " محمد أفندى القسام العسكرى والقاضى بمنف العليا مؤقتا " (٦) و " محمد أفندى

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٨ ص ١٥٤ ق ٦٨ س ٤٢ ص ١ / س ٢٥ ص ١ / س ٩١ ص ٩٣ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٨ ص ٢٥٥ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٧ ص ٧ انظر ملحق رقم ٣ تعيين القسام العسكرى .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٦١ ص ٢ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٧٩ ص ١ .

[٦] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٦٥ ص ١ .

القاضى بالمحلة الكبرى مؤقتا والقسام العسكرى بمصر المحروسة " (١) و"محمد أفندى القسام العسكرى بمصر المحروسة حالا وقاضى ولاية المنصورة مؤقتا" (٢).

ولكن لا ندرى ما إذا كان القسام فى هذه الحالة يقيم فى القاهرة ليمارس عمله كقسام أو يقيم فى الأقليم لرئاسة قضاء . وربما يكون السبب فى تعيين القسام العسكرى لرئاسة القضاء فى الأقاليم إضافة إلى عمله أن قرار تعيين قضاة الأقاليم والقسام كان يصدر من قاضى عسكر الأناضول لذا فهو يعينه حتى قدوم قاضى الأقليم من إستانبول .

وبعد صدور قرار تعيين القسام العسكرى يقوم بإرسال خطاب إلى قائم مقام يحل محله إلى حين وصوله مثل " محمد أفندى رفاعى " الذى أرسل خطابا لـ قاسم أفندى قاضى المحمل بالنظر فى مصالح المحكمة لحين حضوره " (٣) .

ويلاحظ فى بعض الحالات أن قاضى عسكر الأناضول كان يرسل إلى أحد العلماء المصريين لضبط أمور القسمة العسكرية إلى حين حضور القسام ولا سيما فى حالات الصداقة بينهما مثل " حسين أفندى قراجلبى قاضى عسكر الأناضول الذى أرسل إلى صديقة الشيخ البدر القرافى ليقوم بضبط أمور القسمة العسكرية إلى حين حضور القسام العسكرى " (٤) .

وأحيانا يوجه النظر فى أمور القسمة العسكرية بمصر إلى نجل قاضى عسكر مثل " أسحاق أفندى بن مولانا إسماعيل أفندى قاضى عسكر مصر " (٥)

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٨ ص ١ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٤ ص ١ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٦٢ ص ٥٣٩ .

[٤] الدميرى ، مصدر سابق س ١٩ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٨ ص ١٠٩ .

و"أسعد محمد أفندى القسم العسكرى بمصر ونجل شيخ الإسلام عبدالله أفندى قاضى عسكر مصر حالاً" (١) ولكن يجب أن نعلم أن هذه المناصب لا توجه إلى نجل قاضى العسكر بوصفه أبنة بل بوصفه أحد العلماء المؤهلين لتولى هذا المنصب القضائى بحكم تعليمهم .

وابتداءً من أول القرن الثامن عشر بدأ قاضى عسكر مصر يتولى مهام القسم العسكرى إلى جانب أعماله القضائية، وأول إشارة تقابلنا فى الوثائق عن ذلك فى [عام ١١٣٨ هـ ١٧٢٥ م] عندما وجه "صالح أفندى القاضى بعساكر الأناضول أعمال القسم العسكرى إلى عبدالرحيم أفندى قاضى عسكر مصر" (٢).

ويتضح من خلال سجلات المحكمة أن قضاة العسكر بمصر قد تولوا أغلب فترات القرن الثامن عشر النظر فى أمور القسمة العسكرية وأصبح يضاف إلى ألقائهم "الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسمة العسكرية بمصر قاضى القضاة يومئذ" (٣) وساعدهم على توليه أعمال القسم بمصر فى هذه الفترة :

{أ} كثرة النزاعات المملوكية والمنازعات داخل الفرق العسكرية العثمانية وبذلك فقد كثرت رسوم القسم العسكرى عن ذى قبل مما جعل قاضى العسكر يتطلع إلى الرغبة فى الحصول على هذا الدخل الكبير والسعى لتوليته هذا المنصب بما له من علاقات داخل إستانبول .

{ب} كذلك ساعد ذلك ما تمدنا به - المصادر المعاصرة لهذه الفترة - عن قلة ورود القضاة - خاصة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر من إستانبول ، فأراد قاضى العسكر نظراً لأهمية أعمال القسم أن يسعى فى توليته بنفسه .

وفى هذه الآونة عندما كان قاضى العسكر يرسل إلى قائمقامه ليحل محله إلى حين حضوره كان ينص على تولية أعمال القسم العسكرى (٤) .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٣٥ ص ١ / س ١٦٨ ق ١٦٦ ص ١١٠ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية س ١٢٤ ص ١ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٤٤ ق ٢٧٩٠ ص ١٨١ / س ٢١٦ ص ٤٩٣ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٦٨ ق ٧٩ ص ٢٢ .

مقر القسم العسكرى :

وكان مقر القسم العسكرى فى المدرسة الظاهرية (١) وهذه المدرسة بالقاهرة من جملة خط بين القصرين كان موقعها من القصر الكبير يعرف بقاعة الخيم ، وقد أمر بهدمها السلطان الظاهر بيبرس البندقدراى وبنى موضعها مدرسة فابتدأ بعمارته فى ٢ ربيع الآخر ٦٦٠ هـ ٢٥ فبراير ١٢٦٢ م وفرغ منها فى ٦٦٢ هـ ١٢٦٣ م ووجد بها خزانه كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم وبنى بجانبها مكتبا لتعليم أيتام المسلمين كتاب الله (٢) .

الاختصاص الغنوى للقسم العسكرى :

ولقد أختص القسم العسكرى بالنظر فى قضايا وأمور فئات معينة . والفئات التى أختص بالنظر فى أمورها هى :

- {١} الفرق العسكرية السبعة وأتباعهم وأيتامهم ومن يلوذ بهم .
- {٢} السادة الإشراف وأتباعهم وأيتامهم .
- {٣} أرباب الوظائف والعلماء وحفظة كتاب الله العظيم .
- {٤} أرباب العلوفات والجرايات والعثامنة (٣) .

ولكن ابتداء من النصف الثانى من القرن السابع عشر بدأت تزيد الفئات المنضمة إلى اختصاص القسم العسكرى . وهم من أصحاب العلوفات . فقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من اصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شراء العلوفات لتكون مورداً هاماً لتحسين أوضاعهم ولقد أنتسب أرباب العلوفات إلى مختلف الأوجاوقات دون مشاركة فعلية فى العمل

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ٩٤ ص ١

[٢] تقى الدين المقرئى : مصدر سابق . ج ٢ ص ٣٧٨ وما بعدها .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٥٢ ق ١ / س ١٤٤ ق ٥٢٦ ص ٣٦٩ ، / س

١٥٨ ص ١ / محكمة بولاق س ٨١ ص ١ / محكمة جامع الصالح س ٢٤٨ ص ١ ، محكمة مصر القديمة .

س ١١٠ ق ١٠٠ ص ١٠ .

العسكرى ، وهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة (١) ، وفى القرن الثامن عشر يبدو حدوث خرق لهذه الفئات فنلاحظ وجود حالات لتركات من التجار وغيرهم دون اشارة الى فنؤيتهم ، أو أنهم من أصحاب العلوفات أو العسكرين " مثل ضبط وتحرير وتقويم مخلفات الحاج سعد العقاد فى البلدى الشهير بالحداد " (٢) .

وبالتدريج فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر كانت تحوى قضايا لكافة الطبقات من المسلمين حتى وصل الأمر إلى ذروته فى المرسوم الذى أصدره قاضى العسكر إلى العاملين بمحاكم مصر المحروسة وبولاق ومصر القديمة فى { ١٠ ذى الحجة سنة ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م } " أنكم تنسبون جميع التركات والكتابات الموثوقة وما يتبعها المتعلقة بالرجال المسلمين من الأدنى للأعلى للقسمة العسكرية لأننا تجاوزنا عن بعض تعلقاتنا فى القسمة العربية وهى تعلقات الرعايا وعامة الفلاحين الذين لم ينسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان والوجاقات بأن تنسب تعلقات الرعايا المذكورين من الذكور المسلمين للقسمة العسكرية على طريق التجاوز من قبلنا لتعب الوقت " (٣) بذلك فقد ضمت اختصاصات القسام العسكرى من هذا الوقت كل فئات الشعب تقريبا فيما عدا النساء المسلمات وأهل الذمة

[١] د / عراقى يوسف محمد : الوجود العثمانى المملوكى فى مصر . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٠ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية . س ١٤٣ ق ٤٧٨ ص ٣٩٦ ، ق ٤٤٨ ص ٣٧٤ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٩٤ ص ١ .

الاختصاص القضائي النوعي للقسام العسكرى :

كما اختص القسام العسكر بالنظر فى أمور فئات معينة فقد كان له أيضاً اختصاص نوعى فى قضايا محددة هي :

- ١- ضبط التركات والأيلولات .
- ٢- التصايدات والإشهاديات والوصايات .
- ٣- الكتابة على المريض من إشهاد وإسقاط ووقف وبيع وشراء واستبدال ووصايا وعق .
- ٤- الكتابة على الوصى والوارث ووكيل الوارث .
- ٥- الكتابة على القيم وما يتعلق بالقصر (١) .
- ٦- عقد عقود الأنكحة وسائر الوقائع العسكرية (٢) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسام العسكرى تقسيم التركات بين الوارثين بالفريضة الشرعية وكان القسام إذا توفى إنسان وليس فى ورثته قاصر ولم يطلبوا القسام فلا يطالبهم القسام بقسمة بغير سؤالهم ولا بغير رضاهم اما فى حالة وجود قاصر فيضبط التركة ويعين وصى على القاصر (٣) .

وينزل القسام إلى محل سكن المتوفى ويضبط مخلفاته بحضور وكلاء الورثة . فعندما قتل سليم أفندى أحد قادة الإنكشارية عام ١١٠٠ هـ بعد دفنه ضبط كامل ما وجد فى منزله بمعرفة القسام وسد ما عليه من ديون (٤) . وعندما توفى " محمد بن

[١] الشهر العقارى ، سجلات محكمة الباب العالى ، س ٢١٩ ص ٢ . ومصر القديمة ، ١٠٩ ق ٦ ص ١ والصالحية النجمية ، س ٥٣٤ ق ١١ ص ١٧ ومحكمة بولاق ، س ٧٣ ص ٢ س ٧٩ ص ١ وس ٨١ ص ١ . ومحكمة جامع الصالح ، س ٣٥٠ ص ١ ، ص ٣٥٥ صفحة الغلاف - القسمة العسكرية س ١٣٠ ص ١ س ٢٥ ص ١ س ٢٠٢ ص ١ .

[٢] على مبارك : مرجع سابق ، ج ١٦ ص ٨٨ .

[٣] نفسه ١٦ ونفس الصفحة .

[٤] مصطفى الداح القينالى : مجموع لطيف يشتمل على وقائع مصر القاهرة فى سنة ١١٠٠ إلى آخر تاريخ المجموع .. مخطوط بالمكتبة الوطنية بفينا .

أحمد " بمكة المشرفة نزل القسم العسكرى " خير الدين بن محى الدين " وصحبته عدد من المسلمين إلى حانوت المتوفى وضبط ما فيها وكتب ضبطا للواقع فى ٢ ربيع الآخر سنة ٩٨٣ هـ . ١٢ يولية ١٥٧٥ م (١) .

وفى التركات كان القسم العسكرى يقوم بتحديد من له حق الوراثة فى المتوفى بعد أن يثبت له ذلك بمعرفة شهوده ، فعندما توفى محمد أفندى قاضى ولاية المنصورة وانحصر إرثه فى زوجته المصونة صالحة خاتون بنت عبدالله البيضا وبنته منها الست فاطمة البكر البالغ من غير شريك ولا حاجب ثم تم تقويم ما وجد من مخلفات المرحوم التى بيعت بمبلغ قدره ١٣٦٦٥ نصف (٢) والنقدية التى وجدت ١٣٩٨٣٥ نصف فيكون جمعه عن المخلفات مع المضاف ١٥٣٥٠٠ ونصف ، وبعد ذلك وقبل تقسيم الميراث بين الورثة كان يتم تجهيز المتوفى وتكفينه وأداء الديون التى عليه وكذلك دفع مؤخر الصداق للزوجة ومصاريف القسمة والدلالة وبعض المصاريف ثم توزع الانصبة فحصلت الزوجة على حقها بحق الثمن من التركة ١٩٥٩٩ ونصف وحصة ابنتها الباقى ١١٩١٧٨ نصف فضة (٣) .

وبذلك نلاحظ أن القسم كان يراعى الشروط الفقهية كحقوق للمتوفى على التركة وهى حسب الترتيب :

{ ١ } نفقات تجهيز الميت وتكفينه ودفنه .

{ ٢ } قضاء ديون المتوفى

{ ٣ } تنفيذ وصاياه

{ ٤ } انصبة الورثة ، وهى حقوق مرتبة فى الأداء بحيث لو استغرق الحق

[١] الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية س ٩ ق ٥٣ ص ٢٤ .

[٢] كانت المخلفات تباع فى الاسواق المختلفة بحضور الدالين الذين كانت لهم نسبة معروفة على التركة وهى على الألف عشرون نصفاً فضة وتصدر الفرمانات مويدة لذلك من الباشا وبمنع المعارضة لهم فى حقهم — انظر الشهر العقارى ، سجلات القسمة العسكرية ، س ١٩١ ص ١ ، س ٢٠١ صفحة الغلاف .

[٣] الشهر العقارى سجلات القسمة العسكرية س ٤٤ ق ٢ ص ٣ ، ص ٧٩ ق ٦٣ ص ٣٩ ، س ٧ ق ٢٨٠ ص ١٧٧ ، س ١١٥ ق ٦٠٣ ص ٤٠٨ ، س ٤٤ ق ١٢ ص ١١ .

صاحب الأداء كل التركة ، فلا يتبقى شئ لأصحاب بقية الحقوق الأدنى منه فى مرتبة امتياز الأداء (١) .

أما فى حالات المتوفين دون وارث كان بيت المال يرثهم ولا تضبط تركتهم إلا بمعرفة أمين بيت المال (٢) وفى هذه الحالة كان يحضر أمين بيت المال القسمة فى المحكمة هو أو مندوب عنه ، وبيت المال فى العصر العثمانى هو الجهة القائمة على تحصيل الرسوم المفروضة على التركات وجميع أنصبة بيت المال من الموارىث وهو ينقسم إلى قسمين :

الأول هو : " بيت مال الخاصة " وهو يختص برجال الجهاز الحاكم سواء كانوا من رجال الإدارة أو المالية أو الأجناد .

الثانى هو : " بيت مال العامة " وهو الخاص بطبقة المحكومين (٣) . وفى حالات وجود الورثة خارج البلاد مثل حالات العسكريين كان يتم بيع المخلقات بوجود الوصى المختار من قبل المتوفى بعد وفاته فهو فى غالب الاحوال من طائفته أو بحضور سردار الطائفة وبعد أن يتم استيفاء الحقوق التى على التركة بوضع المبلغ المتبقى بيد الوصى وعليه الخروج من عهده ذلك لجهة المستحقين (٤) .

وبعد تقسيم التركة يعين القسام وصيا على القصر من قبله وذلك لينظر من مصالحهم وأحوالهم وتنص حجة الوصايا امام القسام العسكرى أن يقوم الوصى بالتصرف بالبيع والشراء والأخذ والعطاء والقبض والصرف بساير وجوه التصرفات

[١] د/ حسن صبحى عبداللطيف - احكام الموارىث فى الشريعة الاسلامية - النهضة العربية القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٤ .

[٢] الشهر العقارى سجلات القسمة العسكرية س ٩٨ ص ١ .

[٣] عراقى يوسف محمد : الاوجاقات العثمانية فى مصر فى القرنين السادس عشر والسابع عشر رسالة ماجستير غير منشورة آداب عين شمس ص ١٩٠ .

[٤] الشهر العقارى . سجلات القسمة العسكرية . س ٧٩ ق ١١٨ ص ٧٩ ، ق ٤٧ ص ٣٠ ، س ١٢٠ ق ١٦٦ ص ١٢٨ ، س ١١٥ ق ٤٩ ص ٤٢ .

الشرعية الى حين بلوغ القاصر رشيداً صالحاً لدينه وماله (١) .

وغالباً ما كان يختار المتوفى قبل وفاته وصياً على ثروته وأولاده من بعده مثل "فاطمة عبدالله عتاقة الخواجة عز الدين الحموى" (٢) كما كان الوصى يتنازل عن الوصاية لشخص آخر إذا أراد ذلك تحت أى ظرف من الظروف التى تطرأ عليه. أما فى حالات النزاع على الوصاية ، كان يتم الفصل فى الأمر بين يدي القسام ويكلف المتداعون بإثبات دعواهم وفى النهاية يفصل فيها لصالح من تثبت صحة دعوته ويولية الوصاية ويكلفه بالقيام بما تقتضيه واجباتها (٣).

ولم يكن الأمر يقتصر على تعيين الأوصياء بل كان القسام العسكرى يقوم بحاسبته فى كل فترة عما أنفقه الوصى على القاصر وعما آل اليه كذلك من أرباح من مال سواء من تجارة أو التزامات زراعية - وهذه المحاسبة تشبه فى الوقت الحاضر ما يسمى بالمجلس الحسبى على الأوصياء (٤) .

وبين يدي القسام العسكر كانت تتم الإشهادات فقد " أشهد على نفسه الأمير حمزة ابن عبدالله من طائفه الكوملية بك ١٩ وعلوفة (*) ٢٤ شهود الأشهاد الشرعى وهو فى صحته وسلامته وجواز الإشهاد عليه شرعاً أنه قبض وتسلم ووصل إليه من قدوة الأكابر الأمير سليمان أمين بيت المال الخاصة بمصر مبلغاً قدره من

[١] الشهر العقارى . سجلات القسم العسكرية . س ٧٩ ق ٧٥ ص ٤٦ . س ٦٢ ق ١٤٣ ص ٩٢ .

[٢] الشهر العقارى . سجلات القسم العسكرية . س ٧ ق ١ ص ٤ ، س ٧٩ ق ٤٧ ص ٣٥ ق ١٣٩ ص ٩٠ .

[٣] الشهر العقارى . سجلات القسم العسكرية س ٧٩ ق ١ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى ، سجلات القسم العسكرية س ٧٩ ق ٦ س ٢ ، س ٤٣ ق ٢٣٦ ص ١٥٤ ق ٢١٩ ص ١٣٦ ، س ٨ ق ٢٥٤ ص ١٣ .

[*] العلوفة هى مرتبات كان يحصل عليها أرباب الفرق العسكرية - واصبحت تباع بعد ذلك لأفراد من خارج الأوجاقات وبذلك ينسبوا للفرق ، مما أدى ألى تمتعهم بنفس الامتيازات ، كذلك يرتبط بالعلوفات النقدية أيضاً حصول أربابها على جرايات من الأبناء الشريفة وهى تجعل لصاحبها الحق فى قدر معين من القمح شهرياً أو سنوياً - ولا شك أن هذه العمليات كانت تجرى بتدخل الدفتردار ، ولقد أتجه البعض إلى جعلها وقفاً خيرياً ينفق منه على وجوه الخير كالأسبلة والمقابر وغيرها - انظر د / عراقى يوسف مرجع سابق ص ٧٣ وما بعدها

الفضة العددية معاملة تاريخة بمصر الف نصف فضة واحدة وسبعماية نصف وست عشر نصف وأقر بأنه لم يتأخر له شئ قل ولا جل " (١) .

الولاية القضائية للقسام العسكرى فى الأقاليم :

تؤكد الوثائق على وجود نائب للقسام العسكرى فى الأقاليم فيوجد " العالم العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد الحنفى نايب القسام العسكرى بثمر دمياط" (٢) كذلك فقد كان القسام العسكرى يرسل قضاة الأقاليم - أحيانا - بالتفويض لهم فى تحرير تركات العسكرين بالأقاليم "مثلما أرسل إلى الحاكم الشرعى بثمر دمياط بتحرير تركات العسكرين وقبض الرسوم التى جرت بها العادة ويأخذ لنفسه الخمس منها فى مستهل ذى القعدة { ١١٠٩هـ - ١٦٩٧م } .

ولكن فى غالب الاوقات كان القسام العسكرى يعين وكيله عنه ويطلب من الحاكم الشرعى بالأقليم مساعدة وكيله فى ضبط أعماله ، فقد أرسل القسام العسكرى بمصر حسين بن نور الدين إلى الناظر الشرعى بدمياط بنبا تولية القسمة العسكرية وأنه أقام الشيخ العمدة شمس الدين الدنجيهى نايبا فى الأمور العسكرية بدمياط وما يتعلق بذلك من العتق والنكاح والحجة والسجل والرسم والدعوة وغير ذلك على الوجه الشرعى المعتبر المرضى وان يتعاطى فعل ذلك وأن يضبط ما يقع ومايتحصل من ذلك . يكتب بذلك دفترا شهر بشهر والمأمول من همة مؤلانا معاونة الشيخ محمد على ماهو بصدده ومنع ورفع من يتعرض له فى ذلك ، واسط ذى الحجة ٩٨٣ هـ ١٥٧٦ م (٣) .

يتضح من هذا وجود وكيل للقسام العسكرى كان يقوم فى الاقاليم بالنظر فى

[١] الشهر العقارى : سجلات القسمة العسكرية . س ٤٣ ق ١٦٥ ص ٩٧ . ق ٦٠ ص ٩٩ س ٧٩ ق ٩ ص ١٢ .

[٢] دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط الشرعية . س ١٦٠ ق ١٨٨ ص ١٥ .

[٣] دار الوثائق : سجلات محكمة دمياط س ١٦ ص ٧١٢ ص ١٣٤ .

أمر العسكرين وتوثيقها وتقييد ذلك فى سجلات خاصة بهم وأرسالها إلى القسم العسكرى فى القاهرة ، ولكننا مع ذلك لاندري أن كانت تقيد فى سجلات القسم بعد ذلك أم لا .

ويبدو أن القسم العسكرى كان يقوم فى بعض الأحيان بالسفر إلى الأقاليم للإطمئنان على وكلائة والإشراف عليهم وتذكر السجلات على سبيل المثال " سفر القسم العسكرى حسين بن نور الله فى يوم الأحد ١٨ ربيع الآخر ٩٨٤ هـ يولية ١٥٧٦ م إلى المنصورة وغيرها من جهات الوجه البحرى (١) كما تسجل كذلك عودته فى يوم الجمعة ٧ جمادى الآخر ٩٨٤ هـ سبتمبر ١٥٧٦ م من المنصورة والمحلة بالوجه البحرى (٢) .

وبذلك يتضح أن الولاية القضائية للقسم العسكرى كانت تشمل مصر وأقاليمها فيما يخص الفئات المندرجة تحت اختصاصه ولذا كان ينص قرار تعيينه على تولية أمور القسمة العسكرية بمصر ونواحيها بينما كان اختصاص القسم العربى قاصرا على القاهرة فقط ، وبذلك فقد كان القسم العسكرى هو القاضى الوحيد فى مصر - فى هذه الآونة - والذى كانت سلطاته وولايته القضائية ممتدة على مصر بكاملها فيما يختص بالفئات المندرجة تحت اختصاصه . وبذلك فقد كان من حقة أن ينب عنه نوابا فى اقاليمها المختلفة .

وبعد أن عرضنا لأعمال القسم العسكرى يمكن ان يرد على ما يقال " بأن سبب انشاء هذه الوظيفة يرجع الى تنبه العثمانيين منذ السنوات الأولى لفتحهم مصر إلى أهمية إحكام القبض والرقابة على أيلولة التركات وما يتفرع عنها من حقوق باعتبار أن ذلك هو مقدمة ضرورية للتحكم فى مصادر الثروة وخاصة ثروة

[١] الشهر العقارى ، سجلات القسمة العسكرية . س ١١ ص ٩٤ .

[٢] الشهر العقارى ، سجلات القسمة العسكرية . س ١١ ص ١١٦ .

الطبقة الحاكمة (١) فالقول بذلك مجاف للحقيقة لأن العثمانيين أنشأوا هذه الوظيفة فى بداية حكمهم للبلاد اتباعاً لما هو قائم فى الدولة العثمانية ، كنوع من الإصلاح القضائى للوضع المتردى الذى وصلت إليه الحالة القضائية فى أواخر العصر المملوكى . كما أن الخلافات بين الأمراء المماليك أو فى القوى العثمانية لم تظهر على سطح الحياة السياسية إلا مع بداية القرن السابع عشر - وكما رأينا أن القسام يقوم بتقسيم المورث بالفريضة الشرعية بين الورثة وله أجر معين لا يتعداه ، فكيف يصل عائد الإيلولات إلى الحد الذى يجعل منه مصدر من مصادر الثروة ؟

ويتضح مما سبق :

- ١- عرف القضاة فى هذه الآونة - التقسيم الفتوى القائم على تقسيمهم تبعاً للفئات المندرجة تحت اختصاصهم. بعكس التقسيم القائم على درجات القضاة .
- ٢- كانت الولاية القضائية للقسام العسكرى شاملة مصر بكاملها ومن حقه أن ينيب عنه نواباً فى الأقاليم لينظروا فى أمور الفئات المندرجة تحت اختصاصه .
- ٣- يقوم القسام العسكرى بتقسيم الموارث بين الورثة تبعاً للقواعد الفقهية التى نصت عليها الشريعة الإسلامية وهو فى ذلك له أجر محدد لا يتعداه .
- ٤- فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر جمع قاضى العسكر إلى جانب عمله القيام باختصاصات القسام العسكرى .
- ٥ - فى نهاية القرن الثامن عشر زادت الفئات المندرجة تحت اختصاص القسام العسكرى وذلك تبعاً للأوامر الصادرة بذلك ، حتى غدا يشمل اختصاصه كل فئات السكان فيما عدا النساء المسلمات وأهل الذمة من اليهود والنصارى الذين بقوا تحت اختصاص القسام العربى .

[١] د / محمد نور فرحات ، القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى . سلسلة تاريخ المصريين . رقم

١٧ هـ - م - ع . القاهرة ١٩٨٨ ص ٦٢ .

[ب] القسم العربى واختصاصاته القضائية :

نشأة منصب القسم العربى :

لا نعرف على وجه التحديد البداية الزمنية لنشأة هذه الوظيفة فلم يرد لها ذكر فى المصادر المعاصرة لتلك الفترة ، مما أدى إلى إرجاع الباحثين لنشأتها إلى بداية التدوين الزمنى لسجلات هذه المحكمة والذي يبدأ السجل الأول منها بعام ٩٧٠هـ - ١٥٦٢م ، ولكن هذا السجل مكمل لما قبله فهو لا يوجد فيه ما يبرر بداية عمل المحكمة ولا بداية تعيين القسم العربى . ولكن استطعنا العثور فى وثائق الدشت على وثائق ترجع إلى إلقسام العربى وتعود إلى قبل ذلك التاريخ منها : " فى يوم الخميس رابع جمادى الثانى سنة ٩٦٥ هـ ٢٥ مارس ١٥٥٨م جلس القاضى داود قاضى الخانقة بالكاملية " (١) .

كما وجدت إشارات فى ثنايا المحاكم الأخرى عن القسم العربى فتذكر إحدى القضايا الصادرة بمحكمة جامع الحاكم " بدلالة مستند الايصال المسطر بالمحكمة الشرعية بالمدرسة الكاملية المؤرخ برابع عشر شوال سنة ٩٦٥ هـ يولية ١٥٥٨م " (٢) .

وبذلك يتضح خطأ القول بأن نشأة هذه الوظيفة ترجع إلى بداية التسجيل الزمنى لسجلاتهم ، كما إننا عثرنا بين سجلات محكمة القسمة العسكرية على سجلات تابعة للقسام العربى ووضعت خطأ فى سجلات القسمة العسكرية ومن بينها سجل كامل يتناول الفترة من ٩٦٨ هـ ١٥٦٢م ويعتبر هذا السجل أول سجل كامل

[١] الشهر العقارى : محافظ الدشت ، محفظة رقم ٥١ لعام ٩٦٥ هـ ، ١٥٥٧ م .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة جامع الحاكم س ٥٤٠ ق ٧٧٢ ص ١٧٢ .

للقسام العربى (١).

[١] عند مراجعة سجلات محكمتى القسمة العسكرية والعربية وجد سجلات تابعة للقسمة العربية وضعت خطأ فى التصنيف فى القسمة العسكرية ويعتبر السجل رقم ٤ قسمة هو الاول لسجلات القسمة العسكرية .

الفترة الزمنية	رقم السجل فى مكانه الصحيح بالقسمة العربية	رقم السجل فى مكانه الخطأ بالقسمة العسكرية
من ٩٦٨/٩٧٠هـ - ١٥٦٠ - ١٥٦٢م	١	٤
من ٩٩٤/٩٩٦هـ - ١٥٨٥ - ١٥٨٧م	١٤	١٥
من ١٠٣٢/٩٩٦هـ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣م	٢٦	٣٦
من ١٠٥٦/١٠٧٥هـ - ١٦٤٦/١٦٤٧م	٤٠	٥٣
من ١١٣٢/١١٣٢هـ - ١٧١٩ - ١٧٢٠م	٨٨	١١٦
من ١١٥٩/١١٦٠هـ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧م	١٠٦	١٥٥
من ١١٦٤/١١٦٤هـ - ١٧٤٩ - ١٧٥٠م	١٠٩	١٦٠
من ١١٦٧/١١٦٧هـ - ١٧٥٣ - ١٧٥٤م	١١٢	١٦٦

تعيين القسام العربى :

ويعين القسام العربى من قبل قاضى العسكر ويسجل قرار تعيينه فى سجلات محكمة القسمة العربية كالاتى : " يوم الاربعاء المبارك ٣ جمادى الآخر من شهور سنة ألف واثنان وأربعين هـ جلس سيدنا ومولانا فخرا قرانة.... أفندى على بن محمد أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه قساماً عربياً بالقسمة العربية بالقاهرة المحمية بموجب التذكرة الواردة له فى شأن ذلك من سيدنا ومولانا أعلم العلماء المتبحرين ... مولانا موسى أفندى الناظر فى الأحكام الشرعية بالديار المصرية جعل الله جلوسه مباركاً " (١) .

وتلقب الوثائق القسام العربى قاضى القضاة ومخدومه (٢) وجمع القسام العربى إلى جانب عمله كقسام وظائف قضائية أخرى مثل "الحاج على الرومى الحنفى قاضى الديوان العالى قساماً عربياً" (٣) وفى هذه الحالة كان عليه رئاسة القضاء فى المحكمتين وهناك أيضاً من تولى " قساماً عربياً وقاضياً للديوان العالى وقاضى الصالحية النجمية " (٤) . وفى هذه الحالة كانت الأمور الخاصة بالقسام العربى تنظر فى غالب الأحيان بالصالحية النجمية وتذكر الوثائق " بالمحكمة الشرعية بالصالحية النجمية المتعلقة بالقسمة العربية " وكذلك بمحكمة الصالحية النجمية القسمة العربية" (٥) .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٣٣ ص ٤ ، س ٦ ق ١٧ ص ١٢ ، س ١٠ ق ٥٧٢ ص ٣٦٩

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٧٥ ص ١ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٤ ص ٥٧٣ ، س ٣ ق ٣١٩ ص ١٨٧ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٣ ق ٣٣٤ ص ١٩٢ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٣ ق ٣٥٤ ص ٢٠١ .

وأحيانا كثيرة كان قاضى العسكر يعهد إلى أحد أبنائه بالقيام بأعباء القسم العربى مثل "قاضى عسكر عبدالله أفندى الذى عهد بذلك إلى نجله يحيى أفندى" (١) .

وكثيراً ما كانت تحدث حركة تنقلات قضائية بين محاكم أخطاط القاهرة وبين محكمة القسم العربية فقد انتقل "مصلى أفندى قساماعوضا عن صالح أفندى الذى انتقل بدلاً منه الى محكمة بولاق" (٢) . ويبدو أن هذا كان أمراً مفيداً للمتقاضين ولأعمال القضاء بوجه عام .

وكان من حق القسم العربى أن يعتزل عمله إذا ما أراد ذلك لأى ظرف من الظروف التى تمر بها مثل : "عبدى أفندى بن إبراهيم الذى عزل نفسه من القسم اختياراً لتزايد المرض عليه" (٣) "وسعد بن حسن الرومى" الحنفى الذى تولى عوضاً عن مولانا "أفندى دوريش" لإرادته السفر إلى الديار الرومية" (٤) .

ووجد بجانب القسم العربى الحنفى نواب من المذاهب الأخرى يخضعون لرئاسته وذلك كعادة المحاكم فى تلك الآونة من وجود قضاة على المذاهب الأربعة حتى يلجأ إليهم أتباع مذاهبهم ، وكان العمل يستمر طوال أيام الأسبوع بما فيه يوم الجمعة بلا عطلة حتى لا يتم تعطيل أعمال الناس .

ويلاحظ أن قائم مقام قاضى عسكر كان يتولى القيام بأعمال القسم العربية لحين حضور قاضى عسكر (٥) الذى يعين قساما بعد عزل القسم المعين من قبل القاضى السابق وفى النادر كان يبقيه فى عمله ويرسل إليه تذكرة بذلك .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ٩٦ ص ١ ، س ٩٧ ص ١ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ١٧ ص ٣٠٨ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ٦ ص ٢٦٥ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ١٢ ص ١٩٩ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ٣٢ ص ٤١٣ .

وقد تولى قاضى عسكر القيام بأعمال القسم العربى .أضافة إلى أعماله القضائية وأول حالة تقابلنا فى الوثائق عندما تولى " عثمان أحمد أفندى قاضى القضاة أعمال القسم العربى فى رمضان ١١٣٥ هـ يونية ١٧٢٣م (١) وتنص الوثائق أنه " بمحكمة القسمة العربية بمصر المحمية لدى متوليها سيدنا قاضى القضاة بمصر المحمية " (٢) ولكن ابتداء من عام ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨م تولى قاضى القضاة القيام بأعمال القسم العربى بصفة مستمرة وحتى الفترة نهاية الدراسة . وأصبح لقبه الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسمة العربية ، وربما يكون السبب فى ذلك قلة ورود القضاة من استانبول فى هذه الفترة فأراد قاضى عسكر أن يسيطر على المناصب القضائية الهامة التى تدر دخلا كبيراً ويجمعها فى شخصه .

مقر القسم العربى :

وكان مقر القسم العربى فى المدرسة الكاملية (٣) وهذه المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية انشأها "السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل أبى بكر بن ايوب بن شادى بن مروان" فى سنة اثنين وعشرين وستماية وهى ثانى دار عملت للحديث فإن أول من بنى دار للحديث الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوى ثم من بعدهم الفقهاء الشافعية وكان موضع المدرسة سوقا للرقيق ودار تعرف بابن كستول (٤) .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٩٠ ص ١ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٩٠ ق ٧ ص ١ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٣ ق ٥١ ص ٤٢ . ق ٦٤ ص ٥٧ .

[٤] المقرئى : مصدر سابق . ج ٢ ص ٣٧٥ .

ويبدو أن هذا المقرر لم يكن ثابتاً فقد أصدر قاضى عسكر مصطفى أفندى أمراً إلى القسم العربى يحيى أفندى فى غرة محرم ١١٣٧ هـ ٢١ سبتمبر ١٧٤٢ م . بأن يجلس مع كتبته باودة الخياط المجاور لباب الدخول لحوش منزل شيخ الاسلام لتعاطى القسمة العربية والنظر فى ضبط المواريث لاربابها وسماع الدعاوى المتعلقة بالقسمة العربية (١).

مدة عمل القسم العربى :

تميزت مدة القسم العربى بالقصر وفى الغالب تتراوح ما بين شهر وأربعة شهور . وكان يتم تعيين القسم بصورة دورية ومستمرة ، ففي عام ٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م تولى خمسة من القسامين العرب وبلا شك كان ذلك يؤثر على العمل القضائى فى محكمة القسمة العربية كنتيجة للتغيرات فى منصب القسم العربى .

كما وجد من تولى منصب القسم العربى عدة مرات مثل " أحمد أفندى بن جلبى " الذى تولى أمور القسمة مرتين و " جمال الدين عبدالله بن محمود الرومى " .

وربما يرجع السبب فى قصر مدة القسم العربى مقارنة بالقسم العسكرى هو أن قاضى عسكر مصر هو الذى يعين القسم العربى أما القسم العسكرى فيعين من قاضى عسكر الأناضول وكان بعد المكان سبباً فى ذلك أيضاً (٢).

الاختصاص الغتوى للقسم العربى :

اختص القسم العربى بالنظر فى قضايا الرعايا وعامة الفلاحين الذين لم ينتسبوا للعلماء والأشراف وجهة الديوان والأوجاقات وأهل الذمة من النصارى واليهود والتى يبدو أن عمل القسم كان منصبا عليهم حتى قيل إن محكمة القسمة العربية خصصت لأهل الذمة فى العصر العثمانى (٣).

[١] الشهر العقارى ، سجلات محكمة القسمة العربية ، ص ٩١

[٢] الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية - الصفحات الأولى من السجلات .

[٣] د / سلوى على ميلاد - وثائق أهل الذمة فى العصر العثمانى وأهميتها التاريخية - دار الثقافة والنشر والتوزيع - القاهرة - ١٩٨٣ م ، ص ١٦ .

وأتسعت أعمال القسام العسكرى بمرور الوقت على حساب القسام العربى وذلك لصدور مرسوم من قاضى عسكر بأن ينسب الرعايا وعامة الفلاحين من الذكور المسلمين من الأدنى للأعلى للقسمة العسكرية وبقي اختصاص القسام العربى بالنظر فى الأمور المتعلقة بالنساء المسلمات جميعهن من الأدنى للأعلى، وأهل الذمة رجالاً ونساء من الأدنى للأعلى (١) .

الاختصاص القضائى النوعى للقسام العربى :

اختص القسام العربى بالنظر فى القضايا ذات الاختصاص النوعى وهى :

١- قسمة المواريث بين أهل العرب من المسلمين والنصارى واليهود .

٢- التصادقات والإشهادات .

٣- الوصايات على الأيتام .

٤- الكتابة على القاصر وما يتعلق به من بيع وشراء وغيره .

٥- الكتابة على المريض من إشهادات وغيره (٢) .

ويبدو أن اختصاصات القسام العربى قد تعرضت للاعتداء من قبل قضاة محاكم الأخطاط لذا كان قاضى عسكر يصدر التحذيرات لهم من تعاطى هذه الأمور وتهديدهم بالعزل والعقاب ، وفى أحيان أخرى كان القسام العربى يخاطبهم طالبا منهم ألا ينظروا فى القضايا المتعلقة باختصاصه إن وردت عليهم ويردوها اليه (٣) . وفى حالة الوفاة كان القسام العربى ينزل بنفسه الى دار المتوفى أو حانوته لضبط المخلقات ، فقد توجه القسام العربى إلى بيت سكن المرحوم أحمد بن مرعى الأمواسى الكاين بالربع الذى بخط الركن الملحق وفتح الصندوق الذى كان مختوما بختم الحاكم المشار إليه وضبط ما فيه من مخلفات المتوفى المذكور (٤) .

[١] الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية س ٧ ق ٧٨٤ ص ٤١٢ .

[٢] الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق ، س ٨١ ، ص ١ .

[٣] الشهر العقارى - سجلات محكمة القسمة العربية ، س ١٠٦ ق ٧٥ ص ٣٢٤ ، محكمة الزاهد س ٦٨٧ ق ٢ ص ١٦ ، وسجلات محكمة القسمة العسكرية ، س ١٤٦ ق ٣١ ، ص ٢٧ .

[٤] الشهر العقارى - محافظ الدشت ، محفظة رقم ٥١ عام ٩٦٥ هـ ، محكمة الزاهد ، س ٦٨٧ ق ٣٠ ص ١٦ .

وإذا ما خالط القسام العربى شك فى سبب الوفاة بأنها جنائية كان يتوجه للتحقيق فى سبب الوفاة على الفور ، وضبط المخلفات وحوزها لتقسيمها بين الورثة، فقد توجه إلى حمام المذکور وذاکر المعلمين بالحمام بأن سنان المذکور مات بقرضى الله وقدره ، ثم ذكر جميع المخلفات الخاصة بسنان المذکور (١) .

ومن أهم الاختصاصات المنوطة بالقسام قسمة التركات " فعندها توفى خليل بن نصير النصرانى الملكى الطورى وانحصر إرثه الشرعى فى زوجته عمايم أبنة اسحاق وأولاده منها خليل وبدر الدجى المرأة زوجة بركات وستيله البكر البالغ وتاج المراهقة من غير شريك ولا حاجب فتم حصر جميع مخلفات المتوفى وديونه وحساب المصاريف التى أنفقت فى تجهيزه ورسم القسمة والديون التى على المتوفى وبعد ذلك قسمت التركة بالفريضة الشرعية كل حسب نصيبه " (٢) .

وعندما توفى " الحاج محمد بن الحاج حسن الصعيدى وانحصر إرثه فى زوجته الحرمة شعبانية ووالده الحاج حسن من غير شريك ولا مانع فتم ضبط ما وجد للمتوفى المذکور بطاحون سكنه ببولاق وقوم ذلك بمعرفة أهل الخبرة بمبلغ ٣٥٠٠ , ٠٠ نصف فضة وأضيف إلى ذلك ما وجد بالطاحونه ٤٨١ نصف يكون جميع ذلك ٣٩٨١ نصف وضع من ذلك فى التجهيز والتكفين وكافة المصاريف ١٩١٤ , ٠٠ نصف ، فتصبح حصة شعبانية بحق الربع من قبل زوجها ٤٧٨ , ٠٠ نصف وحصة الحاج حسن الأب من قبل ولده ١٤٣٥ , ٠٠ نصف فضة (٣) .

[١] الشهر العقارى : قسمة عسكرية وهو الأول من سجلات القسمة العربية . س ٤ ، ق ٨٩٦ ، ص ٤١٦ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية س ١٣ ق ٦٢٨ ص ٤٢٨ ، س ٨٨ ق ٥٦٨ ، ص ٣٠١ ، ق ٣٥٦ ص ١٧٦ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية س ٨٨ ق ٣١٤ ص ١٥٥ ، س ١٣ ، ق ٧٤ ، ص ٥٧ ، س ٦ ص ٤٨٢ ، س ٦٠ ، ق ١٠٨ ، ص ٧١ .

وبذلك فقد كان القسام العربى يقوم بتحديد الورثة طبقا لما وضعه الفقهاء المسلمون .

ولقد تعرض أهل الذمة لبعض المظالم نتيجة لطمع العاملين فى الجوالى (١) فصدرت الأوامر من الباشا برفع ذلك الظلم وبأن يغسل المتوفى من أهل الذمة ويكفن، وبعد ذلك تحضر جماعة القسام ويضبطون التركة ثم يقسموها بين الورثة بالفريضة الشرعية (٢) وفى الحالات التى يكون بيت المال فيها هو الوارث يحضر مندوب عنه ويقوم بضبط وبيع المخلفات بعد الإذن من القسام العربى (٣) . وينظر القسام العربى فى حالات النزاع حول الميراث ويقوم بالتحقيق فى سبب الخلافات وعندما يثبت الحق لأحد الأطراف يمنع الطرف الآخر من معارضته ويعطيه حقه (٤) .

ويبدو من الوثائق أنه بعد نظر النزاع كانت تعطى حجة بالمنع للطرف صاحب الحق يستخدمها كدليل فى يد صاحبها فى حالة إذا ما تجدد النزاع مرة أخرى واستخدمها فى كافة المحاكم وتقابل بكل التبجيل والاحترام ، وكانت أدلة الإثبات المستخدمة فى كافة المحاكم هى اليمين والشهادة . ويكلف القسام المدعى ببيان ما

[١] الجوالى : يرجع إنشاء ضريبة الجوالى إلى العصر الإسلامى حيث فرضت ضريبة الجزية على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين لم يتحولوا للإسلام لكنهم اعترفوا بالسيادة الإسلامية - وبعد الفتح العثمانى لمصر أو كل جمع ضريبة الجزية أو الجوالى إلى مقاطعة كانت إدارتها تستند إلى أمين الجوالى . وكانت ضريبة الجوالى تقسم قسمين جزء يدفع كمكافآت لأهل الجوالى ، والجزء الآخر يرسل إلى الخزينة السلطانية فى إستانبول . وفى القرن السابع عشر سيطر أمراء مصر المماليك على الالتزام مقاطعة الجوالى كما سيطروا على المقاطعات الأخرى وأصبح أمين الجوالى وهو ملتزمها يدفع للخزينة مبلغا سنويا بالإضافة لضريبة الكشوفية الكبيرة للخزينة أيضا ، والكشوفية الصغيرة للباشا ويحتفظ بباقى الجزية المحصلة لنفسه - أنظر د/ ليلى ، عبد اللطيف الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى . مطبعة جامعة عين شمس . ١٩٧٨ ص ٣٢٦ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٩٣ ق ١١٢٤ ص ٥٢٨ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٦٠ ق ١٠٩ ص ٧١ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ٦٠ ق ٢٠٠ ص ١٣٧ . ق ١٢٨ ص ٣ .

أدعاه فان عجز عن ذلك يمهّل وفي حالة مرور المهلة ولم يستطيع الاتيان ببينة تسقط الدعوى ، ويعطى القسام العربى للمدعى عليه حجه بعدم جواز تعرض المدعى له فى الأمر موضع الدعوى .

كما اختص القسام العربى بتعيين الوصى للنظر فى ما آل إلى الايتام من مال وينظر فى مصالحهم ويتصرف لهم وعليهم بالبيع والشراء وسائر التصرفات الشرعية وأن يفعل بالأوصياء ما يجوز فعله شرعا إلى حين بلوغهم رشدا (١) .

ولا يقتصر عمل القسام على مجرد الوصاية بل يقوم بتقرير النفقة اللازمة للموصى عليه ، " فقد قرر لنفقة القاصرة ابنة المرحوم دوريش التاجر بسوق الشرب كان عن طعام ولوازم شرعية خلا الكسوة من كل يوم من الفضة السلیمانية معاملة تاريخه نصف واحد وأذن القسام للوصية عليها بصرف ذلك من مالها الآيل إليها بالإرث الشرعى من قبل والدها " (٢) ثم بعد ذلك يقوم القسام العربى بمحاسبة الأوصياء عما أنفقوا على القصر وعما آل إليهم من مال سواء من تجارة أو زراعة ويقدم الوصى الحجج الشرعية الشاهدة له بصدق ما أنفقة وما آل اليه من أموال (٣) وعند بلوغ القاصر سن الرشيد بتسليم التركة من الوصى عليه ويقر أمام القسام بخلويد الوصى المذكور وبراءة ذمته من جميع ما دخل تحت يده (٤) .

واختص القسام بتعيين القيم ، فقد أقام الحاج سليمان بن أيوب قيما شرعيا على ولد عمه أحمد الغايب بطرابلس الغرب ليضبط ويحرر ويقبض ما هو للغايب المذكور بالإرث الشرعى من قبل أخيه على بن المرحوم إبراهيم المغربى المتوفى قبل

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١٣ ق ٣٤ ص ٣٣ ، س ١ ق ٣٨ ص ٢٢ ، ق ١٦٨ ص ١١٠ ، س ١٣ ق ١٠ ص ١٢ س ١٤ ق ٦٥٤ ص ٤٢٤ . ق ٣٢٦ ص ٢٢٤ ، س ٩٥ ق ٣ ص ٢ س ٩٣ ق ٣٥٠ ص ٢١٩ . ق ٩٣ ص ٢٨٥ ، س ٨٨ ق ٤٣٩ ، س ٦ ق ٢٥٠ ص ١٧٧ ، س ٩٥ ق ٤ ص ٣ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العربية . س ١ ق ٤٠ ص ٢٣ ، ق ١٤٣ ص ٩٣ . ق ١٦٩ ص ١١٠ . ق ١٧٥ ص ١١٢ ، س ١٣ ق ٢٥١ ص ١٧٤ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات القسمة العربية . س ١٣ ق ٢٨ ص ٢٩ ، ق ٥٤ ص ٤٤ ، ق ٣٥ ص ٣٤ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات القسمة العربية . س ٦٠ ق ١٢٣ ص ٨٢ ، س ١٣ ق ٤٠ ص ٣٦ ، ص ٦ ق ٢١٠ ص ١٣٤ .

تاريخه ويبقيه تحت يده إلى حين وصول ذلك اليه بالطريق الشرعى (١).

وبين يدي القسام العربى كانت تجرى الإشهادات الشرعية : " فبين يديه أشهد على نفسه المعلم على أبى العذب الصباغ شهودة الإشهاد الشرعى وهو بحالة الصحة والسلامة والطواعية أن فى ذمته بحق صحيح شرعى للمسمى محمد بن هاشم من الذهب السلطانى ٦ دنانير على الحلول فصدق على ذلك المعلم على بن أبى العذب المذكور التصديق الشرعى (٢) .

وكانت تجرى بين يدي القسام العربى التصادقات . " فقد تصادق يوسف بن داود بن بهنا النصرانى الرومى الأرمنى الخمار بخط قناطر السباع الوصى الشرعى على أيتام الهالك سنان بن النصرانى هم بهنا وروم وخاتون على أن الذى ترتب بذمة يوسف المذكور لبهنا وخاتون وروم ماجملته من الذهب السلطانى الجديد مائة دينار واحدة وتمانية وأربعون دينارا وربع دينار " (٣) .

واختص القسام العربى بالكتابة على المريض (٤) وكذلك توثيق عقود الشراء (٥) والعق (٦) وتوثق أمامه هذه التصرفات وينظر فيها طبقا للشريعة الإسلامية أيا كانت ديانة المتقاضيين .

وكان من حق الناس أن يتقدموا بقضاياهم مباشرة الى القسام العربى للنظر فيها ، ولا ينزل القسام إلى ضبط التركة إلا باستدعاء أما لو كان فيها قاصر فيقوم بضبط التركة وتعيين الأوصياء عليهم . وكانت بعض القضايا تحول إلى

[١] الشهر العقارى : سجلات القسم العربية س ٨٨ ق ٤٢٣ ص ٢١٤ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات القسم العربية س ١ ق ٣٢ ص ٢٢ . ق ٢٢ ص ١٥ ، س ٨٨ ق ١٥ ص ٩ ، س ٦٠ ق ٧١ ص ١٢٧ . ق ١٥١ ص ٦٤ ، س ١٣ ق ٤٣٩ ص ٣١٦ . ق ٥٠٧ ص ٣٥٧ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية س ١٢ ق ٥٢ ص ٤٢ ، س ٨٨ ق ٥٠ ص ٢٣ . ق ٣٢٨ ص ١٠ ق ٦٠ ص ٣٦ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية . س ٧ ق ٧٩٩ ص ٣٩٦ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية س ٩٠ ق ٤٨ ص ٣٤ ، س ١٣ ق ٦٨ ص ٥٣ . ق ١٣٤ ص ١٠١ .

[٦] الشهر العقارى : سجلات محكمة القسم العربية س ١ ق ١٢٧ ص ٨٥ .

القسام فيقوم بضبط التركة وتعيين الأوصياء عليهم ، وكانت بعض القضايا تحول الى القسام العربى ببيورلدى (١) من الباشا وبعضها يحول اليه عن طريق قاضى العسكر (٢) .

وبذلك يتضح أن القسام العربى اختص بقضايا ذات اختصاص نوعى وفى نفس الوقت فقد كان له اختصاص فئوى ، وانحصر الاختصاص المكانى للقسام العربى فى القاهرة وتابعتيها بولاق ومصر القديمة ، وكان له أجر معين لا يتعداه ، وهو فى أحكامه وتوثيقه للأمور كان يراعى القواعد الشرعية المعمول بها .

[١] كلمة ببيورلدى - فعل ماضى مبنى للمجهول من المصدر التركى بيورمق بمعنى أن يأمر (أمر بى) وتحولت هذه الصيغة الفعلية إلى الأسمية وصارت علما على الأمر المكتوب بالرسم الهمايونى الصادر من الصدر الاعظم أو أحد الولاة ، وظل هذا الإصطلاح يطلق فى مصر حتى سنة ١٩١٥ م . انظر د / احمد السعيد سليمان - تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل - دار المعارف . القاهرة ١٩٧٩ . ص ٤٩ .

[٢] الشهر العقارى - سجلات القسم العربية س ١٣ ق ٣٠٢ ص ١١١ ق ٤٥٢ ص ٣٢٥ .

قضاة الأخطاط (*) فى القاهرة

تعيين قضاة الأخطاط (**): -

انتشرت المحاكم فى القاهرة فى العصر العثمانى وخصصت لها أماكن خاصة بها ولم يكن ذلك معروفا من قبل فى العصر المملوكى . وكان لقضاة محاكم أخطاط القاهرة مكانة كبرى فى ذلك الوقت ، فقد قسمت المراتب القضائية إلى ست درجات أعلاها هى محاكم مصر المحروسة وتابعتها بولاق ومصر وكان القضاة لا يتوصلون الى هذه الرتبة إلا بعد المرور فى الرتب الأقل منها والترقى والوصول اليها (١) .

وربما كان الهدف من هذا التقسيم هو ضمان ازدياد خبرة القاضى بالأمور الشرعية وتمرسه على الحكم فى الامور القضائية حيث نجد أنهم طبقا لهذه المراتب أصبح القاضى لا يصل إلى منصب القضاء فى محاكم الأخطاط بالقاهرة إلا بعد مروره بخمس مراتب أدنى من محاكم القاهرة (٢) .

[*] الخط : الطريقة المستطيله فى الشئ ، أو الطريق الخفيف فى السهل . والطريق الشارع . و الخط الطريق - انظر الفيروز آبادى ، القاموس المحيط ، دار الرسالة بيروت ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ، ط ٢ ، ص ٨٥٨ .

[**] أطلق على محاكم أخطاط القاهرة فى تلك الأونة محاكم مصر المحروسة ، وقد أتخذت سجلات هذه المحاكم أرقاما تسلسلية مما يدعو إلى القول أنهم اعتبروا هذه المحاكم كيانا واحدا . أنظر الشهر العقارى - سجلات - محاكم أخطاط القاهرة .

[١] الشيخ أحمد العريشى - مصدر سابق ص ٣ .

[٢] د / عبدالرحيم عبدالرحمن - القضاء فى مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ - ١٧٩٨ - بحث منشور ضمن كتاب فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى - سلسلة تاريخ المصريين العدد ٣٨ ، هـ - م - ع . القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٣٣٥ .

ولقد اعتبر قضاة الأخطاط في القاهرة نواباً لقاضى عسكر مصر وهو الذى يصدر قرارات تعيينهم وعزلهم من مناصبهم وتسجل فى السجلات بداية عمل القاضى كالآتى

من حضرة سيدنا ومولانا...الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة خطابا لفخر الأشراف المكرمين السيد يوسف أننا أذناكم وأقمناك نائبا حنفياً بمحكمة الصالحية النجمية بمصر لتتعاطى الأحكام الشرعية وإمضاء التمسكات وسماع الدعاوى على مذهب الإمام أبى حنيفة النعمان -رضى الله عنه من تاريخه أدناه وعليك فى ذلك بتقوى الله العظيم ، وطاعته فإنه من سلك طريق الحق نجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا تحريرا فى ١٠ ذى القعدة الحرام سنة ١١٧١ هـ - ١٧ يولية ١٧٥٨ م .

وكان قضاة الأخطاط يجمعون العمل فى أكثر من محكمة فى وقت واحد مثل "مصطفى أفندى نايب الباب العالى ونايب محكمة باب الشعرية" (١) و "السيد الشريف عبد الله أفندى القاضى بالمنصورة مؤقتا نائبا حنفيا بمحكمة بولاق" (٢) و "فيض الله عفيف أفندى الذى تولى حنفيا فى محكمة الصالحية النجمية ومحكمة باب الشعرية ومحكمة جامع الزاهد ومحكمة جامع الصالح بخط باب زويلة ومحكمة طولون ومحكمة قناطر السباع بمصر المحروسة ومحكمة مصر القديمة" (٣) و "محمد أمين أفندى نائبا حنفيا بمحكمة الصالحية النجمية ومحكمة باب الجامع الحاكمى ومحكمة باب الجامع القوصونى ومحكمة باب الجامع الطولونى ومحكمة قناطر السباع ومحكمة مصر القديمة" (٤) "عارف منلا زاده أفندى نائبا حنفياً بمحكمة الصالحية النجمية ومحكمة جامع الصالح بباب زويلة ومحكمة الجامع القوصونى

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٢٢ ص ١ ، ص ٣٢١ ، س ٥٣٤ ق ٤٣٤ ص ٢٠٤ ، محكمة باب الشعرية ، س ٦٤٤ ق ١ ص ١ - بولاق . س ٧٦ ق ٤٠٧ ص ١١٨ ، محكمة الزاهد س ٦٨٧ ص ١ ، جامع الحاكم ق ٥٧٦ ص ١ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة جامع الحاكم . س ٧٣٣ ق ٥ ص ١ ..

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٢٦ ص ١ ، سجلات محكمة الصالح س ٣٦١ ص ٢ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة مصر القديمة . س ١١٠ ق ١٩٢ ص ٦٢ .

ومحكمة قناطر السباع كلا منهما بمصر المحروسة " (١) .

ومما لا شك فيه أن الجمع بين هذه الأعمال القضائية فى وقت واحد كان يؤدى إلى خلل فى الأعمال القضائية واجراءات التقاضى لأنه لا يعقل أن يتولى قاضى واحد العمل فى سبع محاكم فى وقت واحد وأدى ذلك بالتالى إلى إزدياد سلطة الكتاب والباش كتبه فى نظر الدعاوى القضائية وأعمال المحاكم نظراً لأنشغال القاضى فى أعمال المحاكم المختلفة لم يكن ذلك بصفة مستمرة وإن ظهرت بصورة واضحة فى القرن الثامن عشر .

وكان قائم مقام قاضى عسكر يرسل إلى المحاكم قبل وصول شيخ الإسلام يعلمهم بقدوة قاضى عسكر مصر الى الاسكندرية وبقاء النواب الحنفية فى مناصبهم لحين وصوله (٢) وعند قدومه كان إما يقوم بتغيير قضاة الأخطاء ويولى آخرين من طرفه أو يبقينهم .

وكان يوجد بكل محكمة الأخطاء ثلاثة من القضاة على المذاهب الأخرى بجانب القاضى الحنفى حتى يلجأ اليهم أتباع مذاهبهم وكان قاضى عسكر هو الذى يعينهم وكانوا فى الغالب الأعم طوال فترة الحكم العثمانى يختارون من بين العلماء المصريين ، وكانت تقيد قرارات تعيينهم فى السجلات ، وهى تصدر من قاضى عسكر مصر (٣) .

وأحياناً كان يعين القضاة فى المحاكم بناء على طلب الكتاب والعاملين بالمحكمة وفى هذه الحالة ينص مرسوم تعيينهم " على عفته وفضيلته وحسن سيرته " (٤) ويتعرض النواب للعزل إذا ما بدت منهم أمور مخالفة مثلما حدث عندما عزل الشيخ "محمد الشرنوبى المالكى من الريادة والقضا من محكمة جامع الحاكم ومن غيرها

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٥٢ صفحة الغلاف .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة البرمشية . س ٧١٠ ص ١ من الغلاف .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح . س ٣٤٧ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٧ ق ٦ ص ٢ - سجلات جامع الحاكم . س ٧٣٢ ق ٥

ص ١ وسجلات محكمة الصالحية النجمية س ٤٧٧ ص ١ .

لأمر ظهرت منه غير لايقة ومن الآن لا أحد يجالس السيد أحمد المذكور ولا يرافقه ولا يكاتبه (١) .

وتمتع القاضى الحنفى برئاسة المحكمة فيذكر قاضى عسكر فى احد مراسيمه " أنا لا نعرف اصلاح كل محكمة الا من نايبها الحنفى فانه قايم بمقامنا فيها وأمرها منوط به " (٢) وكان الشهود لا يتوجهون لقضاء المصالح خارج المحكمة، الا بعد الإذن من القاضى الحنفى (٣) كما كان أمر الموظفين فى المحكمة مفوض للنايب الحنفى فكل من اعتقد فيه الصلاح من الشهود والخدم أبقاه بها وكل من يراه على غير ذلك طرده عنها (٤) وإن عجز عن تأديب المخالف وعقابه يرفع ذلك لقاضى العسكر ليعاقبه بما يستحق من الزجر والتأديب ، وبعد ذلك يتضح أن رئاسة المحكمة كانت منوطة بالقاضى الحنفى وهو المسئول عن موظفيها من الكتاب والشهود .

وبالرغم من وجود اماكن محددة للمحاكم فقد يمكن ان يأذن قاضى عسكر لأحد القضاة بالجلوس فى زاوية أو غيرها لنظر القضايا لتسهيل أمور المتقاضين ، فقد اذن قاضى العسكر لقاضى قناطر السباع بالجلوس فى زاوية عبدالجواد رأس نوبه للنظر فى الأحكام الشرعية بين البرية (٥) .

وغالبا ما كان يحدث خلاف بين أئمة الباشوات وبين قضاة العسكر على أحقية كل منهما فى نيابة محكمة الصالحية النجمية ، وربما كان الخلاف على هذه المحكمة بالذات بسبب أنها من كبريات المحاكم فى تلك الآونة وتنافسها على إيرادها العالى ،

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٤ ف ٦ ص ١ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع س ١٢٢ ف ١٦٤٥ ص ٤٧٩ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة البرمشية . س ٧١١ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٦٥ ص ٤ من الغلاف .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع س ١٣٨ ص ٧١ .

ولم يكن هذا التزاع فى صف الأئمة دائما فقد نجح علمى أحمد أفندى قاضى
عسكر مصر فى انتزاع نيابه الصالحية من إمام الوزير أبى بكر باشا وينصح علمى
أفندى قضاة العسكر القادمين بعده بالألا يوجهوا للأئمة نيابة المحكمة المذكورة لما فيه
من راحة المسلمين وذلك لأن الأئمة كانوا يستندون إلى الباشوات يتشبت بهم أرباب
التزويرات يظهرون الفساد ويضرون المسلمين (١) .

ويبدو أن هذا المنع لم يستمر طويلا لأن قاضى عسكر مصر محمد سعيد
أفندى أرسل خطابا لنايبه فى المحكمة -الصالحية النجمية - وهو عبدالله أفندى
النايب الحنفى بها يأمره بدفع المحصول حكم المعتاد لإمامى حضره قايمقام الحاج
محمد بك امير اللوا بمصر هما فخر السادة الأشراف المكرمين السيد الشريف
مصطفى أفندى ورفيقه الشيخ أحمد أفندى على وجه الاشتراك فى كل شهر والحذر
من المخالفة (٢) .

ووجدت المسئولية الجماعية للعاملين فى المحكمة عن أعمالها فعندما يخطئ
أحدهم يجب ان يمنعوه والا تعرضوا للعقاب ، فيذكر قاضى عسكر " أنه إن لم يمنع
اهل المحكمة المخطئ منهم لتحصل عليهم مالم يكن فى حسابهم ومالا يستدركون
فارطة " (٣) .

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى ، س ٢٠٩ ص ١ - مرسوم من قاضى عسكر إلى قضاة
الأخطاط فى ٢٨ ذى الحجة سنة ١١٤١ هـ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية ، س ١٧٥ ق ١٨٦ ص ٦٦ مرسوم بتاريخ عام ١١٤٦ هـ .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعزية ، س ٥٩٠ ق ٣ ص ١ .

الولاية المحلية لقضاة الاخطاط : (١)

ولقد وزعت المحاكم في القاهرة توزيعا عادلا من الناحية الجغرافية ، فأدى ذلك الى سهولة إجراءات التقاضى وكثرة لجوء الناس إلى المحاكم فى أخص وأدق أمورهم اليومية لقربها منهم (٢) .

[١] يقصد بالأختصاص المحلى : تقضى تقريب القضاء للمواطنين أن تتعدد المحاكم على أرض الدولة ويؤدى تعدد المحاكم التى تتكون من طبقة واحدة إلى ضرورة توزيع الاختصاص بينها على أساس إقليمي أو جغرافى أو مكانى . انظر د / عزمى عبد الفتاح . قانون القضاء المدنى المصرى . الكتاب الأول دار النهضة العربية القاهرة ١٩٩٣ س ٣٧٧ .

[٢] وجد فى القاهرة فى العصر العثمانى خمسة عشر محكمة وزعت على انحاءها توزيعا عادلا كما يظهر من هذا الجدول :

م	اسم المحكمة	مقر الشركة	الموقع الجغرافى
١	محكمة الباب العالى	فى مقعد مامائى ازبك السيفى	بالنحاسين التابع لقسم الجمالية فى الوقت الحاضر
٢	محكمة القسمة العسكرية	فى المدرسة الظاهرية	من جملة خط بين القصرين
٣	محكمة القسمة العربية	فى المدرسة الكاملية	بخط بين القصرين
٤	محكمة طولون	فى مسجد أحمد بن طولون	فى جبل يشكر العسكرية
٥	محكمة جامع الحاكم	فى جامع الحاكم بأمر الله	فى خارج باب الفتوح
٦	محكمة مصر القديمة	فى جامع الناصرى الجديد	فى شاطئ النيل بساحل مصر الجديدة
٧	محكمة باب سعادة والخرق	محل اصبح الان ميدان باب الخلق	ميدان باب الخلق فى الوقت الحاضر
٨	محكمة جامع الصالح	فى جامع الصالح طلائع بن رزيك	خارج باب زويلة
٩	محكمة باب الشعرية	فى جامع المحكمة بخط باب الشعرية	فى ميدان باب الشعرية فى الوقت الحاضر
١٠	محكمة قناطر السبع	فى جامع برد بك الاشرفى	
١١	المحكمة البرمشية	فى جامع تغرى برمش	
١٢	محكمة بولاق	فى مسجد القاضى يحيى بن زين الدين	عند قنطرة الموسيقى
١٣	محكمة قوصون	فى جامع الامير قوصون	فى الشارع خارج باب زويلة
١٤	محكمة الصالحية النجمية	مدرسة الصالح نجم الدين ايوب	من جملة القصر الكبير الشرقى بخط بين القصرين
١٥	محكمة الزاهد	فى جامع أحمد الزاهد	بخط المقس خارج القاهرة

ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال عن الولاية المحلية لهذه المحاكم وهل كانت كل محكمة خاصة بالحي التي توجد فيه ؟

إن الأوامر الصادرة من قاضى عسكر إلى قضاة الأخطاط تؤكد وجود الاختصاص المحلى لأعمال المحاكم وعدم الكتابة من حي إلى حي وتلزم الكتاب فى المحكمة بالألا يمضوا أو يختموا المواد الشرعية من محكمة غير التي يعملون بها^(١) وتتعهد الكاتب الذى يفعل ذلك بالطرد وتوقيع العقاب عليه وأن لا أحد من كتبة المحاكم يتعاطى كتابه من حي إلى حي وأنه إذا وردت على أى ريس كان بمحكمة من المحاكم حجة من كاتب من غير كتبه محكمته الجالس بها فلا يمضها ويردها له^(٢) . وزيادة فى التأكد منع القضاة من إمضاء الإشهادات من خارج محاكمهم وكل نايب سمع شهادة شاهدين من غير شهود مجلسه بقضية ما وأمضى له حجة بغير خط شهود محكمته وشاداتهم كان معزولاً^(٣) .

وعلى الرغم من هذه الأوامر إلا انها من الناحية الفعلية لم تنقذ تماماً فقد كانت محاكم أخطاط القاهرة تنظر وتوثق القضايا التي ترد إليها والتصرفات المختلفة ممن يلجأ إليهم ضاربين عرض الحائط بالأوامر السابقة بغض النظر عن أماكن إقامة المتداعين وبذلك نجد أنه لم يكن لمحل إقامة المتقاضين اثر فى تحديد أى المحاكم تختص بالفصل والتوثيق فيظهر من الوثائق العديد من الأمثلة على صحة ما نقول ، ففي محكمة الصالحية النجمية " استأجر الحاج أحمد المعروف بمجلس الوكالة الكاينة ببولاق القاهرة بحارة المقدم طعيمة بخط المواز "^(٤) وفيها أيضاً " حضر إلى المجلس الشرعى المشار إليه المكرم الأستى محمد الخياط بوكالة

[١] الشهر العقارى - سجلات محكمة الباب العالى - س ٣٠٧ ص ٣ - وسجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٩ ق ١٧ ص ٤ ، جامع الحاكم س ٥٧٦ الغلاف .

[٢] الشهر العقارى - سجلات محكمة بولاق - س ٧٣ ص ٢ - سجلات محكمة الباب العالى - س ٣٠٧ ص ٣ .

[٣] الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية - س ٤٩٢ ق ٤٥١ ص ١ - سجلات محكمة بولاق . س ٨٠ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى - سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٤٥٣ ق ٤٥١ ص ١٥٤ .

الخياطين بالغورية " (١) وكذلك " أقر محمد بن يحيى الشهير بابن الترجمانى
الدمياطى الحلوانى القاطن ببولاق إقراراً شرعياً " (٢) وبها أيضاً
"أشترت الحرمة فاطمة بنت أحمد كوسه من بايعها شقيقها الأمثل محمد
المدعو السفراوى الحلاق ببولاق جميع الحصة من كامل الكاين ببولاق
بحارة النقلي " (٣) .

ولم يكن الأمر قاصراً على أهالى القاهرة بل كان يلجأ إليها الكثير من سكان
الأقاليم مثل " لدى الحنفى أشهد على نفسه الشيخ منصور الرفاعى من أهالى
ناحية منية حسان بولاية الشرقية " (٤) " وأشهد على نفسه شيخ العرب هيكى بن
بدلان شيخ ناحية كفر جمرة بالقليوبية " (٥) وكذلك " أشهد على نفسه الحاج منصور
بن المرحوم نصار شيخ ناحية سندیون بولاية القليوبية " (٦) بذلك نجد أن القضاة
ينظرون ما يعرض عليهم من قضايا أفراد خارج دائرة محاكمهم ويتلأشى بذلك ما يعرف
بالاختصاص المحلى للمحاكم فى هذه الآونة رغم قرارات قاضى عسكر التى تلزم بذلك .

الاختصاصات القضائية لقضاة الأخطاط :

اختص قضاة الأخطاط بالنظر فى القضايا التى تخرج عن الاختصاص
النوعى لقاضى عسكر والقسام العسكرى وكذلك القسام العربى وهى بذلك الزواج
والبيع والشراء .

-
- [١] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية . س ٥٢٦ ق ٣٥ ص ٢٠ .
[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية . س ٤٥٣ ق ٣ ص ١ .
[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية . س ٥٢٦ ق ٦٥ ص ٣٧ .
[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة الزاهد . س ٦٨٠ ق ٢١٦ ص ٧٧٨ .
[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ١٧٨٩ ص ٧٢٣ .
[٦] الشهر العقارى : سجلات محكمة الحاكم . س ٥٧٣ ق ١٧٩٠ ص ٧٢٣ . البرمشية . س ٥٧٠ ق ٢٠٠ ص ٤٢٦ .
الصالح س ٣٢٧ ق ٤٨ ص ١٤ ، س ٣٢٧ ق ٤١ ص ١٢ .

ولكن كان من حق قضاة الأخطاط أن ينظروا فى الأمور الخاصة بقاضى
عسكر بعد استئذانه أو فى حالة توجيهها إليهم من قاضى عسكر نفسه مثل " لدى
سيدنا الحاكم الحنفى بعد الأذن الكريم من حضرة سيدنا أعظم قضاة الإسلام ...
الناظر فى الأحكام الشرعية بالديار المصرية لنايبة المشار إليه فى فعل ما سيذكر
فيه وامتثل النايب أمر مستنبيه المشار إليه " (١)

وفى حالة الدعوى على أحد سكان الحى الموجود به المحكمة فى الديوان
كان الباشا يرسل بيور لدى إلى قاضى الحى ومحافظ الأمن فيه إلى منزل
المدعى عليه والختم عليه وضبط وتسمير الأبواب إلى حين حضوره والدعوى
عليه بالديوان " (٢)

ويعطى قاضى العسكر إلى قضاة الأخطاط فى القاهرة الأوامر بتنظيم
أعمالهم . فقد أرسل إليهم فى ١٦ ربيع الآخر ١١٢١ - يونيه ١٧٠٩م "
بعدم تعاطى عقد الأنكحة إلا بعد التأمل والإحتياط الكلى والنظر فى الكفاءة
والولاء ومهر المثل عند عقد الصغيرة وتوفير الشروط الشرعية والتحذير من
الخلل بها " (٣)

كما أمر قاضى العسكر قضاة الأخطاط " بعدم كتابة التواجر فى الأبنية إلا
بعد الكشف بمعرفة الشرع الشريف وثبوت تخرب العين التى يصدر فيها التواجر " (٤)
ومع أن السلطة التى يتمتع بها البعض كانت تضعهم فوق القانون إلا أن
تحليل القضايا يبين أن المحكمة كثيراً ما تحكم لصالح الضعيف أو الشخص العادى

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة الزاهد . س ٦٦٢ ق ٩٧ ص ١٣٣ . قناطر السباع . س ١٢٢ ق ٨٦٣ ص ٢٣٩
ق ٨٦٥ ص ٢٤٠ . الصالحية النجمية . س ٤٨٨ ق ٢ ص ١ . ق ٢٤٢ ص ١٠٣ ، س ٤٧٨ ق ٤١ ص ٧ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٣٨ صفحة الغلاف .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣١ ق ٥ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٧٣ ص ٢ .

ضد الأمير أو لصالح امرأة ضد زوجها ، وكان ذلك بالأخص الدافع للأشخاص العاديين للجوء إلى المحاكم في كثير من الأحوال بلا تردد (١) .

ويلاحظ أن اختصاصات القضاة كانت منظمة منذ بداية العصر العثماني وكان لكل قاضى اختصاصات خاصة به مثل القسام العسكرى والقسام العربى وقاضى العسكر ، حيث كان قضاة الأخطاء يستثنون من قاضى العسكر فى نظر القضايا التى كانت خاصة به مثل الحكم على الغائب والاستبدال وغيره (٢) .

وهناك قرارات يصدرها قاضى عسكر إلى قضاة الأخطاء بعدم النظر فى بعض التصرفات الخاصة عندما يكون هناك نزاعات - وهى مثل القرارات التحفظية فى الوقت الحالى - مثل عدم بيع مكان كاين بالجامع الأزهر لأن عليه نزاع (٣) وعدم كتابة المبايعه الخاصة بحانوت فى خان الخليلى والمكان بحارة برجوان تعلق ورثة الحاج على لاشين لحدوث نزاع بين الورثة (٤) وعدم كتابة التواجر فى المكان المعروف بالبنوفرى الكاين بالدويدار بخط الأزهر (٥) وعدم كتابة الإجارة المتعلقة بالأمير محمد بن بغداد (٦) وكان هذا الايقاف حتى يتم فصل النزاع فى هذه القضايا .

[١] د. نبيلى حنا : بيوت القاهرة فى القرنين السابع والثامن عشر . ترجمة بشير طوسون . مكتبة العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٣ . ص ٣٩ .

[٢] تذكر بعض الدراسات أنه كان مباحاً لمحاكم الأخطاء فى القاهرة أن تتناول كافة أنواع القضايا التى كانت خاصة بقاضى العسكر وذلك قبل عام ١١١٥هـ ١٧٠٣م ولكننا نجد أن ذلك مخالف لما جاء بالوثائق حيث وجدت العديد من الأوامر التى صدرت قبل هذا التاريخ بكثير فيعود بعضها إلى ٩٨٨هـ ١٥٨٠م (مثل الأمر الوارد فى سجلات محكمة مصر القديمة س ٩٤ ق ١١٢ ص ٢٣٠ المؤرخ بعام ٩٨٨هـ) وربما يعود السبب فى قلة هذه الأوامر فى هذه الآونة أن الدولة كانت فى أوج قوتها وتنظيمها ولم يكن هناك تعد من قبل القضاة على اختصاصات غيرهم ، وبدأت هذه الأوامر تزداد منذ بداية القرن السابع عشر مما استلزم صدور التحذيرات من الاعتداء على هذه الاختصاصات .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة قناطر السباع . س ١٤٢ ص ١ .

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣ ق ١٦ ص ٤ .

[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥١ ق ٢ ص ١ فى الغلاف .

[٦] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية س ٥٩٦ صفحة الغلاف .

أما عن كيفية سير العمل فى محاكم الأخطاط فقد كانت القضايا تمضى وتختتم كل ثلاثة أيام من قاضى عسكر (١) وإذا تأخرت عن ذلك لا تمضى ولا تقيد قضية بتاريخين (٢) وكانت هذه التمسكات الشرعية تدفع إلى باشكاتب التقارير ليمضيها من قاضى عسكر (٣) وكانت سجلات محاكم الأخطاط تخضع للتفتيش من قبل موظف خاص تابع لقاضى عسكر حتى يتأكد من خلوها من القضايا الممنوع تعاطيهم إياها (٤) وكان من حق قاضى عسكر أن يطلب إحضار هذه السجلات له فى أى وقت (٥) وتحفظ هذه السجلات فى الخزانة الخاصة بالباب العالى تحت مسئولية موظف خاص بقيد وحفظ السجلات حتى يسهل استخراجها بسهولة (٦) .

وتقابلنا فى سجلات محكمة الباب العالى قضايا صادرة عن محاكم الأخطاط ولكنها مقيدة بهذه السجلات وتفسير ذلك أن سجلات محكمة الباب العالى أكثر حفظاً ونظاماً وأضبط من محاكم الأخطاط وبعيدة عن التلاعب فيها (٧) .

ومن حق الناس استخراج صور من المستندات الخاصة بقضاياهم حتى تكون مستنداً فى أيديهم وعندما تتعرض بعض هذه السجلات للحرق مثلما حدث فى سجل الصالحية النجمية عام ١١٥٩ هـ ١٧٤٦ م فصدر أمر من قاضى العسكر بأن من يأتى من الناس لطلب حجة كانت مقيدة بالسجل المحروق فإن باشكاتب المحكمة يأتى بها الباب العالى ويعرضها على النائب ويعمل الصلح عليها وتقيد بهذا السجل (٨) .

وبحكم رئاسة قاضى العسكر كان يرسل إلى قضاة الأخطاط يوصيهم بالرفق بالرعية ورحمة الفقراء وعدم الالتفات إلى العرض الفانى والمشى بالإنصاف وعدم

[١] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٦٣٩ ق ١٦ ص ٤ .

[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥١٩ ص ١ من الغلاف .

[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية النجمية . س ٥٣٤ ق ٧٦ ص ٤٠ . ق ٤٣٥ ص ٢٠٤ ، س ٥٣٧ ق ٢ ص ١

[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ١٦٧ مكرر ق ١٦٤ ص ٥٠ .

[٥] د . نيللى حنا : مرجع سابق . ص ٣٦ .

[٦] الشهر العقارى : سجلات مصر القديمة . س ١٠٥ ق ١٤٩٣ ص ٤٨٠ .

[٧] الشهر العقارى : سجلات محكمة الباب العالى . س ١٢٣ ق ٢١ ص ٤٤٤ .

[٨] الشهر العقارى ، سجلات محكمة الصالحية النجمية س ٥٢٠ ص ١ .

الإجحاف واجتناب ما فيه الضرر على الناس (١) فإن المقصد والغاية هو النظر في مصالح المسلمين وأمور الرعايا على الوجه القويم والنهج المستقيم مع غاية الشفقة عليهم والنظر بعين الرحمة والرأفة إليهم (٢) كما يطلب منهم إجراء الشرع على النهج المستقيم والنظر في أمور الرعية والتحري في القضايا الدينية وملاطفة الفقراء فإن المقصد النهائي هو الرفق بالمسلمين استجلاباً لمصالح دعواتهم (٣).

يتضح من هذا مدى حرص قاضى العسكر بصفته رئيس الهيئة القضائية فى القاهرة آنذاك، على الرفق بأمور المتقاضين وعدم الإجحاف بهم. وانطلاقاً من هذا الحرص على مصالح الناس وسهولة إجراءات التقاضى كان قاضى عسكر يوقع العقاب على أى مخطئ من العاملين بهذه المحاكم إذا ماشكا من الناس (٤) وكذا كان يحذر من الحيل التى يلجأ إليها بعض المتقاضين مثلاً يحدث عندما تكون لخصمين دعوى شرعية بديون ومعاملات ونحو ذلك فيبادر أحدهما ويدعى على الآخر بما يوجب التغريم أو نحوه دفعا للخصومة المالية لذا صدر الأمر بالأمر بالآلا ينظر إلى الدعاوى الموجبة للتعزير قبل تمام الدعوى المالية وبعد ذلك ينظر فى الدعوى الموجبة للتعزير (٥).

وعندما شكا الناس من الشهود لأنهم يكتبون القضايا بالسجلات ولا يكتبون رسم شهادتهم أدناها وفى هذا ضياع لأموال المسلمين عندما يقع التنازع فيها مرة أخرى فلا يجدون شاهداً يشهد بها ، لذا فقد أمر قاضى العسكر بعدم حدوث ذلك بل تهديده النواب بالعزل فى مثل هذه الحالات (٦).

-
- [١] الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٣٦ الصفحة الأخيرة .
[٢] الشهر العقارى : سجلات محكمة البرمشية . س ٧١٠ ص ١ .
[٣] الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ٣٦ الصفحة الأخيرة . قناطر السباع ، س ١٢٢ ص ١٦٤٥ ص ٤٧٩ .
[٤] الشهر العقارى : سجلات محكمة بولاق . س ١٧٨٠ ص ٥٦٦ .
[٥] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩٦ ص ١ .
[٦] الشهر العقارى : سجلات محكمة باب الشعرية . س ٥٩٧ ص ٤٨٨ .

وبذلك فقد كان قضاء محاكم القاهرة يخضعون لمراقبة شديدة هم والعاملين معهم من شهود وكتاب من قاضى العسكر بغية تسهيل إجراءات التقاضى وكان لهذا وقع على الناس الذين كانوا يلجأون إليها فيجدون فيها بغيتهم وهذا ما يفسر لنا أن الناس كانوا يلجأون إلى القضاء فى أدق الأمور اليومية .

كذلك دفعت المراقبة الشديدة من قاضى العسكر لقضاة الأخطاء إلى نزاهة القضاء فى هذه الآونة فلم يكن هناك أحد فوق قانون الشريعة الذى يحكم به ، ولم تكن مناصب المتقاضين ذات أثر على طبيعة الحكم فكثيراً ما حكم لصالح فرد من الرعية ضد آخر من الطبقة الحاكمة .

ولم يكن قضاء الأخطاء يحصلون على نسبة أعلى مما حدد لهم من رسوم على القضايا المختلفة والتي حددت بمراسيم من قاضى العسكر .

كان قضاء الأخطاء فى معظم فترات الحكم العثمانى ولاسيما فى القرنين السابع عشر والثامن عشر - من العلماء المصريين بعد أن قل ورود القضاء من إستانبول ولهذا كان القضاء من خريجي الجامع الأزهر ، بد أن كانوا فى بداية الفتح من الأتراك .

الاختصاصات القضائية للبasha العثمانى:

كان القضاء منذ صدر الإسلام جزءاً من الولاية العامة للخليفة وكان من حق صاحب هذه الولاية أن يخص القاضى ببعض أنواع القضايا دون غيرها ، ولذا فإن عمر بن الخطاب حينما فصل القضاء عن الولاية جعل القضاء قاصراً على فصل الخصومات المالية ، أما الجنايات وما يتعلق منها بالقصاص أو بالحدود فإنها بقيت فى أيد الخلفاء وولاية الأمصار (١) .

[١] عبد الرحمن القاسم : النظام القضائى الإسلامى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٧٣ س ٤٥ .

وفى مصر فى العهد العثمانى كان الباشا يجلس فى الديوان وبجانبه قاضى العسكر للنظر فى الخصومات التى تعرض عليه وكان هذا امتداداً لاختصاصه القضائى فى النظر فى الأموال والدماء ، وكذلك امتداداً للتقليد العثمانى الذى كان يجعل السلطان ثم من بعده الصدر الأعظم يجلس فى الديوان للمحاكمات بين الناس وبجانبه أحد قضاة العسكر ، ويعتبر هذا التقليد فى حقيقته امتداداً لقضاء المظالم فى العهد الإسلامى .

ومنذ بداية العصر العثمانى وفى عهد الحاكم الأول خاير بك كان يجلس للمحاكمات "ويجهر النداء فى القاهرة بأن كل من ظلم أو قهر عليه بباب ملك الأمراء"^(١) وكان هذا قبل صدور قانون نامة مصر الذى صدر بعد ذلك فى عصر السلطان سليمان والذى قنن حكم الباشا فى أمور خاصة لا يتعداها مثل الدماء والخراج كالتقليد الإسلامى تماماً .

فعلى الرغم من أن قانون نامة " منع الوالى من فصل الخصومات ما لم يكن ذلك بمعرفة القاضى وألا يقدم على تنفيذ عمل دون علم القاضى ومن يصر على مخالفة ذلك بعد هذا التنبيه يعزل "^(٢) .

ولكن قانون نامه أعطاه الحق فى معاقبة ناظر الأموال فى حالة اختلاسه الأموال السلطانية^(٣) وفى حالة التقصير من جانب الكشاف فى الأموال السلطانية أو عدم تجهيز الأرض للزراعة أو خراب القرى من أثر الظلم يعطيه القانون الحق فى الحكم عليه بأشد العقوبات وهى الإعدام^(٤) وهذا يدلنا على أن قانون نامه أعطى

[١] ابن إياس : مصدر سابق ح ٥ ص ٢٤٢ وعن محاكمات ملك الأمراء انظر نفس الجزء ص ٢٥٥ ، ٢٤٥ ،

٢٩٠ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٩٠ ، ٣٠٤ ، ٤٧٨ .

[٢] قانون نامة ص ٤٢ .

[٣] قانون نامة ص ٤٢ .

[٤] نفسه - ص ٣٠ .

صلاحيات قضائية للبasha فى أمر الخراج ، بل أنه أعطاه الحق فى معاقبة المذنب بأشد العقوبات " الإعدام " .

ووجد من الباشوات من عرف بتفحصه للأمور ومراجعتة للاخصام المرات العديدة . ففى عهد أحمد باشا الدفتردار (ربيع الثانى ١٠٢٤ / صفر ١٠٢٧ - مايو ١٦١٥ / يناير ١٦١٩ م) كان يفحص فى الأمور ويرجع الخصم المرات العديدة فإذا رأى ثباته حكم بما يراه من الحق . وكان يجلس فى أيام الديوان الكبير إلى ما بعد الظهر ومع ذلك يعمل ديوان العصر فى مقعد قايتباى ويقف أصحاب الشكاوى أمامه فى آخر الديوان وكل منهم قصته فى يده وأمامه شطر من الجاوشية بعرض الديوان ويطلقونهم واحد بعد واحد . فيتفق كثيراً أذان المغرب قبل فراغ الناس فيأمر بإنصرافهم وفى غد يحضرون (١) ومما حمد به هذا الوزير أنه كان يجرى الأحكام على مقتضى الشريعة . ويعطى لكل صاحب حق حقه حتى ولو كان خصمه أحد كبار الصناجق (٢) .

ومن الباشوات من كان ضعيف العلم بالشرع مما يؤدى إلى وقوع اخطاء فى محاكماتهم من ذلك ما حدث فى عهد داود باشا الخادم (١٧ محرم ٩٤٥ / ربيع الأول ٩٥٦ هـ - ١٦ يونيه ١٥٣٨ / ابريل ١٥٤٩ م) فقد حدث أن قتل صبى امرء من أولاد المتعممين وكان يتيم الأب رجلاً فقتله ، فمسكه أهل المقتول واعرضوه على الباشا فلما رآه شفق عليه لأجل والدته فارضى الورثة بثلاثماية دينار دية المقتول ، ثم أن الوزير قال للغلام هل تحفظ القرآن فقال الغلام نعم فقال اقرأ ما تيسر ، فأستفتح الغلام بقوله تعالى " يا داود أنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق " فقال الوزير صدق الله العظيم وأمر بقتل الغلام ، فقتلوه . وهذا خطأ شرعى بعد رضى الورثة بعدم القتل (٣) .

[١] محمد بن أبى السرور البكرى ، مصدر سابق . ص ٢٧ .

[٢] أحمد شلبى عبد الغنى ، مصدر سابق . ص ١٣٥ .

[٣] أحمد شلبى عبد الغنى ، مصدر سابق . ص ١١٠ .

كما يظهر أن بعض الباشوات كان يلجأ قبل اتخاذ الحكم إلى أخذ حجة على المتهم بما فعله أمام القاضي ثم يصدر هو الحكم . وعلى ذلك يكون القاضي هنا هو أداة التحقيق والباشا هو سلطة تنفيذ الأحكام وإصدارها (١) .

واشتهر بعض الباشوات بالتعصب فى أحكامهم وعدم التحرى عن القضايا المختلفة والقسوة فى إصدار الأحكام ، مثل محمود باشا (شوال ٩٧٣هـ - جمادى الأول ٩٧٥هـ / إبريل ١٥٦٦ - نوفمبر ١٥٦٧) فيذكر عنه " أن أراق دماء كثيرة بحيث إذا وصل إليه الصوباشى فى الديوان وعرض عليه من معه من المتهمين يشير إليه بمروحة فى يده أما إلى الصلب أو التوسيط أو رمى الرقبة وغير ذلك من أنواع العذاب والقتل بإشارات خاصة من غير أن يتكلم بلسانه " (٢) .

كما كان بعض الباشوات يصدرون حجج بأحكامهم ، وأخذ بعضهم أفتاحيات خاصة بهم فى بداية الحجة مثل سليم باشا الخادم ، فقد كان يأمر كتبة المراسيم بأن يكتبوا على الأحكام " إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تفلحون ، يا عباد الله أجتهدوا فى دين الله واعلموا بشرىة الله " (٣) .

ونتيجة لأن معظم الحكام العثمانيين على مصر كانوا ينتمون لطبقة القبوقولارى كانت تحدث خلافات بينهم وبين العلماء المصريين وذلك لعدم جواز

[١] محمد بن عبد المعطى الأسحاقى ، أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، المطبعة العثمانية ، القاهرة ١٣٠٤هـ - ص ١٧٢ .

- أحمد شلبى عبد الغنى ، مصدر سابق ، ص ١٣٥ .

- محمد بن أبى السرور البكرى ، المنح الرحمانية فى تاريخ الدولة العثمانية - مخطوط بدار الكتب المصرية . رقم ٥٤٢٤ تاريخ . ورقة ١٥٦ .

[٢] محمد بن أبى السرور البكرى ، النزهة الزهية فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية ، تحقيق عبدالرازق عيسى ، مكتبة العربى ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

[٣] محمد بن أبى السرور البكرى ، المنح الرحمانية مصدر سابق ، ورقة ١٠٤ .

أصدار الرقيق الأحكام . من ذلك ما حدث من خلاف بين الشيخ ابن عبد الحق وبين داود باشا في عام ٩٥٠هـ - ١٥٤٣م "فقد اتهم الشيخ الباشا بأنه لا يجوز له إصدار الأحكام لأنه رقيق (١) .

وعندما أرسل الباشا إلى السلطان أرسل إليه السلطان أعتقه . وأوصاه بالرعية وأن يعدل في الأحكام ولا يقتل إلا بعد التأكد من اقتراف الذنب (٢) .

وكنتيجة لتداخل الاختصاصات القضائية بين الباشا وقاضى العسكر كانت تحدث الخلافات بينهما من ذلك ما حدث بين قاضى القضاة قاسم الكردى أفندى وبين الباشا من خلاف حول سجن أحد الجند فقال الباشا للقاضى حكمك فى الطلاق والزواج والأرث أما الدماء والخراج فمن حق الباشا (٣) .

وبهذا يتأكد لنا أن الاختصاصات الجنائية كانت هى والنزاع فى أموال الخراج من اختصاص الباشا طبقاً لحدود الولاية العامة التى يتمتع بها بحكم نيابته عن السلطان العثمانى بوصفه سلطان المسلمين ، ولقد قابلنا فى الوثائق جرائم قتل وكانت سلطة القاضى فيها قاصرة على التحقيق فقط ، أما سلطة إصدار الأحكام فقد كانت مخولة للباشا وأمتد هذا بالتالى إلى حكام الكاشفيات فى مصر .

[١] أحمد بن سعد الدين الانصارى : ذخيرة الأعلام بتواريخ الخلف الاعلام وأمراء مصر الحكام وقضاتها فى الأحكام من فتحها الإسلامى العمرى إلى زمن النازم (١٠٥٠هـ) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤ ورقة ١٥١ . تحت التحقيق الان بواسطة عبد الرازق عيسى .

[٢] نفسه - ص ١٥٢ .

[٣] نفسه - ص ١٩٧ .

فعندما " تقدمت السيدة الشريفة مكية زوجة السيد الشريف أحمد بن عطا الله وأنهت أن مرقوق زوجها بلال الأسود وضع السم لسيدة في الطعام فمات من أثر ذلك وأعترف بلال المذكور بذلك طائعاً مختاراً من غير إكراه ولا اجبار . وذلك لأنه زوجه بجارية له وكان يطأها بعد زواج بلال منها . فعند ذلك سلم العبد بلال إلى الأمير على كتحدا ليخرج من حقه بالسياسة ليرتدع أمثاله " (١) .

ولكن في القرن الثامن عشر وإزاء الضعف في كل النظم العامة بسبب تعدى السلطة العسكرية اتسعت سلطاتهم باستمرار بشكل ضار ، فقد كان القادة العسكريون وضباط البوليس وأحياناً صغار الموظفين يأمرؤن بتوقيع العقوبات وحكم الأعدام دون أى محاكمة ولو صورية ، ولم تكن توجه إليهم أى مساءلة في أعمالهم في الأغلبية العظمى من القضايا (٢)

وفي القرن الثامن عشر ونتيجة لزوال السلطة الفعلية للباشا وبزوغ سلطة الأمراء المماليك الذين بدأوا يحلون محل الباشا في المحاكمات الخاصة . فقد كانوا يعقدون مجالس للحكم في قصورهم وكان ذلك مرتبطاً بمكانتهم العالية وفدراتهم على استخلاص الحقوق تبعاً لمكانتهم السياسية .

من هؤلاء " عثمان بك ذو الفقار " والذي يذكر عنه أنه انتهت إليه الرياسة وشمخ على أمراء مصر ، ونفذ أحكامه عليهم قهراً عنهم وعمل في بيته دواوين لحكومات العامة وإنصاف المظلوم من الظالم ، وجعل لحكومات النساء ديواناً خاصاً ولا يجرى أحكامه إلا على مقتضى الشريعة ولا يقبل الرشوة ويعاقب عليها (٣) .

[١] دار الوثائق ، سجلات محكمة دمياط . س ٥٧ ق ١٦٤ ص ٨٧ ، س ٥٩ ق ٩٨ ص ٥٠ .

[٢] هاملتون جب وهارولد بووين ، مرجع سابق ج ١ ص ٢٤٨ .

[٣] الجبرتي ، مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٤ .

ومن هؤلاء أيضاً إسماعيل بك بن ايواظ " وكان يحضر إليه اناس حتى من الأقاليم وكان يقوم بالتحقيق فى الشكاوى التى تقدم إليه (١) .

وهذا النوع من المحاكمات هو النتيجة الحتمية لازدياد سلطة الأمراء المماليك على حساب السلطة الشرعية للباشا التى ضعفت بحيث لم تعد قراراته ملزمة للأمراء والجند ، وحكم الأمراء هذا كان سائداً فى الدولة المملوكية من قبل .

كذلك يتأكد لنا أن الباشا العثمانى فى مصر تمتع بسلطات قضائية فى الأمور الخاصة بالخراج والدماء ، وهذا إمتداداً للتقليد الإسلامى . كما نخلص من ذلك أن الحكم العثمانى لم يخالف القواعد التى وضعها الفقهاء فى أصول التقاضى وحدود الولاية الخاصة والولاية العامة .

انحسار الولاية القضائية للقضاة :

يتضح من المصادر المعاصرة للحقبة العثمانية فى مصر أن السلطة القضائية للقضاة لم تكن ممتدة على جميع فئات السكان فى مصر . وأدى هذا بالتالى إلى وجود فئات تخضع قضائياً لسلطة أخرى غير قضاة الشرع مثل رؤوسائهم ، بل فى حالات الأجانب إلى قوانينهم الخاصة وترتب على ذلك خرق لمبدأ إقليمية الشريعة الإسلامية وإنحسارها . وهذه الفئات هى :

أ- الأشراف . ب- الإنكشارية .

ج- أهل الذمة . د- الأجانب .

[١] نفسه ونفس الجزء ، ص ١٥٩ .

(١) الأشراف :

والأشراف هم الذين ينتمون لآل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وكانوا يتجمعون فى نقابة خاصة بهم ، وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوى الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم فى النسب ولا يساويهم فى الشرف ليكون عليهم أحنى وأمره فيهم أمضى (١) والنقابة على ضربين : خاصة وعامة ، فأما الخاصة : فهى أن يقتصر بنظره على مجرد النقابة من غير تجاوز لها إلى الحكم ، وإقامة حد ، فلا يكون العلم معتبراً فى شروطها ، أما فى الولاية العامة فمن حقه أن يقوم بالحكم فيما تنازعوا فيه والولاية على أيتامهم وإقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوا وتزويج الأيامى وإيقاع الحجر على من سفه منهم وفكه إذا أفاق ورشد ولا بد فى ولايته هذه أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد ليصح حكمه وينفذ قضاؤه (٢) .

وفى هذه الحالة يجوز للقاضى والنقيب الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه وفى تزويج أياماهم ، ولم يكن لأحدهما نقض حكم الآخر وإن اختلف متنازعان فدعا أحدهما إلى حكم النقيب ودعا الآخر إلى حكم القاضى فيكون الداعى إلى حكم النقيب أولى بخصوص ولايته (٣) .

ولقد منح العثمانيون للأشراف إمتيازات شخصية أو فردية أكثر منها كتمتعهم بعدم الخضوع للعقاب الشديد كما كانت لهم محاكمهم الخاصة وكان نقيب الأشراف يعين من قبل السلطان مباشرة ويرأس الهيئة القضائية الخاصة بالأشراف كما كانت له سلطة مطلقة لى هؤلاء الأشراف (٤) .

[١] على بن حبيب البصرى الماوردى : مصدر سابق ص ٨٥ .

[٢] أبى يعلى الفراء : الأحكام السلطانية ، مطبعة السيد مصطفى الحلبي - القاهرة ١٣٥١ هـ ص ٧٦ .

[٣] الماوردى : مصدر سابق ، ص ٨٧ : ان يعلى الفراء : مصدر سابق ص ٧٦ .

[٤] د/ محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق العربى ، الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٨٦ ص ٩٩ - انظر كذلك

جب / بووين - مرجع سابق ص ١٨٤ .

وكان نقيب الأشراف فى إستانبول يتمتع بسلطة على كل نقباء الأقاليم وهو الذى يعينهم (١) وانتظم الأشراف فى مجموعات قوية ولكن فى نفس الوقت ضعيفة التنظيم . وتمتع الأشراف عموماً بالانتفاع بالامتيازات التى منحها العثمانيون لهم احتراماً لأسرة النبى وأيضاً لتثبيت مراكز العثمانيين أنفسهم باعتبارهم من أنصار السنة وخول نقيب الأشراف سلطات قضائية (٢) .

ويعد نقيب الأشراف فى مصر من كبار مصر ومن أصحاب الكلام ، وحكمه ماشى على الأشراف وكل من وقع منه ذنب يقاصه بقدر ذنبه وله بلاد أعطاها له السلطان ومكنه فيها لأجل معاشته وإعانتته على ذلك (٣) .

وفى حين كانت ولاية نقيب الأشراف فى مصر عامة يعين نقيب الأقاليم نقابة خاصة وعلى ذلك فلم يكن يحق لهم القضاء بين الأشراف فى الأقاليم وإن كان من حقهم إقامة الحدود والتعزير ، فيذكر فى قرار تعيينه " ليتقيد بأمر السادة الأشراف وينظر فى مصالحهم ومهماتهم وإذنه ما يراه من حبس وإقامة حدود وتعزير بموجب الشرع الشريف خلا ما يتعلق بأمر ثبوت الأنساب كسماع الدعاوى وإقامة البينة ... فإنه لم يؤذن له فى ذلك لكون أن المتصرف فيه مختص بحضرة نقيب أفندى المومى إليه ولم يفوض الأمر فى ذلك لأحد قط " (٤) .

(ب) الإنكشارية :

أعتبرت فرقة الإنكشارية أهم الفرق العسكرية فى مصر وهى المناط بها حفظ القلعة كذا اطلق عليها فرقة مستحفظان . وانيط برجا لها حفظ الأمن فى القاهرة .

[١] جب ، وبوين : ومرجع سابق ١ ص ١٨٥ .

[٢] أندرية ريمون : المدن العربية الكبرى فى العصر العثمانى ، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات والتوزيع - القاهرة ١٩٩١ . ص ٦٧ .

[٣] حسين أفندى الروزنامجى : مصدر سابق . ص ٢٥ .

[٤] دار الوثائق : سجلات محكمة البحيرة س ٢٧ ق ٤٦ ص ٢١ ، ق ٤٦٨ ص ٢٦٢ ، س ٢٩ ق ٣٢ ص ١٤ . سجلات محكمة دمياط الشرعية س ١٦٠ ق ٣٦٦ ص ٣١٢ .

ولقد خصت الدولة الطوائف الإنكشارية بعدة امتيازات منها منعهم حصانة تمنع القبض عليهم أو قيام السلطات المدنية بتوقيع العقاب عليهم . وكان ضباط الإنكشارية دون سواهم يقومون بتنفيذ العقوبات التي يحكم بها عليهم . كانت العقوبات تتفاوت بين الجلد والسجن والإعدام (١) .

وعندما يقبض على إنكشارى فى أحد القضايا يقول أنا إنكشارى فيطلق سراحه . ولقد أدى دخول العسكريين من هذه الفرق إلى الطوائف الحرفية إلى تعقد إجراءات العقوبة فبالرغم من أنهم كانوا جنوداً بالاسم فقط إلا أنه عندما يمثل أحدهم أمام القاضى فى المحكمة متهماً ببعض الاتهامات فإن القاضى كان مضطر لتسليمه إلى ضباطه فى فرقته الأصلية وكانت العقوبة غالباً للمذنبين هى الضرب ، فكان المذنب يجلد على الفور أمام حانوت وذلك فى الذنوب البسيطة أما بالنسبة للذنوب الكبيرة والتي تكرر وقوعها من العضوفقد كان العقاب هو السجن مع الأشغال اليدوية أو بدونها لمدة شهرين أو ثلاثة أو بدون تحديد (٢) .

وبذلك فقد كان لهذا الأمتياز ضرره الكبير وخاصة خلال القرن الثامن عشر حيث انهارت الفرق العسكرية بما فيها فرقة الإنكشارية وأدى ذلك إلى دخولهم الطوائف الحرفية وبالتالي أستخدامهم كافة أساليب التلاعب والغش لتاكدهم من إعفائهم من المثول أمام القاضى الشرعى ، ومجاملة رؤسائهم فى حالة محاكمتهم أمامهم .

(ج) أهل الذمة :

لما كان الشرع الإسلامى خاص بالمسلمين فقد خلّت الدولة الإسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم وكانت هذه المحاكم محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً ، وقد كتبوا كثيراً من كتب القانون

[١] د/ عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ج١ ص ٤٧٩ .

[٢] د/ ليلى عبد اللطيف : دراسات فى تاريخ ومؤرخى مصر والشام أبان العصر العثمانى ، مكتبة الخانجى

القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٩٥ .

ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج بل كانت تشمل إلى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم (١) .

ولقد أترف العثمانيون بالطوائف المليّة الأخرى بحقها القضائي فعندما دخل السلطان محمد الفاتح القسطنطينية جمع أئمة دينهم (النصارى) لينتخبوا بطريرك لهم فاختروا جورج سيكولاديوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيساً لطائفة المسيحيين ومنحه حق الحكم في القضايا المدنية والجنايئة بكافة أنواعها المختصة بالاروام وعين معه في ذلك مجلساً مشكلاً من أكبر موظفي الكنيسة وأعطى هذا الحق في الولايات للمطارنة والقسوس (٢) .

وفي مصر منذ بداية العصر العثماني كان البطاركة ينظرون ويحكمون في مسائل الأحوال الشخصية بين أفراد الطائفة كما كانوا ينظرون ويحكمون في المسائل المدنية والإدارية والجنايئة فكان لهم حق الحبس وحق النفي (٣) وبذلك قامت الكنيسة على كافة مستوياتها بدور قضائي هام في حياة الأقباط . فعلى مستوى الباباوية وصفت بعض الوثائق القبطية البابا بأنه (الناظر في الأحكام الشرعية للطائفة المسيحية اليعقوبية) وهو نفس اللقب الذي كان يتخذه القاضي المسلم (الناظر في الأحكام الشرعية) فكان البابا يقوم بتطبيق أحكام الشريعة المسيحية على المتقاضين أمامه. كما لعب الأسقف نفس الدور بين أهالي الأسقفية (٤) .

لكن حكم البطريرك لم يكن نهائياً إذ يمكن للأطراف المتنازعة ، باتفاق فيما بينها ، أن ترفع الأمر إلى القاضي الذي يقر عادة حكم البطريرك ، أما الجنع

[١] ادم منز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبد الهادي أبوريده : لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ١٩٤٧ - ط ٢ ج ١ ص ٥٨ .

[٢] محمد فريد - مرجع سابق . ص ٦١ .

- د/ عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق . ج ١ ص ٦٨ .

[٣] عزيز خانكي : التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية - المطبعة العصرية القاهرة . د/ ت . ص ٤٤ .

[٤] د/ محمد عفيفي عبد الخالق : الأقباط في مصر في العصر العثماني . هـ - م - ع القاهرة ١٩٩٢ م . ص ٢٨١ .

والجرائم فتعامل بطريقة أخرى فالبطريرك لا يفصل إلا فى الجرائم الصغيرة التى لا تتطلب إلا عقاباً إصلاحياً (١) .

وتقوم الكنيسة بجهود على كافة مستوياتها فى إجراء المصالحات بين المتخاصمين وفض المنازعات بينهم . ولم يستنكف البابا النظر إلى بعض الأمور المخالفة للشرعية المسيحية مثل حالات الطلاق التى كان يحاول فيها إصلاح ذات البين وإعادة الأمور إلى نصابها وهى من الأمور التى تميزت فيها الكنيسة بدرجة عالية من المرونة (٢) .

ومن أشهر البابوات الذين أشتهروا بالعدل فى قضائهم البابا يوانس الخامس عشر سنة ١٦١٩م وكان هذا البابا لا يحابى الناس وكانت كل أحكامه عادلة وكان لا يحيد عن الحق مهما كان مركز المتقاضين أمامه ، ولذلك نال بجدارة واستحقاق لقب القاضى العادل (٣) وأيضاً البابا متاوس الرابع سنة ١٦٦٠م الذى جلس على الكرسي المرقصى داخل القلاية البطريركية بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة وبدأ فى الأحكام الشرعية والأمور البيعية (٤) .

وفى حالة ترافع أهل الذمة أمام القاضى المسلم فإنه كان يحكم بينهم طبقاً للشرع الإسلامى ، وهم غير مجبرين على اللجوء للقاضى المسلم إلا بمحض إرادتهم . ولقد حافظ الحكم العثمانى على التقليد الإسلامى بالحفاظ لأهل الذمة على كياناتهم الدينى الخاص وإحترام أحكامهم فيما لا يضر بالنظام السائد فى البلاد فى نفس الوقت فقد كانت أحكام البابا تنفذ على رعايا الذين يلجأون إليه ، وكذلك الحاخام اليهودى الذى كان له دور مماثل لدور البطريرك على رعاياه من اليهود .

[١] دى شايرول : " وصف مصر " المصريون المحدثون الخانجى . القاهرة د/ت . ١٠ ص ٢٧

[٢] د/ محمد عفيفى : مرجع سابق ص ٢٨٢ .

[٣] كامل صالح نخلة : سلسلة تاريخ بطاركة الكرسي السكندرى - الحلقة الرابعة . مطبعة دير السيدة العذراء : القاهرة . ١٩٥٤م ص ٩٣ .

[٤] نفسه . ص ١٣٠ .

(د) الأجانب :

عندما نزح التجار الأجانب بكثرة إلى مصر عمل حكامها منذ الدولة الأيوبية على منحهم امتيازات خاصة لتشجيعهم على البقاء في البلاد وممارسة تجارتهم ولا سيما بعد فترة الحروب الصليبية واستمرار العداء بين الشرق والغرب ، ومن هذه الامتيازات التي حصل عليها الأجانب الحق في التقاضي أمام قناصلهم وتبعاً للقوانين السائدة في بلادهم لا القوانين السائدة في مصر . وفي هذا قضاء على مبدأ أقلية القانون . وعندما دخل العثمانيون مصر وجدوا هذا الوضع السائد فلم ينكروه بل عملوا على استمرار الامتيازات الأجنبية وعملوا على تشجيعهم من جانب الفاتح الجديد حتى لا يعاملوهم بشدة فيهربوا ويؤدي ذلك إلى خسارة اقتصادية .

ولقد قام السلطان سليم الأول بتجديد الامتيازات التي كانت تتمتع بها جمهورية البندقية في العصر المملوكي وذلك في ١٤ فبراير سنة ١٥١٧م وأهم ما تضمنته هذه المعاهدة أن قنصل البندقية هو الذي كان يحق له وحده محاكمة مواطنيه، وليس للقاضي المسلم أن يتدخل في هذا الشأن^(١) وإذا رفض أحدهم الانصياع إلى حكم القنصل ولجأ إلى القاضي المسلم للطعن في هذا الحكم أو لكي يستشكل في تنفيذه فإن القاضي المسلم لا يستمع إلى دعوة، وعليه أن يحيل الموضوع إلى القنصل وعلى القاضي مساعدة قوية^(٢) .

غير أن المعاهدات التي عقدت مع الدولة العثمانية وهي معاهدة سنة ١٥٣٥م المعقودة بين السلطان سليمان القانوني وفرانسوا الأول ملك فرنسا ، ومن أهم ما جاء بهذه المعاهدة من الناحية القضائية أن يكون لقناصل فرنسا سلطة قضائية

[١] د/ ليلي الصباغ : الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في القرنين ١٦، ١٧، مؤسسة الرسالة الكويت : ٩٤ ص ٩٤ .

[٢] د/ عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق ، ح ٢ ص ٧٠٠ .

واسعة ، فهم يستمعون لشكاوى مواطنيهم ويقضون في شؤونهم المدنية والجنائية بحسب دينهم وقانونهم ودون أن يمنعهم من ذلك حاكم أو قاض وإذا لم يستطع تنفيذ القرارات التي يصدرونها على رعاياهم ، فعلى الصوباشية وغيرهم من الموظفين الأتراك أن يستخدموا سلطتهم ويقدموا المساعدة اللازمة وإذا ما قضى قضاة الدولة العثمانية في خلاف حدث بين رعايا الملك الفرنسي ، فإن حكمهم يعتبر لاغياً وغير ذي قيمة حتى ولو كان التجار أنفسهم هم الذين طلبوا ذلك (١) .

ويلاحظ أن الدولة العثمانية عندما منحت هذه الحقوق لملك فرنسا كانت في أوج قوتها ويتقرب إليها ملوك الدول الأخرى ولم يكن هذا المنح والامتيازات التي كانت سائدة من قبل - بل من قبل نشأة الدولة العثمانية ذاتها وكذلك لتشجيع التجارة والتجار .

وسعت الدول الأخرى إلى عقد معاهدات مع الدولة العثمانية على فترات مختلفة للحصول على مثل هذه الامتيازات لرعاياها ، في الوقت ذاته كان هناك بعض التجار التابعين للحماية الفرنسية داخل البلاد التابعة للدولة العثمانية مما أدى إلى حصولهم على نفس المزايا الخاصة بالفرنسيين .

ولقد كانت الإمتيازات إلى عام ١٧٣٩م امتيازات مؤقتة يمنحها السلاطين وتنتهي بموتهم أو بتركهم العرش . ولكن في عام ١٧٣٩م وقفت فرنسا إلى جانب تركيا تعضدها أدبياً في دفع نتائج إعتداء دهمها به الروس والنمساويون وساعدت على حصول تركيا على صلح شريف ، في نظير هذه الوساطة حصلت على إمتيازات نصت صراحة على أن تبقى أحكامها نافذة المفعول غير محتاجة إلى إجازة كل سلطان (٢) .

[١] د/ ليلي الصباغ : مرجع سابق : ج١ ص ١٤٣ .

- د/ عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق : ج٢ ص ٧١٠ .

[٢] محمد عبد الباري : الإمتيازات الأجنبية - لجنة التأليف والنشر - القاهرة ١٩١٤م ص ٢٥ .

ولقد كان من بين معاونى القنصل فى القاهرة القضاة الذين يعملون معهم وكانت مهمتهم الرئيسية هى الإشراف على التجار (١) ومن المؤكد أن وجودهم كان بغرض تقديم المشورة للقنصل فى القضايا التى تعرض عليه .

واستخدم القناصل سلطاتهم القضائية على أتباعهم ومعاقبتهم إذ لزم الأمر مثل القنصل " بيليرون الفرنسى " الذى أمر بترحيل الطبيب الفرنسى " شاربير " لأنه أتصل بجارية سوداء عمرها خمسة عشر عاماً ، كذلك قام القنصل " مورفى " عام ١٧٨٤م بطرد التاجر الفرنسى " لازار مارتين " لإقامته علاقة مع جارية مسلمة (٢) .

ولقد أرتبط بالإمتيازات الأجنبية ما يعرف بالبراءات فالفرنسيون والأمم الأخرى التى دخلت فى مواد المعاهدة كان يسمح لها ببيع أوراق خاصة تدعى براءات للأفراد العثمانيين المحليين وبناء عليه تمنحهم نفس الإمتيازات التجارية والحصانة القضائية بإعتبارهم أجانب .

ودخل عديد من غير المسلمين تحت هذه الحماية (حماية السلطات الأجنبية) (٣) . ويجب أن نعترف بأن هذه المعاهدات لم يكن لها أى أثر طالما بقيت الدولة العثمانية قوية ومحافظة على نظمها أما فى حالة الضعف فقد استغل الأجانب كل ما أثير فى هذه المعاهدات من شروط وفسروها كيفما يحلو لهم . وكان هذا الأساس الذى قام عليه القضاء القنصلى والذى برز بوجهه القبيح فيما بعد فى القرن التاسع عشر ، غير أننا يجب ألا نتجاهل هذا التساهل العثمانى فى المعاهدات والذى لم يحتفظ على الأقل ببعض الحقوق التشريعية والقضائية بخصوص الأجانب المقيمين على الأراضى العثمانية مما أدى إلى القضاء شبه التام على مبدأ إقليمية الشريعة الإسلامية . وكذلك أدى إلى الخلل التشريعى والقضائى .

[١] د/ الهام ذهنى : مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن ١٨هـ - م - ع . القاهرة ١٩٩٢ م . ص ٣٠٦ .

[٢] المرجع نفسه . ص ٣٠٦ .

(3) Richard .P.Mlilehrell.The Modern middle east and North Africa.New Yowrk1984.P.69

الفصل الثالث

تعليم القضاة ونتاجهم
الأدبي في العصر العثماني

تعليم القضاة وانتاجهم الأدبي :

تعليم القضاة :

وضعت الدولة العثمانية شروطاً علمية لتولى منصب القضاء ، فلا بد أن يمر بها طالب هذا المنصب ويجتاز مراحله المختلفة وهو ما تطلق عليه المصادر الخاصة بهذه الفترة " طريق المولوية " ووضعت هذه الشروط حتى تطمئن الدولة إلى توافر الشروط الفقية في القضاة من العلم بالكتاب والسنة والاجتهاد والقياس .

وفي بداية نشأة الدولة العثمانية أدرك السلاطين الأوائل أنه لا بد من قيام المدارس والتعليم فعملوا على استقدام العلماء من البلاد الإسلامية مثل بلاد الشام ومصر والعراق باذلين لهم الوعود والتشجيع بكافة أنواعه حتى يقودوا الحركة العلمية في الدولة الناشئة . وبعد ذلك ظهر العلماء الأتراك الذين تولوا التدريس في المدارس المختلفة وألفوا الكتب الكثيرة بجانب العلماء المسلمين الوافدين من البلدان الإسلامية الأخرى .

وضع الفقهاء شروطاً علمية لتولى منصب القضاء وهي :

- (١) العلم بكتاب الله على الوجه الذي تصح به معرفة ما تتضمنه من الأحكام.
 - (٢) العلم بسنة الرسول الكريم من أقوال وأفعال .
 - (٣) العلم بتأويل السلف فيما اجتمعوا عليه واختلفوا فيه ليتبع الإجماع .
 - (٤) العلم بالقياس الموجب لرد الفروع المسكوت عنها إلى الأصول المنطوق بها^(١).
- وفي بداية نشأة الدولة العثمانية وجد نوعان من التعليم الإسلامي بها هما :
- (أ) المستوى الأدنى الذي كانت جرعات التعليم فيه قليلة ومناهجها بسيطة تتكون من الأدب والقرآن الكريم .

(ب) المستوى العالي فكان يتكون من المدارس حيث العلماء الطموحين إلى إكمال تعليمهم ، وكان يدرس فيها كل فروع التعليم الإسلامي شاملاً العلوم الدينية

[١] أبي الحسن بن حبيب الماوردي مصدر سابق ص ٥٤ .

مثل التفسير وعلم الكلام والفقه والقانون وقواعد اللغة العربية وعلم الخط كما درس فيها العلوم العقلية مثل المنطق والفلسفة وعلم التنجيم (١) .

ومع السلطان أورخان (*) بن عثمان خرج التعليم من المسجد إلى المدرسة فبعد فتح أزميد بنى فيها أول مدرسة فى تاريخ الدولة العثمانية وبذلك خرج التعليم من المسجد إلى المدرسة وكانت الكتب المقررة فيها وبالتالى فى المدارس العثمانية هى فى مادة التفسير كتاب " الكشف عن حقائق التنزيل " ويعرف إختصاراً باسم تفسير الكشف لمؤلفه العلامة الزمخشري وكتاب " أنوار التنزيل وتنزيل التأويل " والمعروف باسم " تفسير البيضاوى " وفى مادة الحديث النبوى " الكتب الست الصحاح فى الحديث " وفى مادة الفقه كان يدرس كتاب " الهداية " لشيخ الإسلام " برهان الدين على بن أبى بكر المرغتانى " وكتاب " الوقاية " لبرهان الشريعة و " العناية فى شرح الوقاية " لعلاء الدين على بن عمر الأسود ، و " مختصر القدورى " لأحمد بن محمد القدورى البغدادى ، كما درس عدد من الكتب فى أصول الفقه وفى علم الكلام وقرر كتاب " تجريد الكلام " للطوسى وكتاب " طوابع الأنوار " للبيضاوى و " المواقف " للأيجى وفى علم البلاغة كتاب " مفتاح العلوم " للسكاكى وتلخيص " المفتاح فى المعانى والبيان " للقزوينى وفى المنطق كتاب " الأيساغوجى " وكتاب " مطالع الأنوار " للقاضى سراج الدين الأرموى (٢) .

وفى عهد السلطان محمد الثانى أعاد تنظيم التعليم فى الدولة العثمانية وفقاً

(1) Bernard G . Weiss and Arnold . H . Green . Asurvey of Arab History - American University in Cairo ,1980 . P . 397

[*] السلطان أورخان بن عثمان - تولى الحكم بعد أبيه الغازى عثمان - قام بالكثير من الفتوحات ونقل مقر الحكم إلى مدينة بورصة توفى فى ٧٦١هـ / ١٣٦٠م . انظر محمد فريد مرجع سابق ص ٤٤ .

[٢] د/ محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة . المركز المصرى للدراسات العثمانية . القاهرة

١٩٩٤ م ص ٣١٥

لمراحل محددة وذلك بعد أن بنى المدارس الثمانية حول مسجده ثم ثمانية أخرى . أى بنى ستة عشرة مدرسة حول المسجد (*) .

وكان الطالب يمر بأربع مراحل تعليمية هي :

(أ) مرحلة أولى وتسمى الخارج .

(ب) مرحلة ثانية وتسمى الداخل .

(ج) مرحلة ثالثة وتسمى موصلة الصحن .

(د) مرحلة رابعة وتسمى الصحن (١) .

ومن المهم أن نذكر أن الدولة العثمانية لم تكن متكفلة بالخدمات الاجتماعية مثل التعليم ، بل كانت هذه تدخل فى اختصاص الوقف وكان ركناً أساسياً فى اقتصاد الدولة العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية فى جوامع إستانبول فقد كان الجامع فى ذلك الوقت مؤسسة إسلامية متكاملة تضم المسجد والمدرسة والمطعم الخيرى (٢) .

لذلك فقد اهتم السلاطين برصد الأوقاف على المدارس وأهم هذه المدارس هى التى بناها السلاطين " محمد الثانى " و " بايزيد الثانى " و " سليمان القانونى " وكانت كل المدارس فى مسجد بايزيد مخصصة لدراسة القانون . وبعد بناء مدارس السليمانية نظم التعليم فى كل هذه المدارس بصورة نهائية فى ١٢ مرحلة

[*] عرفت المدارس الثمان الأولى منها بأسم مدارس الصحن الثمان لوقوعها فى وسط إستانبول تماماً . وتضم كل مدرسة منها تسع عشرة غرفة للمدرسين كل مدرس فى غرفة منفصلة ، ويتقاضى ٥٠ أقة يومياً ولكل مدرس من المدرسين الثمانية معيد ، أما الثمانى الآخر وتسمى موصلة الصحن أو التتمة ويدرس فى كل حجرة منها ثلاث طلبة ويخصص لهم يومياً ما يكفى حاجاتهم . Ismail Hakki , Uzencarsili , p70 .

[١] على همت اقسكى : مرجع سابق ص ٨٣ .

- جودت : مرجع سابق ج ١ ص ١٢٠ .

[٢] د/ محمد حرب : مرجع سابق ص ٣١٠ .

وكان على كل تلميذ في مرحلة من المراحل الإحدى عشر الأولى أن يحصل على إجازة تعلن أنه على علم تام بأى مؤلفات يكون قد درسها من الأساتذة المختصين قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية (١) .

وإذا أراد الطالب أن يتخصص فى مادة ، الحق بمدارس الصحن وتلقى فيها الدرس فى تلك المادة وإذا لم يرغب فى الالتحاق بالصحن مكتفياً بدراسة المراحل السابقة فكان يعين قاضياً فى المدن ما عدا الكبيرة (٢) .

أما الطالب الذى يريد إكمال تعليمه فى مدارس الصحن يتولى التدريس ويختار قضاة العسكر بعد ذلك من بين الحائزين على رتب التدريس من كبار الأساتذة الذين امتازوا بكفائتهم ومؤلفاتهم القيمة (٣) .

ولم تكن هناك سنوات محددة لمراحل الدراسة وكان المعيار فى تحديد سنوات الدراسة هو الاستعداد العقلى للطالب وقابليته للدراسة ولكن كانت الدراسات العليا فى سن يتراوح بين الثلاثين والأربعين كما أن التعليم لم يكن إجبارياً (٤) وكان الطلبة يحصلون على رواتب إضافة إلى المسكن المجانى والطعام .

ولكن فى القرن الثامن عشر تجمع الكثير من الأسباب التى أدت إلى إنهيار التعليم فى الدولة العثمانية وبالتالى انهيار تعليم القضاة ، وربما يكون السبب الأول لذلك هو حب العثمانيين للقديم ومحافظتهم عليه وبالتالى عدم التجديد فى روح التعليم الذى أصابه الجمود فى تلك الفترة .

وأيضاً من أسباب ضعف التعليم فى هذه الاونة التسامح فى كل أمر وكثرة التدخل فى المصالح حتى قضت الأحوال بإعطاء المناصب إلى غير من يستحقها

[١] جب / بويون : مرجع سابق دار المعارف القاهرة ١٩٧١ ج ١ . ص ١٦٧ .

- جب / بويون : مرجع سابق ج ٢ ص ٢٨٢ .

[٢] على همت افسكى : مرجع سابق ص ٨٩ .

[٣] Bernad and Arnold . op . cit . p398

- د/ محمد أنيس : مرجع سابق ص ١٠١ - جودت مرجع سابق ص ١٢٢ .

- على همت افسكى : مرجع سابق ص ٨٣ .

[٤] Bernad and Arnold . op . cit . p398

فصار قضاة العسكر يعزلون بغير ذنب (١)

يتضح من ذلك الآتى :

(١) أن القضاة كانوا يخضعون لطريق دراسى صعب وطويل للوصول إلى مناصبهم ومن الجدير بالذكر أن القضاة كانوا يتلقون تعليمهم باللغة العربية إذ كيف يدرسون كتب التفسير والفقه والبلاغة والنحو بغير اللغة العربية ، مما أدى إلى تحدثهم بها بل وكتابة مؤلفاتهم باللغة العربية وهذا يدحض الأقاويل القائلة بجهل القضاة باللغة العربية .

كما ترتب على الضعف العام فى القرن الثامن عشر أن تدخلت عوامل الضعف والاضمحلال إلى التعليم وتسرب إليه روح الجمود وعدم التجديد مما أدى إلى بروز الوساطة فى التعيينات وأصبحت الاختبارات التى تجرى للشخص المتقدم لاجتياز مرحلة تعليمية اختبارات شكلية . فقدت هذه المناصب أهميتها وتطرق إليها الضعف .

الإنتاج الأدبى للقضاة :

من المهم هنا أن نعرض للإنتاج الأدبى للقضاة سواء أكان هذا الإنتاج أشعاراً باللغة العربية أو كتباً أدبية وتراجم ، كذلك كتب الدين والفقه . فلقد خلف لنا قضاة تلك الفترة العديد من الكتابات التى ما زالت موجودة الآن ما بين مطبوع ومخطوط يستفيد منها كل فى مجاله حتى الآن كما وجد لبعض القضاة كتابات فى المجالات العلمية مثل الكيمياء . ولا غرابة فى ذلك فقد كان القضاة علماء كبار تلقوا تعليمهم كما رأينا من قبل فى المدارس العثمانية وتعلموا أمهات الكتب الإسلامية فى الفقه والأدب وعلم الكلام والعلوم المختلفة .

[١] جودت : مرجع سابق . ج ١ ص ١٢٤ .

وكما يتضح من خلال كتب التراجم أن لمعظم القضاة أشعاراً باللغة العربية.
من هؤلاء قاضى عسكر مصر " فيض الله أفندى أحمد قاف زادة " والذى نظم
القصيدة التبريزية بمناسبة انتصار السلطان " سليمان خان بن سليم " على
الصفويين فقال فيها :

لله در جيوش الروم إذ ظهرُوا	على الروافض قد صارت بهم عِبْرُ
كم أبدعوا بدعاً سيئاً لهم ظلمة	لهم قلوب يحاكى لينها الحجرُ
ويل لهم آمنوا من مكر ربهم	حتى بصحب رسول الله قد مكروا
وقد أضالوا يد الناس ظالمة	عن هتكها حرمت الله ما قصرُوا
فالناس تجار للرحمن من يدهم	والله يسمع منهم كلما جأروا
حتى إذا جاء موت والغوث اقتربت	أجالهم وأتتهم بالأسى النذر
وعندما اقترب الجيش العرمم من	تبريز ثم بدا فى جيشهم حَوْرُ (١)

ووجد من قضاة الأقاليم من وجد له انتاج أدبى رائع مثل " تقى الدين التميمى
" وله تصانيف منها طبقات الحنفية فى مجلدات وله أشعار (٢) .

ووجد من القضاة من له مؤلفات علمية مثل قاض عسكر مصر " صالح بن
إسحاق الشروانى " وله مصنفات حسنة الأسلوب تدل على زيادة تبحره فى العلم
منها فى الفقه تعليقات على تفسير البيضاوى وله رسائل كثيرة كما أن له مؤلفات فى
الكيمياء والعلوم (٣) .

ووجد " مصطفى بن محمد الشهير بعزى زادة " له التأليف التى ملأت سمع
الزمان فائدة منها حاشية على " الدرة والغرر " فى الفقه وحاشية " على بن مالك فى

[١] الديميرى : مصدر سابق ص ١٠٣ ص ٢٣٨ .

[٢] الشهاب الخفاجى : مصدر سابق ص ٢٣٣- للمزيد من المعلومات أنظر أيضاً المحبى مصدر سابق ج ٢ ص ٢

[٣] المحبى : مصدر سابق - ج ٢ ص ٢٣٨ .

الأصول وغيرها " وله " الشعر النضير " فى العربية والتركية و " رباعياته " مشهورة مرغوبة وقد جمعها فى سفر مستقل وهى فى التركية كرباعيات " سيد الدين الأنبارى " فى العربية و " عمر الخيام " فى الفارسية إليها النهاية فى القبول والتحسين وأثاره كلها لطيفة وأخباره جميعها ظريفة (١) .

وهناك من قضاة الأقاليم من كانت له مؤلفات بارعة مثل " محمد بن أحمد حسن الطنباوى " الشهير بالحتاتى المصرى الحنفى ذهب من القاهرة إلى إستانبول عام ١٠١٨ هـ ١٦٠٩ م ومن مؤلفاته العديدة :

- (١) حاشية على تفسير البيضاوى .
 - (٢) الإسفار عن الأسفار وهى رحلة جامعة الفرائد .
 - (٣) تعليقات فى فنون الحكمة .
 - (٤) له شعر قال فيه الشهاب الخفاجى فى رباحته إنه يحط قدر الحطيئة ويبلد لبيد وذهن يدع إياس منه فى الذكاء فى إياس (٢) .
- ولو أخذنا مثلاً من القضاة لنعرض أعماله سواء المطبوعة أو المخطوطة لاخترنا " شهاب الدين الخفاجى المصرى " ومن أعماله :
- (١) شفاء الغليل بما فى كلام العرب من الدخيل جمع فيه ما ذكره العلماء قبله وزاد عليه وصدر الكتاب بمقدمة فى التعريب وشروطه ثم أتى بالألفاظ المعربة ورتبها على الحروف الأبجدية .

(٢) شرح درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى طبع بمصر عام ١٨٥٦ م

(٣) طراز المجالس وهو من كتب الأدب واللغة قسمه إلى خمسين مجلساً .

(٤) حاشية على البيضاوى طبع بمصر عام ١٨٦٩ م فى ثمانية مجلدات .

(٥) شرح كتاب الشفاء فى تاريخ حقوق المصطفى طبع فى إستانبول ١٨٥٧ م.

[١] نفسه : ج ٤ . ص ٣٩٠ .

[٢] مصطفى بن فتح الله الحموى : مصدر سابق ج ١ ص ٢٤٥ .

- (٦) رياحين الدمان أو ذوات الأمثال .
- (٧) خبايا الزوايا بما فى الرجال من بقايا وهو من كتب الأدب . وبه تراجم لأكثر من سبعين من العلماء .
- (٨) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا توسع فى تراجم الشعراء مع انتقادها وإيضاحها .
- (٩) له ديوان شعر مخطوط بمكتبة الجامعة الأزهرية .
- (١٠) له مجموعة من القصائد مجموعة فى مخطوط بدار الكتب المصرية (١) .
- وتدل مؤلفات الشهاب الخفاجى على تمكنه من الأدب العربى وحفظه الكثير من شعر القدماء وإذا أورد فى تراجمه لمعاصريه شيئاً من شعرهم أتبعه فى كثير من الأحيان بما يماثله من آثار السابقين وهو ناقد بارع وكاتب لا يشق له غبار يناقش ويجادل كما نرى فى كتابه طراز المجالس وغيره من كتبه (٢) .

يتضح مما سبق الآتى :

- (١) غزارة الإنتاج الأدبى للقضاة ما بين كتب فى الفقه والتفسير واللغة والتراجم والأدب والتاريخ وهو ما يدلنا على مبلغ ما وصلوا إليه من علم بالعلوم المختلفة وما زالت هذه الكتابات ما بين مخطوط ومطبوع يستفيد منه الدارسون إلى الآن .
- (٢) كانت هذه المؤلفات باللغة العربية الفصحى التى تباروا بالكتابة بها واستخدام الأساليب اللغوية والبلاغية الطنانة للدلالة على مدى حذقهم اللغة العربية مما ينفى الزعم بجهلهم اللغة العربية .

[١] جودجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة د/ شوقى ضيف ، دارالهلل ، القاهرة د/ ت ج ٣ ص ٣٠٨ .

- محمد سيد كيلانى : الأدب المصرى فى ظل الحكم العثمانى ١٥١٧ ، ١٨٠٥ ، دار الفرجانى ، القاهرة ، ١٩٦٥ ص ٢٧٩ .

[٢] محمد سيد كيلانى : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

الفصل الرابع

المؤرخ والمخطوط

المؤرخ والمخطوط

ومنهج التحقيق

التعريف بالمخطوط :

الكتاب الذى بين أيدينا الآن هو " قضاة مصر فى القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادى عشر الهجرى " لمؤلفه الدميرى . وهذا الكتاب ناقص من أوله والترقيم الذى على صفحاته من وضع مصنفى المخطوطات بدار الكتب المصرية . وهو يحمل رقم ٢٤٦٣ تاريخ .

وهى النسخة الوحيدة التى بين أيدينا لهذا الكتاب الهام ولا تعلم شئ عن ناسخها وهل نسخت فى عهد مؤلفها أم بعده . ولكن التعليقات التى على هامش الكتاب من نفس خط ناسخ المتن . ويبلغ عدد صفحاتها [٢٧٩] وعدد سطور كل صفحة ١٥ سطر وعدد كلمات كل سطر ما بين ٩ : ١٢ كلمة ، والخط مقروء وأن كان هناك بياض وشطب وطمس فى بعض سطور المخطوط ولكن لا تؤثر على سياق الكلام فى المخطوط .

وهذا الكتاب يتناول تراجم لقضاة مصر فى القرن العاشر والرابع الأول من القرن الحادى عشر / وهو بذلك يترجم للقضاة فى أواخر الدولة المملوكية وبداية الدولة العثمانية . ويكاد يكون هو الكتاب الوحيد فى العصر العثمانى كله الذى يترجم للقضاة بأسهاب فيذكر مؤلفاتهم ونسبهم وتعليمهم وكافة المعلومات عنهم مثل علاقتهم بالناس وكيفية تسيير الأمور القضائية الخاصة بالمحاكم .

وهذا الكتاب خير مثال للكتب التى يمكن أن ندرس من خلالها تاريخ الأدب العربى والفقهاء والشعر فى بداية العصر العثمانى فهو غنى بالأمثلة العديدة على هذه

الموضوعات التي تحتاج لاحد المتخصصين فى تاريخ الاداب العربية لدراسته وكذلك يوجد به القصائد التي تردُّ بما لا يدع مجالاً للشك على من يقولون بانهيار اللغة العربية والشعر فى ذلك العصر .

- كما أنه يعالج قضية أخرى باللغة الحساسة وكثير اللفظ حولها عن القضاة واصولهم الاجتماعية وعن تعليمهم وجهلهم باللغة العربية وهى قضايا يجب عليها هذا الكتاب وباسهاب فهو يعرض لحياتهم وتعليمهم ويوضح مؤلفاتهم باللغة العربية بل ونماذج من أشعارهم باللغة العربية الفصحى وهى خير دليل على دحض هذه الاتهامات الباطلة .

وهذا الكتاب يعتبر معجم للقضاة والعلماء والمؤلفات فى ذلك العصر وهو يؤرخ لفترة انتقالية باللغة الحساسة من العصر المملوكى للعصر العثمانى والتي طالما أخطأنا القول بأن تلك الفترة لا يوجد بها مصادر تاريخية سوى ابن إياس . ويضاف لأهمية هذا الكتاب أهمية أخرى وهى أن التغييرات فى النظام القضائى والتي أدخلها العثمانيون كانت من التغييرات النادرة والقليلة فى مصر والتي أرخ لها هذا الكتاب من خلال التراجم التي عرض لها للقضاة .

المؤلف وحياته :

مما يؤسف له أن مؤرخنا لم يترجم لنفسه فى كتابه هذا ، كما أننا لم نستطع أن نعثر له على ترجمة فى أى كتاب تراجم معاصر لتلك الفترة التى عاش بها . ولكننا حاولنا أن نكون له صورة من خلال المخطوطة .

ويتضح أنه كان يعمل فى المحاكم كأحد معاونى القضاة فى المحاكم فهو يذكر قوله عند ترجمته لأحد القضاة فى عام ١٠٠٦هـ / " فحين وصوله إلى هذه الديار وحلوله بهذه الأقطار قرر الفقير كاتباً للتقارير وحصل من انعامه الفضل الغزير بل أنعم على الفقير بجهات سنية ووظايف دينية ، منها النظر والتحدث على الشيخ

يحيى السقطى بالجودرية وقراه الحديث بوقف المرحوم جوهر المعين والنظر والتحدث على " وقف والد الفقير " وقرائتين بوقتي الصبح والعشا بوقف المرحوم ازبك الاتابكى واغرقنى فى بحار احسانه وعاملنى بما يعامله الله تعالى فى دار راضونه ، هذا عند ترجمته لقاضى عسكر "حسن بن على بن أمر الله " .

وعند ترجمته للقاضى "صالح بن سعد الدين" قال " كتبت إليه عرض حال بطلب الانتقال من النيابة المالكية بمحكمة باب الشعرية إلى المحكمة الحاكمة بمصر المحمية "

ثم قال " وهو الذى فوض إلى مؤلفه منصب العدالة بالباب العالى فى جمادى الأولى سنة ست بعد الألف .

وعند ترجمته للقاضى الجلال بن قاسم قال " ولأخت مؤلفه من والده نسب بصاحب الترجمة أيضاً من أمها ولها حصة من الوقف المذكور " .

وله ديوان يتمثل على نظمه ونثره يسمى " روض المنتور فى جمع المنظوم والمنثور " ومما أورده من أشعاره فى قاضى القضاء عبد الله بن على الشهير بين الاروام بعلى خان قوله :

اليك إله العرش اضرع طالبا	بأن تحفظ المولى العزيز على الابد
كذلك بنوه فى نعيم وصحة	فلازمه للشهر والدهر والمشدد
إلى أن يراهم من موالى اكابر	يحوزون للاقبال والعدد والمدد
ويحل بهم جيد الامان وأهله	ويرزق نسلا منهم فائق العدد
بجاه نبى شرف الله قدره	وفضله حقاً على كل معتمد

وواضح من خلال ترجمته لجده " قاضى القضاء المالكى محمد
افندى " فى اخريات الدولة المملوكية وكذلك من حديثه عن أبيه وهو ممن
عملوا فى النظام القضائى ولافراد عديدون من عائلته انه ينتمى لبیت علم وشرف
ورياسة فقدم لجده ترجمه وافيه فى هذا الكتاب ، اما ابوه فيبدو أن ترجمته قد
حذفت فى الجزء الناقص من الكتاب سواء فى الأول أو فى آخر الكتاب . ولكنه
يتحدث عنه قائلاً فى أثناء ترجمته لقاضى عسكر مصر " حسين بن محمد
حسام الدين " .

وكان للأستاذ المرحوم الوالد عامله الله تعالى باحسانه فى تلك المشاهد عنده
المقام العظيم ، ولا يخاطبه إلا بأنواع التعظيم ، بحيث رقاہ إلى المناصب الجليلة
والمراتب الجميلة وانعم عليه بالجهات العديدة والوظائف المفيدة إلى أن أغرقه فى
بحار انعامه واغدق عليه من ميزات افضاله وإكرامه .

وواضح من خلال التراجم التى اوردها أنه كان يمتلك مكتبة كبيرة ورثها عن
أبوه وجده مما يسر له الاطلاع ، وحفظ الاشعار . وكان فى بحبوحه من العيش
بدليل أن لأبيه وقف كان مؤرخنا الناظر عليه .

منهج المؤلف فى الكتاب :

على عادة الكثير من كتب التراجم فهو يرتب من يترجم لهم على حروف المعجم دون أن يبدأ بالمحمدين كما هى العادة عند الكثير من كتاب التراجم فى العالم الإسلامى ، ويبدو الصدق فى كتابته وذلك لكونه قريب من الاحداث ولأنه أيضاً واحداً من الذين يعملون فى الجهاز القضائى فقد اطلع على كثير من المعلومات الخاصة بالقضاة فهو يذكر فى ترجمته للقاضى عبد الباقي قوله " واجتمعت بصاحب الترجمة فرأيت انساناً عليه مهابة وجلالة " وفى القاضى عبدالله بن على قوله " وعلى كل حال فهو من محاسن القضاة الذين شاهدناهم وانتسبنا إليهم " .

ولقد استعان بالعديد من الحجج والوثائق الرسمية وذلك بحكم كونه واحداً ممن يعملون فى الجهاز القضائى فيقول " رأيت خطه على حجة " ، " ورأيت توقيعه على حجة بتاريخ " كما أنه استخدم الروايات الشفهية واعتمد عليها فهو يذكر قوله " وقد سمعت من الأستاذ الوالد رحمه الله كذا " " ولقد سمعت من بعض المعمرين كذا " حتى أنه يذكر الشواهد الأثرية فيذكر قوله " وكما رأيت على شواهد القبور " ونتيجة لأنه من بيت علم فوالده وجدته من القضاة فقد اطلع على العديد من الكتب وعليها تعليقات جده على بعض القضاة فاستخدم ذلك ولكنه أشار إليه أيضاً فيقول " وكما رأيت بخط جدى تذييلاً على كتاب حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى قوله ، كما أنه استعان ببعض أصحابه ولكن لم يذكر لنا مؤلفيها فيقول وقد وقفت لبعض اصحابنا على جمع فيه كلماته التى كان يكتبها على القصص .

واستعان مؤرخنا ببعض الكتب التى ذكرها لنا وذكر مؤلفيها مثل مؤلفات ابن حجر العسقلانى والسيوطى ولكنه استعان اكثر بكتاب عبد الوهاب الشعرانى: ذيل

الطبقات المسمى بلوافح الأنوار من طبقات الأخيار " ، ويبدو من خلال المخطوط المام المؤرخ إلى جانب التاريخ بعلوم اللغة العربية والأدب وله الكثير من الأشعار التي أوردها هذا إضافة لتمكنه من العلوم الدينية وهذا كله أدى لمزيج خاص خرج منه هذا الكتاب .

خطوات التحقيق :

- ١- مراجعة النص بدقة ومحاولة قراءة الكلمات المطموسة وغيرها ، ومراجعتها على بقية المصادر التاريخية الخاصة بتلك الفترة .
- ٢- ضبط الاعلام وأسماء البلدان والألفاظ الإصطلاحية .
- ٣- التقديم بدراسة عن القضاة فى العصرين المملوكى والعثمانى وعن تعليم القضاة وانتاجهم الأدبى فى العصر العثمانى .

النص محققا و مضبوطا و معلقا عليه

قاضي عسكر مصر

حسن افندى بن عبد المحسن (١)

تمنى أهل الديار المصرية أن لا يعزل عنهم أبدا وأن يطيل لهم بين ظهرانيهم مددا وأن لا يقطع عنهم من علمه وفضله وافادته ، وحنوه ورعايته ، مددا سايلىن من تفضلات الاعتبار الشريفة الخنكارية ومواطن اقدم الحضرات المنيفة الخاقانية دامت دولتها على الامه المحمدية واشتدت سطوه قهرها على الملل الكفرية ، وبقيت يدا لسلطته العلية ، منتظمة بجواهر ذرارى ذرارى ذريته الى آخر الدول الفلكية والدول الادمية ، أن يعامل مولانا شيخ الاسلام المشار اليه افاض الله سبحانه نعماءه ونعمه عليه بمثل ما عامل به الرعية من البر والأحسان ومزيد الفضل والامتنان جزاء وفاقا مع زيارات رضية مناسبة لبحار جود الحضرات الخاقانية ، وينظر بعين عنايته الينا مولانا افندى حسن بن عبدالمحسن علينا لقدوم من افضالهم على أهل هذه الديار . وتعم النعمة والبركة لكل ديار ويبقى علمه فى العلماء مثبوتا وعظيم ينير فضله بين الافاضل موروثة . ويأمن أهل العلم على مناصبها حالا ومآلا وتنجر قلوب والفقها .

عند فوتها أن خلفت فقرا عاله واطفالا اطل الله تعالى بقا الحضرات الشريفة للعباد والبلاد وقمع بشدة سطوتها وسطوة سدتها أهل البغى والفساد . وجعل دعا الرعية لها بالرشاد والسداد ومتعنا بالنظر الى وجه الله الكريم يوم المعاد . آمين والحمد لله رب العالمين . قال ذلك وكتبه العبد الفقير المعترف بالعجز والتقصير راجى عفوره القدير على بن احمد الانصارى القرافى الاشعرى الشافعى حامدا مصليا مسلما ، فانظر الى شهادة هؤلاء الائمة الاعلام سادات

[١] تم وضع أسم القاضي من خلال قراءة الترجمة ، فالترجمة ناقصة من أولها .

الانام فى حق صاحب الترجمة وماله من المقدار الرفيع المنار فلولاً انه كان من الدين على جانب عظيم ، ومن العفة والصيانة بمقام كريم لما شهد فيه هؤلاء السادة بمثل الشهادة ومما اطلقت من المدايح المنظومة ، والقصايد المرقومة فى حق صاحب الترجمة مما نظمة شاعر عصره واديب عصره شمس الدين محمد الطلخاوى الشافعى عين السادة العدول (١) بالمحكمة القوصونية (٢) اسكنه الله تعالى غرفات احسانة ؛ هى مصر الامصار ، والتزم فيها نوع بديعى يقال له الالتزام وهو أن حروف اوائل ابیات القصيدة يشتمل على قوله فى النثر الفقير محمد الطلخاوى لمولانا الافندى حسن داعى فقال بعد قوله :

[١] العدول : العدالة وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد تصريفة ومهمة هذه الوظيفة القيام عن أذن القاضى بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملاً عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتبا فى السجلات تحفظ به حقوق الناس وأول من اتخذ شهود ثابتين فى المحكمة هو القاضى غوث بن سليمان (١٤٠ - ١٤٤ هـ - ٧٥٧ - ٧٦١ م) فهو أول من سأل عن الشهود بمصر فى خلافة ابي جعفر المنصور ، وكان الناس قبل ذلك يشهدون فمن عرف منه خير قبل ، ومن عرف عنه غير ذلك لم يقبل على ظاهر الأمر حتى كثرت شهادات الزور ، ونشأت فى زمن غوث فسأل عن الشهود فى السر ، وليس معنى ذلك هو عدم الأخذ بشهادة من يأتى الى المحكمة من الشهود ، ولكن هؤلاء الشهود الثابتين كانوا بحكم وجودهم فى المحكمة أكثر صدقاً واعتماد عليهم من غيرهم وانيطت بهم اعمال أخرى بجانب الشهادة فى المحكمة ، ويعين قاضى العسكر الشهود وتسجل قرارات تعيينهم فى سجلات المحاكم على النحو التالى إذن سيدنا ومولانا الناظر فى الاحكام الشرعية بمصر المحمية حالاً للشيخ اسماعيل النفراوى بأن يجلس شاهداً بهذه المحكمة وعليه بتقوى الله فى السر والعلانية فإنه من يسلك طريق الحق نجا ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويراس مجموعة الشهود فى المحكمة "باشى شاهد او شاهد كبير" كما تطلق عليه الوثائق .

لمزيد من المعلومات راجع : - أبى عمر محمد بن يوسف الكندى : الولاة والقضاة ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ ، ص ٣١٦ .

الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالحية التجمية س ٥١٥ ص ١ من الغلاف .

[٢] محكمة قوصون : وهى توجد بجامع الامير قوصون خارج باب زويلة ولقد ابتدأ عمارته فى سنة ٧٣٠ هـ واول خطبة اقيمت فيه يوم الجمعة من شهر رمضان ٧٣٠ هـ وفى العصر العثمانى وجدت به محكمة قوصون ، حيث وزعت المحاكم فى القاهرة توزيعاً عادلاً من الناحية الجغرافية ، فأدى ذلك الى سهولة اجراءات التقاضى وكثرة لجوء الناس الى المحاكم فى اخص وأدق امورهم اليومية لقربها منهم . لمزيد من المعلومات راجع عبدالرازق عيسى - مرجع سابق ، ص ١١٠ .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعِيدِ الْمُبْدِي
أَفَنْدِي (١) أَنْ تَسْأَلَ عَنْ شَرْحِ حَالِي
لَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ طُرّاً (٢)
فَدُمْتُ مَعَ الْعَيْنِ مِثْلَ الْعَيْنِ جَارٍ
قَضَيْتُ أَسَافاً (٣) مَا الْوَجْدُ (٤) بَاقٍ
يَوَدُّ الْعَبْدُ أَنْ لَوْ جَادَ دَهْرِي
رَعَا الرَّحْمَنُ أَيَّاماً تَقَضَّتْ
مَضَتْ وَلَعُودَهَا طَالَ انْتِظَارِي
حَرَامٌ أَنْ تَرَى عَيْنِي سِوَاكُمْ
مَحَبَّتُكُمْ قَدْ امْتَزَجَتْ بِرُوحِي
دَعَوْتُ اللَّهَ فِي سِرِّي وَجَهْرِي
إِلَى مِصْرٍ يُعِيدُكُمْ أَفَنْدِي
يُكَمِّدُ (٥) حَاسِدِي وَتَقَرُّ عَيْنِي
طَوَيْتُمْ مَذْنَا نَأَيْتُمْ بَسْطَ بَسْطِي

وَهُوَ الْحَمِيدُ الْمُسْتَحِقُّ الْحَمْدِ
فَإِنَّ الْحَالَ يُغْنِي عَنْ مَقَالِي
بِمَا رَحُبْتُ وَقَدْ قَلَّ احْتِيَالِي
وَقَلْبِي فِي اشْتِغَالٍ وَاشْتِعَالٍ
وَأَمَّا الْجِسْمُ بَعْدَ الْبُعْدِ بِأَلٍ
بِعُودِكُمْ وَيَسْمَحُ بِالْوَفَا لِي
وَحَيَّ اللَّهُ هَاتِيكَ اللَّيَالِي
وَمَرَّتْ مِثْلَ مَا طَيَّفُ الْخِيَالِ
وَغَيْرِكُمْ فَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي
وَفِي أَبْوَابِكُمْ حَطَّتْ رِحَالِي
بِفَقْرِي وَأَنْكِسَارِي وَابْتِهَالِي
بِعِزٍّ لَا يُقَارَنُ بِأَنْعِزَالِ [٣]
بِكُمْ وَتَعُودُ أَوْقَاتُ الْهِنَالِي
فَهَمِّي أَمْ يَحُلُّ عَنِّي بِحَالِي

[١] أفندي : من الكلمة اليونانية العامية أفنديس دخلت في اللغة التركية الاناضولية في وقت مبكر واستعملها الترك في القرن ١٣ م ثم كثر استعمالها في العهد العثماني فقد استعملها السلطات محمد الفاتح في فرماته اليوناني الموجه لأهل غلطة ومعناها (أنا ، السيد العظيم) ثم استعملها العثمانيون لقباً للرجل يقرأ ويكتب، لقباً لبعض كبار الموظفين ، كان الجيش العثماني يلقب الضباط رسمياً بلقب أفندي حتى رتبة البكباشي ، وكانت تطلق على السادة العلماء أو الموظفين الذين لم يلقبوا بلقب بك ، كما تعني السيد والشريف .
لمزيد من المعلومات راجع د/ احمد السعيد سليمان : تأصيل ماورد في الجبرتي من الدخيل - دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ - ص ٢٠ .
-Radhouse,op,cit,p160.

[٢] طُرّاً - طرورا ، كان طرير ذا رواء وجمال ، المعجم الوجيز .

[٣] اسافا : وهي جمع لكلمة اسف بمعنى اشد الحزن والالام وهي هنا بمعنى " احزاننا " مختار الصحاح .

[٤] الوجد : وجد - احب .

[٥] يكمد : الكمد الحزن المكتوم .

فَأَنْتُمْ مُنْتَهَى قَصْدِي وَسُؤْلِي
 مَالِكِ يَا أَفْنَدِي لَا يُضَا هِي
 يَا حَسَنَ بْنَ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْمُحْسِنُ
 يَا قَاضِي قُأَةِ الشَّرْعِ يَا مَنْ
 يَمِينًا مَارَأَيْنَا مِنْ نَظِيرٍ
 بِمِثْلِكَ تَصْلُحُ الْأَحْكَامُ يَا مَنْ
 مَلَأَتِ الْأَرْضَ مُذَوَّلِيَتَ عَدْلًا
 وَعَمَرْتَ الْمَدَارِسَ (١) بَعْدَ دَرَسٍ
 وَهَذَا لَا يُرَى مِنْ مُسْتَحَقٍ
 يَشْكُرُ فَضْلَكُمْ بَيْنَ الْبَرَائِيَا
 وَفَضْلَكُمْ وَبِرُّكُمْ أَفْنَدِي
 يَا خَيْرَ الْأَنْامِ وَخَيْرَ مَوَالِي (٢)
 عَلَيْكَ يُغْفِرِي كُلَّ فَضْلٍ
 فَمَا الْقَزْدِيرُ كَالذَّهَبِ الْمَصْفَى
 نَعَمْ مَا قُلْتُهُ حَقٌّ وَإِنِّي

وَمَطْلُوبِي وَأَمَالِي وَمَالِي
 لَأَنَّكَ حَائِزُ رُتَبِ الْكَمَالِ
 الْحَاوِي الْمَحَاسِنَ ذِي الْمَعَالِي
 تَفَرَّدَ فِي الْعُلُومِ بِلَا مِثَالٍ
 لَكُمْ لَا ، وَالْمُهَيْمَنَ ذِي الْجَلَالِ
 بِهِ الْأَيَّامُ ضَاعَتْ وَالْأَيَّامُ
 بِلَا جَوْرِ وَمَلَّتْ عَنِ الضَّلَالِ
 فَكَمْ مِنْ ذَاكَ فِيهَا وَقَالَ
 سِوَى دَاعٍ لَكُمْ بِلِسَانِ حَالٍ
 وَالْأَمْجَدُ يَوْمَ الْجِدَالِ
 عَلَى مِثْلِي كَتَعْدَادِ الرَّمَالِ
 وَيَا فَخْرَ الْمَكَارِمِ وَالْمَوَالِي
 يَسُودُ بِهِ أَجَلَاءُ الرِّجَالِ
 وَمَا أَنْ يُشَبَّهَ الصَّدْفُ اللَّالِي
 بِلَا شَكٍّ صَدُوقٌ فِي مَقَالِي

[١] لم تكن الدولة تنفق على التعليم بل ينفق على ذلك من ريع الاوقاف المرصودة لها . وفي نفس الوقت الذي يقوم فيه قاضي العسكر بالاشراف على التعليم وعلى المدارس والكتاتيب وتعيين مدرسيها وموظفيها . كما كان له دور كبير في الاشراف على المجاورين في الازهر والمساجد المختلفة في القاهرة ، وكانت هذه المدارس تخضع للتفتيش من قبل القاضي وعندما يتبين له ان المبالغ المخصصة للعناية بهذه المدارس وتلاميذها قد صرفت في غير اغراضها فان له الحق في أن يرغم القائمين على ادارتها على الامتثال لرغبة مؤسسها ، وينبغي أن يكون المدرس الموكل اليه أمر التدريس قادرا على القيام بمهام وظيفته وإذا ما رأى انه اقل كفاءة مما يقتضيه العمل فباستطاعته أن يرغم القائم على أمر ادارة المدرسة على ان يختار مدرسا أخرا كفا منه . لمزيد من المعلومات راجع - عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ١٤٠ وما بعدها .

[٢] مولى : منلا أو ملا أو مولا ، هي تحريف للكلمة العربية مولى وقد حرفت في شمال افريقيا الى مولاى . وقد كان لقباً لقضاة العسكر في الدولة العثمانية ، واسم فئة الدراويش المولوية مشتق من نفس المصدر ومن اصطلاح مولانا الذي كان يستعمل في الاشارة الى مؤسسها جلال الدين الرومى وتهجى نفس الكلمة في القواميس التركية الحديثة التى تستعمل الحروف اللاتينية يشتمل على حرفى L (Molla) . راجع هاملتون جب وهارولديويين : المجتمع الاسلامى والغرب ، ترجمه د/ احمد عبدالرحيم مصطفى ، هـ . م . ع . ١٩٨٩ ، ص ١٧٢ حاشية رقم ١٢ .

دُعَائِي مُسْتَتْمِرٌ كُلَّ وَقْتٍ
يُبَلِّغُكَ الْمُهَيِّمِينَ كُلَّمَا تَبَتَّغَى
حَمِيَّتِ مِنَ الرَّدَى وَكَفِيَّتِ
سَتَظْفِرُ بِالْمَرَادِ وَفَوْقَ مَاذَا
نُظَامِي فَيَكُمُ قَدْرَاقُ حَسَنًا
دَوَامُ الدَّهْرِ تَبْقَى فِي سُرُورِ
الْهَى جَدْبَمَا عَوْدَتْ فَضْلًا
عَلَى خَيْرِ الْوَرَى أَزْكَى الصَّلَاةِ
تَعْطُرُ نَسْرَهَا (١) فِي كُلِّ نَادٍ

لَكُمْ فِي الْحَالِ مِنِّْي وَالْمَالِ
مَوْلَايَ مِنْ مَوْلَى الْمَوَالِي
شَرُّ الْعَدَى ثِقٌ بِالْأَلَةِ وَلَا تُبَالِي
تَامِلُ مِنَ الرَّتَبِ الْعَوَالِي
وَمَعْنَى فَهُوَ كَالسَّحَرِ الْحَالِ
لَكَ الرَّحْمَنُ رَبُّ الْعَرْشِ كَالِي
لِحَسَنِ الْعَوْدِ يَا حَسَنَ الْفَعَالِ
وَاصْحَابِ وَأَنْصَارِ وَالِ
إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ عَلَى التَّوَالِي

ومن نظم الشمس الطلخاوى المذكور عليه رحمه العلى الغفور مادحا صاحب
الترجمة أيضا ومخبرا له بما وقع للفقرا والمساكين والضعفا والمنقطعين بمصر بعد
عزله من القاضى الذى ولى بعده هو عزمى زاده " فانه حين بروز الامر السلطاني له
بقضا الديار المصرية عوضا عن حسن الافعال والطوية . عين قايم مقام (٢) عنه .
بمصر قبل وصوله اليها . وامره بعزل غالب القضاة (٣) والشهود بها .

وذلك قبل أن يحل فى ناديةا فامتثل نايبه امر مستنبيه المشهود وفعل تلك
الافاعيل التى يجازى بها يوم النشور وحصل بذلك كسر خاطر لمن بها من الرعايا
وتنغصت بذلك معاش كافة البرايا والهجو (٤) . فيه بالتضرع والدعا ، وبسط

[١] (نسرهما) : النسرين ورد ابيض عطرى قوى الرائحة واحده : نسرية - المعجم الوجيز .

[٢] قايم مقام قاضى العسكر : بعد صدور البراءة السلطانية بتعيين قاضى العسكر كان يرسل إلى قائم مقام
يحل محله حتى وصوله ، واحيانا كان يختاره من بين العلماء المصريين . وكان القايم مقام يقوم بكافة ما
يأمره به مستنبيه فى ذلك وله كافة الصلاحيات التى للقاضى العسكر حتى يأتى .

لمزيد من المعلومات راجع ، عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ٥٨ .

[٣] كان قاضى عسكر يعين كافة القضاة والشهود والعاملين فى محاكم القاهرة فى العصر العثمانى ويعزل من
يشاء منهم متى اراد فهو صاحب السلطة القضائية عليهم ولكن ليس له أى سلطة قضائية خارج نطاق
القاهرة .

[٤] الهجو : لهج بالامر : لهجا : اولع به فتأبر عليه واعتاده فهو لهج (ألهج) فلانا بالشئ : جعله يلهج به :
المعجم الوجيز .

الآلف للسميع لمن دعا فاجاب الله تعالى سؤالهم ورحم تضرعهم وابتهاهم وارسل عليه ريحا شديدة وهو فى السفينة فاخذته من الطارمه بمفرده والقتة فى اليم ، ولقى الله قبل الوصول وذاقه الله تعالى العذاب والنكول ، وكفى الله تعالى المسلمين شره ، ودفع عنهم جورهم واصره . ولم اذكره فى هذا المحل الا لانى لم اذكره فى عداد السادة القضاة والقادة الولاة لعدم وصوله الى هذه الديار والجهل باسمه ويماله من الاخبار فانى لم اراله ذكر فى كتاب ، ولا خبرا شافيا عند حد من ذوى الالباب لعدم تقيدهم به فنالهم منه من اليم النكال وعظيم الويال ، وغرض ايراد القصيدة المذكورة الشهيرة فى هذا المحل الاجل للوقوف على مافيهها وللتأمل فى حسن معانيها وهى :

وسقينا صرفا كوس الردا
ويما حل من عظيم البلاء
وانتعاش وغبطة وهناء
ليس تحصي ناهيك عدا الحصاء
بجور عمت على الفقهاء
نالهم منه غايه الايذاء
يالها بئس فعله شنعاء
من عظيم النكال (١) والانكاء (٢)
والامن بخوف والضيق بعد القضاء
هل لعصر طول هذا العناء
بدموعه ممزوجة بالدماء
وصغار وصبية ونساء
قبل ايصاله كاخذ القراء

اكلتنا الذأب يا مولاي
لا تسلم ماجرى علينا افندى
كانت الناس فى سرور وأمن
دهمتهم مصايب وهموم
مذتولى بمصر قاضى قضاياه
وخصوصا قضائياتها وشهود
واذ بداهم بالعزل من غير ذنب
واتاهم مالم يكن فى حساب
بدل الصفو بالتكدر
وكل يوم يمر كالعام طولا
لو تراهم ما بين شاك وبك
من كهول ومن شباب وشيب
كلهم قائلون يارب خذ

[١] النكال : النكل وجمعه انكال ونكل به تنكيلا أى جعله نكالا وعبره لغيره ، ونكل عن العدو أى جبن . مختار الصحاح .
[٢] الانكاء : المتكأ موضع الاتكاء وقره الاخفش فى الامه بالمجلس وتوكل على العصاه وأوكا ايكاء أى نصب له متكأ - مختار الصحاح .

ضرمت فى قلوبهم جمرات
بعضهم باع ماله من ثياب
وترى البعض باع اسباب بيت
وتمنى الممات بعض لضيق
ومتى فات بعضهم قوت يوم
والذى كان راكبا عاد ماش
ليته لو قضى ولم يك قاضى
ربنا اكشف عنا العذاب
يا عظيمما يرجى لكل عظيم
واغننا عن سؤال انا انبنا
يا اله السما فرج و نفس
واغثنا وامنن بعود افندى
ياله من أجل قاضى قضاياه
من نفسه بما سواه فاين الجوهر
فهو غوث الندا لكل مسلم
قسما بالذى له الخلق والامر
ما راينا ولا سمعنا ولم يأت
حرس الله ذاته ورعااه
واطال البقا والعز للنجل
جلبى احمد الحميد خصال
ويبلغكم المراد أفندى
بجناب المختار خير البرايا
فعليه والال أذكى صلاة
ما أتى الله بعد عسر ويسر

مالها فى الهيبة من اطفاء
وتردا من الردا (١) برداء
منفقا ذاك فى الغد والعشاء
فهو ميت فى صورة الاحياء
بات طاوى الحسا (٢) حليف العناء
وبكل قد ضاق رب الفضاء
ما تولى الالسوء القضاء
فإنا مسنا الضريا سميع الدعاء
يا عليما بالسر والنجواء
والتجأنا اليك يا رب العطاء
كربنا انت ملجا الضعفاء
حسن ذى المناقب الحسناء
بعدل ضأت كضوء ذكاء
المنتقى من الحصاء
وهو غيث الندا لذي الفقراء
تعالى ذو المجد والعطاء
له فى الزمان من نظراء
ووقاه مكايده الاعداء
السعيد الفريد فى الانبياء
مفخر الأمهات والآباء
من أجل المراتب العليا
خاتم الأنبياء والأصفياء
وعلى التابعين والخلفاء
وتجلت غياهب الظلماء

[١] الردا : (ردى) فى البئر (وتردى) اذا سقط فيها و (ردى) من باب صدى أى هلك (أرداه) غيره - الصحاح .

[٢] الحسا : المرق و (الحسو) طعام معروف وكذا (الحساء) يقال شربو (حسوا) وحساء بمعنى . الصحاح .

قاضي عسكر مصر

حسن بن علي بن أهر الله الرومي^(١) الحنفى^(٢)

[قتل زاده]

ويعرف بين السادة الأروام بقتل زاده ، حفظ القرآن العظيم بالروم ، واشتغل بالعلم الشريف على علماء عصره ، وفضلاء مصره ، واخذ عن أبيه في فنون كثيرة ، وعلوم شهيرة وتولى المدارس العديدة ، والمجال المفيدة بالديار الرومية في حياة^(٣) أبيه وبعده ثم ولى القضا بمماليك متعددة ، ومناصب متجددة ، منها الشام وحلب ، الى أن آل أمره الى قضا مصر المحروسة فوليا مرتين ، فقدم اليها المرة الأولى في رابع عشر [١٠]^(٤) رجب سنة ثلاث وارخ قدومه شيخ مصره ، ولبيب عصره الشيخ محمد الأشعري ، بييتين من الشعر بحساب الجمل الكبير ، فقال :

مصر بعدل بشرت بالذى ولى قضاها ذو الثنا الحسن
على أصل أرخوا عامه جا منصف للشرع بهى حسن

[١] الرومى : أطلقت هذه الصفة على سكان الدولة العثمانية في جزئها الأروبي وهي تعود اصلا لأن هذا الجزء كان تابعا للدولة الرومانية من قبل فأنسحبت التسمية بعد ذلك على العثمانيين المسلمين وخصوصا بعد الاستيلاء على القسطنطينية .

[٢] كانت ولايته الأولى من ١٤ رجب ١٠٠٣ : ١٩ صفر ١٠٠٤ هـ / ٢٦ مارس ١٥٩٥ : ٢٥ أكتوبر ١٥٩٥ م . هذا بينما يذكر ابن أبى سرور البكرى أن ولايته كانت من ٥ شعبان ١٠٠٣ : ١٥ صفر ١٠٠٤ هـ / ١٦ أبريل ١٥٩٥ : ٢١ أكتوبر ١٥٩٥ م .

لمزيد من المعلومات راجع محمد بن أبى سرور البكرى : الروضة المائوسة في اخبار مصر المحروسة ، تحقيق عبدالرزاق عبدالرازق عيسى ، الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص ١٨٠ .

[٣] يوجد شطب بالاصل .

[٤] كتب على هامش الصفحة (٩) ما يلى :

كما رايت بخط صاف خطابا لشيخنا شيخ الاسلام ، وحيد العلماء البدر والقرافى ، بما لفظه بعد إهدا تحيات صافيات وتسليمات وافيات ، بذلك العالم العلامة ، والقاضى بدر الدين القرافى المالكى حفظه الله تعالى وإبقاه ، المشتمل بروياه بمحمد واله امين ، نبى لعلمة الكريم أن مولانا السلطان محمد نصره الله تعالى ، قد أنعم علينا بقضا مصر المحروسة ، خامس شهر جماد الآخر ، وقد أقمنا ذاك زاده مقامنا فى النظر فى الأحكام ، والنظر فى امور الانام فيكون اسمكم نظر والتفات لأحكامه ، ناظرين الى تصرفاته كلها منبهين له فعل كل ما ينبغى قيفعله وما لا ينبغى فيتجنبه ، لا يفعل فعلا إلا وانتم ناظرون اليه فيه واياكم وادنى تهاون فى شئ من ذلك ، فانا لا نقبل منكم تعللانا ، من المحب الفقير القاضى بمصر القاهرة ولا يخلوا ايراد هذا المكتوب بتمامه من فايده يلحظها العاقل النبية .

فساس الناس بالعدل والأنصاف ، وحباهم من أحسانه الاسعاد و الاسعاف ، فأحبته كافة الرعية ، وخاصة البرية ، ومدحوه واثنوا عليه وألقوا مقاليد أمورهم اليه ، وخدم بالقصايد التى فى غاية البلاغة ، من غاية القصر مع انها فى جبهة الدهر كالغرر ، ففاجأه العزل فى تاسع عشر صفر سنة أربع بعد الألف ، فكانت مدته دون الثمانية اشهر ، وسافر الى الديار الرومية ، ثم حصلت عليه عاطفة سلطانية ، ورحمة خنكارية (١) ، فانعم عليه بالعود الى قضا مصر المحروسة ثانيا (٢) ، فعاد لاويا عنان طرفة اليهما ثانيا . فكان وصوله إليها وقدمه عليها ، رابع رمضان سنة ست بعد الألف فحين وصوله الى هذه الديار ، وحلوله بهذه الأقطار ، قرر الفقير كاتباً للتقارير (٣) ، وحصل من انعامه على الفضل الغزير ، بل انعم على الفقير بجهات سنه ، ووظائف دينية، منها النظر والتحدث على زواية الشيخ يحيى السفطى بالجودرية (٤) ، وقراءة الحديث بوقف المرحوم

[١] خنكارية : وهى اختصار لكلمة " لخدائندكار " وتعنى الملك أو السلطان وهى فى الاصل كلمة فارسية معناها الأول : الخالق جل وعلا . وقيل انها تركية خالصة وانها فى اللغة التركية الاويغورية بصيغه " وانكار " ، لقب للسلطان العثمانى معناها السعيد الحظ .

راجع د / أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٩٠ . Redhous, op . cit p867 .

[٢] كانت ولايته الثانية من ٤ رمضان ١٠٠٦ هـ ١٤ محرم ١٠٠٧ هـ ١١ أبريل ١٥٩٨ : ١٨ اغسطس ١٥٩٨ م هذا بينما يذكر ابن ابى السرور البكرى ان ولايته الثانية من محرم ١٠٠٦ هـ : أول ربيع ١٠٠٧ هـ / ٤ سبتمبر ١٥٩٧ : اكتوبر ١٥٩٨ م الروضة مصدر سابق ، ص ١٨٢ .

[٣] الكتاب : يعتبر الكتاب من أهم معاونى القضاة فقد نيط بهم كتابه الحجج فى السجلات وكذلك الكشف عنها واستخراجها وقت الحاجة إليها ، واختلف عدد الكتاب فى المحاكم تبعاً لنوع المحكمة وعدد المتعاملين معها وكثافة القضايا التى تنظر امامها ، ويعين قاضى العسكر الكتاب ويحدد اختصاصاتهم تبعاً للمحكمة التى يعملون بها واختصاصاتها النوعية ، فكتاب القسمة العسكرية يختصون بأمورهم فقط كذلك كتاب الباب العالى لا يتعدون الاختصاصات المنوطة بالباب وهكذا ... وسجل قرار تعيين الكتاب فى سجلات المحاكم كالتالى . " اذن مولانا شيخ الاسلام للشيخ زين الدين احمد الخريبي بأن يجلس كاتباً بمحكمة الباب العالى لتعاطى كتابه التمسكات وضبط الدعاوى " وكان بكل محكمة رئيس للكتاب يطلق عليه " باش كاتب " المحكمة ومهمته الاشراف على الكتاب وتوجيههم للأعمال المختلفة وكذلك مراجعة أعمالهم لضمان حسن سيرهم وعدم التدليس أو الخطأ فيها وكانت تحفظ تحت يده السجلات الشرعية للمحكمة . وقرر للكتاب على كل حجة نصفين فضة كما سمع لهم بالعمل فى وظائف الاوقاف والاعمال الادارية بها والاعمال الدينية ايضا كالامامه قراءة القرآن لزيادة دخلهم وحمايتهم من تناول الرشاوى - لمزيد من التفاصيل راجع - عبدالرازق عبدالرازق عيسى مرجع سابق - ص ٢٥٥ ومابعدها .

[٤] الجودرية : عرفت هذه الحارة بحارة طائفة الجودية احد طوائف العسكر فى ايام الحاكم بأمر الله ، وقيل أنها كانت سكن اليهود فمنعهم الحاكم بأمر الله من سكنها .

راجع تقى الدين المقرئى : المواعظ والاعتبار ويذكر الخطط والاثار . ح ٨ مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة د/ت - ح ٢ ص ٥ .

جوهر المعينى ، والنظر والتحدث على وقف والد الفقير وقرائتين بوقتى الصبح والعشا ، بوقف المرحوم أربك الأتابكى ، وقرائتين بوقف فاطمة بنت بكتمر الساقى^(١) ، وأغرقنى فى بحار إحسانه ، وعاملنى بما يعامله .

الله تعالى فى رضوانه ، ولكن لم تطل أيامه ، ولم يبلغه الدهر منه مرامه ، حتى فجأة بمصيبتين عظيميتين ، وحادثتين خطرتين ، أحداهما فقد ولده وثمره كبده "عبدالباقي جلى" ، والثانية عزله من المنصب ، كلتاهما فى أن واحد ، كأنهما كانا له بالمرصاد ، فكان موت الولد فى أوائل المحرم سنة سبع بعد الألف ، وأعقبه العزل فى رابع عشر المحرم المذكور ، ليعظم الله تعالى بذلك مزيد الأجور ، ورثاه صاحبنا البليغ الفاضل الفصيح الكامل شمس الدين محمد البلىنى الشافعى ، بقصيدة تشد إليها الرحال ، ولا يفهمها إلا فحول الرجال يتعين إيرادها فى هذا الجمع اللطيف ، والتخبير الطريف تتميماً للفائدة ، ووصلاً للصلة ، والعايدة فان الحديث شجون ، والانتقال من حال [١٢] الى حال من أعذب الفنون وهى من بحر الطويل^(٢) وأبياتها ، خمسة وخمسون بيتاً ، فقال :

[١] اشرف قاضى العسكر على الاوقاف :

عند مجئ العثمانيين الى مصر كانت مساحة كبيرة من اراضى مصر اوقافا بلغت عشرة قراريط (على اعتبار أن مصر كلها ٢٤ قيراطا) كذلك كانت غالبية مباني القاهرة والفسطاط وقفا . وبدأ اشرف قاضى العسكر العثمانى على الاوقاف فى مصر منذ حضور أول قاضى عسكر لمصر هو " جلى افندى " الذى قرر القاضى العثمانى " شجاع " وجعله قاضى عسكر متحدثا على اوقاف الجوامع والمدارس ومعالم النظار ، فطلب الجباة وقال لهم " ارفعوا لى حساب الاوقاف وقدر معالم النظار وما قدرها كل شهر فشرعوا فى اسباب ذلك فى عمل الحساب " ويبدأ دور القاضى فى الاشراف على الاوقاف منذ تسجيلها أمامه واقرار الواقف بوقفه وتصديق القاضى على ذلك الوقف وانه صحيح واصدار حجة بذلك الوقف وبحكم مسئولية القاضى عن ادارة الاوقاف فقد كان من حقه أن يعين الناظر من قبل القاضى على اختياره لاستقامته وحسن سيرته - ومن حق القضاة عزل ناظر الاوقاف تحت - أى مخالفة كما يجدر القول انه حتى فى حالة حصول الشخص على براءة سلطانية بتعيينه ناظرا لأحد اوقاف القاهرة لابد من موافقة قاضى العسكر بحكم ولايته الخاصة على الاوقاف وهى مقدمة على الولاية العامة للسلطان . وفى الاقاليم لقاضى الاقليم بحكم ولايته على اوقاف اقليمه أن يقوم بعزل الناظر اذا حدث منه ما يخالف وظيفته وله سلطة مثلما لقاضى عسكر على اوقاف القاهرة .

راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

- أحمد ابراهيم : احكام الوقف والمواريث فى الاسلام ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٣٧ ، ص ١٤ وما بعدها .

[٢] بحر الطويل : عروض بحر الطويل (أى التفعيلة الأخيرة من تفعيلات الشطر الأول - مفاعلين) مقبوضة (أى مخدوف خامسها الساكن فتصير الى مفاعلين) والضرب (أى التفعيلة الأخيرة من تفعيلات الشطر الثانى) مقبوضة ايضاً .

وصور هذا البحر فى الشعر العربى ، لا تكون فيه العروض الا مقبوضة ، ولا تأتى غير ذلك الا عند التصريع ، والتصريع لا يكون الا فى مطلع القصيدة أو فى مطالع الاغراض داخل القصيدة الواحدة .

على الدهر لا عتب اذ الدهر عائب
خبث بل يث لا يدين لعائب
جرت ادمعى مما جرى من صروفه
ولو كان فولاذاً فؤادى وخلبه
علمت وباعدت جابما
بحثت فاكثرت التنقيب فليتها
واقعدتنى عن كل ما أن أرومه
فحقك بالبلوى سريع وبالنوى (١)
واكثرت مما يحتوى غير مرعو
ولو كان رمماً واحداً لأتقيه
وما مثل هذا الحال تحمله مضغنة
شؤون تحيل الصخر دعثا فما له
فمنها ومنها ما يهد أولوا القوى
[١٣] ميا سم سوء لانزول علوبها
فبيننا أصوغ المدح إذ أنا فى الرثى
وبينا أرجى طول مكث وصحبة
عجبت لدهر إن يخن فهو عامد
ومهما إدعى أن لا يجوز فخادع
وما راقنى فيه زهور اريضة

كثير المخازى بالاكارم عابث
شتى الصنوف غثاغث
فيا الصروف كلهن خبائث
كلتهما ذابا اذ الغم كارث
تريد اصطلامى مانجافيك حادث
ترد الى ارض الحفير النبائث
وأبعدتنى عن كل خل أحداث
وحقك مرقوم القتام جثا جث
ومن كل اوب أيدتك الحوادث
ولكنه رمح وثمان وثالث
ولا الصخر والصلد الشديد
لها طاقة عبر الذراع الدلامث
وما بالرزايا تستمر النكاث
مشحوبومشاعث
وبينا أرجى العمر اذ أنا وارث
اذا الدهر عن ربا المرادين ماكث
ولا نحن فى ساحة اللهو لاث
ومها تالى أن يجود فحانث (٢)
ولا الغانيات الفاتنات الاناث

[١] النوى : والنوى البعد . والنوى الناحية يذهب اليها . المعجم الوسط .

[٢] حانث : (الحنث) الاثم والذنب ، وبلغ الغلام (الحنث) اى بلغ المعصية والطاعة بالبلوغ (والحنث) الحلف فى اليمين . مختار الصحاح .

وما شمتته إلا وخب سيرة
وما طرقتني فيه يوما مسرة
مناهل ريق لا تطيب لوارد
مجامع بؤس لا تحل عقودها
عدمته من دهر مشؤم من عم
فعلت بعبد الباقي فعلتك التي
ومن بعدها أنأيت من قربه لنا
فكن فاعلا ماشيئة بعدها فلا
ولى مقله عبرى وطرف كأنما
[١٤] أصاح لقد صاح اين دابه ناعقاً
تفرق شعب الشمل بعد اجتماعه
لقد صدع البين الفؤاد ومضه
الأمن يعبر الجفن ماء عيونه
فلا بث إلا ما ابث ولا جوى
بخيت وما فارقتما مصر برهه
وكيف اذا اقادوا الفؤاد أسيرهم
بخيل يرجع السير يغرى بحثها

هو الخلب النامى الجفاف الكنادث
لهوت بها إلا اعترتها ضراغث
موارد شر راقبها شرابث
معاقد بأس شعنتها الأشاعث (١)
حريص على ثلب الكرام مهايب
فعلت على رغمى فعمى كارث
حياة فما أبقىيت لم يبق ثالث
أبالى بما توفى وما انت ناكث (٢)
بموقية من مجرى السيول مدالث
بنا ويحه من لاي ن دابه باعث
اعين اصابت أم رمى السحرنافت (٣)
كما صدع الأرض المحية حادث
فقد أنقذت ماء العيون الحوادث
باعظم مما بين جنبى لاث
فكيف اذ نطوى الصوى والكثاكت
وساروا أو غنى المحبس جاد كنايث
الى حيث شاء الاكرمون الملاوث

[١] الأشاعث : انتشار والامر يقال : لم الله (شعتك أى جمع امرك المنتشر و (الشعث) ايضاً مصدر و (الاشعث)
وهو مغبر الرأس . مختار الصحاح .

[٢] ناكث : نكث العهد أى نقضه ، ورجع فيه . مختار الصحاح .

[٣] نافت : النفث شبيهه بالنفخ وهو اقل من التفل ، وقد نفت " الرافى " من باب ضرب والتفاثات فى العقد
السواحر . مختار الصحاح .

الى حيث يعى الحبس جوب حرارة
ارقنا وقد راموا من الروم منزلا
ايك أمر الله مالى اراكموا
ومامنكم إلا سكين مهذب
عجلتم بتوزيع الديار واهلها
ولا بدع ان الغيت فيهم علاقة
فمنتم بما فوق المرجى فانتم
[١٥] وهان جليل المال عند سماحكم
فيا زيد زيد اليعملات انخ لهم
إنخ بإناس اكثر وابعد رفدهم
وجعلت هواهم والوداد علاقة
وتلججت فى توديعهم فكالتغ
وان جاء جاء فارسا لزيارة
وان قمت اشكو لا شكوت لغيرهم
وقد صرت كالفأفأ اردد أحرفاً
سلام عليهم لا إعترتهم مكاره
ولا بعدت عنا وجوه كأنها
وجوه غيوث أمطر النضر سحبههم
ولا شغلت بى الرغائث عنهم

ويقذع عزم المقدمين الثلاث
وهيهات أرض حلها قبل يافث
ومامنكم الا مجيد ولاهث
نكيث اذا هج ابن طيش وماغث
(١)

فمن جد جدواكم دغنهم بواعث
بذروة مجد لم تطلها المحارث
فاغنيتما من أعوزته المغاوث
قليلاً فانى فى هواهم لواث
وقل لديهم با ذبيد الثلاث
خليطى فى صدر به الوجد لا بث
أقول لكم نار الرجى والجنادث
أقول لهم ياساداتى جاء فارث
عبوس زمانى قلت دهرى عابث
ولست به لكنما الهم كارث
ولاعاث فيهم يا أميمة عاث
شموس نأى عنها الطخا المتكارث
وأوهن منهم بالبروق التحارث
ولا ثبطتنى ما حييت الربائث

[١] هذا الشطر غير ممكن قراءته لوجود شطب عليه .

قلت وقد اجازة صاحبنا ، على المراثية ، بوظيفة فى وقف يشبك الداودار ، فى كل يوم ثلاثه أنصاف^(١) ، وستة أرطال من الخبز ، وكتبت له التقرير بخطى ، فأعطانى هذه المراثية بخطه ، رحمة الله تعالى عليهما وسافر صاحب الترجمة بعد ذلك الى الديار الرومية ، مقر تخت السلطنة^(٢) السنية ، فلم يمكث إلا برهة يسيرة ، وبلى بمرض الفالج ، فإستعفى من المناصب ، لما حصل له من الشدايد والمتاعب ، وطلب من الحضرة الخنكارية الأذن بالاقامة بالديار المصرية ، الى انقضاء الأجل المحتوم ، ومجى الوقت المعلوم ، فأنعم عليه بأن يكون مقيماً برشيد^(٣) ، إلى أن يأت

[١] النصف : نقد تركى ترجع اقدم اشارة إليه فى سنة ١٥٨٣م ، قد ضرب أولا من الفضة بقيمة قدرها أربع أقباج "أخشا" وسرعان ما اختلف مركز "الأخشا" باعتبارها الوحدة النقدية التركية الصغرى ، حتى أصبحت الفضة تساوى ٤٠:١ من القرش ، بوزن قدره ستة عشرة قمحه ثم انخفض وزنها إلى ذلك فى اوائل القرن التاسع عشر الميلاد وقل ما فيها من فضة ، من نظام العملة المجيدى ١٨٤٤م أصبحت الفضة قطعة صغيرة من العملة النحاسية تضرب فى استنبول وفى مصر على السواء ، وقد اطلق الاتراك على الفضة اسم "بارة" الفارسية اطلق عليها "نصف فضة" "المؤيدى" وقد كانت هذه العملة وسيلة هامه لتحقيق مرونة العمليات التجارية فى مصر ، وفى عهد محمد على قل وجود هذه النقود .

لمزيد من المعلومات راجع . د/ عبدالرحمن زكى : النقود المتداوله فى زمن الجبرتى بحث منشور ضمن كتاب الجبرتى دراسات وبحوث . هـ . م . ع القاهرة ١٩٧٨م ، ص ٥٧٣ .

[٢] تخت السلطنة : التخت : هو أى هيكل يستعمل فى الجلوس أو الاتكاء ، مثل الدكة أو الكنبه أو المحفة أو النعت ، أو العرش خاصة عرش السلطان والمقصود هنا بتخت السلطنة مقر السلطان العثمانى . راجع Redhouse, Op.cit, p513.

[٣] رشيد : تقع مدينة رشيد على خط ٢٤ ، ٣١ شمالا وخط ٢٥ ، ٣ شرقاً كانت رشيد احدى المدن القديمة لقد وردت فى جغرافية سترابون باسم (بوليتين) بينما ذكرها اميلينو باسمها القبطى الذى اشتق منه اسمها الحالى . وهى على الناحية الغربية من فرع نهر النيل المنسوب اليها قد حالت وعوره وصعوبة الملاحة فيه دون أن تلعب رشيد دور دمياط التجارى والسياسى ، وقد غلبت السمه الحربيه على نشأة هذا الشجر فى العصر المملوكى إلى الحد الذى حرمت معه السلطات المملوكيه المتعاقبة على السفن التجارية دخوله من جهة البحر المتوسط ، لذلك انتقل النشاط التجارى منه إلى فوه التى تقع إلى الجنوب منه التى اتصلت بالاسكندرية عبر خليج الاسكندرية ، فى العصر العثمانى ترتب على اهمال حفر الخليج أن تراجع دور فوه التجارى وازدهرت رشيد لاسيما بعد أن زالت صفتها الحربيه أصبحت ميناء تجاريا ، فقد أصبحت رشيد بمثابة مخزن لتجارة الاسكندرية مما جعلها مدينة مزدهرة .

لمزيد من المعلومات راجع . د/ عبدالحميد سليمان : تاريخ الموانئ المصرية فى العصر العثمانى هـ . م . ع ١٩٩٥م ، ص ٢٠ ما بعدها .

أمر العزيز الحميد ، فقدم إلى رشيد وتقاعد بها إلى أن إخرمته المنية ، ولم يبلغ من دنياه الأمنية ، كان ذلك فيما أظن في سنة عشره بعد الألف ، وقد أنجب نجلاً سعيداً وهو مقيم بهذه الديار الآن ، حماه الله ، من طوارق الحدثان ، وتغمد روح والده بالرحمة والرضوان ، أسكنه أعلى فراديس الجنان ، حق أن ينشد فيه قول العارف النبیه :

السيد من صلب الناس وولى والثناء عنه جميل
فإنه لم يكن أحد من الناس ، إلا وقد عامله صاحب الترجمة بكمال المعروف ،
حباه من الأحسان الأنواع والصنوف ، فإنه كان مجبولاً على حب الخيرات ،
واصنطاع المبرات ، رحمة الله تعالى وواتر احسانه على رمسه ^(١) ووالى ، بمحمد
وآله ، ومن مشى على منواله .

[١] (رمس) الميت . رمسا : دفنه وسوى عليه الأرض و الشئ : طمس اثره و " الرمس " القبر . المعجم الوجيز .

قاضي عسكر مصر

حسين بن محمد المولى حسام الدين

الشهير بين السادة الآروام

"بقرا جلبى زاده" (١)

ولد بمدينة قسطنطينية (٢) المحمية في حدود الأربعين وتسعمائة ، وأخذ العلم عن ابن عادل باشا ، وعن المولى محمد شاه بن سنان جلبى (٣) ، وعن المولى محمد بن عبد القادر الشهير بمعلول زاده (٤) ، وعن غيرهم من الموالى والعلماء ،

[١] كانت ولايته من آخر محرم ٩٨٧: ١٩ جمادى الآخر ٩٨٩ هـ / ٢٨ فبراير ١٥٧٩: يوليو ١٥٨١ م ، يتفق معه محمد بن ابى السرر البكرى فى تاريخ العزل لكنه يختلف معه فى تاريخ التولية الذى يحدده بغرة صفر ٩٨٧ هـ ، ٣٠ مارس ١٥٧٩ م ، راجع الروضة ص ١٧٣ .

[٢] القسطنطينية : تسمى دار السعادة استانبول أو اسلامبول ، كان موضعها قرية قديمة تسمى "بيزنطة" ولكن الامبرطور قسطنطين بنى مكانها مدينته التى اتخذها عاصمة الامبراطورية الرومانية بدلاً من روما ، وسميت "بالقسطنطينية" نسبة إليه ، وتقع عند مدخل الخليج المسمى عند الترك بخليج ابى ايوب الانصارى والمسمى فى الغرب "كورن دور" أى قرن الذهب وطوله ٦٨٠٠ م واصغر عرض له ١٦٠٠ م ، وعلى ساحل هذا الخليج عدة قرى متصلة باستانبول ومعدودة منها ، ومن اشهرها قرية الفنار التى كان يسكنها السفراء ، وبلدة بلاط التى سكنها اليهود ، وجهة سيدى ابى ايوب الانصارى له بها مسجد عظيم تقام فيه بعض المراسيم عندما يتولى الحكم سلطان جديد ، كلها على الساحل الغربى للخليج وعلى الساحل الغربى قرية "خاصكوى" يسكنها ارمن ويهود ، وجهة قاسم وبها مقر نظارة البحرية العثمانية ودار الصناعة ، وشمالها على ساحل اوروبا عدة مرفأى صغيرة منها "بالطه" "ليمان ويوجى كوى" "واميركون" "ويوك درة" "وروملى" بساحل "أسيا اسكودار" وبلاستانة العديد من المنشآت التى لسلطان آل عثمان بعدما انتقلت إليها عاصمتهم بحيث يبدو منظرها غاية فى الجمال والفخامة فيها ٦٧٥ جامعا و ٥٢٠ مدرسة اسلامية و ١٤٨ مدرسة عالية ٦٥ مكتبة و ٥٠ قصرا ٣٥٤ خانا ١٨٠ حماما و ١٩٨ ثكنة عسكرية كما يوجد بها ٢٣١ ديرا ١٨ مستشفى ، ١٧٠ كنيسة لمختلف الطوائف ، راجع إسماعيل سرهنك مرجع سابق ص ٤٥٩ - ٢٤٦٠ .

[٣] جلبى : كلمة تتريه الأصل معناها : الرجل النقى ، أو الراهب الناسك المسيحى ، استخدمت فى اللغة التركية للدلالة على امير ، وعلى الحكيم العالم بالعلوم ، وكذلك للدلالة على عالم القانون والدين الاسلامى واخيرا استعملت للدلالة على صاحب القلم أو الكاتب وكذلك السيد غير المسلم . Redhouse, op, cit, p778.

[٤] محمد بن عبد القادر : احد الموالى الرومية أخذ عن جماعة من كبار العلماء منهم المولى محيى الدين الفتاوى ، وابن كمال باشا وغيرهم ، ثم خدم خير الدين معلم السلطان سليمان ، ثم ولى تدريس مدرسة قاسم باشا ببروسا ، ثم مدرس بالأفضلية بالقسطنطينية ، ثم مدرسة الوزير محمود باشا ، ثم سلطانية بروسا ، ثم مدرسا باحدى الثمانى ، وفى نهاية حياته وقع له عرض برجله منعه عن مباشرة المناصب ، فتقاعد بمائه درهم ، وكان عارفا بالعلوم العقلية والنقلية . راجع نجم الدين الغزى : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة . وضع حواشيه خليل المنصور . دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٩٩٠ . ج ٢ ص ٤٣ .

إلى [أن] (١) سار مدرساً بإحدى المدارس الثمان (٢) ، ثم ترقى إلى أن ولى مدرسة فى الداخل ، ثم إنتقل إلى دار الحديث (٣) ثم ولى القضا بدمشق الشام ، ثم إنتقل منها إلى قضا الديار المصرية فورد إليها فى أواخر المحرم الحرام سنة سبع وثمانين وتسعمائة ، فمكث فيها سنتان ونصف ، إلى أن كان انفصاله عنها فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وتسعمائة بعلى أفندى الشهير بسنان زاده، الآتى ترجمته فى محلها من هذا الكتاب. فسلك صاحب الترجمة فى ولايته الاحسان بالجهات السنية ، ورفع عن مصر الغيم والإجفاف ، وأنعم على أهاليها بالجهات السنية والوظائف السنية ، من غير مقابل ولا مقارن ، ولا مظاهر ، ولا معارض ، بل محض إحسان منه لنا ، بأفضاله نرجو بها له الخلود فى الجنة. مع ذلك كان متبصراً فى الأحكام ، ذو سطوة (٤) وشهامة على الحكام والتحرى الدائم الذى لا يعتريه فيه خوف من لوم لايم حتى كانت الحكام السياسية (٥) فى قبضة قهره لا

[١] الاضافة لتوضيح المعنى .

[٢] المدارس الثمان : بنى السلطان محمد الفاتح ما لا يقل عن ١٦ مدرسة حول مسجده وكل منها يسمى "فاتح" نسبة اليه وقد بنى السلطان "محمد" مدارس على مرحلتين فقد بدأ ببناء أربعة شمالي مسجده وأربعة جنوبية، وكانت هذه المدارس تعرف باسم مدارس الصحن وبالتالى عرف الصحن باسم "صحن الثمانية" بعد ذلك احس بضرورة بناء ثمان أخرى ، بنفس الترتيب ولما كانت مخصصة للدراسات الأولية فقد أطلق عليها فيما بعد اسم موصله إلى الصحن أو تكميلية . وكان بإمكان مدارس محمد الثانى أن تؤوى ما مجموعه ٣١٢ تلميذا فى وقت احد .

لمزيد من المعلومات راجع . جب ، ويووين . مرجع سابق ، ص ٢٧٩ ما بعدها

[٣] دار الحديث : احاط السلطان سليمان القانونى مسجده بعهده مدارس تسمى (المدارس السليمانية) وخصصت اثنتان من المدارس التى كانت تكون جزءا من مجمع السليمانية للدراسات الخاصة فكانت بها دار الحديث المخصصة لدراسة السنة ، ولقد نظم التعليم فى كل هذه المدارس السليمانية (فى ١٢ مرحلة ، وكان لمدرسى دار الحديث الاشراف على مدرسى المدارس الأدنى .

راجع جب ويووين . مرجع سابق ص ٢٨١ .

[٤] كتب على هامش الصفحة (١٧) وأرخ ولايته المذكورة خاتمة شعرا القرن العاشر البرهان المبلط الشافعى فقال .

كان الوباء بمصر قد غلبا	وجد فى أخذ الورى الطلبا
أخذ البنين مع البنات ما	رحم الورى أمالهم وأبا
حتى أتى قاضى القضاة حسين	مصر للإحكام وانتصبا
وحىو سنة طغوا وماطفوا	أخذا لم يجيئه أدبا
فبشارتى قولى اورخه	بقدوم مولاي الورى ذهبا

[٥] الحكام السياسية : ميزت وثائق المحاكم الشرعية بوضوح بين حكام الشرع وهم القضاة، وحكام السياسة وهم رجال الحكم والسلطة التنفيذية .

يخرجن فى الأمور عن نهيه وأمره ، قمع فى مدته أهل الفساد، وشتت جموع أهل
البغى والعناد ، بحيث أن الزور فى مدته لا يشم له بمصر رايحه ، وبوارق عدله
وإنصافه على أهاليها لا يحد ، وبالجمله فكانت ولايته على مصر رحمه للعباد ، ونعمه
على الحاضر منها والباد . كان الناس فى زمنه فى أمن وأمان ، ورخا دايم
وإطمئنان ، وكان له محبة اكيدة لنوابه (١)، وعطف زايد لمن انتمى لجنابه خصوصاً
النواب فكان لهم عنده مقام عظيم ومحل كريم معظماً للشرع وأهاليه ، موازارا لمن
انتمى إليه ، وكان الإستناذ المرحوم الوالد ، عامله الله تعالى باحسانه فى تلك
الفترة فى تلك المشاهد عنده المقام العظيم ، ولا يخاطبه إلا بأنواع التعظيم ، بحيث
رقاه إلى المناصب الجليلة والمراتب الجميلة وأنعم عليه بالجهات العديدة ، والوظائف
المفيدة (٢) إلى أن إغرقه فى بحار أنعامه ، وأغدق عليه من ميذاب أفضاله وإكرامه ،
ولما انتقل من قضاء الديار المصرية وسافر إلى دار السلطنة السنية

[١] نواب قاضى العسكر : كان قاضى العسكر يختار دائما نائبا له وهو يوما يأتى معه من استنبول ويكون
تعيين النائب دائما مصاحبا لتعيين قاضى العسكر نفسه ويتمتع بمكانة كبيرة فقد كان يقوم بأعمال قاضى
عسكر فى حاله عدم تواجده وإضافة إلى النائب فقد كان فى المحكمة أربعة من النواب على المذاهب
الإسلامية الأربعة حتى يلجأ إليهم أتباع مذاهبهم وإن كان فى بعض الأحيان وجد بعض قضاة العسكر
الذين منعوا العمل بالمذاهب الأربعة إلا من محكمة الباب العالى وأحيانا ما يتولى بعض النواب منصب
قاضى العسكر مثل " قاسم افندى الكردى " (عام ١٠٣٤هـ - ١٦٢٤م) وتولى قاضى عسكر مصر فى
(١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م) . عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ٥٩ وما بعدها .

[٢] الاختصاصات الادارية لقاضى عسكر : وجد دور كبير للقضاة فى ادارة البلاد حتى عد قاضى العسكر
المسئول مع الباشا فى تطبيق الإدارة العثمانية فى مصر وكثيراً ما كان يتلقى قرارات إدارية من السلطنة
لتطبيقها فى مصر وقاضى العسكر عضو رئيس فى الديوان العالى
- كذلك فقد اختص قاضى العسكر بتقرير الموظفين وتعيينهم فى مختلف المجالات فى القاهرة . غير أنه
من الجدير بالذكر أن منطقة الاختصاصات الادارية للقضاة كانت محصورة فى نفس منطقة الاختصاص
القضائى . وعلى ذلك فاختصاصات قاضى العسكر الادارية انحصرت فى القاهرة ولم تتعداها إلى الاقاليم
لوجود السلطة الادارية لقضاة الاقاليم على أقاليمهم . راجع على سبيل المثال أرشيف الشهر العقارى .
سجلات الباب العالى س ٦٩٤ ، ص ٢٨ ، ص ٦٠ .
- سجلات تقارير النظر س ٣ ق ٢ ط ، ص ٤ ق ٤٨١ ص ٤٤ ، س ١ ق ٥٨٧ ص ٦٤ .

قسطنطينية المحمية ، اجتمع بأولئك القوم ، أصحاب المفاخر العلية وتلقوه بأنواع الإكرام [١٩] ، وأحلوه بأعلى ذروة ومقام ، فولى قضا أدنة (١) ، ثم قضا مدينة القسطنطينية ، ثم ترقى إلى قضا العسكر بأناضولى (٢) ، ورأيت بخطه حالة ولايته لهذا المنصب مكتوباً خاطب به شخنا شيخ الاسلام البدر القرافى المالكي (٣) شيخ الإفتاء (٤) والتدريس بمصر المحروسة ، تغمده الله تعالى برحمته ،

[١] مدينة أدنة: فتحت مدينة أدنة فى عام ١٣٦١م فى عهد السلطان مراد الاول، ولأهمية موقعها الجغرافى فقد اتخذها عاصمة للدولة العثمانية، إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية فهى بذلك العاصمة الاولى للدولة العثمانية. محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية . دار الجبل - بيروت ١٩٧٧ ، ص ٤٥ .

[٢] قاضى عسكر الاناضول : وجد هذا المنصب فى عام ١٤٨٠م وكان قاضى عسكر الاناضول يشترك كعضو فى الديوان مع زميلة قاضى عسكر الرومىلى ويقوم بمصاحبة الجيش فى حملاته على أسيا وأفريقيا كما أنه يقوم بتعيين القضاة داخل المناطق التابعة لهم والإشراف عليهم ومراقبتهم كذلك تعيين مديرى المساجد والموظفين الدينيين داخل منطقة نفوذه . على أن قاضى عسكر الاناضول فقد معظم سلطاته مع تطور الزمن فى القرن السابع عشر فما حل الوقت حتى كانت كل مسائل القانون والنظام قد انتزعت بحكم القانون من أيدى القضاة وحين كانت تثار قضايا فى الديوان السلطانى كانت تحول برمتها إلى قاضى عسكر الرومىلى ولم يزد ما كان يقوم به زميله قاضى عسكر الاناضول عن دور رسمى فى القضايا إلا إذا كلفه الصدر الأعظم على وجه السرعة ببعض الاعمال الخاصة كما أصبح النظر فى كل حالات الإرث المتعلقة بالمسلمين من اختصاص قاضى عسكر الرومىلى ، لمزيد من المعلومات راجع . على همت أقسقى : العاهل العثمانى ابو الفتح السلطان محمد الثانى حياته العلية - ترجمة محمد أحسان عبدالعزيز ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٣٥ ص ١١٠

-أحمد جودت: تاريخ جودت-ترجمة المجلد الاول-عبدالقادر الدنا، جريدة بيروت ، لبنان ١٣٠٨هـ/ ص ١٢٢ .

[٣] بدر الدين القرافى المصرى : سبق الحديث عنه .

[٤] الافتاء فى مصر فى العصر العثمانى : وجد المفتون بجانب القضاة ولعبوا دوراً مهماً فى الحياة القضائية ، فقد كانوا بمثابة معاونين للقضاة يقدمون لهم الاراء الفقهية التى يحتاجون اليها ويقدمون فتاواهم مكتوبة إلى المتقاضين حتى يستعينوا بها امام القضاة فى إثبات حقوقهم وفى العصر العثمانى فقد سمحت الدولة للولايات العربية التابعة لها باختيار المفتين التابعين للمذاهب الثلاثة ، ونتيجة لمكانة الأزهر العلمية فى العالم الإسلامى كله ولشهرة علمائه فقد كان الأزهر اهم جامعة اسلامية تخرج المفتين فى الوسط الإسلامى كله وفى العصر العثمانى كان خريجوه ينتقلون فى مناصب الإفتاء والمناصب الدينية الرفيعة سواء فى مصر أو فى البلدان الإسلامية . فى القرن السادس عشر واول القرن السابع عشر كان المفتون يعينون من استتابلول ولم يكن ذلك قاصراً على المفتى الحنفى بل مفتوا المذاهب الأخرى ، ويلاحظ أنه لم يوجد أماكن خاصة للمفتين مثلما كان عليه الحال فى العصر المملوكى من جلوسهم بدار العدل ، غير أنه فى أواخر القرن الثامن عشر لما بنى "محمد بك أبو الذهب" جامعته قرر الامير المذكور ثلاثة من العلماء وقصر عليهم الإفتاء وفرض لهم امكنة يجلسون فيها أنشأها لهم يجلسون حصّة من النهار صحوة كل يوم للإفتاء ورتب لهم ما يكفيهم . ووجد مفتون رسميون فى الاقاليم وهم ممن تعلموا فى الأزهر الشريف وعادوا إلى بلادهم بعد إجازتهم بالفتيا من علمائه .

لمزيد من المعلومات راجع . عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ص ٢٧٨ ، ما بعدها

واسكنه بحبوبة جنته فى، ضبط القسمة العسكرية (١) بمصر ، لأنها منوطة بقاضى
أناضولى المعمورة ، وذلك لما كان بينهما من المحبة الأكيدة ، والصدقة الشديدة ، ولما
عهده من شيخنا المذكور ، من التحرى فى الأمور والدين المتين ، والفضل المبين ،
صدره بقوله : " غب السلام التام ، بالإعزاز والإكرام ، الى طرف الصديق العتيق ،
الذى هو لأنواع الألفاف الإلهى حقيق ، نوضح لعلمه الشريف وقدره المنيف ، بأن
المشمول من لطفهم العميم ، وكرمهم الجسيم ان يتفضلوا لدى وصول ورقة المحبة ،
من غير تأخير ، ولا مهلة ، إلى ضبط القسمة العسكرية ، بالديار المصرية من طرفنا
، على الأسلوب المعتاد ، إلى أن يصل القسام من جانبنا إن شاء الله تعالى
والتوصية على مفردات الأمر ، لا يناسب لمن يكون حكيما ، كما هو المشهور ، من
المخلص الحقيق ، حسين القاضى بالعسكر بأناضولى " وله اليه مكاتبات كثيرة
ومراسلات شهيرة أضربت على إيرادها خوف [٢٠] الإطالة ، والوقوع فى مهاوى
الملالة ، ثم ترقى صاحب الترجمة أيضا إلى قضا العسكر بروم ايلى (٢) فباشرة
بشهامة ونفذ أمر وصرامة ، بحيث ضرب بمدته المثل ، وصارت ولايته غرة فى جبهة
الدول ، ثم ترك المناصب بالكلية ، وأعرض عن زهرة هذه الدنيا الدنية، وعكف على
العبادة والخيرات ، إلى أن أتاه هادم اللذات، ولحق باللطيف الخبير، ونقله إلى جنات
الخلد ، ونعم المصير بالديار الرومية ، وتلك الأقطار المحمية ، ولم أقف على تاريخ
وفاته ، وبالجمل فم نزل نسمع من أخباره أطيبها ، ونستنشق من نسيمات عدله
أرطبها . عامله الله تعالى باحسانه ، وبوأه القصور العوالى فى جناته ، أمين .

[١] محكمة القسمة العسكرية : لمزيد من المعلومات عنها راجع الفصل الثانى من الدراسة ، ونقلت سجلاتها
حديثا إلى دار الوثائق القومية بكوننيش النيل .

[٢] قاضى عسكر روم ايلى : كان قاضى عسكر الرومىلى أعلى مركزا من زميله قاضى عسكر الأناضول كان
يصحب الجيش العثمانى حيث كان يتوغل فى اوربا يخوض المعارك وكان من اختصاصه تعيين جميع
القضاة الذين يعملون فى اوربا وكذلك العاملين فى المساجد التى اقيمت فى الولايات العثمانية الأوربية .
وكان من وظيفته كذلك أن يقوم بوظيفة مستشار دينى للسلطان مع الإشراف على توزيع الغنائم والفصل
فى الخصومات الناشئة بين افراد الجيش والدعاوى الجنائية المدنية التى ترفع من الاهالى ضد أحد ممن
ينتمون للجيش، أما توقيع العقوبات الخاصة بالمخالفات العسكرية لم تكن من اختصاص قاضى العسكر
وإنما كان ذلك من اختصاصات السلطة العسكرية . راجع على همت اقسكى . مرجع سابق ص ١٧٥ .

قاضى عسكر مصر

حامد بن محمد الشهير (١) بابن شيخ دوروز (٢)

مفتى الديار الرومية (٣) ، وكان يعرف فى الديار الرومية باسمه مقرنا بلفظ أفندى ، فاذا قال حامد أفندى ، ينصرف إليه فقط ، كان أبوه من أهل العلم ، وكان يستحضر كثيراً من اللغة وكان ولده يستحضر كثيراً من اللغة ، وكان ولده هذا صاحب الترجمة من العلماء العاملين ، أخذ العلم عن الملى مفتى الديار الرومية شيخ محمد بن إلياس (٤) ، و المولى [٢١] قادري أفندى ، صار ملازماً منه ، ثم صار

[١] حامد بن محمد الشهير بابن شيخ دوروز : هو محمد أفندى بن محمد الشهير بابن شيخ دوروز مفتى الديار الرومية ولى قضاء القاهرة بعد قضاء دمشق وبعد عزله من مصر ولى قضاء عسكر الرومىلى نحو عشر سنين له كتاب جمع فيه كثيراً من الفتاوى الفقهية فى نحو خمسة عشر مجلداً وعلى حواشيه بعض أبحاثه . راجع نجم الدين الغزى مصدر سابق ج٣ ص ١٣٩ .

[٢] كانت ولايته من ٢٠ ذى الحجة ٩٥٥ - ١٥ صفر ٩٥٧ هـ / ٢١ يناير ١٥٤٩ - ١٤ مارس ١٥٥٠ م ، تاريخ التولية والعزل من الروضة ص ١٦٥ .

[٣] مفتى الديار الرومية : وجد على قمة النظام القضائى فى الدولة العثمانية منصب شيخ الإسلام فهو الرئيس الفعلى للهيئة الإسلامية الحاكمة وإن كان السلطان هو الرئيس النظرى لها ، وسلطة شيخ الإسلام موازية لسلطة الصدر الأعظم . وكان يطلق على شيخ الإسلام أول الأمر مفتى العاصمة أحيانا المفتى الأكبر وكان يتمتع بمركز مرموق للغاية وكان الصدر الأعظم والوزراء وفى بعض الأحيان السلطان نفسه يلتمسون رأيه . ولقد خضعت الهيئات العثمانية الدينية كلها لسلطة مفتى إستانبول بوصفه شيخ الإسلام فقد كان عليه أن يفتى فيما يرفع إليه من المسائل القضائية ولم يكن أحد القضاة يجرؤ على عدم الرضوخ لأحكامه لمزيد من المعلومات راجع د/عبدالعزیز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٠م / ج١ ، ص ٣٩٦ ما بعدها .

[٤] محمد بن إلياس : هو محمد بن إلياس محيى الدين الحنفى الشهير بجوى زاده قرأ على علماء عصره ، ووصل إلى خدمة سعدى جلبى ابن الناجى ثم خدم المولى بالى الأسود ، وصار معيدا لدرسة ، ثم أعطى تدريس مدرسة أمير الامراء بمدينة بروسه ثم ترقى التدريس حتى أعطى إحدى الثمانى ، ثم صار قاضيا بمصر ، ثم عاد من مصر وقد أعطى قضاء عسكر الأناضول عوضا عن قادري جلبى ثم صار مفتيا بالقسطنطينية ثم تقاعد عن الفتوى وعين له فى كل يوم فى مائتا عثمانى ، وكان سبب عزله عن الفتوى انحراف السلطان عليه بسبب انكاره على الشيخ محيى الدين بن العربى ، وغالب العثمانيين على اعتقاده وكان سيفاً من سيوف الحق توفى سنة ٩٥٤ هـ .

لمزيد من المعلومات راجع الغزى : مصدر سابق ، ج٢ ص ٢٨ .

مدرساً بعشرين عثمانياً ، فى مدرسة منلا خسرو بمدينة بروسه^(١) ثم صار مدرساً فى مدرسة دواد باشا باربين عثمانيا فى مدينة استانبول، ثم صار مدرساً بمدينة كيبورة، ثم صار مدرساً بمدرسة الخاصكية^(٢) والده السلطان سليمان ، بمدينة مغنيسيا ، وصار مفتياً بالولاية المذكورة ، ثم ولى تدريس المدرسة المعروفة بشاه زاده بمدينة استانبول بستين عثمانياً ، ثم ولى منها قضا دمشق ، ثم قضا القاهرة ، ولم أقف على تاريخ ولايته لمصر ، ولا عزله منها ، صار بعدها مدرساً بآيا صوفيه بتسعين عثمانياً بطريق التقاعد ، ثم ولى قضا بروسه ، ثم قضا قسطنطينيه ، ثم قضا العسكر بروميلي ، نحو عشر سنين ، ثم عزل وولى مكانه قاضى زاده ، فلما توفى الملا أبو السعود العمادى المفسر مفتى الديار الرومية ، فوض إليه منصب الإفتاء بها عوضه وإستمر فيه إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته ، نهار الثلاثاء رابع شعبان من سنة خمس وثمانين وتسعمائة^(٣) وله كتاب جمع فيه كثيراً من الفتاوى الفقهية ، نحو خمسة عشر مجلداً ، [٢٢]^(٤) وعلى

[١] بروسه : فتحت على يد الأمير أورخان الاول عام ١٣١٧م فى عهد والده السلطان عثمان الاول ، بعد انسحاب عاملها وأخلاء البيزنطيين لها وقد أسلم حاكمها افرنونسى وصار من مشاهير القادة العثمانيين . راجع محمد فريد : مرجع سابق ص ٤١ .

[٢] الخاصكى : أو خاصكيان كانت تطلق فى الدولة العثمانية على طوائف ثلاث جوارى القصر السلطانى هم الخاصكية من النساء . وأيضا الخاصكية طائفة من موظفى القصر تابعة بجماعه اليستانجية كانوا يرسلون فى المهمات السرية إلى الولاة وغيرهم من كبار رجال الدولة ، وكانوا أيضا حملة البريد من القصر . ويذكر "دوزى" أن كلمة خاصكى مكونه من الكلمة العربية خاص أضيفت اليها الكاف وهى علامة التصغير فى الفارسية ثم الحقت بها باء الافراد الفارسية أيضا .

لمزيد المعلومات راجع ، د/ أحمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ٨١ وما بعدها .

[٣] ٤ شعبان ٩٨٥هـ ، ١٨ أكتوبر ١٥٧٧م

[٤] كتب على هامش الصفحة (٢١) ألا إنى رايت امضاءه على حجج جهات أنعم بها على سيدى المرحوم الوالد ، مؤرخه الحجج المذكورة فى سادس وسابع شعبان سته ثمان وخمسين وتسعمائة .

حواشيه شئى يسير من أبحاثه أخبرنى بعض الثقة أنه رآه عند المولى العلامة محمود شيخ مفتى الديار الرومية وبالجمله فكان صاحب الترجمة فى ولاياته كلها محمود السيرة مشكور الطريقة يقول الحق ، ويعمل به ، وكان من أعف القضاة عن محارم الله تعالى ، قد أثنى عليه غير واحد من المؤرخين كالعلامة ، تقى الدين التميمى ، فى طبقاته^(١) والنور بن الجزار فى تاريخه، وغيرهما ممن شاهدناه من السادة العلماء ، والقادة الفقهاء ، كالمرحوم الإستاذ الوالد عامله الله تعالى باحسانه فى تلك المعاهد ، وشيخنا البدر القرافى عامله الله تعالى بفضل الوافى ، ووصفه بعضهم بأنه كان ذا مهابة لشدة حدته وكان اذا إبتسم ودخل فى ميدان الرياضة إرتاحت النفوس بمجالسته ومسامرته، وكان جالسا للقضا والكتب حوله ، والقلم فى يده ، لأجل الجمع والتأليف ، وبالجمله فكان من العلماء العاملين والأئمة البارعين ، مذكور بين قضاة العدل بالديانة والفضل، تغمده الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جناته أمين^(٢) .

قاضى عسكر مصر

حيدر بن إبراهيم الرومى الحنفى^(٣)

أخذ العلوم عن علماء [٢٣] الروم ، وإشتهر بين الموالى بمعرفة المعلومات النازل منها والعالى، تنتقل فى المدارس السننية إلى أن درس بالمدارس الثمان العلية، وسلك طريق الدين المتين والاخلاص والعفاف بين الأئمة البارعين ، ففوض إليه

[١] تقى الدين التميمى : هو تقى الدين عبدالقادر الغزى القاضى الحنفى ولد سنة ٩٥٠ توفى سنة ١٠١٠ م ، له من الكتب تذكرة حاشية على شرح الالفية لابن مالك ، السيف البراق فى عنقى الولد العاق . الطبقات السننية فى تراجم الحنفية . مجموعة فى امثال العرب . مختصر يتيمة الدهر للثعالبى . حاجى خليفة . كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون . دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٤٠ . ج ٥ ص ٢٠١ .

[٢] كتب على هامش الصفحة (٢٢) وكان سمحا بالوظائف الدينيه والوظائف العلميه للسادة الفضلاء العلماء النبلاء، من غير التفات إلى محصول وعدم توقفه على معلوم ، وقد أنعم على سيدى المرحوم الوالد ، قراءة بوقف فاطمة بكتمرلى وطلب فقه مالكى بوقف السلطان حسام الدين على الجامع الطولونى واستمر على عادته من الاحسان إلى العلماء والاجلا والعظماء .

[٣] كانت ولايته من ٢٥ الحجه ١١١٢ هـ / ٦ مايو ١٦٠٤ م ومات قبل أن يصل لمصر لذا لم يذكره محمد بن أبى السرور البكرى بين القضاة - راجع الروضه المأنوسه - ص ١٨٤ .

منصب قضا الديار المصرية والتخوت اليوسفية عوضا عن قاضى القضاة ، محمد أفندى بن قرا حسام ، قاضى مصر ، بحكم عزله ، فورد خبر ولايته اليها فى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة الحرام ختام شهور سنة إثنى عشر بعد الألف ، ثم لما قدم الى مدينة سكندرية من أعمال مصر المحمية ، فاجأته المنية ولم تبلغه الأمنية ، وأرخ وفاته العلامة منصور سبط الطبلابى الشافعى بقوله :

لما ولى عالم الاسلام حيدرنا قاضى القضاة وحيد الناس فى القصر

وما قضى بل قضى قلنا نورخه الحق ابدله الفردوس عن مصر

ودفن بالجبل الأخضر ، قبل وصوله إلى مصر المحروسة ، ولعل ذلك بنية مصر وأهلها ، لأنها مدعى لها كما ورد فى الآثار المنقولة من دعا سيدنا آدم ابو البشر وفى أثره ، " لا خللك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ ، ولا زال منك ملك ، وعز يا أرض مصر فيك الخبايا الكنوز ، ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلاً كثر الله زرعك ، ودرعك وزكى نباتك ، وعظمت بركتك ، حصبت أرضك " ، إلى آخر الأثر وعن كعب الأحبار قال فى التوراة : " مكتوب مصر كلها ، من أرادها بسوء قسمة الله " (١) .

وعن أبى موسى الأشعرى (٢) ، رضى الله تعالى عنه ، قال : " أهل مصر الجند الضعيف ، ماكادهم أحد ، إلا كفاه الله مؤنته " ، عن سيفى بن عبيد الأضحى قال : " بلدة مصر معافاة من الفتن ، لا يريداهم أحد بسوء إلا صرعه الله ، ولا يريد أحد هلاكهم إلا أهلكه الله " ، انتهى . ولعله أراد لأهل مصر بسوء فإن أخاه

[١] ذكر عن كعب الاحبار قوله " لولا رغبتي فى بيت المقدس ماسكنت الا مصر ، فقل ولم قال لانها معافاة من الفتن ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ، وهو بلد مبارك طيب اهله ، وفى التوراه مكتوب : مصر خزين الأرض كلها ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه وقصمه الله " . لمزيد من المعلومات راجع ، محمد بن أبى السرور البكرى : الروضة ص ٥٢ .

[٢] أبو موسى الأشعرى: هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب ، الامام الكبير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فقيه مقرئ روى الاحاديث الكثيرة عن الرسول عليه الصلاة والسلام وممن روى عنه بريدة بن الخصيب وانس بن مالك وسعيد بن المسيب وغيرهم وهو معدود فيمن قرأ على النبی صلى الله عليه وسلم وقرأ أهل البصرة وفقههم فى الدين وفى الصحيحين عن أبى بردة بنى أبى موسى فى أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم أغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مد خلا كريماً وقد استعمله النبي ومعاذا على زييد وعدن وولى امره الكوفة لعمروا مره البصرة وغزا وجاهد وحمل عنه علما كثير . انظر ترجمته فى الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى سير اعلام النبلاء . تحقيق شعيب الارنؤوط . مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ١٠ ج ٢ ، ص ٣٨١ وما بعدها .

عبدالوهاب أفندى قاضى القضاء بمصر سابقا، الآتى ذكر ترجمته فى محله من هذا الكتاب البديع الخطاب ، حال ولايته لمصر ، أهلك الحرث والنسل ، وقطع أرزاق العالم كما يأتى فى ترجمته ، ومع ذلك ، فلقد بلغنا عن صاحب الترجمة أنه حين اجتماعه بأخيه عبد الوهاب أفندى المذكور بالديار الرومية قال له: " أنت ولما حين ولايتك نصبت قساماً [٢٥] ومحاسبجيا، قال نعم ، قال: فأى عدالة ضوتها بمصر ، مع أن عبدالوهاب أفندى المذكور حين ولايته لمصر أبطل المذاهب الثلاث ، المالكي ، الشافعى والحنبل من جميع المحاكم ماعدا محكمه الباب العالى (١) ، ولم يبق فى المحاكم إلا النواب الحنفية ، ورفع غالب شهود المحاكم ، كما سيأتى ذلك جميعه فى ترجمته ، وعلى كل حال فقد كفى الله المسلمين شره و أراحه من عاقبة الظلم ، وإيذا الخلق ، وكفى الله المؤمنين القتال ، الله تعالى يعفو عنهما ، ويتجاوز عن سيئاتهم . آمين .

قاضى عسكر مصر

رمضان أفندى الرومى الحنفى (٢)

[ابن ناظر زاده]

يعرف بين السادة الأروام بناظر زاده ، أخذ العلم عن العلماء الأعلام ، وأيمه الاسلام بالديار الرومية ، والأقطار البهية ، تنتقل فى المدارس الثمان إلى أن إنتقل

[١] محكمة الباب العالى : هى مقر قاض العسكر فى القاهرة وهى فى الأصل مقعد مامائ ازبك السيفى انشاء سنة ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م كما هو مثبت على العضادة اليسرى للمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر بن قايتباى . وكلمة المقعد تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت منذ العصور الوسطى وسمى الميدان الذى امامها ميدان بيت القاضى بالنحاسين التابع لقسم الجمالية ولقد قمت بزيارة المقعد ببيت القاضى بالنحاسين وهو مازال يحتفظ ببنائه إلى حد كبير ولكنه تعرض للاهمال الشديد ولا يلقى العناية اللازمه . لمزيد من التفاصيل راجع د / سعاد ماهر : القاهرة القديمة وحياتها ، المكتبة الثقافية رقم ١٧٠ القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٩٣ .

[٢] رمضان أفندى افندى ناظر زادة : أحد موالى الروم ، والمفتى بالدولة العثمانية الشهير بناظر زاده ولى قضاء دمشق فى سنة ثمان وسبعين فى رجب ، كما ولى قضاء بروسه فى عام ٩٨١ هـ وذكر عنه فى العقد المنظوم . انه ولد بقصيه صوفيه من بلاد الروم ، ونشأ فى طلب العلم والادب ، وكان ممن حاز قصب السبق فى مضمار الفضائل بوفور علمه ، وغزارة فضله ، توفى فى القسطنطينيه فجأة فى أوسط شعبان ٩٨٤ هـ راجع الغزى . مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

إلى دار الحديث ، ثم عين لقضاء الديار المصرية ، لم أقف على تاريخ ولايته لمصر ، ولا قدومه إليها (١) . وسار في مصر بالعدل والإنصاف ، وأبطل طريق الجور والاعساف ، وكان حاكماً شهماً ، عفيفاً ضخماً ، كاملاً فاضلاً ، بارعاً عادلاً ، له سطوة على حكام السياسة ، وميل إلى الكمال والرياسة ، وكان من أحسن ما فيه [٢٦] مما يصفه به كل عاقل ونبيه إن كل من مات من أرباب الوظائف الدينية ، والعلمية ، له ولد يعطى جهاته لولده ، أو ولد ولده ، وإن كان صغيراً نصب له من يقيم عنه بالخدمة ، إلى حين وجود الأهلية ، فإن لم يكن له ولد ، ترك بنتاً ، يعطى الجهات لزوجها ، وعلى هذا فقس ، وهذا أحسن ما مدح به قضاة القضاة بمصر المحمية ، أدام الله تعالى لهم الرتب العلية ، وإيصال الأرزاق إلى أولاد الميت وذويه ، من أقاربه ، وأهاليه ليصير رزقهم في أيديهم ، فإنه جرى إصطلاح الفقهاء فيما بينهم ، إن الإنسان منهم (٢) ، يجهد في تحصيل بعض الدنيا ، ويقتصر على نفسه ، فإذا حصل شياً اشترى به جهة من الجهات ، هلم جرا . فهكذا صار عقلاء الحكام يلاحظون بفعلهم المتقدم صيانة الأموال على أهاليها ، خصوصاً عود النفع على الأرامل ، والأيتام ، فجزاهم الله تعالى عن ذلك خير الجزا في دار السلام .

قاضي عسكر مصر

صالح بن جلال الروسى الحنفى (٣)

ولد في العشر الأول من القرن العاشر بقسطنطينية ، اشتغل بالعلوم ، وأخذ عن السيد الشريف [٢٧] العجمي وعن المولى مفتى الديار الرومية أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا ، وأخذ عنه في فنون من العلوم الأصلية والفرعية ، ولازمه

[١] كانت ولايته من ٢٠ ذى الحجة ٩٧٨ : ١٠ محرم ٩٨٠ هـ / ١٦ مايو ١٥٧١ : ٢٤ مايو ١٥٧٢ م وتاريخ

التولية والعزل من الروضة المائتوسه . ص ١٧١ .

[٢] يوجد شطب بالأصل ولكنه لا يؤثر على سياق الكلام .

[٣] كانت ولايته من ٢٠ شعبان ٩٤٥ : شوال ٩٨٤ / ١٣ نوفمبر ١٥٣٨ حتى ٣٠ نوفمبر ١٥٤١ م . والتاريخ من

الروضة ص ١٦٤ .

كثيراً ، وقرأ دروساً على يدى أحمد الأيدنى ، وقرأ عليه شرعة الإسلام بتمامها ، تفهما ودراية ، وعلى المولى باشا جلبى اليكانى ، والمولى سعدى جلبى وغيرهم ، وآل على الاشتغال بالعلوم إلى أن برع فى المنطق منها والمفهوم . وتتنقل بالمدارس العديدة ، وألقى فيها الدروس المفيدة ، ودرس باحدى المدراس الثمان ، ثم انتقل إلى دار الحديث ، ثم انتقل منها إلى قضا مصر المحروسة . ولم أقف على تاريخ ولايته ، إلا أنى رأيت خطه على حجة فى وظيفه من الجهات الدينيه ، مؤرخه بسادس جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وكان يبيت فى أحضان الأمراء (١) [٢٧] ، كما ذكر فيه حرره المقتضى إلى الفنى ذى الجلال الصالح بن جلال القاضى بمحروسة مصر ، عفى عنهما ، وأخبرنى سيدى المرحوم الوالد أنه كان منقوشاً على خاتمه (٢) ما لفظه :

" كفى حزناً إن لا حياة هنيه ولا عملاً يرضى به الله صالح " [٢٨] وكان من قضاة العدل المذكورين بالعلم والفضل ، باشر المنصب بهمه وشهامة ، وتمسك فى الدين ، صرامة ، ساس الرعايا أحسن سياسة ، رادعاً للظلمة وحكام السياسة ، كان لواء الشرع فى زمنه قائماً ، لأنه كان حاكماً صارماً وعينه السلطان سليمان فى التفتيش على الأوقاف وضبطها ، فقدم إلى مصر المحروسة ، وقام بأعباء ما حمله أتم قيام وحرر منها الشروط وقرر الأحكام ومهداها على نمط مبسوط ، مجرى فيها الاحكام على وفق الشروط بحيث حمدت سيرته فى ذلك ، وصار المعول على دفتره فيما هنالك وكان أحب الناس إليه واقرب المنتمين بالخدمة لديه فى حال التفتيش الشيخ أصيل الدين الطويل ثم لما أن ولى القضا بمصر رفع على اهلها الضيم والإصر ، وردع الجبابرة المفسدين ، وقمع الطغاة و المتمردين ، وكان أشهر

[١] بالاصل " الامر " والأضافة لاستقامة المعنى .

[٢] كان للقضاة اختتاماً يختمون بها على احكامهم فى القضايا المختلفة وفى قرارات التعيين التى يصدرونها ، وكان ينقش على هذه الاختتام عبارات مختلفة معظمها أما آيات قرآنية أو آيات من الشعر أو اقوال مأثورة .

الظلمه أيامه دفتردار (١) مصر محمد فقام عليه أشهر القيام ، حتى اثبت عليه ، ما أوجب قتله بين الانام . وله غير ذلك من الوقايع التى سارت بها الركبان ، وتناقلتها [٢٩] الرواة إلى ساير البلدان ، من القيام فى الدين ، والتفحص التام من ازالة الضرر عن المسلمين ، وكان من العلماء العاملين ، والأئمة المتورعين ، ملازما النظر فى العلوم ، وتحرير المنطوق منها والمفهوم لا تشغله المناصب ولا يصده عن ذلك بلوغ المآرب ، مشهورين موالى الروم ، الخصوص منهم والعموم بالعدل والانصاف ، والدين والعفاف ، وبالجمله فلم نزل نسمع من مجالسه وذويه ذكره بالورع والدين والتحرى التام فى كل أمر متين ، ثم لما عزل من مصر المحروسة توجه إلى الديار الرومية فتلقيه اكابرها أعظم ملتقى ، وحيوه أحسن تحية شكروا سيرته المرضية وعدالته العمومية ، وانعم عليه بالمناصب العليه ، والعلوفات (٢) السننيه إلى أن (٣) صار قاضياً بأناضولى ، ومكث فيه مدة ثم انفصل ، فلم يزل مكباً على العبادة ، وقراءة القرآن مبلغاً فى كل ذلك مايروم ، إلى أن فأجاه الحمام ، وانتقل إلى دار السلام بسلام . ولم أقف على تاريخ وفاته ، وعامله الله تعالى بعفوه وغفرانه واسكنه أعلى فراديس جنانه . آمين .

[١] الدفتردار : كان فى بدايه العصر العثمانى شخصية عثمانية يعين لرئاسة الادارة المالى فى مصر من بين رجال الخزينة السلطانية المركزية فى استانبول ولقب الدفتردار فى الوثائق "دفتردار أفندى" أو "دفتردار خزينة عامره" ، وكان يتولى مناصب ادارية هامة إضافة لمنصبه فى رئاسة الإدارة المالية فى مصر ، مثل قائم مقام الباشا فى بعض الأحيان ، وبازدياد وسيطرة البكوات المماليك على الإدارة فى مصر تمكنوا من شغل منصب الدفتردار وكان يعين بمرسوم سلطانى وله مرتب ثابت (ساليانه) نقديه له من الخزينه ومقدراه ٨٩٢٠٠ بارة . لمزيد من المعلومات راجع د / ليلى عبداللطيف . مرجع سابق ، ص ٤٩٨ .

[٢] العلوفات : هى المرتبات النقدية التى يأخذها أعضاء الأوجاقات العسكرية من مختلف العناصر ، وكانت تباع العلوفات على ايدى دالين من رجال الأوجاقات المختلفة ، ولقد أدت زيادة بيع العلوفات على اقبال أهل الحرف من أصحاب الدخول المتواضعة ومن مختلف الحرف على شرائها لتكون موردا هاما لتحسين اوضاعهم ولقد انتسب إرباب العلوفات إلى مختلف الأوجاقات دون مشاركة فعلية فى العمل العسكرى ، وهم ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة . لمزيد من المعلومات راجع د/عراقى يوسف . مرجع سابق - ص ٧٢ .

[٣] الإضافة لتوضيح المعنى .

قاضي عسكر مصر

[٣٠] صالح بن سعد الدين (١)

[أخبا زاد]

يعرف بين السادة الموالى بخجا زاده ، لأن والده كان خجاء (٢) السلطان محمد ، فربى ولده هذا فى حجر السعادة ، وغذى بدار السيادة (٣) ، وهو أصغر أولاد أبيه ، لأن والده لما توفى ترك أربع ذكور وهم محمد أفندى ، الذى صار مفتى الديار الرومية ، ثم أسعد أفندى الذى ولى الإفتاء بالروم ، بعد أخيه محمد المذكور ، ثم عزيز أفندى المفتى الآن ، ثم صاحب الترجمة ، وهم بيت علم ورياسة ، وسود ونفاسه ، ورثوا السيادة كابراً عن كابر ، أخذ صاحب الترجمة العلم عن أبيه ، وأخيه محمد ، ونقله "أخاه محمد المذكور" فى المدارس فى أقرب زمن إلى أن نقله إلى دار الحديث ، ثم أخرجه منها إلى قضا الديار المصرية بمزيد العناية ، بحظ الرعاية :

إن العناية إذا ساعدت الحقت الفاجر بالقادر
ووصل خبر ولايته لقضاء الديار المصرية سنة إحدى وعشرين بعد الألف وقدم إليها ، يوم الأحد ثامن شوال منها ، نزل بالسبكية ببولاق (٤) والقاهرة وذهب إليه

[١] كانت ولايته من ٢٨ رمضان ١٠٢١هـ : ٤ جمادى الآخر ١٠٢٣هـ / ٢٤ نوفمبر ١٦١٢ : ١٣ يوليو ١٦١٤م ، هذا بينما يذكر ابن أبى السرر البكرى الولاية ب ٢٠ شوال / ١٥ ديسمبر ، الروضة ص ١٨٩ .

[٢] خجاء: من التركية خواجه معناها السيد ، والحاكم ، الاستاذ والمدرس ، والمقصود بخجاء السلطان أى معلم السلطان. Redhouse, op. cit, p868.

[٣] بالأصل "بدر" والاضافة لاستقامة المعنى .

[٤] بولاق : كانت بولاق هى ميناء القاهرة الأول ، وبدأت بولاق فى الظهور كمرفأ نيلى هام ومركز لصناعة السفن النيلية وقد اشار السيوطى فى تاريخه لحوادث سنة ٧٥٧هـ إلى هبوب عاصفة شديدة غرق على أثرها فى ميناء بولاق ثلاثمائة مركب ، وفى ذلك اشارة واضحة إلى الدور الذى بدأت بولاق فى القيام به فى تجارة مصر الداخلىة والذى سرعان ما جعلها فى النصف الثانى من القرن ١٨ الهجرى تستحوذ على شطر كبير من حجم تجارة القاهرة عبر النيل متقدمه بذلك على مصر القديمة . وفى العصر العثمانى بلغ عدد المراكب الراسية فى بولاق قرابة الالف مركب و اقيم بها ديوان للجمر على السلع الصادرة والواردة إليه ووصفها الرحالة المغربى العياشى "فى القرن ١٧ بقوله ، مرسى القاهرة التى تجتمع فيها مراكب دمياط ورشيد والصعيد " ووصلت بولاق فى نهاية القرن الثامن عشر إلى قمة ازدهارها واتساعها حيث بلغ طولها على النيل ٢١٠٠م وبلغ عرضها قرابة ٦٠٠م .
لمزيد من المعلومات راجع ، د / عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

الأكابر الأعيان من ذوى الشأن ، ودخل فى [٣١] موكب عظيم ، ومحفل جسيم^(١) ، من ركوب القضاة والعلماء والأجلا والعظماء وأمراء الدولة ، وأركان العزة والصولة ، وكتخدا^(٢) صاحب السعادة كافل الديار المصرية ، والتخوت اليوسفية ، وأغاته^(٣) وجمع من العساكر الإسلامية ، وغيرهم من الأعيان والرعية ، وبالجمله فكان يوماً مشهوداً ، فى أسعد الأيام معدوداً ، وسار فى ولايته هذه سيرة حمد فيها بين أهل عصره وأظهر العدالة والانصاف بين أهل مصره ، لكنه فوض الأمور إلى بعض أتباعه ، وحضرته وأشياعه ، فاختلفت بعض الأحوال وكثر القيل والقال وبالجمله فكانت إذا وصلت إليه معضلات الأمور ، شدد العزم فى إزالة كل أمر منكور ، فمكث فيها مدة سالكاً طريق العدل والانصاف والصدق والعفاف حسب مناسبة الحال والزمن ، مقلداً فيها أعناق الرجال ، جميل المنن إلى [أن]^(٤) ورد الخبر بعزله عن هذه الديار والتحول عن هذه الأقطار فى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين بعد الألف ولاية أفندى الأنصارى الآتى [٣٢] ذكره فى محله ، من هذه الأوراق الشهية المذاق ، وتآلم الفضلاء بعزله عن الديار المصرية ، والتخوت اليوسفية ، لأن سوق الأدب كان فى عصره نافقا ، لاهليه عنده مقاماً شريفاً لايقا ومدحته علما هذه الديار بالقصايد البديعة ، والرسايل التى مقاماتها رفيعة وأجازهم على تلك بالجوايز السنية ، والوظائف العلية ، وحين قدومه إلى هذه البلاد ، وحلوه بين الحاضر والباد ،

[١] يوجد شطب بالأصل .

[٢] كتخدا : بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء ، فى التركية : كنخدا من الفارسية كدخدا والكلمة الفارسية من كلمتين (كد) بمعنى البيت ، (خدا) بمعنى الرب والصاحب ، فالكِتخدا هو فى الأصل رب البيت ، ويطلقها الفرسى على السيد الموقر وعلى الملك ، ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد والأمين . أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٧٦ .

[٣] الأغاوات : تركية من المصدر أغمق ومعناه الكبر وتقدم السن ، وقيل إنها من الكلمة الفارسية "أقا" وجرى العرب على إضافة تاء إليها إذا وقعت مضافاً . تطلق فى التركية على الرئيسين والقائد وشيخ القبيلة ، وعلى الخادم الخصى الذى يؤذن له بدخول غرف النساء - ومفردها "أغا" . أحمد السعيد سليمان ، مرجع سابق ص ١٧ .

[٤] الاضافة لاستقامه المعنى .

كتبت إليه عرض حال ، بطلب الانتقال من النيابة المالكية بمحكمة باب الشعرية (١) إلى المحكمة الحاكمية (٢) بمصر المحمية ، على طريقة الإنشاء والسجى لحلاوته فى الذوق وخفته فى السمع ، وصدرته بابيات من نظمى الفاسد وفكرى الخامد ، وأجابنى ذلك وقدرنى فيها على أحسن المسالك . ولا بأس بإيراده فى هذه المحل البديع الآجل ، فإن الحديث شجون والتنقل من حال إلى حال من أبدع الفنون ، فقلت بعد "الحمد لله ، مجيب السائلين ، إلى كعبة الآمال ، وجهت وجهتى وأيقنت أن قد شاد بمعدلته وباع الشرايع والشعاير وساد بعزايمة من تقدمه من الأوائل والأواخر ، وأصبحت دولته تشرق فى جبهة الدهر كالهلال ، وتظهر فى سما المعالى ، فتعم مومليها لوارف الظلال . وأنعم الله تعالى على هذه الديار المصرية والتخوت اليوسفية ، بمولى بالنظر فى أمور هذه الأمة المحمدية ، وأمعن واجاد التدبير فى مصالحهم الجزئية والكلية وأحسن وأحيا مادثر من ذوى البيوت بها ، وصار كالموات ، وجبريا كسير نظره من صدع بها من القلوب الرفاه ، فشكر الله له هذا المسعى ، ولا زال من صدع بها القلوب الرفاه ، فشكر الله له هذا المسعى ، ولا زال حرم أمنة البيت ، يحج ويسعى بصحة دايمة النمأ دوحة فضله زاهرة مشرقة سماه ، مالكياء يلم شعثها ، من الاختلال ، والمسبول من حضرة سيدنا ، ومولانا قاضى القضاة وإحسانه أجرى الله تعالى

كفيل بأمرى وهوناجح
لنيل مرام وهوناج وناجح
لكل كمال أنت لا شك صالح
محط رجال الرجال الأعلا
سعدا يتقاصر عن شأوه كل أح
ملحوظه بالعناية والسعادة

أقلو لقبى قد ظفرت بسيد
[٣٣] فلا زال ذو الحاجات يأوى لبابكم
ولا زال هذا الاسم فى العز والحياة
أستوئب الله لحضرة مولانا شيخ الاسلام
وعمره يتطاول إلى الابد
وعزه مقرونه بالسيادة

[١] محكمة باب الشعرية : انشئت فى ٧ ذى الحجة عام ٩٥٥هـ / ٧ يناير ١٥٤٩م ، انتهى العمل بها فى آخر شهر صفر ١٢٢٦هـ / ٢٥ مارس ١٨١١ ، ويبلغ عدد سجلاتها بأرشفيف الشهر العقارى ١١٥ سجل . وكان مقرها جامع المحكمة بخط باب الشعرية الموجود الآن بميدان باب الشعرية .

[٢] المحكمة الحاكمية : وكانت توجد بجامع الحاكم بأمر الله فى خارج باب الفتوح انشئت فى ربيع الثانى عام ٩٤٥هـ / ٤ سبتمبر ١٥٣٨م وانتهى العمل بها غرة ربيع الاول عام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م ، ويبلغ عدد سجلاتها بأرشفيف الشهر العقارى ٤٦ سجل .

بمحمد وآله مشى على منواله . ينهى عبد هذا [٣٤] الباب المتشرف بخدمة هذا الجنب ، أنه من جملة الخدام ، لحضرتكم العاليه بالنيابة المالكية ، وهو الآن بمحكمة باب الشعرية ، وكان بالمحكمة الحاكمية ، وهى الآن من المالكية فى رتبة الانحلال تروم الخيرات على يده ولسانه ، والإذن الكريم بعود العبد اليها ، ثانيا لاويا وعنان عزمه عليها ، وثانيا لكونها بالقرب من محله ، وله فيها سابقة قدم ، ويتضاعف الدعا لهذا الجنب العالى ، فى البكر والأصال على ممر الأيام والليالى ، من العبد وعياله ، فى حاله وماله ، أنهى ذلك داعيا شاكرًا وثانيًا ، والحمد لله ، والصلاة على من لا نبى بعده " وكتبت له غير ذلك مما أثبتته فى ديوانى المشتمل على النظم والنثر ، الذى يمتن بروض المنتور فى جمع المنظور والمنثور ، ومما لا أطيل بذكره ، وبديع طيه ، ونثره وبالجمل ، فصاحب الترجمة من اجل السادة القضاة ، وأعيان الحكام والولاة ، علماء وعملاً ، وفضلاً ، ونبلًا ، ثم توجه إلى الديار الرومية [٣٥] وتلك الممالك السنية ، وهو الآن الذى هو تاسع المحرم سنة تسع وعشرين بعد الألف (١) ، ختمت بالخير والشرف ، مقيم بها فى قيد الحياة بين أهل الرفعه والجاه ، يترقى الترقى إلى اعلا المناصب ، والفوز ببلوغ المآرب .

الجلال بن قاسم بن محمد بن محمد

بن قاسم بن عبدالله الجلال أبو الفضل (٢)

[ابن قاسم]

إبن أحد نواب المالكية الزينى المحلى ، الأصل القاهري المالكى ، ويعرف كسلفه بابن قاسم ، وهو سبط عبدالرحمن المليجى ، ممن عرض مختصر الشيخ

[١] ٩ محرم ١٠٢٩ هـ / ١٦ ديسمبر ١٦٢٠ م .

[٢] جلال الدين قاسم المالكى ، حنق السلطان الغورى على قضاة القضاة الاربعة فعزلهم مرة واحدة وذلك لمخافتهم له فى قضية شرعية ، وقال فى ذلك ابن اياس

سلطان عزل القضاة لحادث قد شاع فى مصر وعم الاسمعه

مذ خالفوه وحادوا عن امره نفذ القضا فيهم بعزل الاربعة

واقامت القاهرة شاغره بلاقضاء خمسة ايام حتى قرر اربعة قضاة جدد من بينهم الشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن الشيخ زين الدين قاسم بن قاسم عوضا عن محيى الدين بن محيى ابن الدميرى فى قضاء المالكية ، وكان جلال الدين محمود السيره وفيه قال ابن اياس

اتى مالكي للموطأ تابع

تصح هم اركانها والضبايع

مذاهبنا بالعلم فالشرع واسع

ومنهم عريق الاصل من نسل قاسم

بهم بنية الاسلام صحت وكيف لا

فلا عجب أن وسع الله فى الهدى

راجع ابن اياس : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ .

خليل ، على الحافظ شمس الدين محمد السخاوى الشافعى (١) ، وصفه شيخنا في توشيحته بقاضى القضاة جلال الدين العالم الصالح كان من المشهورين بالعلم الصلاح ، ورقيق القلب سريع الدمع ، له توجع لضرر المسلمين ومهماتهم [أقبل] عليه السلطان الغورى (٢) خطبه لقضا القضاة بعد أن كان طلب منه قبل ذلك بأمم ، استبدال (٣) مكان موقوف عليه فإمتنع وقال : ليس الإستبدال مذهبى ، ولا أبأشر مالا أقبل به فى معتقدى ، وصمم عليه فى قبول القضا ، فشرط على السلطان أنه إذا طلب أحدا من الأمرا الكبار ، لا يتجاهى عليه ، فقال له السلطان [٣٦] ، أما ترضى أن أكون شاد لك (٤) ، أى رسولا كل من طلبته فعلى إحضاره ، فباشره بعقة

[١] شمس الدين السخاوى المصرى الشافعى : ولد سنة ٨٣٠هـ وتوفى مجاورا بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢ من تصانيفه - الاجوبه المرضية فيها سئل عن الاحاديث النبوية الاحاديث الصالحة فى المصافحة الاحتفال بالاجوبة فى مائه سؤال "الجواهره المزهرة فى ختم التذكرة للقرطبى" "الخصال الموجبه للضلال" "دفع الالتباس فى ختم سيرة ابن سيد الناس" "ذيل رفع الاصر عن قضاة مصر" وله من كتب الرحلات "الرحلة الاسكندرية" "الرحلة الحلبية" "الرحلة المكية" وعشرات الكتب والمصنفات الاخرى فى التاريخ والفقه وغيرها . راجع ذلك باسهاب فى حاجى خليفه ، كشف الظنون . ج ٦ ، ص ١٧٤ وما بعدها .

[٢] السلطان الغورى : سماه ابن طولون جندب وجعل قانصوه لقباله الغورى نسبة إلى طبقة الغور أحد الطبقات التي كانت بمصر معده لتعليم المؤدبين قال ابن طولون كان مولده فى حدود الخمسين وثمانماية وترقى فى المناصب حتى صار نائب طرسوس فانتزعها منه جماعة السلطان "بايزيد العثمانى" فهرب منها وعاد إلى حلب وتنقلت به الاحوال إلى أن صار سلطانا يوم الاثنين عيد الفطر مستهل شوال ٩٠٦ هـ ، وبويع بحضرة الخليفة فى قلعة الجبل واقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة اشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنه كثير الدهاء والعسف قمع الأمراء واذل المعاندين حتى اشتد ملكه وهيبته فهادته المملوك وارسلت قصاده الى الملك الهند والصين والمغرب ، وله العديد من الاصلاحات واقام القصور والجوامع والمنتزهات الا أنه كان كثير الطمع كثير الظلم والعسف مصادرا للناس فى أخذ اموالهم وبطل الميراث فى اذا مات أحد أخذ ماله جميعا .

راجع ابن العماد الحنبلى . شذرات الذهب . ج ٨ ، ص ١١٣ وما بعدها .

[٣] الاستبدال فى الاوقاف : هو بيع جزء من الاوقاف مقابل ثمن نقدى أو استبدالها بأوقاف أخرى ، وفى العهد المملوكى كان السلاطين يولون بعض اتباعهم لتنفيذ ما ربههم الخاصة بهم مثل استبدال الاوقاف ، أو اقراضهم ما فى مودع الايتام من مال وأدى هذا بالتالى لخراب الكثير من الاوقاف اما فى العصر العثمانى فحفاظا على الاوقاف ولنع التلاعب فيها كانت أمور الاستبدال لا تتم الا بين يدي قاضى العسكر وبإذنه . لمزيد من المعلومات راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق . ص ٦٤ .

[٤] شاد : اصلها شادى ومعناها فى التركية نذير أو رسول القافله الذى يعلن عن الاخبار الساره . راجع .

Redhouse, op, cit,p1107.

ثم تعفف عنه ^(١)، وأقبل على مداومة الاشتغال بالعلم والتصنيف ، وبذل الصدقة ، بحيث لا يرد سائلا ، ولو بقليل ، فمن تصانيفه شرح رسالة ابن أبي زيد ، وشرح الشامل للشيخ تاج الدين بهرام ، كتب قطعه من مختصر الشيخ خليل لا تتجاوز العبادات ، وشرح حدود الأبدى وغير ذلك . وقد أدركه والدى وأجازه بمحفوظاته ، توفي أظن بعد العشرين والتسعمائة ^(٢) رحمه الله وإيانا . هذا كله كلام شيخنا رحمه الله تعالى فى توشيحته ووصفه العارف بالله تعالى عبد الوهاب الشعرانى الشافعى ^(٣)، نفعا الله تعالى ببركاته فى ذيل طبقات الصوفية ، بشيخ الاسلام ، العالم العامل ، الورع الزاهد ، جلال الدين بن قاسم المالكي ، رضى الله تعالى عنه ^(٤)، صحبته سنين وترددت اليه كثير ، وانتفعت بلحظه ، وحسن سمته ، كان

[١] فى العصر المملوكى طبق العمل بالمذاهب الاربعه فى القضاء وترتب على ذلك العديد من المساوئ مثل استغلال ذلك بين المتقاضين للايقاع ببعضهم مما أدى إلى ضياع الحقوق وغياب العدالة وادى التنافس بين قضاة المذاهب وإنصرافهم إلى محاولة الدس والايقاع فيما بينهم إلى ضياع هيبتهم وعدم الثقة فى احكامهم وتكاثفت هذه العوامل وغيرها لتؤدى فى النهاية إلى انهيار أوضاع القضاة والنظام القضائى ككل . ولقد دعى هذه الفساد إلى امتناع كبار العلماء والمحدثين عن تولي هذا المنصب والفرار منه بل والاختفاء عن الأعين وبعضهم تولاه مكرها لاجبار السلطان له ، لمزيد من المعلومات راجع ، ابن حجر العسقلانى ، إنباء الغمر بأنباء العمر وتحقق ، د / حسن حبشى ، لجنة إحياء التراث الاسلامى - القاهرة ١٩٦٩ ج ٢ ص ٦٨ وما بعدها ، ونفس المؤلف . رفع الأصغر عن قضاة مصر - مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣١٦ بتمور ، ص ٥١١ وما بعدها .

[٢] ٩٢٠هـ / ١٥١٥م .

[٣] عبد الوهاب الشعرانى : ينتهى نسبه إلى محمد بن الحنفية ونسبه إلى قرية أبى شعره المصرى الشافعى الصوفى مات أبوه وهو طفل ومع ذلك ظهرت عليه علامات النجابه ومخايل الرياسه فحفظ القرآن الكريم وأبا شجاع ولاجروميه هو ابن سبع أو ثمان سنوات وانتقل للقاهرة وسنة ٩١١هـ ففطن بجامع الغمرى وجد واجتهد فى الحفظ والتعلم وعرض ما حفظ على علماء عصره ، اشتغل بعلم الحديث واخذ عن أهله ومع ذلك لم يكن عنده جمود المحدثين فقد كان فقيه صوفى له دريه بأقوال السلف ومذاهب الخلف وكان ينهى عن الحط على الفلاسفه وتنقصيهم وينفر ممن يذمهم ويقول هؤلاء عقلاء . ومما يذكر أنه اقبل على الاشتغال بالطريق فى نفسه مدة وقطع العلائق الدنيويه ومكث سنين لا يضجع على الارض ليلا ولا نهارا بل اتخذ له حبالا بسقف خلوته يجعله فى عنقه ليلا حتى لا يسقط وكان يطوى الايام المتواليه ويديم الصوم ويفطر على اوقيه من الخبز ، ويذكر عنه انه قويته روحانيته فصار يطير من صحن الجامع الغمرى إلى سطحه وكان يفتتح مجلس الذكر عقب العشاء ، فلا يختمه الا عند الفجر وله العديد من المؤلفات . غير أن هناك مبالغات واضحة فى سيرته ربما لاضفاء نوع من القداسه من جانب اتباعه ومن ترجموا له غير أن له العديد من المؤلفات القيمة فى مختلف المجالات . ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى اخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ١٩٧٩ ، ج ٨ ، ص ٣٧٢ وما بعدها .

[٤] الاضافة لتوضيح المعنى .

كثير المراقبة لله تعالى فى احواله ، كانت أوقاته كلها معمرة بذكر الله عز وجل ، شرح المختصر والرسالة انتفع به خلائق لا يحصون ، ولاه السلطان الغورى [٣٧] القضا مكرهاً ، ولما أنكر الشيخ محمد التكرورى المالكى ، على سيدى عمر بن الفارض^(١) رضى الله تعالى عنه ، قال له يا محمد مالك وللسم تجربيه فى نفسك ، فلم يرجع عن إنكاره عنه ، فما مضى ثلاثة أيام إلا وفر الناس ، من هذا التكرورى^(٢) ولم يصبر أحداً يقرأ عليه علماً ، وكان يحفظ مدونة مالك وشرح مذهبه عن ظهر قلب ، وأقبل عليه أهل مصر ، وإقبالا عظيماً ، قبل إنكاره ، ثم إنه خرج إلى بلاده ، فقتل فى الطريق ، وأدراج حكاية الشيخ محمد التكرورى ، المذكور فى هذه الترجمة ، فى معرض ذكر كرامة لجلال بن قاسم ، صاحب الترجمة ، انتهى . قال وكان الشيخ جلال الدين أكثر أيامه صايماً لا يفطر فى السنة ، إلا العيدين وأيام التشريق ، وكان حافظ للسانه فى حق أقرانه لا يسمع أحداً يذكرهم إلا ويجلهم ويقول نفعا الله تعالى ببركاتهم رضى الله تعالى عنهم ، كتب ورأيت بخط جدى قاضى القضا محمد الدميرى المالكى رحمه الله تعالى ، الآتى ترجمته فى محله من هذا الكتاب الجليل الخطاب ، فى تعليق له بخطه ، إن صاحب الترجمة الجلال المذكور ولى [٣٨]

[١] عمر الفارضى . هو ابو حفص عمر بن أبى الحسن على بن المرشد على ، الحموى الاصل المصرى المولد والدار والوفاء ، وكان ينحرف فى شعره منحنى الصوفيه وكان اذا مشى ازدهم الناس عليه يلتسمون منه البركة والدعاء ، وكان وقورا اذا حضر مجلسا استولى السكون على اهله ، جاور بمكة فترة وتوفى فى القاهرة ، ودفن فى سفح المقطم وقبره معروف هناك ، ويمتاز شعره بكثرة الجناس والبديع مع الاجادة فيهما مما كان متملحا فى عصره ، ومازال محل اعجاب الادباء إلى عصرنا هذا واشهر شراح ديوان ابن الفارض الشيخ حسن البورىنى ١٠٢٤هـ والشيخ عبدالغنى النابلسى الذى شرحه شرحا صوفيا بعكس البورىنى الذى شرحه حسب المعنى الظاهر ، وترجمت قصيدته النائية إلى الالمانيه وطبعت سنة ١٨٥٤ ، وترجم غيرها إلى الفرنسية طبع بباريس ١٨٨٦ . لمزيد من المعلومات راجع . جرجى زيدان . تاريخ اداب اللغة العربيه دار الهلال . القاهرة . د.ت ج٣ ص ١٦ . محمد مصطفى حلمى : ابن الفارض والحب الالهى القاهرة .

[٢] التكرورى : نسبة لمملكة التكرور الاسلاميه فى وسط افريقيا وكان يوجد الكثيرون من اهاليها فى مصر فى العصر العثمانى بل وينضموا إلى قافلة الحج المصرية .
وإليهم يعود اسم "بولاك التكرور" والتي حرفت إلى "الدكرور" .

منصب القضا عوضا عن قاضى القضاة يحيى الدميرى ، المالكى الآتى ذكره فى محله من هذه الأوراق الشهية والأسفار البهية بعد عزله فى ذى القعدة سنة تسع عشره وتسعمائة (١)، فمكث فى المنصب سنة واحدة وعشرة أشهر ، فباشر بعفة وأمانة تحرز وديانة ثم تعفف عنه إلى أن مات فى ذى الحجة سنة خمس وعشرين وتسعمائة (٢)، كما رأيته بخط الجد المذكور سامحهما العلى الغفور ، وكانت جنازته مشهوده ، قلت ، وصاحب الترجمة هو الجد الخامس لولديه تاج العارفين لأمه ، وقد أثبت إسما ما بينها من الأجداد فى التذكرة رحمهم الله تعالى أجمعين ولصاحب الترجمة وقف أراضى وعقارات على وجوه البر والقربات ، ولأخت مؤلفه من والده نسبة بصاحب الترجمة أيضا من أمها ، ولها حصه من الوقف المذكور .

قاضى عسكر مصر

عبدالرحمن بن سيدى على الرومى الحنفى (٣)

أخذ عن المولى أحمد بن سليمان [٣٩] الشهير بابن كمال باشا (٤) عن المولى

[١] كانت ولايته من ذى القعدة ٩١٩ : رمضان ٩٢١هـ / يناير ١٥١٤ : أكتوبر ١٥١٥ م .

[٢] ذى الحجة ٩٥٢هـ / نوفمبر ١٥٢٠ م .

[٣] كانت ولايته من ، جمادى ٩٦٩ : جمادى الاول ٩٧١هـ / يناير ١٥٦٢ : يناير ١٥٦٤ هذا بينما يذكر ابن أبى السرور ولايته بـ آخر ربيع الثانى ٩٦٩هـ : ٢١ رجب ٩٧١هـ / أكتوبر ١٥٦١ : ٧ مارس ١٥٦٣ م . الروضة المأثورة ص ١٦٨ .

[٤] ابن كمال باشا : أحمد بن سليمان الدين المعروف بابن كمال باشا شيخ الإسلام الرومى الحنفى توفى ٩٤٠ له العديد من التصانيف مثل - الآداب - الآيات العشر فى احوال الآخرة والحشر ، اشكال الفرائض ، الإصلاح والايضاح للوقاية فى القروع وإظهار الإظهار على اشجار الاشعار فى الادب ، تاريخ آل عثمان تركى إلى سنة ٩٣٣ . وغيرها العديد من المؤلفات ومنها النجوم الزاهرة فى احوال مصر القاهرة ، نزاع الحكماء والمعتزلة بلا والاشاعرة .

راجع - حاجى خليفة - كشف الظنون . ج ٦ ص ١١٧ وما بعدها .

أحمد بن مصطفى طاش كبرى^(١) صاحب الشقايق النعمانية^(٢) وأخذ أيضا عن المولى أحمد بن نور الدين الشهير بليس جلى ، عن الملى شمس الدين الأصغر، ثم عن حسن جلى بن السيد على ، ثم عن المولى حسن القرمانى ، ثم عن المولى حسام الدين القراصوى ، ثم عن المولى خضر الملقب خير الدين المرزىقونى ، ثم عن المولى خير الدين الأصغر وقرا على المولى خير الدين القسطنمونى ، وعن المولى سعدى جلى ، وقرا الكنز بتمامه على المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلى الاقشهرى ، وأخذ متن التلخيص وشيا من حواشى الكشف على المولى عبدالله الشهير بشيخ زاده ، وأخذ المطول عن المولى عبدالرحمن بنى يوسف السيد الشريف، ولازمه كثيرا وأخذ عن المولى عبدالرحيم بنى على المشهور بابن المؤيد ، ويعرف بحاجى جلى ، وأخذ عن مفتى الديار الروميه المولى عبدالقادر الشهير بقادرى أفندى ، وقرا عليه القدورى والمختصر المسمى بملتقى الأبحر ، ولازمه فى الفقه كثيرا ، وعن المولى عبدالقادر أفندى ، الشهير بمناء عيسى ولازمه فى الفنون وقرا عليه جانبا من القاموس والكافيه ونزهة الطرق [٤٠] فى علم الصرف اخذ ايضا عن المولى عبداللطيف القسطنمونى وقرا على المولى عبدالسميع فى التفسير دروساً مفيدة، أخذ أيضا عن المولى عبدالله الفنارى فى المنطق والمعانى والبيان

[١] أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة : هو أبو الخير أحمد بن مصلح الدين ، مصطفى طاش كبرى زاده عصام الدين ، ولد فى بروسة وتفقه على أبيه وغيره انقره وبروسة ثم فى الاستانة واماسيا . ولما بلغ الثلاثين من عمره تعين استاذا فى مدرسة اورج (باشا) فى ديموتوقه . وانتقل بعد ذلك إلى مدرسة المولى محيى الدين فى الاستانة . ثم فى الاسماقية باسكوب . ثم فى أدنة . وتنقل فى مدارس مختلفة من بلاد الرومىلى وتعين قاضيا فى الاستانة وفى حلب واصيب بالتهاب فى عينيه افقده البصر وتوفى فى سنة ٩٦٨ . وقد الف فى اكثر الموضوعات حتى يصح أن يعد من اصحاب الموسوعات . جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربيه ، دار الهلال . القاهرة . ج ٣ - ص ٣٣٨ .

[٢] الشقايق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية : هو خزانة تراجم عددها نحو ٥٢٢ ترجمه رتبها حسب السلاطين الذين نبغ العلماء فى أيامهم من السلطان عثمان فيما بعده إلى السلطان سليمان القانونى وفى ذيله ترجمة حياة المؤلف . منه نسخ خطية فى مكاتب اوربا والمغرب والاستانة . وطبع مصر على هامش ابن خلكان سنة ١٣١٠ وترجمة إلى التركية محمد المجدى وطبعت الترجمة فى الاستانة ١٢٦٩ م . وذيله العربيه على بن بالى استاذ الانكشاريه ذيل اسماء "العقد المنظوم فى ذكر افاضل الروم" وصل فيه إلى اوائل سلطنة مراد الثالث . راجع جرجى زيدان : مرجع سابق ج ٣ ، ص ٣٣٨ .

وأخذ عن المولى على قاضى بروسه ، وأخذ أيضا فى ابتداء إشتغاله على المولى
علاى الدين الجمالى البكرى الصديقى ، مفتى الديار الروميه وصار ملازماً منه ،
وأخذ أيضا عن المولى فخر الدين بن إسرافيل ، دورساً فى التتارخانية ، وقرا عليه
صدر الشريعة بتمامه ، وأخذ عن المولى محمد بنى عادل باشا ، المشهور بالمولى
الحافظ البردعى ، وقرا عليه من تصانيفه رسالة الهيولى وشرح التجريد المسمى
بالمحاكمات التجريدية كتاب مدينة العلم ورسالته المسماه ، بتنطق العلم ، الرسالة
المسماة بفهرست العلم والرسالة المسماة بالسبعة السيارة ، وغير ذلك من مؤلفاته،
وكتب له بخطه إجازة علي بعض نسخها برواية جميع مؤلفاته، أخذ أيضا عن المولى
شيخ محمد بن إلياس مفتى الديار الرومية ، وقرا عليه رسايل شتى من تاليفه [٤١]
وتعليقه ، حاشيه على تفسير القاضى وحواشيه والهدايه وشروحها ، والتلويح
وحواشيه ، وشرح الواقف وحواشيه ، وشرح التجريد وحواشيه ، ورسايل فقيهه و
أصوليه وتعاليقه على شرح البخارى للكرمانى وغير ذلك ، أخذ عن المولى محمد بن
بهاى الدين فى علوم شتى ، ولازمه ملازمة تامة ، وقرا عليه رسايله التى ألفها فى
الفنون المتعددة وأخذ عن المولى محمد شاه بن الحاج حسن ، وقرا عليه شرحه على
مختصر القدورى ، وشرحه على ثلاثيات البخارى ، وغير ذلك من مؤلفاته ورسايله ،
وأخذ أيضا عن المولى محيى الدين الشهير بمحمد بيك^(١) ، وأخذ أيضا عن المولى
محمد الغفارى ، مفتى الديار الروميه ، وقرا عليه حاشيته على شرح المفتاح للسيد ،
ورسايله المتعلقة بشرح الوقاية ، وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى محمد بن علاى
الدين الجمالى الشهير بمولى جلبى ، فى فنون متعددة ، وأخذ أيضا عن المولى
محمد بن الخطيب قاسم ، وقرا عليه تصنيفه المسمى بروض الأخبار فى

[١] بيك : فى التركية تعنى أمير ، وفى مصر العثمانية التصق هذا اللقب مع مصطلح "صنjq المستعمل فى
التعبير الادارى المصرى ، قد استعمل مصطلح "صنjq" ليذل على رتبة بك ، ولهذا استخدم الجبرتى مرارا
تعبير "تقلد الامارة والصنjqية" ليذل على الشخصى الذى رفع إلى رتبة بك . وقد كان بكوات مصر
يتسلمون رواتب سنوية (ساليانات) من خزينة مصر . وكان هناك ٢٤ صنjqا تحكمون اقاليم مصر المختلفة .

P.M Holt, the beylicate in ottoman

Egypte Ouring theseventeenth century, Hsoas xx lypelg. p219.

المحاضرات حواشيه على شرح الوقايه لصدر الشريعة وحواشيه على شرح للسيد وغير ذلك من مؤلفاته ورسايله فى العلم المتعددة [٤٢] وتضلع بالعلوم وتصدر لإقرا المنطوق منها والمفهوم ، ودرس بإحدى المدارس الثمان ، ثم لم يزل ينتقل إلى داخل دار الحديث ثم انتقل إلى مدرسة السليمانية (١) ، ثم منها إلى قضا مصر المحروسة فى أحد الجمادين ظناً سنة تسع وستين وتسعمائة ، فباشر الأحكام بعفة ونزاهة وتصلب فى الدين تقيد فى مصالح المسلمين وأثنى عليه غير واحد من العلماء والاجلا العظما ، وحمدت سيرته وشكرت طريقته حتى قال بعضهم ، وكان ذا دين لشيخوخته ، وذا عفة لكبر سنه ، وبالجمله والتفصيل فلا نسبة بينه وبين من جاء بعده ، رأيت خطه على تقرير متعلق بسيدى المرحوم الوالد ، مؤرخ بأول جماد الأول سنة تسعين وتسعمائة (٢) .

وإستمر نافذ النواهى ، والأوامر إلى أن فاجأه كأس العزل الذى على كل أحد دابر ، فى جماد الأول سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، بالجمله فكان عديم النظر بين أقرانه ، وتحفة نادرة فى أهل زمانه ، ثم سافر إلى ديار الروم ، وحفظ كل من المولى حقه المعلوم ، فرتب له جزيل الراتب ، وظفر منها بجميل المآرب ، إلى أن فاجأه الحمام ، وانتقل إلى دار السلام بسلام ولم أقف [٤٣] على تاريخ وفاته ، ألا إن أهل مصر أسقوا على فقده وتألوا لأليم بعده ، رحمه الله تعالى ، وأسبغ بنوره على رمسه ، ووالى . أمين .

[١] السليمانية : بنى السلاطين فى استانبول مساجد سلطانية وزوده بعدد من المدارس التى الحقت بها فأحاط السلطان سليمان القانونى مسجده بعدد من المدارس التى سميت "السليمانية" وهى عبارة عن خمس مدارس تسمى خوامسى سليمانيه بالإضافة لدار الحديث المخصصة لدارسة السنة ودار الطب المخصصة لدارسه الطب وكذلك عدد كبير من المدارس التجهيزية التى عرفت جماعيا باسم موصلتى سليمانيه . لمزيد من المعلومات راجع ، جب وبودين : مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٨٠ .

[٢] يوجد على هامش (ص ٤٢) مانصه تولى قضا أدنه فمكث فيها مدة ناشرا لوا العدل فى الاحكام ثم عزل بين الانام ثم انتقل إلى قضا قسطنطينيه المحمية فحمدت سيرته وشكرت طريقته ثم عزل فاقام مدة إلى أن حصلت عليه عواطف سلطانية وانعامات خنكارية فولى القضايا باناضولى واسدا إلى العلما جزيل الخيرات وواساهم بمزيد المبرات ثم تنقل إلى قضا روم ايلي كل ذلك وهو سالك طريق العدل والانصاف معاملا الرعايا بالسعاد والاسعاف وكان بينه وبين شيخنا البدر القرافى المالكى ما ينبى عن صدق الوداد ومزيد الحب والاتحاد خصوصا حال قضايه على مصر واستمر ذلك بينهما على البعد لما أن التقى ذلك منها شرحه بالمكاتبه ، وتعددت فيه رسايله المخاطبه من الطرفين مما رايت من نظم شيخنا المذكور ابيات صدرها وارسله إليه حال قضايه الروم ايلي .

عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد

ابن محمد بن محمود سرى الدين (١)

آبو البركات بن المحب أبى الفضل بن المحب بن الوليد الحلبي (٢) ثم القاهري الحنفى ، سبط المولوى الصفطى ، ويعرف كسلفه بابن الشحنة ، ولد فى ليلة الثلاثاء تاسع ذى القعدة سنة (٣) إحدى وثمانمائة وخمسين بحلب وانتقل نها بصحبه أبويه للقاهرة وحفظ القرآن ، وكتباً فى مختصرات العلوم ومنها غالب الألفية بجده ، وسمع ببيت المقدس حال إقامته فيها مع والده على خطيبه وشيخ صلاحيته الجمال ابن جماعة ، والتقى بأبى بكر القلقشدى ، وبالقاهرة على البدر النسابة ، وقرا بنفسه قليلاً رواية بعد على الأمين الأقصرائى والتقى والشيمنى الجلال الحمصى والشمس

[١] عبد البر بن محمد المعروف بابن الشحنة : ولد بحلب سنة ٨٥١هـ ورحل إلى القاهرة فاشتغل فى علوم متعددة ودرس وافتى وتولى قضاء حلب ثم تولى قضاء القاهرة ، وذكر عنه " أنه كان عالماً متقناً للعلوم الشرعية والعقلية ، قال ابن طولون " ولم يثنى الناس عليه خيراً ، وكان ينقل عنه أنه افتى بتحريم قهوة البن وله مؤلفات كثيرة منها "شرح منظومة ابن وهبان فى فقه أبى حنيفة النعمان" وشرح الوهبانية فى فقه الحنفية ومنها الذخائر الاشرفية فى الغاز الحنفية" وغيرها من المؤلفات ، من أشعاره :

امناها مناقبى الكبار	ولى والله للدنيا الفخار
بفضل شائع وعلوم شرع	لها فى سائر الدنيا انتشار
مجد شامخ فى بيت علم	مفاخرهم بها الركبان ساروا
وهمه لو ذاع منهم تسامى	وفوق الفرقدين لها قرار
فكر صائب فى كل فن	إلى تحقيقه ابدأ يصار

راجع ابن العماد ، شذرات الذهب ج ٨ ص ٩٨ ، ابن اياس ج ٤ ص ٣٣٥ .

[٢] كان سلاطين المماليك يعتبرون سورية او بلاد الشام بمعناها الواسع جزءاً لا يتجزأ من ملكهم ، فجعلوا من مصر وسورية وحدة ادارية كبيرة قسموها عدة اقسام ادارية كبرى او (نيابات) كنيابة مصر أو القاهرة ونيابة الاسكندرية ونيابة الشام أو دمشق ونيابة حلب ، بينما نرى أنهم احتفظوا للبلاد الاخرى التى بسطوا عليها سلطاتهم عليها سلطانهم بألوان من الحكم الذاتى : كديار بكر وقبرص وبرقه والنوبة والحجاز واليمن . لمزيد من المعلومات راجع : د / احمد عبدالكريم : التقسيم الادارى لسوريه فى العهد العثمانى ، حوايات بكلية الاداب ، جامعه عين شمس العدد الاول ص ١٢٧ .

[٣] ٩ ذى القعدة ٨٥١هـ / ١٦ يناير ١٤٤٨م .

الملتنى ، وأم هانى الهودينية وهاجر القدس وطايفة ، وأجاز له باستدعا الحافظ شمس الدين السخاوى الشافعى جماعة أخذ عن أبيه، كذا أخذ فى الفقه عن البدر بن عبيد الله والزينى قاسم ابن فظلى بجامع أصول الفقه والحديث وتردد أحيانا للفتى [٤٤] الشمينى ثم للكافىاجى ، وقرا على شمس السخاوى المذكور يسيراً بحضرة أبيه ، وذكر بذكاء وفطنه بحيث أذن له فى التدريس والافتا (١) من أبيه ونحوه فأفتى وصرح الأشرف سلطان الوقت بالتعجب من ذلك وأخذ عنه من يشاركه فى أفعاله أو يطع من الطلبة ذلك الوقت فى بلوغ أماله ، وحج صحبة والده وناب عنه فى القضا ، بل كان هو المستبد فى أكثر الأوقات بالتعاين خصوصاً الاستبدالات ونحوها كثرت المقالات فيه بسببها وبسبب غيرها (٢) وأبوه مع ذلك مفتتن بحبه وزوجه بابنه الصفدى الصيرامى بعد إمتناع ، البدر بن الصافى من إعطائه ابنته ، وولى الخطابه بجامع الحاكم (٣) عوضاً عن الناصرى الأخمى الحنفى وتدریس

[١] الافتاء فى العصر المملوكى : وجد نظام الافتاء فى مصر فى العصر المملوكى فقد اهتم المماليك باضفاء الصبغة الدينية على اعمالهم وأحكامهم ، لذا فقد عينوا أربعة من المفتين على المذاهب الأربعة ليقدّموا فتياهم سواء للحكام لأضفاء الشرعية على اعمالهم أو للمحكومين فى المعاملات والامور الشرعية وكذلك تقديم الفتاوى التى يطلبها منهم القضاة ، ووجد المفتون على المذاهب الأربعة . ولا يفتى الا من حصل على اجازة بالفتيا من الازهر الشريف وكبار العلماء . لمزيد من المعلومات راجع محمود رزق سليم - عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمى والادبى - مكتبة القسم الثانى الاداب - القاهرة - ١٩٤٠ م .

[٢] يبدو أن القاضى ابن عبد البر قد تعرض للهجاء الشديد ولم يثن عليه احد من الناس خير ومما قال فيه الشاعر عبيد السلمونى شاعر القاهرة

فشأ الزورفى مصر ، وفى جنبااتها ولم لا و عبد البر قاضى قضائها

كما أنه تعرض لوشايه عند السلطان الغورى أنه كاتب احد اعداءه فرسم بنفيه إلى قوصى فتشفع فيه الأتابكى قيت الرجبى . لمزيد من المعلومات راجع ابن اياس : مصدر سابق ج ٤ ص ٣٨ .

[٣] جامع الحاكم : هذا الجامع خارج باب الفتوح أحد البواب القاهرة ، وأول من أسسه الخليفه العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معدتم اكمله ابنه الحاكم بأمر الله ، وبعد تجديد امير الجيوش بدر الجمالى القاهرة وجعل ابوابها حيث هى اليوم صار جامع الحاكم داخل القاهرة وكان يعرف اولا بجامع الخطبة ثم عرف بجامع الحاكم والجامع الانور . راجع ابن عبدالظاهر . الروضة البهية فى خطط المعزية القاهرة . تحقيق د / ايمن فؤاد سيد . الدار العربيه - القاهرة - ١٩٩٦ ، ص ٦٨ وما بعدها .

الحديث بالحسنية (١) بعد وفاة ابن الناحي والتفسير بالجمالية (٢)، عوضاً عن التقى الحصنى والإعادة بالصرغتمشية (٣) والحديث بالزينية المزهرية، بعد البهاء المشهدى وغير ذلك ، بل لما عجز أبوه ناب عنه فى الشيخونية (٤) تصوفاً وتديساً ، وكذا وفى تفسير الحديث [بالمدرسة] المؤيدية وتسليط على الكتابة فى عدة فنون مع الخوض فى الأدب بحيث نظم ونثر ومدح وإنشد والده [٤٥] بجماعة نوابه ونحوهم مما كتبوه عن بالمدرسة المؤيدية، قصيدة من نظمه فى مدحه أخف منها قوله فيه مقتفياً لمن قبله ، دروس عبدالبر فاقت على أبيه فى الحفظ وحسن الجدل ، وذاك عند الأب إمرا به نهاية السؤل واقصى الأمل ، ومن نظم صاحب الترجمة عبدالبر المذكور :

الأنصار الشريعة لن تراوا سد الله قوماً ملحدينا
ويجزئهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

[١] الحسنية : جامع مدرسه السلطان حسن وهو تجاه قلعه الجبل فيما بين القلعة وبركه الفيل ابتداء السلطان عمارته فى سنة ٧٥٧هـ واستمر العمل فيه ثلاث سنوات وهو من أجل العماثر الاسلاميه "قاطبه" واتفق عليه مبالغ طائله ورتب فيه الدروس وطوائف الفقهاء ، والطلبه ووقف على الاوقاف العديده . المقرئى . مصدر سابق - ج ٢ ، ص ٣١٦ وما بعدها .

[٢] الجمالية : بنيت عام ٧٣٠هـ بناها الامير علاء الدين مغلطاي الجمالى وجعلها مدرسة للحنقيه وخانقاه للصوفيه وهى توجد بجوار درب راشد على ياف زقاق سيف الدوله ، وكان شأن هذه المدرسه كبير فقد وليها اكابر الحنفية ثم آل امرها للخراب لسوء ولاه امرها وتخريبهم اوقافها وتعطل الدرس بها الا قليل وصارت كمال (يذكر المقرئى) يسكنها اخلاط ممن ينسب إلى اسم الفقه بعد أن تعطلت اوقافها العديده . المقرئى : مصدر سابق ج ٢ ، ص ٣٩٢ .

[٣] الصرغتمشية : هذه المدرسه خارج القاهرة بجوار جامع الامير أبى الصبكي أحمد بن طولون فيما بينه وبين قلعة الجبل كان موضعها قديما من جملة قطائع ابن طولون بناها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى راس نوبه النواب وانتهى من بناءها سنة ٧٥٧هـ ، وقد كانت من ابهج المدارس واجلها واحفها ووقف عليها العديد من الاوقاف للاتفاق عليها . المقرئى ، مصدر سابق . ج ٢ ص ٤٠٣

[٤] الشيخونية : بشارع الصليبيه تجاه جامع شيخو انشأها الأمير شيخو العمرى سنة ٧٥٦ ، وتعمت بجامع شيخو ورتب بها دروسا فى المذاهب الاربعه ودرسا للحديث ودرسا لاقراء القرآن بالروايات السبع ، وجعل لكل درسا شيخا وطلبه وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفه التصوف ، ورتب للطلبه ما ينفقون من اوقافها . على مبارك الخطط . ج ٥ ، ص ٨٤ .

ومن نظمه أيضا :

إن البقاعى البذى لفحشه
لو قال أن الشمس تظر فى السما
ولكذبه ومحاله وعقوبه
وقف ذوى الألباب عن تصديقه

ولما أكثر بملاحظه الشهابى الجوهرى من التردد للزنى سالم إمام الأتابك^(١) والقيام بأعبايه دسه فى مخدمه ، مع من يد خبرته به بحيث قرره فى جامعة مدرسا ، وصار يقرأ عليه أحد أولاد الزينى ، وكذا دس نفسه فى عدة أمرا حتى أنه كان مع أمير أخور^(٢) حين حج أمير الركب^(٣) سنة ثمان وتسعين وثمانى مائة^(٤) ، وقد تكررت مناكدته للبدرى كاتب السر^(٥) [٤٦] وولى صاحب الترجمة قضا الحنفية

[١] الاتابك : من الكلمتين التركيتين : أتا بمعنى الأب ، والشيخ المحترم لسنة ، واللقب التركى بك بمعنى الأمير ، الاتابك فى الاصطلاح مربى الأمير ، ومدير المملكة ، ويطلق على الأمير امراء الجيش أتابك العساكر ، وورد هذا الاصطلاح بالطاء (أتابك) كم فى صبح الاعشى ، وفى الشعر قيلت :
أتابك إن سميت فى المهد غازيا فسابقه معدوده فى البشائر
راجع د / أحمد السعيد سليمان . مرجع سابق ج ٢ ، ص ١٢ .

[٢] امير أخور : من الفارسية أخور بمد الألف بمعنى الملعف أو المذود ، ثم أطلقت على الاسطبل . وقد عرف صاحب هذه الوظيفة عند سلاجقة الروم باسمين : أمير أخور وكند إصطبل ، وأمير الأخور عند المماليك هو الناظر فى أمور الاسطبلات والمناخات السلطانية ورئيس العاملين بها جميعا ، وأهم هؤلاء العاملين هو المسئول عن الاعلاف والمسمى باللاخور . وكان يعاون "أمير أخور" موظف ادارى من المتعممين : أى من غير الجند يمسك بالسجلات وعدد من أمراء الاخور أدنى من أمير الأخور الكبير . لكل واحد منهم النظر فى أمر نوع من أنواع الحيوان ويراس أمير أخور طوائف أخرى من العاملين بالاسطبلات كالبيطرة والوجاقلية . كما كان للبريد أمير ه أمير أخور البريد يعنى بدواب حمل البريد أحمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ٢١ .

[٣] ركب الحج : كان لركب الحج فى مصر أهمية خاصة منذ مجيئ الفاطميين وذلك بسبب أن مصر أصبحت ترسل الكسوة التى كان العباسيون والامويون يرسلونها . ويبدو أن بيبرس هو أول من نظم "دورات المحمل" فى القاهرة حيث يقع الحمالون الكسوة على جمل فوق هيكل هرمى له قبه مطلى بالفضه مكسو بفشاء حرير لامع ، وتلف القاهرة وسط فرحة الناس . وعند سفر الحجاج يتجمعون قبل سفرهم فى بركة الحاج ومعهم أميرهم وفى القافلة يوجد الادلاء والأطباء والمجبرون والقضاة والمؤذنون ، إضافة لقوة حربية لحمايتهم من أخطار الطريق . راجع د / عبد المنعم ماجد : نظمك دول المماليك ورسومهم فى مصر ، الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧ . ج ١ ، ص ٣١ .

[٤] ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ .

[٥] كاتب السر : تلقب صاحب ديوان الأنشاء فى العهد المملوكى بالعديد من الصفات منها "كاتم السر" بوصفه الأمين على اسرار الدولة ودخائل السلطان حتى أن السلاطين كانوا يطلعونه على ما لا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء والوزراء ، ولما كان من الصعب على فرد واحد أن يقوم بكل هذا العبء الثقيل وجد لصاحب ديوان الافتاء اعوان أولهم "نائب كاتب السر" الذى ينوب عنه فى ناظر الديوان .
د / سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المماليكى حتى فى مصر والشام دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٣٦٠ وما بعدها .

بالديار المصرية بعد صرف البرهان الكركى فى يوم الثلاثاء حادى عشرى جمادى الثانى سنة ست وتسعمائة (١) ، بتفويض من الملك العادل طومان باى (٢) ، بسفارة الأمير قصره ، لمزيد صداقته ومحبته له ، هو اليوم الرابع من سلطنة العادل المذكور ، ثم صرف السرى صاحب الترجمة ممن القضا بالبرهان الكركى المذكور بتفويض له من الملك العادل طومان باى المذكور ، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب من السنة المذكورة ، قبض العادل على قصره بقلعة الجبل (٣) وقتل فيها قيل بالخنق ، فمدة ولاية صاحب الترجمة ثلاثون يوما ، ثم فى يوم الإثنين ثانى عشرى شوال من السنة المذكورة أعيد صاحب الترجمة إلى القضا بتفويض من الأشرف قانصوه الغورى بعد صرف البرهان الكركى (٤) [٤٧] وتقرب صاحب الترجمة إلى خاطر السلطان

[١] ١١ جمادى الثانى ٩٠٦هـ : ١٢ رجب من السنة المذكورة لابن اياس فى ذلك شعر ظريف ج ٣ ، ص ٤٧١ .

[٢] العادل طومان باى : هو الخامس والاربعون من ملوك الترك والتاسع عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية ، كان اصله جركسى الجنس اشتراه قانصوه اليمياوى نائب الشام وقدمه مع حملة مماليك للأشرف قايتباى وصار من جهة المماليك السلطانية جمدارا ثم بقى خازن دار ، وقرر فى نيابه الاسكندرية فى عام ٩٠٢هـ وبعد ذلك أمير طبلخاناه وبعد ذلك مقدم الف وسافر إلى الشام لما عصر قصره نائب الشام ، فتسلطن هناك وعاد وهو سلطان واستولى على الحكم وعزل جان بلاط .

وكان طومان باى محببا للرعية ولاسيما للعوام فزينت له القاهرة سبعة أيام متوالية ، وخرج الناس فى القصف والفرجة عن الحدة وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية مائة يوم وهرب واختفى واستمر مختفيا حتى قبض عليه وقطعت راسه . راجع ابن اياس مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٦٥ وما بعدها .

[٣] قلعة الجبل : هذه القلعة على من الجبل وهى تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة من الجهة منها والنيل فى غربها وجبل المقطم من ورائها فى الجهة الشرقية وكان موضعها يعرف أولا بقية الهواء ، ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد إلى أن أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين على يد الطواشى بهاء الدين قراقرش الاسدى سنة ٥٧٣هـ ، وكان قصده أن يجعل السور يحيط بالقاهرة والقلعة فمات قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة واهمل العمل إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد فتم بناء القلعة عام ٦٠٤هـ ، ويذكر البعض أن السبب وراء بناء القلعة أن صلاح الدين كان يريد لها مركزا لحكومته ، ومعقلا لجنده ، وليتقى بها خطر الفاطميين واتباعهم فى الداخل إذا حدثتهم أنفسهم بازكاء نار الثورة والخروج على سلطاته .

لمزيد من المعلومات راجع د / حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٩٦ ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

[٤] يوجد شطب خمس سطور ثلاثة من الصفحة ٤٦ وسطرين من الصفحة ٤٧ .

الأشرف قانصوه الغورى ، باستبدال عقارات الأوقاف (١) وصيرها أملاكاً له شهد بذلك فى الخافقين ، وبعد صيته بذلك فى المغربين والمشرقين ، حتى أخبرنى بعض المعمرين ممن شاهده أنه وصل خبره بذلك إلى سلطان الروم سليم بن عثمان (٢) ، فجهز بعض وزرائه وأرسله للديار المصرية حاجاً فلما جاء إلى مصر تلقاه سلطانها من العلماء وقضاة القضاة وغيرهم للسلام عليه ، إلى أن قدم عليه صاحب الترجمة وسلم عليه فتلقاه ملتقى حسناً ، ثم قال له فى أثناء المصاحبة : يا شيخ الاسلام أريد منزلاً متسعاً إستبدله للسكنى فيه بعد مجيئنا من الحج فقال له ممكن هذا سهل ، فقال له ما أعجبنى فى مصر إلا الجامع الأزهر (٣) ، فإنه متسع وقريب التحويل للسكن فقال له ، يا مولانا الوزير هذا أمر سهل ، لأنه مجهول الوقف لم تثبت [٤٨] وقفيته عندنا إلى هذا الوقت ، وهى ملك من املاك بيت المال (٤) ، ووقف كثير

[١] موقفه من استبدال الاوقاف : يبدو أن القاضى عبدالبر قام باستبدال العديد من الاوقاف فهجاه الشاعر جمال الدين السلمونى ومما قاله فى ذلك .

الست ترى الاوقاف كيف تبدلت	كانت على تقديرها وثباتها
فإن كان فى الأوقاف ثم بقية	تكذبنى فيها اقول فهاتها
ولا بد من بيع الجوامع تارك	الجماعات منها مبطل جمعاته

ابن اياس : مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١١٣ .

[٢] السلطان سليم : تولى الحكم بعد أن استطاع خلع والده عام ١٥١٢م وذلك بمساعدة الانكشارية ، وقد أبدى سليم منذ بداية حكمه ميلاً إلى سفك الدماء وخوض المعارك ، لذا فقد خاض العديد من المعارك ووسع الدولة العثمانية فى المشرق الإسلامى ، وعلى حين أنه اتصف بالحيوية الذهنية والجسدية فإنه لم يكثر بالمنهج الحسية . ولم يكن ينام إلا قليلاً ، مفضياً قسط طويلاً من الليل فى الدراسات الادبية . راجع د / أحمد عبدالرحيم مصطفى : اصول التاريخ العثمانى ، دار الشروق القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٧٦ .

[٣] الجامع الأزهر : تمشياً مع التقاليد الاسلاميه ، وتأكيد للانتصار الدينى المذهبى الذى احرزته الدولة الفاطمية ، شيد القائد جوهر مسجداً جامعاً كى يكون جامعاً رسمياً للعاصمة الجديدة التى كان قد شرع فى بنائها منذ سنة سابقة ، وكى يكون هذا المسجد الجامع مركزاً لنشر الدعوة الفاطمية ، وبدأ العمل فى بناء الجامع فى الرابع والعشرين من ذى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ، ٧ من مايو ٩٧٠م وتم بناؤه فى ٧ رمضان ٣٦١ هـ ، ٩٧٢م وبذلك يكون بناؤه وقد استغرق سنتين وثلاثة اشهر ، ولا يزال الجامع الأزهر يشغل نفس المكان الذى اقيم منذ الف سنة راجع د / عبدالعزيز الشناوى مرجع سابق ، ج ١ ص ٢٧ . ذكرها ابن اياس فى ج ٤ ، ص ١١٣ ، وما بعدها .

[٤] بيت المال : تشمل المالىه العامه الموارد الاساسيه لبيت المال فى العصر المملوكى والوجه التى كانت تتفق فيها هذه الاموال . اما عن الموارد فتتنقسم إلى قسمين : موارد شرعيه وموارد غير شرعيه . وكانت الموارد الشرعيه تتمثل فى عدة ضرائب هى ، الخراج ، الزكاة ، الجوال ، الثغور ، المواريت الحشرية ، ما يتحصل من دار ضرب النقود بالقاهرة ، تجارة الحاكم ، المعادن المستخرجه من اراضى مصر - اما الموارد عبر الشرعيه فيقصد بها المكوس مردن من عصور سابقه .

لمزيد من المعلومات راجع د / سعيد عبدالفتاح عاشور : مرجع سابق ص ٢٩٨ ، ما بعدها .

ولاخلاف فيه فقال ، إن شاء الله تعالى بعد رجوعنا من الحج ، نفعل ذلك فلما رجع من الحج أسرع فى العوده إلى ديار الروم وأخبر أستاذة بذلك ، فكان ذلك سببا لتحرك السلطان سليم على أخذ مصر^(١) من يد سلطانها الغورى ، وكان ما كان ، وبذلك كثر التباغض من أهل مصر لصاحب الترجمة ، وكثر مشايينه ، حتى رأيت لبعض شعرا عصره فيه قصيدة هجاء نحو من ثمانين بيتاً ، نستحى من الله تعالى أن أوردها فى المحل وقد أثبتها فى التذكرة ، فالله تعالى يعفو عنا وعنه ويغفر له ، ولم اقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى وسامحه وإيانا آمين .

عبدالقادر بن على بن مصلح محب الدين القاهري الشافعي

[ابن النقيب] (٢)

ويعرف أولاً بابن مصلح ، ثم النقيب ، لكون والده كان نقيباً ، ولد فى سنة أربع وأربعين وثمانماية^(٣) ، أو بعدها تقريبا حفظ القرآن ، ومختصر أبى شجاع ، والمنهاج الفرعى ، وجمع الجوامع وألفيه بن مالك ، وعرض على جماعة كالجلال ابن الملحق وإمام الكامليه^(٤) والسعد ابن الديرى [٤٩] والعز الحنبلى ، ونشأ فقير ، وأخذ

[١] ترددت هذه القصة فى بعض كتب المؤرخين مثل الاسحاقى الذى ربما نقلها عن الديميرى ولكن لم نستطيع التأكد من صحتها وربما مبالغ فيها لحد كبير ، كذلك أن نجعلها سببا وحيدا أو أصيلا لفتح مصر من جانب السلطنة العثمانية فهذا المستحيل ويتناقض مع الاسباب الحقيقية للفتح ، وربما هى محاولة من جانب مؤرخنا لتبييض وجه الدولة العثمانية فى هذا المجال .

[٢] عبدالقادر على (ابن النقيب) : يذكر ابن اياس أنه تولى عوض عن القاضى زين الدين زكريا وأنه لما تولى شق على كل أحد من الناس ولايته ولامو السلطان ذلك وكان يومئذ من الشافعية من هو أولى بالقضاء منه ، ولكن سعى بمال كثير حتى تولى على كره من الناس فكان كما يقال .

فى مصر من القضاة قاضى وله
فى أكل منواريت اليتامى وله
إن رمئنا عداله فقم مجتهدا
مَنْ عدَّله دراهما عدله

وقيل أنه سعى بسبعة الاف دينار حتى تولى القضاء ولم يستمر فيه كثير وكان غير محمود سيره ابن اياس : مصدر سابق ج ٣ ص ٤٤٨ .

[٣] ٨٤٤هـ : ١٤٤٠م .

[٤] المدرسة الكاميلية : هذه المدرسة بخط بنى القصرين فى القاهرة ، وهى تعرف بدار الحديث الكامليه انشأها السلطان الكامل فى عام ٦٢٢هـ وهى ثانى دار بنيت للحديث فى العالم الاسلامى ووقفها السلطان الكامل على المشتغلين بالحديث النبوى ، ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها العديد من الاوقاف ثم اهملت منذ سنة ٨٠٦هـ واستمر فيها دهر الابدرسى بها حتى كادت تنسى . لمزيد من المعلومات راجع ، د/أحمد فكرى : مساجد القاهرة ، ومدراسها العصر الايوبى ، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

فى الفقه عن المناوى والمحلى والمعيادى ، قرا فى بعض تقاسيمه ، والبكرى والقيعى ، والزينى ذكرىا ، وبعضهم فى الأخذ عنه أكثر من بعض ، بل حضر عند البلقينى ، وقرا فى ابتدائه على الشمس الشنيشى ، ولزم التقى والعلا الحسينى ، والشمينى ، وذكرىا فى الأصلين والعربية ، والصرف والمعانى والبيان والمنطق والحديث وغيرها ، وكذا أخذ قليلا عن الكافىاجى ، والإقصرائى ، والشروانى ، وآخرين كابن البهامى وأبى السعادات البلقينى ، وناب عنه فى القضاء ودخل الشام وسمع من البرهان الباعونى من نظمه وأخذ يسيراً عن البدر بن قاضى شعبة ، وكذا البكرى فى الافتا التدريس ، وعرف بالذكاء والسرعة وحج بأخيه ، وسمع بالقاهرة يسيراً ، بل حضر عند الحافظ شمس الدين محمد السخاوى الشافعى ، فى الإملاء وغيره ، وعد فى الفضلا ، وورث مالا جمّاً . فصار يفارغ غالباً من باسمه تدريس ونحوه ويرغبه فى النزول له عنه بحيث إستقر فى تدريس الحديث بالجمالية برغبه ابن قاسم له ، وبالمناصورى (١) برغبة سبط ابن الحافظ حجر العسقلانى (٢) وفى دار الحديث الكامله [٥٠] برغبه ابن الكمال ، وفى الإسماع بالمحمدية ، برغبة الصلاح المكينى ، وفى الفقه بالألجيه ، مع الشهادة فيها ، برغبة ابن الشمس ابن المرخم ، فى جامع طولون (٣) ، برغبة المحب الأسىوطى المتنقل له عن أخيه المولوى ، وفى

[١] المناصورى : هذه المدرسة داخل باب البيمارستان المناصورى الكبير بخط بين القصرين بالقاهرة ، رتب بها دورسا اربعة لطوائف الفقهاء الاربعة ، ودورسا للطب ورتب بالقبة درسا للحديث النبوى والتفسير وكانت هذه الدروس لا يليها إلا أجل الفقهاء المعتبرين . المقرئى مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ .

[٢] ابن حجر العسقلانى : هو أحمد بن على بن على بن محمود بن أحمد بن حجر الشافعى ، العسقلانى الأصل المصرى المولى القاهرى الدار والنشأة ولد على أرجح الأقوال فى اول مارس ١٣٧٢م ، هو يتبوأ فى جدارة واستحقاق مركز الصدارة بين المحدثين والحفاظ فى العالم الاسلامى منذ بداية القرن ٩هـ فقد اسهم فى الحديث والفقه والادب والتاريخ . لمزيد من المعلومات راجع ، تقديم كتاب انباء الغمر بأبناء العمر ، لابن حجر العسقلانى تحقيق د/حسن حسين ، لجنة احياء التراث الاسلامى ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٧ ، وما بعدها .

[٣] جامع ابن طولون : هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر يذكر المؤرخون أنه بناه مما افاء الله عليه من المال الذى وجده فوق الجبل فى الموضع المعروف بتتور فرعون . ولقد بناه له مهندس نصرانى بدون أعمدة الا عمودى القبلة فقط . واطلق له ابن طولون المال لينفق منه فى البناء كيف شاء ومما يذكر لابن طولون أنه عندما اخبروه بأن المسجد يحتاج لثلاثمائة عمود وأنه لا يجدها إلا فى الكنائس القديمة فى الارياض رفض ذلك وبنى المسجد كما ذكرنا بدون اعمده الا عمودى القبلة فقط . راجع ابن عبد الظاهر : مصدر سابق ، ص ٨٦ وما بعدها .

الصالح^(١)، برغبة ابن المكينى وفى البرقوقية^(٢)، برغبة ابن العبادى ، وفى مشيخة الرباط بالبيرسية^(٣)، برغبة إبراهيم التلوانى إلى غيرها من الوظائف والأملاك وهو حلو اللسان وفيه دها ، وكتب شرحاً مختصراً لقواعد ابن هشام ، وحاشية على التوضيح وشرح العقايد ، وتصريف العزى ، ومختصر سيرة العمرين ابن الخطاب وابن عبد العزيز ، لابن الجوزى ، انتهى . قلت تولى قضا الشافعية الأكبر بالديار المصرية بتفويض من الأشرف جان بلاط^(٤)، يوم الاثنين والعشرين من صفر سنة ستة وتسعمائة^(٥)، بعد صرف القاضي زكريا بسعاية البدرى بن مظهر كاتب السر ، بمال عظيم جزيل^(٦) واجتمع عنده من غوغا الناس ما تنفر منه العقلا ، بل احتوى

[١] جامع الصالح : هذا الجامع من المواضع التى عمرت فى زمن الخلفاء الفاطميين وهو خارج باب زويلة بناء الصالح طلائع بن ازبك ، وبنى مع صهريجا عظيما وعمل ساقية على الخليج قرب بابا الخرف تملأ الصهريج المذكور أيام النيل . ولما حدثت الزلزلة فى مصر عام ٧٠٢ هـ تهدم هذا المسجد فعمر علي يد سيف الدين بكتمر الجوكندار ، راجع المقرئى ، مصدرها سابق ، ج ٢ ص ٢٩٣ .

[٢] البرقوقية : هذه المدرسة بخط القصرين فى شارع النحاسين عند جامع المارستان المتصورى بين مدرستى الناصرية والكاملية . انشأها السلطان الظاهر برقوق وابتدئ فى عمارتها سنة ٧٨٣ هـ وفرغ منها فى سنة ٧٨٨ . وذكرها الاسحاقى فى نزهة الناظرين بقولها أنها من محاسن مدارس مصر . على مبارك ، مصدر سابق ، ج ٦ ، ص ٧ .

[٣] البيرسية : توجد بحارة الجودريه التى تبتدئ بأول شارع المؤيد وتنتهى إلى أول شارع الحطاب . راجع الخطط التوفيقية ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

[٤] جان بلاط : هو الرابع الاربعون من ملوك الترك بالديار المصرية والثامن عشر ملوك الجراكسة وهو جركسى الاصل اشتراه الامير يشبك بنى مهدى أمير دوا دار كبير ، واقام عنده مدة ثم اهداه لقايتباى الذى اعتقه وصار من جملة معاتيق السلطان قايتباى واخرج له خيالاتها وصار من جملة الممالك الحمدادية وترقى به الحال فى عهد قايتباى واصبح مقدم الف . وبعد القضاء على الظاهر قنصوة بقيت القاهرة من غير سلطان يومين حتى بويع الاشرف جان بلاط وكانت ولايته مدته سنة وستة أشهر ثمانية عشر يوما . ابن اياس ج ٣ ، ص ٤٥٢ .

[٥] ٢٠ صفر ٩٠٦ هـ / ١٧ سبتمبر ١٥٠٠ .

[٦] توليه القضائيه بالرشون فى العهد المملوكى : تمدنا مصادر العصر المملوكى بأن من اهم سمات اختيار القضاة فى العصر المملوكى تتمثل فى الرغبة فى الحصول على المال لحساب السلاطين جشعهم والاستهانة بهذه المناصب الجليلة ، وادى إلى أن تطلع شغلها من ليس اهلا لها مثل الخصيان ومضحك السلطان ، وترتب على ذلك وقوع القضاة فى أخطاء فقهيه واشاعة ذلك بين العامة مما أثر على مكانه القضاة جميعا كذلك فماذا نتتظر ممن دفع الرشوة لتولى هذا المنصب ، إلا أن يكون مرتشيا ليجمع ما انفق من مال فى سبيل توليته ، وكان جشع السلاطين هو الذى يحدد ما يدفعه طالب المنصب ، فعلى سبيل المثال بذل قاضى القضاة ابن النقيب ٣٦ ألف دينار فرست مرات تولى فيها القضاء . لمزيد من التفاصيل راجع د / أحمد عبدالرازق : البذل والبرطلة زمن من سلاطين المماليك ، ص ١٠٥ . القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٠٥ وما بعدها .

عليه جماعة ممن كان الشيخ زكريا لا يلقي لهم بالاً ، فتلاعبوا بها لانحطاط قدره حينئذ عندهم باطنا ، وان اظهروا تعظيماً ما كابد قريبه ، وصرف عن القضا في يوم السبت [٥١] ثامن عشر شهرة سنة ستة وتسعمائة .

ولما عزل جان بلاط ، وتولى العادل طومان باي الاحياوى في اليوم المذكور ، ونزل في مشهد مشهود ، وأهين صاحب الترجمة من العامة وبعض الاتراك إهانة فاحشة ، وفي يوم الخميس ثامن ذى الحجة من السنة المذكورة اعيد صاحب الترجمة إلى القضاء بتفويض من الأشرف قانصوه الغورى بسفارة أمير كبير قيت الرجبى فيما قبل بمال جزيل ، وصرف الشيخ زكريا ، في اليوم المذكور وفي يوم الخميس ثانى عشرين ذى الحجة من السنة المذكورة ، صرف صاحب الترجمة عن القضا بالبرهان ابن أبى شريف (١) بعد أخذ ماله جهرة وخفية ، ورسم بنفيه إلى قوص (٢) ، واجلس في المغريه بمصر العتيق (٣) لانتظاره الشفاعة في اقامته ، ثم

[١] الشيخ برهان الدين ابن أبى الشريف : اختلف مع السلطان الغورى حول قضيه الرجوع في الزنا بعد اقرار المعترف وحنق منه السلطان الغورى وكاد يبطش به في المجلس وعزله السلطان من مشيخه مدرسته واشيع بنفيه إلى القدس . ابن الياس : مصدر سابق ج ٤ ، ص ٣٤٤ .

[٢] قوص : هى من المدن القديمة وهى تقع على ضفة النيل الشرقية ولم يكن لقوص اطيان زراعيه ولن منذ العهد العثمانى فصل لها زمام خاص بها فأصبحت وحدة ماليه ، كما ورد في دفاتر الروزمانه ، وكانت في فترة الحكم العثمانى تابعة لولاية جرجا ولما انشئ اقليم قنا لأول مرة باسم مأمورية قنا في سنة ١٨٢٦ كانت قوص تابعه له ، ثم اصبحت قاعدة لقسم قوص الذى سمي مركز قوص من اول سنة ١٨٩٠ م .

راجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، دار الكتب القاهرة ، القسم الثانى . ج ٤ ، ص ١٨٨ .

[٣] مصر القديمة : حلت مصر القديمه محل الفسطاط أول عاصمة لمصر بعد الفتح الإسلامى ويحدها من الغرب ساحل قبالة جزيرة الروضة ويحدها من الشمال خليج القاهرة ، وكان النيل من جهة مصر القديمه يتعرض إلى ضعف منسوب المياه فيه الأمر الذى القى بظلاله على دور مصر القديمه كميناء نهري ودعا كافور الاخشيدى لحفر هذا الفرع من النيل وتعميقه قبالة مصر القديمه سنة ٣٢٦هـ كما أعيد حفره سنة ٦٢٨هـ وفي زمن الكامل الأيوبي واصل الصالح نجم الدين أيوب الاهتمام لحفر هذا الفرع الذى يصل لساحل بولاق وربط بين المينائين النهريين بجسر بنيت عليه بيوت للأمرء والأعيان والتجار ، ثم أمر باغراق عدة مراكب محملة بالحجارة في فرع النيل من جهة الجيزة فتحول من جراد ذلك شطر كبير من مياه النيل إلى الفرع الآخر عند مصر القديمه وضمن بذلك نشاط دائماً للمراكب النيلية على مدار العام ومن هنا برزت بعد ذلك أهمية مصر القديمه في العصر المملوكى ومن بعده في العصر العثمانى حيث اصبحت ميناء القاهرة الذى يربطها عبر النيل ببلاد الصعيد وتجارات دارفور وسنار وتجارت البحر الاحمر القادمة عبر قوص والقصير وقيم لذلك بها ديوان لتحصيل الرسوم الجمركية والضرائب على الصادرات والواردات عبر هذا الميناء ، وشكلت مصر القديمه إلى جانب بولاق مقاطعة واحدة اديرت مالياً وإدارياً باعتبارهما ضاحيتين للقاهرة . لمزيد من المعلومات راجع د / عبدالحميد سليمان : مرجع سابق ص ٢٩ ، وما بعدها .

اعيد ابن النقيب صاحب الترجمة إلى القضا الأكبر فى يوم الخميس ثانى عشرى سنة إحدى عشر وتسعمائة بعد صرف الجمال القنقشندى فى السنة المذكورة ، وبكر منقطعاً إلى الله تعالى معتكفاً على العبادة والطاعة ، ووصفه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعروائى الشافعى بـشيخ الإسلام والمسلمين ابن النقيب [٥٢] هو الشيخ محبى الدين رحمه تعالى ، قرا العلم على جماعة من الإعلام منهم الشيخ كمال الدين بن أبى شريف والشيخ زكريا ولقد تولى قاضى القضاة مرات ، وكان لا يصلى الصبح صيفاً وشتاً إلا فى الجامع الأزهر يمشى كل يوم من المدرسه الناصرية ^(١) ، إليه وكان رضى الله عنه متواضعاً كثير البكا من خشية الله تعالى رضى الله تعالى عنه ورحمه . تمت وكانت وفاة صاحب الترجمة إلى رحمة الله تعالى بمصر يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة اثنين وعشرين وتسعمائة ^(٢) ، تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته أمين .

قاضى عسكر مصر

عبدالقادر بن أحمد الرومى ^(٣)

[مناو عيدين]

ويعرف بين السادة الأروام بمناو عيدين قرا على المولى حسام جلبى ، واخذ أيضاً عن السيد الشريف إبراهيم العجمى الرومى مفتى أماسيه ^(٤) ، ثم عن المولى أحمد باشا ابن خضر بيك مفتى بروسه ، لازمه كثيراً ، وأخذ أيضاً عن المولى

[١] المدرسه الناصرية : عرفت هذه المدرسة أو بالمدرسه الناصرية ثم عرفت بابن زين التجار وهو أبو العباسى أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقى إحدى أعيان الشافعية درس بهذه المدرسة مدة طويلة ثم عرفت بالمدرسه الشريعية ، "ذكر الكندى" أنها خطة قيس ابن سعد بن عبادة الانصارى ، انشأها السلطان صلاح الدين الأيوبى ٥٦٦هـ برسم الفقهاء الشافعية ولما كملت وقعت عليها اوقافا عديدة . راجع القرينى ، مصدر سابق ج ٢ ، ص ٢٦٣ .

[٢] ٩ ربيع الأول ٩٢٢ هـ / ١٢ أبريل ١٥١٦ م .

[٣] عبدالقادر بن أحمد الرومى الحنفى : كانت ولايته من ٢٠ شوال ٩٥٣ هـ : ٥ ذى القعدة ٩٥٥ هـ / ١٥ ديسمبر ١٥٤٦ : ٧ ديسمبر ١٥٤٨ م . وتاريخ العزل والتولية من الروضة المائتوسه ص ١٦٥ .

[٤] أماسيه : هى جزء من أماره برهان الدين ، لمعلومات عن أماسيه راجع محمد فريد . مرجع سابق ، ص ٤٩ .

إلياس الشهير بحرزمه شجاع ، وقرا عليه حواشيه على حواشى شرح التجريد للسيد وحواشيه على حاشيه شرح المطالع ، وحواشيه على حاشية شرح الشمسية ، وحواشيه شرح المطالع ، وحواشيه فى علوم شتى ، وأخذ فى التصوف أيضا عن المولى خضر [٥٣] بيك ابن المولى أحمد باشا وأخذ أيضا عن الملا زين الدين بن محمد الفنارى صدر الشريعة بتمامه وشرح الوقاية ولازمه ملازمة تامة ، وانتفع به وأخذ أيضا عن المولى سعدى بن تاجى بيك فى النحو والصرف والمنطق ، وقرا عليه حواشيه على شرح المفتاح للسيد الشريف وحاشيته على باب الشهيد من شرح الوقاية لصدر الشريعة ونظمه للعقائد السيفيه ، وحمل عنه الكثير من نظمه الذى بديوانه وأخذ أيضا عن المولى سليمان القرمانى وقرا عليه حواشيه على شرح الوقاية لصدر الشريعة رسالته فى علم العروض وأجوبته عن إعتراضات المولى الفاضل بدر الدين ابن السيمائى على جامع النصولين وعدتها ثلثمائة وثمانون جوابا وتخميصة لقصيدة البردة الابى صيريه وقصيدته التى عارضها بها وشرحه لمجمع البحرين وكتابه فى الخلافات ، نسخ غالب ذلك ، وإعتنى به وأخذ عن المولى سيدى القرمانى وقرا عليه الهداية بتمامه وعرض عليه منظومة ابن وهدان وغيرها من كتب الفقه ، وقرا عليه شرح التصريف ، وشرح الكافى علا [٥٤] جامى ذلك وزاده وغير ذلك من المتون الفقهيه وغيرها ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالحليم القسطنطينى فى التصوف ، وخدمه كثيرا وإننتفع بصحبته ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالرحيم بن على العربى فى المعانى والبيان ، وقرا عليه المطول بتمامه ، وحمل عنه كثيرا ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالفتاح بن عادل باشا فى العلوم العقلية ، وحمل عنه كثيرا ، وأخذ أيضا عن المولى على الدين الجمالى الصديقى وقرا عليه مؤلفه المسمى المختارات من المسائل وغير ذلك ، من كتب العلوم ، وتخرج به فى المنطوق منها والمفهوم ، وأخذ عن المولى غياث الدين الشهير ببابا جلى ، وأقراه رسايه التى ألفها فى علوم شتى ، وأخذ أيضا عن المولى قوام الدين قاسم بن خليل عم صاحب الشقايق النعمانية ، فى علماء الدولة العثمانية ، وقرا عليه رسالته التى ألفها فى بحث الوجود وأسيلته على الشرح المطول للسعد التفتازانى وغير ذلك وقرا عليه

دروسا مفيدة فى علوم عديدة ، وأخذ أيضا عن المولى محى الدين محمد السامسونى وقرا عليه حاشية على حاشية شرح التجريد للسيد ، وحاشيته [٥٥] على حاشية شرح المفتاح للسيد الشريف ، وحواشيه على كتاب للعلامة التفتازانى ، وأخذ أيضا عن المولى محمد شاه الفنارى ، وأخذ عنه حواشيه على شرح المواقف للسيد وحواشيه على شرح الفرائض للسيد أيضا وحواشيه أيضا على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة وصار ملازماً من المولى قوام الدين قاسم ابن خليل الماضى ذكره ، ودرس بعده مدارس منها إحدى المدارس الثمان ، ثم انتقل إلى دار الحديث ثم منها إلى السليمانية ، ثم صار قاضياً بمكة المشرفة ^(١) فباشرها بعفة زائدة ونزاهة مكث فيها مدة ناشر لواء العدل والانصاف عادلاً عن سلوك طرق الجور والإجحاف ، ثم بدل عن قضاة مكة المشرفة بقضاء الديار المصرية والتخوت اليوسفية ، ورأيت خطه على بعض حجج التقارير فى الوظائف الدينية مؤرخ بتاسع عشر شهر رجب الفرد الحرام من شهور سنة أربع وخمسين وتسعمائة ^(٢) وتوفى بها فى هذا العام ^(٣) ، وكان مشكور السيرة محموداً فى فضله قضائه ، قال بعضهم وكان

[١] قاضى عسكر مكة المعظمة : كان للقضاة مكانة خاصة فى الدولة العثمانية وذلك على اساس أن الدولة العثمانية قامت على اساس دينى ، وكانت الدولة تهتم اهتماما خاصا بقضاة مكة والمدينة ، إذ كان يتم اختيارهم من بين العلماء البرزين ، ولا يتم تعيين قاضى استانبول إلا اذا كان قد سبق له تولى منصب القضاء فى أحد الحرمين ، والهدف من ذلك أن يكون قد تزود علماً حيث ملتقى علماء المسلمين وربما كان لقاضى مكة المكرمة اهمية خاصة إذا كان من بين مهامه غير المعلنة كتابة تقارير سرية إلى الحكومة عن تصرفات كل من الشريف والوالى كما كان يبدى رأيه فيمن سيتولى منصب الشراقة . راجع د / محمد عبداللطيف هريدى : احوال الحرمين الشريفين من العصر العثمانى ، الزهراء للنشر ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٣٢ .

[٢] ١٩ رجب ٩٥٤ هـ ، ١٦ سبتمبر ١٥٤٧ م .

[٣] فى حالة وفاة قاضى عسكر هو فى الخدمة كان الباشا العثمانى يصدر فرماناً بتعيين قائم مقام عنه حتى يصل القاضى الجديد من استانبول فعلى سبيل المثال عندما توفى شيخ الاسلام "السيد محمد أمين" جلس عوضاً عنه "محمد أفندى قريشى" بموجب فرمان من أبو بكر باشا حاكم مصر " وفى هذه الحالة كان القائم مقام يطلع إلى الديوان ويلبسه الباشا كركا سنجاباً على كوخ أحمد وينزل ويتولى اعمال القايمقاميه حتى قدوم قاضى العسكر إلى مصر . راجع الشهر العقارى : سجلات محكمة القسمة العسكرية س ١٣٠ ص ١٦٢ ، سجلات محكمة طولون س ٢٣١ ، ص ١٤١ ، سجلات الصالحية البجمة س ٥٣٤ ، ص ٣٢٤ أحمد شلبى عبدالغنى : مصدر سابق ، ص ٤١٩ .

رجلاً سهلاً متواضعاً في غير اعوجاج ، ومكث في [٥٦] مصر إلى أن مات بها والناس راضون عنه، ودفن بالقرافة الصغرى (١) داخل مقام سيدي عمر بن الفارض، وأثنى عليه غير احد من المؤرخين كالتقى التميمي والنوري الجزار وذكره بخير ، وأخبرني صاحبنا المرحوم كريم الدين الزعفراني أنه شاهده ، وعليه سكينية ووقار وتعلوه مهابة وعلو مقدار وأن سيرته العفاف والعدل والإنصاف رحمه الله تعالى . واوترهناات جوده عليه ووالى أمين .

قاضي عسكر مصر

عبدالقادر بن عبدالرحيم المويدي الرواسي الحنفي (٢)

ولد بالديار الرومية ، وأخذ عن السيد الشريف إبراهيم العجمي ، وعن المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشاه ، وصار ملازماً منه ، وقرا عليه جملة من رسايله ومؤلفاته منها حواشيه على الكشف ، وحواشيه على أوائل تفسير القاضي وما كتبه من شرح الهداية وتأليفه المسمى بالاصلاح والإيضاح في الفقه و المنتفع في الأصول وتجويد التجريد في أصول الدين وشرحه في المعاني والبيان وشرحه على المفتاح ، حواشيه على شرح المفتاح للسيد و شرحه في الفرائض وحواشيه ، على التلويح وقرا عليه دروسا [٥٧] من تفسيره ، وأخذ أيضا عن المولى أحمد جلابي الأيديني ، وأخذ أيضا عن المولى حسام الدين القسطنطيني وقرا عليه حواشيه على

[١] القرافة : بمصر اسم الموضعين القرافة الكبيرة حيث الجامع الذي يقال له جامع الاولياء والقرافه الصغيره وبها قبر الامام الشافعي ، وكانتا في أول الأمر خطيتن لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يغفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبيرة جبانة وهي حيث مصلى خولان واليقعه وما هو حول جامع الاولياء فإنه كان يشتمل على مساجد وربط وسوق وعدة مساكن منها ما خرب ومنها ما هو باق . راجع المقرئني : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

[٢] كان ولايته من غرة ربيع الاول ٩٧٥هـ : ٢١ شوال ٩٧٥ / سبتمبر ١٥٦٧م : ٢٥ ابريل ١٥٦٨م ، وتاريخ التولية والعزل من الروضة المأنوسة ، ص ١٧٠ .

أوائل حاشيه شرح التجريد ، ورسالته فى جواز استخلاف الخطيب ، أخذ أيضا عن المولى حسن جلبى القراصوى فى العلوم العقلية ، وحمل عنه جملة من المعانى والبيان ، وأخذ أيضا عن المولى خير الدين الأصغر ، أخذ أيضا عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى مفتى الديار الرومية ، وقرا عليه حاشيته على الهداية وشرحها للشيخ اكمل الدين ، وحاشيته على تفسير القاضى ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالرازق فى علوم متعددة ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالواسع ولازمه ملازمة تامة ، وحمل عنه فى الفقه والنحو والصرف ، وقرا عليه فى المنطق وقرا عليه دورساً فى الأصول ، وأخذ أيضا عن المولى عبيد الله الفنارى ، وقراً عليه شرحه على البردة الأبى صيريه ، وأخذ عنه فى علم العروض والقوافى ، وقرا أيضا عليه شرح الاندلسية وشرح الخرجية ، وأخذ أيضا عن المولى علاى الدين الجمالى الصديقى مفتى الديار الرومية ، عالمها وقرا عليه كتابه المسمى المختارات [٥٨] والمسائل وأخذ عن المولى فخر الدين بن إسرافيل فى علوم شتى ، وأخذ عن المولى قطب الدين المزريعونى وقرا عليه ما علقه على مواضع من شرح الوقايع لصدر الشريعة وعلى شرح المفتاح للسيد ، وأخذ أيضا عن المولى شيخ محمد بن الياس الشهير بجوى زاده ، وقرا عليه جملة من مؤلفاته وتعاليقه وحواشيه خصوصاً حواشيه على تفسير القاضى ، وحواشيه على شرح المواقف حواشيه على شرح التجريد ، وحواشيه على غير ذلك ، وانتفع بصحبته وصار مدرساً بعده مدارس منها إحدى المدارس الثمان إلى أن انتقل إلى السليمانية ، ثم إلى قضا مصر المحمية ، ثم قدمها فى أبهة زائدة ، وعظمة متزايدة ، وخضعت الأكابر ونطقت بمدحه السنة الاقلام ، وأفواه المحابر أثنى عليه غير واحد من العلماء والأجلا العظاما ، حتى قال بعضهم فيه ه رجل لم يعرف ولم يعثر له على كبوة ، وشعار الخير ظاهر عليه ، ونور التقوى مشرق لديه أفعاله كلها ممدوحة محموده ، وعلايم الدين عليه مشهدة لولا إمساك فى يده [٥٩] ولم أقف على تاريخ ولايته قضا مصر حميت عن الإصر ، غير أنى رأيت خطه

على حجة شرعية مؤرخه بحادى عشر شهر ربيع الثانى سنة خمس سبعين وتسعمائة (١)، وكان بينه بين شيخنا البدر القرافى محبة اكيدة (٢)، وألفة شديدة حتى أنى رايت بخطه بعد إنفصاله عن الديار الرفيعة المقدار مكتوبا أرسله لشيخنا المذكور باللغة التركية مما يقتضى أن عنده فصحة فى العربية ، ولم يزل على جلالته وعظيم مهابته مهيب الجانب مبلغا للمأرب إلى أن أدركه حمامه ، واتقضت مدته وإيامه ، ولم أقف على تاريخ وفاته تغمده الله تعالى برحمته واسكنه بحابح جنته أمين.

قاضى عسكر مصر

عبدالباقي بن على العربى ثم الرومى الحنفى (٣)

أخذ عن السيد الشريف إبراهيم العجمى فى الفقه ، وأخذ عن المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا وقرا عليه جملة من تأليفه وحواشيه على التفاسير وعلى كتب الأصول وفى المعانى والبيان ، غير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى

[١] ١١ ربيع الثانى ٩٧٥هـ ١٦ اكتوبر ١٥٦٧م

[٢] علاقة قضاة العسكر بالعلماء المصريين : بدأت هذه العلاقة بموقف عدائى تجاه اول قاضى عسكرى عثمانى وهو "جلبى أفندى" فقد قال فيه ابن اياس "أنه قليل الرسمال من العلم ، اجهل من حمار لا يدرى فى الأحكام الشرعية" وكان لذلك اسبابه فقد ترتب على كون قاضى عسكر تركى يرد من استانبول فى بدايه الفتح على الاقل هو ونائبه بأن حرم علماء الازهر من تنقل هذه المناصب القضائيه الرئيسيه . ولكن هذا الموقف العدائى من علماء للقضاة من اهمها أن العثمانيين لم يحاولوا فرض التدخل فى شئون الازهر بغرض أحد علمائهم على راسه كما فعلو فى القضاء أو فرض المذهب الحنفى مذهبهم الرسمى عليهم ولم يحاولوا صبغ الدراسة بالصيغة التركية أو اللغة التركية ، وأن هذا إضافة إلى ما أظهروا من احترام تجاه الازهر وعلمائه أن ظهرت علاقات ود وصداقه واضحة بين العلماء والقضاة .

لمزيد من المعلومات راجع ، عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق . ص ١٩٦ ، وما بعدها .
[٣] بينما اورد الديميرى اسم "القاضى عبدالباقي بن على العربى هنا اورد تاريخ الولاية بدقه نجد أن محمد بن ابن السرور البكرى قد اغفل اسم هذا القاضى تماما اورد اسم القاضى "عبدالقادر بن عبد العزيز وانه ولى قضاء عسكر مصر منذ ١٠ جمادى الثانى ٩٠٩ : جمادى الثانى ٩٦٢هـ / ٥ يونيه ١٥٥١ إلى إبريل ١٥٥٤ م . ولكن الاقرب للصحة والتصديق هو الديميرى لأنه اقرب للفترة الزمنية . راجع محمد بن ابى السرور البكرى . الروضة المأنوسة ص ١٦٦ .

باكى الأيدينى أحد علما الدولة العثمانية ، وقرا عليه رسالته المتضمنة للأجوبة عن
 إسكالات المولى سيدى حمدى وأخذ عن المولى حسام الدين القسطنطينى ، وقرا عليه
 دورسا فى المنار وفى [٦٠] شرح الهداية لقاضى زاده ، وفى غير ذلك من العلوم
 المتدولة بين فضلا الروم ، وأخذ عن المولى سعد الله الشهير بسعدى جلبى وقرا عليه
 حاشيته على الهداية ، وشرحها للشيخ اكمل الدين حاشيته على تفسير القاضى ،
 وقرا عليه الكنز بتمامه ، وقرا عليه دورسا فى القاموس وغير ذلك أخذ عن المولا
 عبدالرحيم الشهير بابن المؤيد المعروف بحاجي جلبى ، وقرا عليه فى المعانى والبيان
 حواشى على المطول والشمسية فى المنطق ، وملاجمى فى شرح الكافية ، وغير
 ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالرازق وقرا عليه فى فنون من العلم ، ولزمه كثيرا
 واستفاد منه ، وأخذ أيضا عن المولى عبداللطيف القسطنطينى قاضى أدرنه ، فنونا
 من العلوم وحواشى على متون فقهيه ومؤلفات فى العلوم العقلية ، وأخذ أيضا عن
 المولى عبدالواسع بن خضر قاضى العساكر بولاية الروم أيلى ، ولزمه فى ولاياته
 كلها وكان معيدا له واتقن عنه فنون مثيرة واخذا أيضا عن عبيد الله الفناى فى
 علوم شتى واجلها علم القرات وقرا عليه شرحه على البرده الألبى صيريه ، وأخذ
 أيضا عن المولى علاى الدين الجمالى الصديقى مفتى الديار الرمية [٦١] فى الفقه
 والتفسير والمنطق والمعانى والبيان والعربية والتصوف وقرا عليه كتابه المسمى
 المختارات والمسائل فى الفقه ، وأخذ أيضا عن المولى فخر الدين بن إسرافيل
 قاضى دمشق دورسا فى الفقه متعددة ، وأخذ أيضا عن المولى قطب الدين المذر
 يعولى ، وأخذ عنه تعليقاته على شرح الوقاية لصدر الشريعة ، وعلى شرح المفتاح
 للسيد ، أخذ أيضا عن المولى محمد ابن أفلاطون البرسوى الشهير بأفلاطون زاده
 فى علوم متعددة ، وأخذ أيضا عن المولا محمد شاه بن الحاج حسن شرحه على
 مختصر القدورى وشرح ثلاثيات البخارى ومتمته الذى ألفه فى الفقه ، وغير ذلك وأخذ
 أيضا عن المولى محمد العجمى ، وقرا عليه كتابه المسمى بالنهاية وتاليفه المسمى
 بتهذيب الشمايل فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذ عنه مجالسا من وعظه

وغير ذلك وأخذ أيضا ، عن المولى محمد بن الخطيب قاسم في الوعظ والتذكير ،
وقرا عليه مجالسا من كتابه روض الأخبار في المحاضرات وحواشيه على شرح
الوقاية لصدر الشريعة وحواشيه على شرح الفرائض للسيد وفي غيرها من [٦٢]
العلوم حتى برع ومهر وتولى المدارس المتعددة ، منها إحدى المدارس الثمان وتنقل
إلى أن ولى قضا مصر المحروسة ، قدم إليها يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب الفرد
الحرام من شهر سنة ستين وتسعمائة (١) ، قال فيه بعض المؤرخين وهو الذى رتب
المرتبات للعلماء والفقراء وأصحاب الأعذار لكن كان يجب كثرة المحصول (٢) وكان
يفتخر بالعرب فيكتب بخط يده على الحجج والعروض الفقير عبد الباقي بن العربى ،
وكان متواضعا لطيفا ومدحه خاتمه ، شعرا القرن العاشر برهان الدين إبراهيم
المبطل الشافعى بقصيدة طنانة لابس بايرادها فى هذا الكتاب الفصيح الخطاب
تمليحا للمسامرة وتشبها فى مجالس المحاورة وهى :

[١] مستهل رجب ٩٦٠ هـ / ١٣ يونيه ١٥٥٣ م .

[٢] كثرة المحصول : اعتبر القضاء من الولاية العامة لولى الامر فهو من حقه عزل وتولية القضاة كما آتته من
حقه تفويض الامر فى اختصاصاته القضائية او حجبها ، وعلى هذا اعتبر القضاء من أهم واجبات الدولة .
وبالرغم من الحملة الشديدة التى واجه بها العثمانيون نتيجة لفرضهم الرسوم القضائية وهو امر غيد مألوف
من قبل إلا أنها أدت لفائدة كبيرة وهى أن الدولة منعت المتقاضين الذين يلجئون إلى القضاة مكبدة فى
خصومهم . وعامة فقة حددت الرسوم القضائية فى محكمة الباب العالى مفزقا من العسكر وكذلك الديوان
العالى بحوالى ٢,٥ ٪ من قيمة الحق المتنازع عليه أو من قيمة موضوع التصرف القانونى الذى يجرى
توثيقه وقد زاد هذه الرسوم زيادة كبيرة فى القرن الثامن عشر ليصل إلى ٨ ٪ و ١٠ ٪ ووجد موظف يعمل
بخدمة قضاة العسكر يبدو أنه مسئول عن جمع الرسوم الخاصة بقضاة العسكر من متحصل أموال المحكمة
. ويتضح من النصوص التأديخيه أن الرسوم القضائية التى تفرض على القضايا المختلفة كانت توزع ما
بين القضاة والعاملين فى الجهاز القضائى ويخصص جزء منها كرسم للسلطان وعلى ذلك فقد كانت النسبة
محدودة ، لكن لم تمدنا المصادر الخاصة بهذه الفترة بها . راجع لمزيد من المعلومات عبدالرازق عبدالرازق
عيسى : مرجع سابق ص ٢١٤ وما بعدها .

عمرت مصر من جميع الجهات
رحم الله خلقه برحيم
راغب في اكتساب البر وخير
أمر بالمعروف ممثلاً الأمر
فاق علماً وفطنة وذكاء
[٦٣] ذى علوم شتى كنحو وصرف
وهو فى الفقه والحديث امام
ولع فكره بكشف المحمى
بحر علم المستفيدين علماً
مانح السائلين قبل سؤال
قاسم شهرة على أيام
بين يتل ونفل بعدل
وقضا بين الأنام يصلى
مالقضى القضاة عبد الباقي
ما رأينا ولا نرى مثله ذا
كل يوم فى مشهد ومزار
داعياً للسلطان بالنصر فيها
سيدى سيدى مولاي مولاي
لك أشكو من بادئ الأمر
لازمه خدمة العلوم ومالى
[٦٤] فاغن فقرى ولا تخل بقدرى
واغتتم من مكسور قلب دعا
وليحط عملك الكريم بأتى
مع فقرى واقنى واضطرارى
ولك الأمر بعد ذلك فافعل

بالامام المام قاضى القضاة
حسن الذات وافر الحسنات
ورع زاهد عن الشبهات
مطاع ناه عن المنكرات
من مضى قبله ومن هو أتى
وبيان ومنطق ولغات
وكذا فى التفسير للآيات
وبحل الرموز والمشكلات
بحر جود للمعدمين العفاة
مشبع الجاعين كاس العراة
وكذا يومه على ساعات
ودعا لله فى الخلوات
وأداء للفرض فى الأوقات
من نظير فى عبادة وصلاة
رغبة فى عبادة وصلاة
من قبور الأقطار والسادات
والرعايا تؤمن الدعوات
ومن فى يده تشریف ذاتى
فقراه أنا منه فى أسوء الحالات
درهم من وظائف وجهات
واسع فى ولايتى واجزل صلاتى
لك خلفه الأوراد والصلوات
لم أسل فى وظيفة فى حياتى
واحترجى إلى أقل الهبات
ماترى فعله من الخيرات

هاك بكراما مسها دون فكرى
وبها سارت الركاب وأضحى
ذات معنى حلو ولفظ رقيق
خطبت نفسها اليك فخذها
وبعيد الأضحى شهد وكبر
فهو عيد مبارك وسعيد
زادك الله عزة وافتخارا
وبلوغا من العلى منتهاه
واقترارا على العبادات والطاعات
واعتقادا فى الأولياء وحبا
[٦٥] واعتذارا عن المشى وعفوا
ماسرت نسمة على الروض صحا
وتعنى على الأرال حمام
وعلى المصطفى أجل صلاة

غير أنى حملتها للرواة
كل حاد يحدو بها فى الغلاة
وقواف خفيفة الحركات
يقبول وابذل لها الرغبات
فى لىالى تشريفه النيرات
عايد بالخيرات والبركات
وانتصاراً على جميع العداة
ووصولاً فيه إلى الغايات
والمنجيات والقربات
فى حياة لهم بعد ممات
إحتمالاً للمذنيين الجنة
ما مالت من باته العذبات
باختلاف الألحان والنغمات
وسلام من بعد تلك الصلاة

ومكث مدة متولى مصر المحروسة وهو باسط بساط العدل والاحسان ناشراً
لوا الفضل والإمتنان ، مسدى إلى عامة الرعايا وكافة البرايا ، من مزيد الجود
والكرم ، ووافر الفضل والنعم ، إلى أن جاءه خبر العزل عن ولاية مصر والقاهرة ،
وحصل له بذلك الاسى عزل عن القاهرة فى العشرين من جمادى الثانى سنة إثنين
وستين وتسعمائة ^(١) ، وسافر إلى ديار الروم مبلغاً من أهاليها جميع ما يروم ، وتنقل فيها
على المناصب ، وعظيم المبرات إلى [أن] ^(٢) صار قاضياً بعساكر أنطاولى ، متحلياً
فيه بلين الجانب ، والتواضع وبلوغ المآرب ، قلت وفى حال ولايته على مصر المحروسة

[١] ٢٠ جمادى الثانى ٩٦٢هـ / ١٣ مايو ١٥٥٥ م .

[٢] الاضافة لاستقامة المعنى .

، حصل بينه وبين العلامة شمس الدين محمد الفارضى الحنبلى الواقعة المشهورة ،
التي حقها أن تكون فى الكتب مدونه مسطورة ، وهجاه [٦٦] السلامه محمد
الفارضى الحنبلى بمقامته التي ذكرها شاع وذاع وملا الاسماع وسارت بها الركبان
وتناقلتها الرواه إلى ساير البلدان وهى متضمنة لقصايد متعددة من أبحر مختلفة قد
اثبتتها فى الجزء الاول من التذكرة بتمامها من ابيات قصيدة من قصايدها

قل له سقف نظر من قضه يتمنى أن تكون النار دارا
واره قبراً وفيه ذهب لم يطق بعد عن الموت اضطباراً
لو خلا يوم محبوبته لتناسى الوصل واستل السواراً

ومن قصيدة من قصايدها أيضا قوله :

اختلفوا فيما إذا الحشر اذحم وأقبلت بفسقها جمع الأمم
هل نقبل فى الحشر والتلقى بالثقفى أم بعيد الباقي
قبايحاً أشهر ذكرا من قفا ومعضلات وضحت لمن قفاه
لا يخشى الرقيب فى دنياه ولا يخاف النار فى أخراء

ومن أراد الوقوف على المقامة فليراجعها فى التذكرة ، وقد أخبرنى ولد العم
المرحوم القاضى أبو العز القرافى أن الناظم لما أن فرغ من هذه المقامة كتب منها
نسخ بخطه ، واعطاها للمرحوم محمد أفندى المنشى [٦٧] قاضى الجيزة وامره أن
يدفعها للمنلا أبو السعود المفتى ليصلها إلى حضرة السلطان سليمان بن عثمان
ويقراها عليه ويعرفه بتفاصيل وقايعها واقعه لأنه صدرها بمدح السلطان سليمان
المذكور وضمنها وقايع احوال منفصله منظمة فلما أن علم عبد الباقي أفندى المذكور
بسفر المنشى إلى الديار الرومية ، طلع إلى على باشا الوزير ^(١) كافل الديار
المصرية حين ذاك ، أخبره أن شخصاً يقال له محمد أفندى المنشى مسافر إلى

[١] الوزير على باشا : كانت ولايته من ١٠ شوال ٩٥٦ / ٢٥ محرم ٩٦١ / ١ نوفمبر ١٥٤٩ : ٣١ ديسمبر
١٥٥٣م وكان حاكماً عادلاً صالحاً محباً للفقراء والعلماء محسناً إليهم عمر مقام السيدة زينب وعمر قلعة
العريش راجع أحمد شلبى ، مرجع سابق ص ١١١ .

استنابول ومعه القصيدة وتأمروا باحضاره ، وأن يحضر المقامة المذكورة فكتب بيورديات (١) باحضاره من الأسكندرية ، واحضار المقامة المذكورة معه ، فحضر وأحضرها معه وطلع عبدالباقي أفندى إلى الديوان (٢) لحضرة على باشا المذكور ، وطلع محمد أفندى المنيشى إلى الديوان ، وصحبته المقامة المذكورة ، فلما رآها الباشا المذكور ، أمره بإحضار ناظمها الشيخ محمد الفارضى وكان مقيماً بالمدرسة الظاهرية (٣) بالقاهرة المحروسة ، فطلع إلى الديوان فقال له الباشا يا شيخ ؛ هذا نظمك قال : نعم ، قال أنت هجوت شيخ الاسلام قاضى مصر هذا بهذه المقامة ، قال : نعم ، قال : "إقرأها ، فقرأها عليه بحضرة عبدالباقي أفندى المذكور فى

[١] بيورديات : البيورلدى فعل ما من مبنى المجهل من المصدر التركى بيورمق بمعنى أن يأمر ومعنى كلمة "بيورلدى هو (أمر بـ) تحولت هذه الصيغة الفعلية الفعلية إلى الاسمية وصارت علما على الأمر المكتوب بالرسم الهماليهمايونى الصدر الأعظم أو من أحد الولاة وقد كان هذا الاصطلاح يطلق فى مصر حتى ١٩١٥م على براءات التعيس حتى الدرجة الثانية ، وعلى الشهادة التى يحصل عليها المتخرجون فى الازهر الشريف وكتبت بصيغ عديده مثل - البيورلدى - البيورلدى - البيوردى . راجع د / أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق ، ص ٥٠ .

[٢] الديوان : نص قانون نامه سليمان على إنشاء ديوان للادارة فى مصر أشاد إلى اولها باسم الديوان فقط ولم يذكر عن عضويته أو اختصصاته ، بل نص على مواعيد انعقاده اربع مرات فى الأسبوع ، تحت رئاسه البشا الذى لا يتغيب عنه يوما ، إلا بغدد شرعى موجب لذلك ، وأشار إلى الثانى باسم ديوان ناظر الاموال . والاول هو "الديوان العالى" ولهذا الديوان الحق فى البت فى كافة الأمور الادارية الخاصة بالبلاد ، ومساعدته الباشا فى اتخاذ القرارات الخاصة به ، ويكمن تلخيص أختصاصات الديوان فمدا ادارة شئون الولاية مثل الاجراءات المالية واعماله الخزنيه وضرائب الاراضى ، وبحث القضايا الهامة وأرسال اصول الحومين ، وكانت وتعرض اوراق الديوان على الباشا فيصدر عليها أوامره التى تصرف باسم "بيورلدى" وتوقع بخاتم الباشا ، ولكن يلاحظ فى القرن الثامن عشر قلة اهتمام كبار أمراء الممالك بحضور جلساته ، خاصة آيات الازمان السياسيه . قانون نامة سليمان ، ترجمة د / أحمد فؤاد متولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة . د / عراقى يوسف مرجع سابق ص ١٦٤ .

[٣] المدرسة الظاهرية : هذه المدرسة بخط بين القصرين كان موضعها من القصر الكبير يعرف بقاعة ومما دخل باب الذهب أحد ابواب القصر الكبير ، اشتراها الملك الظاهر بيبرس وبنائها مدرسة ، أبتدأ فيها سنة ٦٦٠هـ وفرغ منها ٦٦٢هـ ، وجعل بها خزانة تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم ، وبنى فيها مكتبا لتعليم ايتام المسلمين ، وأجرى لهم الجرايات والكسوة ، ووقف عليها ريع السلطان خارج باب زويلة ، وكان ريعا كبيرا وتحتة عدة حوانيت وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة إلا أنها قد تقادم عهدا فرشب ، ونظرها تارة بيد الحنفية وتارة بيد الشافعية . وقد هدم منها الآن أكثرها وصارت جهتين بينهما شارع إلى المحكمة الكبرى وباقيةا خراب ، وهى تحت نظر الشيخ محمد السكرى مؤقت جامع قلاوون ، علي مبارك ج٢ ص ٢٣ .

الديوان بتمامها وكمالها ، فقال له الباشا أما تخشاه على نفسك مما يترتب عليك في هذا ، فقال : يا مولانا [٦٨] الوزير حفظك الله تعالى هذه وقايع أحوال ، وأن كلفتني إلى ثبوتها أثبتها بين يديك واقعة واقعه ، فقال عبد الباقي أقندى هذا ثبت كفره عندي ، وإستحق القتل لأن القاعدة الحنفية ، أن الاستحقاق بالقاضى كفر ، وعد هذا من هذا القبيل ، فلم يقبل الباشا قوله وعده خصماً^(١) فأظهر الغيظ ، قال أنا أقفل المحاكم وأسافر وما أقيم في مصر وقام غضباناً ، فأمر الباشا بالشيخ الفارضى في العرقانه^(٢) ، وصار في كل ليلة يرسل الباشا خلفه عنده في الداخل يسأله عن مافيه من الوقايع فيذكرها لهم التفصيل واقعة واقعة ، والباشا يكتبها بيده في دفتر عنده ، والقاضى في كل يوم يرسل إلى الباشا يستحثه في قتله والباشا ممتنع عن ذلك ، ثم أن الباشا أنزل الشيخ الفارضى من العرقانه إلى

[١] قضاء الباشا : كان القضاء منذ صدور الإسلام جزء من الولاية العامة للخليفة وكان من حق صاحب هذه الولاية أن يخص القاضى ببعض أنواع القضايا دون غيرها ، ولذا فإن عمر بن الخطاب حينما فصل القضاء عن الولاية جعل القضاء قاصراً على فصل الخصومات المالية أما الجنايات وما يتعلق منها بالقصاص أو بالحدود فإنها بقيت في أيدي الخلفاء وولاية الأمصار .

وفي مصر في العهد العثماني كان الباشا في الديوان وبجانبه قاضى العسكر للنظر في الخصومات التي تعرض عليه وكان هذا امتداد لاختصاصه القضائي في النظر في الأموال والدماء وكذلك امتداد للتقليد العثماني الذي كان يجعل السلطان ثم من بعده أفلا صدر الأعظم يجلس في الديوان للمحاكمات بين الناس وبجانبه أحد قضاة العسكر ويعتبر هذا التقليد في حقيقته امتداداً لقضاء المظالم في العهد الإسلامي .

ووجد من الباشاوات من عرف بتفحصه في الأمور ومراجعته للاختصاص المرات العديدة ومنهم من كان ضعيف العلم بالشرع مما يؤدي إلى وقوع أخطاء في محاكماتهم من ذلك ما حدث في عهد دوايد باشا الخادم ١٦ يونيو ١٥٣٨ . أبريل ١٥٤٩ واشتهر بعض الباشاوات بالتعصب في احكامهم وعدم التحري عن القضايا المختلفة والقسوة في اصدار احكام مثل محمود باشا (أبريل ١٥٦٦ - نوفمبر ١٥٦٧م) لمزيد من المعلومات راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ص ١١٨ وما بعدها .

[٢] العرقانه : السجن وكانت في القلعة .

حبس الديلم فأنشد الشيخ الفارضى يقول :

نسبة القوم ألحقتنى بشيخى فدعانى الأنام بالديلمى

وسر ذلك أن الشيخ نور الدين الديلمى كان من مشايخه فمكث بالحبس مدة ،
وأرسل له القاضى يقول له جدد إسلامك وأنا أطلقك ، والشيخ مصمم على قوله إنى
مسلم ولم يصدر منى ما يخالف الاسلام وأن قولى [٦٩] حق وصدق ، فلم يزل
شيخنا البدر القرافى رحمه الله تعالى به يحسن للقاضى اطلاقه وتركه والقاضى
معهم على ما هو فيه ، فلم يزالا به الى ان نقلاه إلى حبس الشرع ، فمكث فيه مدة
إلى أن أبر ما عليه فى اطلاقه فسمح باطلاقه بعد أن ضمنه شيخنا البدر المذكور
فكفله له على أنه متى طلب إحضاره ، أحضره له واطلقه كل ذلك والقاضى خاشى
من اشاعة خبر هذه المقامة ويأبى الله إلا ما أراد ، وسافر صاحب الترجمة إلى
الديار الرومية ، وترقى فى المناصب وتقلب فى المراتب إلى أن ولى قضا
القسطنطينية ، ثم قضا العسكر بأناضولى ثم بروم أيلى ولم يزل فى جلالته وعلو
مكانته إلى أن أدركه أجله المحتوم وجاءه وقته المعلوم ولم أقف على تاريخ وفاته ، وقد
رثاه الشيخ الفارضى المذكور ببيتين فقال :

رحم الباقي له عبد مضى وسعه بالهمات الهامية

كم بكت فرقتنا منه دما وعليه الآن صارت باكيه

رحمه الله تعالى وانزل على رسمه الرحمة ووالى أمين .

قاضي عسكر مصر

عبدالباقى طوسون بن مراد الرومى الحنفى (١)

ولد بالقسطنطينية [٧٠] وأخذ العلوم من علما الروم ، وممن أخذ عنهم المولى تاج الدين إبراهيم الحميدى ، وقرا عليه حاشية على صدر الشريعة ، وأخذ أيضا عن المولى أحمد بن مصطفى الشهير بطاشكيرى زاده ، صاحب الشقايق النعمانية ، وقرا عليه مؤلفاته الذى ألفه فى موضوعات العلوم ، اختصاره لحاشية خطيب زادة على حاشية التجريد للسيد ، واختصاره للكافية ، وكتابه الشقايق المذكور ، وصار ملازما له وأخذ أيضا عن المولى أحمد بن مصطفى الشهير بمركز خليفة الواعظ ولازمه كثيرا وانتفع به ، وقرا دورسا على المولى أحمد شمس الدين الرومى قاضى الشام فى الزيلعى ، وفتاوى قاضى خان وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى حامد أفندى مفتى الديار الرومية ، وقرا عليه فى الفقه والتفسير والمعانى و البيان والمنطق والصرف والعربية والعروض وغير ذلك ، وحمل عنه كثيرا وخدمه ، وإنتمى إليه وولى النيابة عنه ببعض البلاد ، وأخذ أيضا عن السيد الشريف حسن الحسينى الشهير بأمير حسن النكارى قاضى مكة ، وتلقى عنه فنونا من التفسير والفقه والحديث والنحو ، والأصول وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى فضيل الجمال قاضى مكة ، وقرا عليه جملة من تصانيفه [٧١] منها اختصاره للكافية فى النحو المسمى : "بالوافية فى مختصر الكافية" ، وكتابه المسمى : "بالرايض فى الفرائض" ، وشرعه الفارض ، وقرا عليه جانبا من كتابه الذى ألفه فى الفقه المسمى : "بالضمانات" ،

[١] المولى عبدالباقى : توفى فى مصر وبعد وفاته طلب حسن باشا والى مصر قضاء مصر للمولى عبدالجبار أفندى المنفصل عن قضاء مكة المشرفة فأجيب لذلك وخصوصا أنه كان مقيما فى مصر .
لمزيد من المعلومات راجع محمد بن أبى السرور البكرى ، الروضة ص ١٨٧ .

وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى محمد بن أحمد الشهير بابن صارى كرز قاضى حلب ، وقرا عليه تعليقه على شرح المفتاح للسيد وتعليقه على الهداية ، وأخذ أيضا عن المولى محمد ابو السعود العمادى مفتى الديار الرومية وعالمها ، وأخذ عنه مجالس من تفسيره المشهور ، وقرا عليه جملة من مؤلفاته وراسايله ومنظومه وقشوره ولازمه ملازمة تامة إلى أن ولى مدرسة داود باشا ، ثم انتقل منها إلى مدرسة الوزير مصطفى باشا ، ثم تنتقل إلى إحدى المدارس الثمان ، ثم منها إلى المدرسة السلیمانية ، ثم صار مدرسا بآيا صوفيه ، ثم ولى قضا مصر المحمية وقدم إليها فى يوم السبت حادى عشر صفر الخير سنة خمس عشرة بعد الألف (١) بموكب كبير ومحفل شهير من القضاة والأمرا والعلماء والكبر وغيرهم ، وأرخ قدومه صاحبنا الشيخ الفاضل ، حاوى الفضائل شمس الدين محمد بن أحمد بن على [٧٢] الكومى الشافعى ، وضبطه بعدد حرف الجمل فقال :

بشراكموا أهل مصر	بحسن عدل وسير
بخير مولى آتاكم	يقيكموا كل ضرير
لعامة أرخوه	شرعة كل خير

وإجتمعت بصاحب الترجمة فرأيت انسانا عليه مهابة وجلاله وله معرفة بالعلوم المنطوق منها والمفهوم ، يستحضر الكثير من المسائل ، متحلى نفائس الفضائل والفواضل ، لا يعطى الجهات الدينية والوظائف العلمية والعملية إلا بالبحث والإمتحان والمعرفة بالدليل والبرهان ، متثبتا فى الأحكام ، ناشرا لوا العدل بين الأنام ، سالكا طريق العفة والأنصاف معاملا للرعايا بالاسعاد والاسعاف ، ولم يكن عنده تشديد فى طلب المحصول ، بل مكتفيا بالقليل من المحصول وعلى كل حال

[١] كانت ولايته من ١١ صفر ١٠١٥ هـ : ٨ رمضان من السنة المذكورة / ١٩ يونيه ١٦٠٦ م : ٧ يناير ١٦٠٧ م . هذا فى الوقت الذى يذكر فيه بن أبى السرور البكرى ولايته بـ ٢٠ صفر ووفاته بـ ٢ رمضان راجع الروضة ص ١٨٧ .

فهو نادرة بين أمثاله وعديم النظر بين أقرانه واشكاله ، ولكن كانت مدته قليلة ، إلا أنه كانت منته جزیلة ، ووافاه الحمام وانتقل إلى دار السلام بسلام ، فى يوم الأحد ثامن شهر رمضان من السنة المذكورة (١) ، وصلى عليه بسبيل المومنين بالرميلة (٢) ، ودفن بالقرافه المكرمة ، وتلك [٧٣] المعاهد المعظمة ، وحضر الصلاة عليه حسن باشا (٣) ، كافل الديار المصرية والتخوت اليوسفية ، وجمع من الموالى والأعيان والأكابر من ذوى الشأن ، وكان له مشهد عظيم ، وموقف كريم ، سامحه الله تعالى وواتر رحمته على رسمه أمين .

قاضي عسكر مصر

عبدالكريم محمد بن محمد الروسى الحنفى (٤)

[عبدالكريم أشهر]

وهو [الشهير] بعبدالكريم أشهر ، قرا على المولى أحمد بن حمزة المشهور بليسى جلى ، وأخذ أيضا عن المولى حسن القرمانى فى التفسير والحديث والفقه والعربيه والأصليين ، وأخذ أيضا عن المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال

[١] ٨ رمضان ١٠١٥ / ٧ يناير ١٦٠٧ م .

[٢] الرملة : يطلق عليها اسماء أخرى مثل قراميدان ، وهى توجد أمام باب العزب ويوجد بها جامع الحمودية والسلطان حسن والرفاعى وهو ميدان القلعة فى الوقت الحاضر .

[٣] حسن باشا : كانت فترة حكمه على مصر من ٢٥ رجب ١٠١٣ : وواخر صفر هـ ، وكانت مدته سنتين وكان

قدومه من اليمن فقد كان واليا بها ، وهذا يتناقض زمنيا مع وفاة القاضى طوسون زاده وربما كان الوزير هو محمد باشا المعروف "بقول قران" فقد كانت ولايته من ٧ صفر ١٠١٦ هـ : غرة جماد الاول ١٠٢٠ هـ /

٤ يونيه ١٦٠٧ م : ١٢ يوليه ١٦١٠ م . راجع أحمد شلبى : مصدر سابق ص ١٣٠

[٤] كانت ولايته من غرة ربيع الثانى ٩٥٧ : جمادى الأولى ٩٥٩ هـ / ١٩ ابريل ١٥٥٠ : ابريل ١٥٥١ م ، ويبدو

أنه تولى مرة أخرى فى الفترة ما بين غرة شعبان ٩٨٤ : ١٨ ذى القعدة ٩٨٤ / ٢٤ اكتوبر ١٥٧٦ : ٨

فبراير ١٥٧٧ م ، راجع لمزيد من التفاصيل . الروضه المأثوسه ص ١٧٢ .

باشا ، وصار ملازما منه ، وقرا عليه جانبا من مؤلفاته وتصانيفه ورسايله ، وقطعة من تفسيره ، وغير ذلك فى فنون متعددة ، وأخذ أيضا عن المولى حسام الدين القراصوى ^(١) القاضى بأدرنه فى الصرف والمنطق والمعانى والبيان والعربية ولازمه وانتفع به كثيرا ، وأخذ أيضا عن المولى سعد الله الشهير بسعدى جلبى فى الفقه واللغة العربية والصرف والمنطق ، وقرا عليه حاشية على الهداية وشرحها للشيخ اكمل الدين ، وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى قادى أفندى [٧٤] مفتى الديار الرومية ، وصار معيدا له ، وأخذ أيضا عن المولى عبدالقادر الشهير بمنا وعيدى قاضى مصر المتقدم ترجمته وكان نايبا عنه لمصر ، وأخذ أيضا عن المولى محمد بن الياس الرومى الميلاى مفتى الديار الرومية ، وقرا عليه تعاليقه وحواشيه على تفسير القاضى وحواشيه على الهداية وشرحها وعلى التلويح وحواشيه وعلى شرح البخارى للكرمانى وقطعته التى ألفها فى التفسير وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن الموالى محيى الدين الشهير بمحمد بيك قاضى دمشق فى علم الهيئة المعانى والبيان والصرف والمنطق ، غير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى شمس الدين الفناى مفتى الديار الرومية وقرا عليه حواشيه على شرح المفتاح للسيد المتعلقة بشرح الوقاية وبعض كلمات الهداية وتخرج به ، وأخذ أيضا عن المولى محمد بن علاى الدين الجمال الشهير بمولى جلبى قاضى أدرنة فى فنون من العلم كالصرف والعربية والمنطق وغير ذلك ، ودرس بمدارس متعددة منها مدرسة الوزير مراد باشا ، ثم بمدرسة السلطان محمد ، ثم بإحدى المدارس الثمان [٧٥] ثم السليمانية ، ثم صار قاضيا

[١] حسام الدين قراصوى : أحد موالى الروم ، قرأ على العلماء ، ثم خدم المولى عبدالكريم ابن المولى علاء الدين المغربى ، ثم درس بإحدى المدارس ، ثم بمدرسة اسكوب ، ثم بمدرسة بايزيد خان بطربزون ، ثم بإحدى الثمانى أيضا ، وعين له كل يوم مائه عثمانى إلى أن توفى ، وكان سخي النفس ، حليما ، صبوراً على الشدائد طارحا للتكليف ، منصفاً من نفسه ، وكانت وفاته فى سنة ٩٥٧هـ .
لمزيد من المعلومات راجع : الغزى . الكواكب ج٢ ، ص ١٢٩ .

بمصر ولم أقف على تاريخ ولايته وإنما رأيت خطة على حجة مؤرخه بثمان عشر
محرم الحرام سنة اثنين وثمانين وتسعمائة (١) ، ولم أر من تعرض له من المؤرخين
غير أنى سمعت من الأستاذ الوالد رحمه الله تعالى بعض أوصافه أنه كان على قدم
صالح فى العفة والدين وعدم الاقدام على انتهاك الحرمات وتلم الاعراض ، بل كان
عنده إجلال للعلماء وتعظيم لهم ومحبة للصالحين واعتقاد فى الأوليا وميل إلى زيارة
العباد والزهاد والتودد لهم بحب إسدا المعروف وأغاثة الملهوف ، ولم يكن عنده
انهماك على المحصول كغيره من القضاة ، وكان بينه وبين شيخنا البدر القرافى
محبة شديدة ومودة أكيدة واستمر بالديار الرومية على جلالته ووفر مهابته إلى أن
أدركه الحمام ، وانتقل من الدنيا إلى دار السلام بسلام ، وكانت جنازته مشهودة ، ولم
أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى وإيانا أمين .

قاضي عسكر مصر

عبدالغنى بن ميرشاه الرمس الحنفى (٢)

أخذ عن المولى أحمد بن مصطفى طاشكبرى زاده صاحب الشقايق النعمانية،
وأخذ أيضا عن المولى أحمد الكريانى الشهير بشمس الدين الأصغر فى علوم
متعددة ، وأخذ أيضا عن المولى حسن القرمانى فى التفسير والحديث والفقه
والعربية والأصليين وأخذ أيضا عن المولى حسام الدين القراصوى فى المعانى

[١] ١٨ محرم الحرام / ١١ مايو ١٥٧٤ م ، وهذا التاريخ لا يتفق مع سياق الاحداث حيث كان القاضي فى هذا
الوقت أحمد افندى بن عنابه الشهير بالنشانجى وكانت ولايته من ١٥ صفر ٩٨٠ : ٢٩ ربيع الاول ٩٨٤ هـ /
٢٨ يونيه ١٥٧٢ : ٢٨ يونيه ١٥٧٦ م ، راجع الروضه ص ١٧٢ .

[٢] عبدالغنى بن ميرشاه : أحد موالى الروم وصل لتدريس السليمانيه ثم أعطى قضاء دمشق ٩٨٢ هـ ، وعزل
عنها بتولييه قضاء مصر وولى بعد ذلك قضاء عسكر روم ايلى وقضاء عسكر الاناضول وبعد ذلك قضاء
عسكر دمشق مرة أخرى فى عام ٩٩٤ هـ وبقي مدة ثم عزل عنها وعاد لاستانبول ومات بها قبل الالف وله
العديد من المصنفات فى العلوم المختلفة . راجع الكواكب ج٣ ، ص ١٠٥ .

والبيان والصرف والمنطق ، وأخذ أيضا عن المولى سعد الله الشهير بسعدى جلبى مفتى الديار الرومية ، وصار ملازماً منه ، وحمل عنه فى فنون من العلوم وانتفع به ورقاه ، وأخذ أيضا عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى الآقشهرى مفتى أماسيه فى العربية والصرف والمعانى والبيان والتصوف ، وأخذ عن المولى عبدالرحمن الشريف الحسينى إحد علماء الدولة العثمانية ، وأخذ عنه جملا من العلوم والوعظ والتذكير والتصوف ، وقرأ أيضا على المولى قادرى افندى مفتى الديار الرومية دورسا مفيدة فى علوم عديدة ، وقرأ أيضا دورسا على المولى عبدالقادر مناو عيذى قاضى مصر السابق ترجمته فى الفقه ، قرأ عليه الشمسية فى المنطق والكافى على اساغوجى [٧٧] وأخذ أيضا عن المولى على قاضى بروسه فى العقائد والكلام والمنطق وكمال جلبى قاضى بغداد فى الكنز ، وفى صدر الشريعة وفى التتارخانية ، وقرأ عليه منظومة بن وهبان وجانبا من الزيلعى ، ودورسا من القدورى ، أخذ أيضا عن المولى محمد بن عادل باشا المشهور بالمولى البردعى فى علوم الكلام والهندسة والمنطق وقرأ عليه تصنيفه المسمى "برسالة الهيولى" ، وشرح التجريد المسمى "بالمحاكمات التجريدية" ، وكتابه المسمى "بمدينة العلم" ، ورسالته المسماة "بمنطق العلم" ، ورسالته المسماة "بفهرست العلوم" ورسالته المسماة "بمعترك الكتاب" والرسالة المسماة "بالسبعة السيارة" وغير ذلك من التعاليق والرسايل والكتب المؤلفة فى العلوم وأخذ أيضا عن المولى محمد بن الياس مفتى الديار الرومية فى فنون متعددة من العلوم ، وقرأ عليه جانبا من تعاليقه وحواشيه على تفسير القاضى وحواشيه على الهداية وشروحيها على التلويح وحواشيه وعلى شرح المواقف وحواشيه على شرح التجريد ولازمه ملازمة تامة ، وانتفع به وترقى بواسطته إلى المدارس الجليلة [٧٨] وحضر مجالس عند المولى محيى الدين بهائى الدين فى المواعظ والتذكير ، وانتفع به وقرأ عليه شرحه للفقه الأكبر للأمام الأعظم ، وقرأ عليه فى غيره أيضا دورسا متعددة فى فنون من العلوم ، وأخذ أيضا عن المولى شمس

الدين الفنارى مفتى الديار الرومية فى التفسير ، وقرا عليه حواشيه على شرح المفتاح للسيد ورسايله المتعلقة بشرح الوقايه وبعض كلمات الهداية ، وأخذ أيضا عن المولى محمد بن علي الدين الجمالى الشهير بمولى جلبى قاضى أدرة دروسا من الكنز والمنار ومختارات الفتاوى وغير ذلك من شروح العربية وغيرها ، ودرس بمدرسة محمود باشا ، ثم بمدرسة مراد باشا ثم بإحدى المدارس الثمان ، ثم بالمدرسة السليمانية ، ثم بدار الحديث ، ثم قضا القضاة بمصر والقاهرة مرتين ، الأولى منهما عوضا عن أحمد أفندى بن عناية الله الشهير بنشانجى زاده الذى اسلفنا ترجمته أولا فى يوم الخميس ثانى عشر القعدة سنة أربع وثمانين وتسعمائة^(١) ، إلى أن عزل بقاضى القضاة حسين أفندى قرا جلبى زاده المار ترجمته ، فى ثالث عشر الحجة سنة ست وثمانين تسعمائة ، فكانت هذه المدة سنتان واحد وثلاثين يوماً ، والولاية الثانية عوضا عن محمد أفندى بن مصطفى الكبير الآتى ترجمته فى [٧٩] محلها من هذا الكتاب يوم السبت عشرى شوال سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، واستمر إلى أن انفصل بالمولى عبدالله بن لطف الله الشهير ببهاى الدين زاده فى عشرين ربيع الثانى سنة خمس وتسعين وتسعمائة^(٢) ، فكانت هذه المدة ستة أشهر وكانت سيرته فى المرتين العدل والإنصاف والنزاهة والعفاف ، وكان من الموالى المعتبرين علما وعملا ووجاهة ومحبة للعلما ورعاية للوجها والعظما وميل إلى أولاد العرب والاحسان إلى الفقها وطلبة العلم بالوظائف من غير مقابل

[١] كانت ولايته الأولى من ١٢ القعدة ٩٨٤ : ١٣ الحجة ٩٨٦ هـ / ٢ فبراير ١٥٧٧ : ١٢ فبراير ١٥٧٩ م هذا فى الوقت الذى يذكر فيه ابن أبى السرور البكرى ولايته بـ ٥ ذو الحجة ٩٨٤ : غاية الحجة ٩٨٦ هـ / ٢٤ فبراير ١٥٧٧ : ٢٩ يناير ١٥٧٩ م وأنه جاء بعد عبدالكريم أفندى ولايته الثانية وليس أحمد أفندى بن عناية الشهير بالنشانجى . راجع الروضة المائتوسه ص ١٧٢ .

[٢] كانت ولايته الثانية من ٢٠ شوال ٩٩٤ : ٢٠ ربيع الثانى ٩٩٥ / ١٥ أكتوبر ١٥٨٥ : ١ أبريل ١٥٨٦ م ، بينما يذكر أبى السرور البكرى ولايته بـ ٧ ذو الحجة ٩٩٤ : آخر ربيع الثانى ٩٩٥ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٥٨٦ م : أبريل ١٥٨٧ م ، راجع الروضة ص ١٧٥ .

اعانة لهم من الاشتغال بالعلم الشريف ، وله معرفة وفصاحة والنظم بالعربى والتركى
والانشا الرايق، والسجع الفايق، فمما رايت به خطه تقریظا على بعض الكتب، فقال :
لما أكحلنا العيون بمرآود سطره الموزون ، وملأنا الجفون بلالى نظم المصون
رايناه بحرا زاخرا تقذف بالدر العظيم ، ونهراً جاريا فى روضات جنات النعيم ،
ولاحت فى سماء الحق زواهره ويرشف منه كاس ملاحه وتنتجل اوايله وأواخره ،
ويطلع الناظر إليه على نظم متين ، ودر ثمين وبيان شاف ، وشأن كان سحر اهدى
سطور ، أم عبير وعنبر أم المسك فواح أم الروض زهر

رَعَى اللَّهُ أَفْكَاراً بِصَوَّبٍ صَوَابِهَا صُدَّامَاتُهَا تَسْبِي الْعُقُولَ وَتَسْحَرُ

الفقير عبدالغنى المولى بدار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية سابقاً عفى عنه ،
رأيت بخطه أيضاً إمضاء على حجة مسجع ، لا بأس بإيراده هنا ودلالة على
فصاحته وبديع براعته ، مالفظه :

" مافيه من التحرير ، المسبوق له التحرير ، صدر من العبد الفقير ، إلى عفو
ربه الخير ، عبدالغنى بن مير شاه القاضي بالقاهرة الباهرة ، كالبدر المنير ، عفى
الله عنهما ، وأعتقهما من النار بجاه النبی البشير النذير " انتهى .
وحصل بين صاحب الترجمة ، وبين شيخنا البدر القرافى مزيد الألفة الكلية ،
والمحبة القلبية ، حتى أنه حين كان قاضيا بمصر المحروسة ، عين له قضاء المركب
الشريف فى سنة ٩٨٩ (١) ، وحج بصحبته ، وهو باق على منصبه ، ثم أبلغ من ذلك
أنه سكن بمنزل المذكور الكائن بباب سر الصالحية نحواً من شهر ، لصرفة حصلت
فى المنزل المخصوص بالسادة الموالى القضاة بمصر المحمية .

[١] قضاء المركب الشريف : كانت قافلة الحج المصرى التى تخرج من شوال من كل عام اكبر قافلة حج اسلاميه
وذلك لانها تضم بين جنباتها حجاج شمال افريقيا واواسطها . لذا فقد كانت القافلة فى حاجه لقاضى
ليحل المنازعات التى قد تنشأ بين الافراد أثناء الحج ، ويقوم قاضى العسكر بتعين هذا القاضى الذى
يعرف "بقاضى المحمل" وكان قاضى العسكر يعين جميع الموظفين الدنيين المصاحبين لقافلة الحج فى
سفرها إلى الحجاز . راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

ولم تزل بينهما المودة والألفة حتى بعد عزل صاحب الترجمة ، وسفره إلى
الديار الرومية ، وصار بينهما المكاتبات والمراسلات والمخاطبات ، وقد وقفت على
مكاتبة بخط صاحب الترجمة باللغة الرومية ، وعلى هامش [٨٠] أحدها ما يستدل
على مهارته العربية وحسن ذوقه في الصناعة الإنشائية وهو :
" بعد السلام والتحية الطيبة والإكرام ، ينهى محبكم أن شوقه إليكم كما علم
الله شديد ، والحب في كل يوم جديد وأكيد ، والدمع على الخد الدمى در نضير والله
سبحانه وتعالى على ما نقول شهيد : منشد :

قَضَيْتِي فِي الْهَوَى وَاللَّهُ مُشْكَلَةٌ مَا الْفِكْرُ مَا الرَّأْيُ مَا التَّدْبِيرُ مَا الْعَمَلُ

ثم الذى نقرر حالنا عليه أن الأغربة (١) التى فى اسكندرية لاتروح إلا بالعسكر
لمعدلها بحسب العادة السلطانية والعسكر على قولهم فى هذا الزمان فى محروسة
مصر ، راحوا لأخذ علوفتهم فمما لم يحصل لهم من أممهم لا يحصل مرادنا ،
فكتبنا قبل هذا الكتاب مكتوب آخر لحضرة أفندى ، ولحضرة الباشا وأعلمناه فى
حالنا ، وتشئت بالنا فالمرجو من خلفكم الكريم ، ولطفكم العميم ، اهتمامكم فى
إتمام ما توقف عليه مرامنا والسلام .

ونسلم على العزيز مولانا ابن الشلبى ، وعلى مولانا رئيس الأطباء ، ورأس
الألباء ، مولانا أحمد بن سرى الدين ، وعلى أصحابنا شهود المحكمة أجمعين . وعلى
مولانا كاتبنا علاء الدين ونسلم على [٨١] المولى التحرير شيخ الإسلام علاء الدين
المقدسى ، وشيخ الإسلام مولانا الحانوتى ، ومولانا الحلبي ، وعلى سائر الإخوان ،

[١] الاغرابه : فى التركيه غراب بكسر الفين ، قيل أنها من الفرنسيه "كورفت" والغراب سفينه حربيه قديمه مدببة
الحيزوم ذات اشرة ومجاديف وردد فى فلالم للقاضى الفاضل نقله ابو شامه فى الروضتين ، وفى النجوم
الزاهره قوله "كل ذلك والعمل فى المراكب مستمر إلى كملت عماره المراكب من الغربان والطرائد " فهى نوع
من السفن الاسلاميه وكانت موجودة ضمن الاسطول العثمانى . راجع أحمد السعيد سليمان : مرجع سابق
ص ١٥٤ .

والخلان ، والمسئول من كرمهم الصميم ، ولطفهم الجسيم عدم نسيان المحب القديم من دعائهم فى خلواتهم ، وصلواتهم ونسلم على مولانا يحيى ، ونشكره على أياديه العميمة ، خصوصاً على ثمرة أياديه الكريمة " انتهى

قلت : وإيراد هذه المكاتبة فيه فوائد جمّة ، وأمور مهمة ، يدركها العاقل اللبيب ، واللقن الأريب ، منها وهو المقصود بالذات - الوقوف على فصاحة منشيها والتعريف بمقام راقم حواشيها ، ومنها إظهار - مقام العلماء والنواب عند أولئك المولى ذو المقدار المهاب واعتبارهم لهم فى سائر الأحوال ، الحال والمآل ومنها الدلالة على صدور محبه صاحب الترجمة لشيخنا البدر المذكور ، أسكنه الله من عرف الجنات فى أعالي القصور ، وقصت بالمكاتبة ، وتعظيمه فى صدور مخاطبة ويكفى قوله فى صدر بعض المكاتبات :

سلام على وادى الحبيب وليتنى حلت بواديه مكان سَلَامِي

إلى ذلك من بديع الفوائد ، ونكات الفرائد " إن فى ذلك لعبرة لمن [٨٢] كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" (١) .

ولم يزل صاحب الترجمة بعد توجهه إلى الديار الرومية ، ومقر السلطنة السنية، ووصوله إلى تلك الديار الرفيعة المقدار ، يتقلب فى عظيم المناصب ويترقى إلى جليل المراتب ، إلى أن ولى القضاء بدار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية ثم منها إلى قضاء العساكر بأناضولى ثم بولاية روم ايلي كل ذلك مع الدين المتين ، وإمعان النظر فى مصالح المسلمين ، وإسراء المعروف لإخوانه والتفقد لأصحابه وخلاته ، بالديار المصرية ، وغيرها من الامصار ، العلية المنار ، وإرساله المدارس

[١] القرآن الكريم سورة ق : ايه ٣٧ .

إليهم ، واغراقه بالإنعامات عليهم، بالترقيات (١) فى المدارس والعلوفات ، وغير ذلك من بديع ما هنالك ، إلى أن فاجأه الحمام وأدركه أجله المحتوم على كافة الأنام، وعاش سعيداً ومات حميداً ، وحزن العظماء على فقدده وآسفوا على ما لاقوا من بعده، أسكنه الله تعالى غرف الجنان ، وتغمد روحه برحمة منه ورضوان . آمين .

قاضي عسكر مصر

عبدالله برويز الرومى الحنفى

أخذ عن المولى أحمد بن سليمان كمال باشا زاده ، وصار ملازماً منه ، ورقاه إلى أن صار معيداً له ، وقرأ عليه [٨٣] جملة من تصانيفه ، وتعاليقه وحواشيه ورسائله ، وأخذ عنه فى الفقه والعربية ، والصرف والمعانى والبيان والأصول والكلام، والمنطق والتصوف وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى باشا جلبى البكائى ، أحد فضلاء الديار الرومية ، وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن المولى حسين جلبى القراصوى فى فنون من العلوم العقلية ، ولازمه ملازمة تامة وانتفع به وأخذ أيضاً عن المولى خير الدين الأصغر ، وقرأ عليه دورساً فى شروح الوقاية فى الفقه وفى الزيلعى على الكنز ، وغير ذلك .

وأخذ أيضاً عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى فى فنون متعددة ، وقرأ عليه إيساغوجى ، والشمسية فى المنطق ، وكافية ابن الحاجب فى العربية وتصريف الغزى وحمل عنه فى اللغة ، وقرأ عليه بعضاً من رسائله وتعاليقه وحواشيه ، وأخذ أيضاً عن المولى عبدالرحيم بن المؤيد المعروف بحاجى جلبى فى الجبر والمقابلة والحساب ، والميقات والهندسة .

[١] الترقيات : اعتاد جند الاوجاقات العسكرية العثمانية فى مصر على أن يحصلوا على "اموال" من كل باشا جديد يتولى أمور مصر سميت هذا الاموال لترقى " ولم تكن بصورة رسمية بل بصورة غير رسمية اكسبها العرف قوه خاصه بحيث لم تعد تخالفت فبحكم العادة اصبحت حقاً مكتسباً .

وأخذ عن المولى عبداللطيف القسطمونى ، القاضى بأدرنة ، دروساً فى شروح الكنز وفى شرح الهداية ، وأخذ أيضاً عن المولى عبدالواسع قاضى قسطنطينية وحمل عنه فنوناً من العلم ، وكان له إليه ميل شديد ، وترقى بواسطته ، وأخذ عن المولى فخر الدين بن إسرافيل [٨٤] القراءات ، ومرسوم الخط ، وأخذ عن محمد شاه ، أحد فضلاء الديار الرومية ، وقرأ عليه شرحه لمختصر الغزورى وشرح ثلاثيات البخارى له ، وغير ذلك من الكتب الفقهية والعربية وعن المولى محمد العجمى الأصل فى فنون من العلم ، قرأ عليه جانباً من مؤلفاته منها كتابة المسمى بالنهاية ، وتهذيب الشمائى فى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وكتباً فى التصوف ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن الخطيب قاسم فى العلوم الرياضية ، وتمرن به فى وحرفة التواريخ ، وحضر مجالس فى الوعظ ، والتذكير وقرأ عليه كتابه ، "روض الأخبار فى الحاضرة" ، وحواشيه على شرح الوقاية لصدر الشريعة ، وحواشيه على شرح الفرائض للسيد ، وغير ذلك وتنقل فى المدارس إلى أن تولى مدرسة مرادية بروسه ، ثم مدرساً بالمدرسة الحلبية بأدرنة ، ثم مدرساً شاه مراد بمدينة اسطنبول ، ثم بأحدى المدراس الثمان ، ثم دار الحديث بأدرنة ، ثم ولى قضاء مصر المحروسة فى عشرين جمادى الثانى سنة اثنتين وستين وتسعمائة (١) ، وأرخه الشيخ نور الدين بن الجزار شيخ الشيرفى بقوله وضبطه بحروف الجمل :

برويز جاء فينا تاريخه بالسعد أرخوه [٨٥]

ووصفه بأنه كان رجلاً سخيّاً لطيفاً لم يقصد إيذاء بمسلم [يكن] (٢) كان فى بعض حواشيه من قول مقبول عنده : "ولا يخفى أن الله تبارك وتعالى نهى عن التقليد إذ لا ينبغى للحاكم حتى السلطان إن أحب براءة الذمة بين يدي الله تبارك وتعالى إلا أن يبحث بنفسه عن أحوال رعيته " انتهى كلامه

[١] كانت ولايته من ٢٠ جمادى الثانى ٩٦٢ : مستهل جمادى الآخر ٩٦٥ / ١٣ مايو ١٥٥٥ : ٢١ مارس ١٥٥٨ م ، هذا فى الوقت الذى يذكر فيه محمد بن أبى السرور البكرى أنه عزل فى صفر ٩٦٦ هـ / نوفمبر ١٥٥٨ م ، راجع الروضة ص ١٦٧ .

[٢] يوجد سطر ناقص ولم يمكن قراءته بأى حال .

ورأيت بخط بعضهم أنه كان رجلاً صالحاً متنسكاً ، ولا يقبل من أحد شيئاً
وسمعت من والدى رحمة الله تعالى أنه كان على قدم كبير فى العفة والدين ، والتقيد
فى مصالح المسلمين ، ولم يكن له كبير اكتراث بالمحصول كما هو شأن القضاة ،
ملازماً على زيارة الأولياء والصالحين حمد الناس سيرته ، وشكروا خلائقة ، إلى أن
عزل بحسن بيك أفندى المار ترجمته فى مستهل جمادى الآخرة سنة خمس وستين
وتسعمائة ، فكانت مدة صاحب الولاية سنتان وأحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً ،
وعد الناس أيامه أحلاماً ، ووردوا من منهله الصافى أحلى ماء .
وسافر إلى الديار الرومية ، مقر تخت السلطنة العلية ، مكث بها إلى أن أدركته
المنية ، ولم تبغه من أوطاره الأمنية ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى وواتر
جوده على رمسه ووالى ، أمين [٨٦] .

قاضى عسكر مصر

**عبدالله بن لطف الله المعروف بين السادة الأروام
ببهاء الدين زاده**

أخذ عن المولى سيدى أحمد المشهد بليسى جلبى قاضى مصر سابقاً وصار
ملازماً منه وأخذ أيضاً عن المولى شمس الدين الأصغر وقرأ عليه دورساً فى الفقه ،
وأخذ أيضاً عن المولى حسن جلبى على فى العربية والصرف والمعانى والبيان وفى
غيرها من العلوم ، وأخذ أيضاً عن المولى حسن القرمانى البكهرى فى
التفسير والحديث ، الفقه والعربية والأصليين ، وأخذ أيضاً عن المولى حسام الدين
القراصوى فى الفقه ، وقرأ عليه دورساً فى صدر الشريعة وفى المنطق وغيره ،
وأخذ أيضاً عن المولى خضر الملقب خير الدين المرزىقونى فى فنون متعددة كعلم

المعاني والبيان والمنطق وقرأ عليه حواشيه على قسم التصديقات من شرح الشمسية، وأخذ عن المولى خير الدين القسطنطيني المدرس في التتارخانية ، في الفقه وغيرها ، وأخذ أيضاً عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى الافشهرى في شرعية الإسلام في الفقه وفي علم التصوف ، وأخذ عن المولى عبدالله بن الشيخ كمال الشهير بابن الشيخ في العلوم العقلية والنقلية، وقرأ عليه دروساً في التفسير وغيره .

وأخذ عن المولى عبدالرحمن الحسيني أحد [٨٧] علماء الدولة العثمانية في فنون متعددة ، لازمه وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن المولى عبدالرحمن بن يونس المدرس أحد فضلاء الديار المصرية ، وقرأ عليه كتاب ايساغوجي في المنطق وكافي ابن الحاجب . وأخذ أيضاً عن المولى قادري أفندي مفتي الديار الرومية ، وقرأ عليه درساً في الكنز وفي غيرها من الكتب الفقهية وتمهر به .

أخذ أيضاً عن المولى عبدالقادر الشهير بمناء عيسى ، القاضي بمصر المحروسة سابقاً في علوم شتى كالحساب والجبر والمقابلة والميقات وغير ذلك .

وأخذ أيضاً عن المولى كمال جلبى قاضى بغداد في العلوم العقلية والنقلية كالفقه والعربية والصرف والمعاني والبيان والمنطق والتفسير ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن عادل باشا المشهور بالمولى حافظ البردعى ، قرأ عليه جملة من رسائله وتعاليقه كرسالة الهيولى ، والمحاكمات التجريدية ، وكتاب مدينة العلم ورسائله المسماة "بمنطق العلم" والرسالة المسماة بفهرست العلوم والرسالة المسماة بمعترك الكتاب ، والرسالة المسماة بالسبعة السيارة ، وغير ذلك

وأخذ أيضاً عن المولى شيخ محمد بن إلياس جوى زاده مفتي الديار الرومية قرأ عليه جملة من تعاليقه وحواشيه على التفسير والفقه والأصول والعقائد والحديث وغير ذلك ، وترقى بواسطته إلى المدارس الجليلة [٨٨] .

وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن علاء الدين الجمال الشهير بمولى جلبى قاضى أدرنة فى فنون عديدة من العلوم ، بحث عليه فى المنطق ، ودرس بإحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنة ، ثم بمرادية بروسة ، ثم بمدرسة داود باشا بالقسطنطينية ، ثم بإحدى المدارس الثمان بدار الحديث ، ثم صار منها قاضياً بمصر المحروسة فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين ربيع الثانى سنة خمس وتسعين (١) وتسعمائة ، وكان حاكماً ، عادلاً وإنساناً كاملاً ، سار بالعفة والدين فى أحكام واقفاً عند نقضه وإبرامه ، لا تأخذه فى إظهار الحق لومة لأثم ، ولا يميل عن الحق كغيره بالرشا والمآثم ، محمود السيرة بين أقرانه ، مشكور الطريقة عند أخذانه ، ناصر المظلوم من الظالم ، صائناً عرض عن موبقات الجراير والجرائم قوالاً بالحق ، فعالاً بالصدق ، معظماً للفضلاء والعلماء ، مبعجلاً لأهل الخير والعظماء ، ناصراً للشرع وذويه ، أخذاً بيد نوابه وأهاليه [٨٩] .

إلا أنه كانت مدته قصيرة ، وسيرته بالعدالة شهيرة ، وعزل بموالى أحمد أفندى الأنصارى المقدم ذكره فى يوم الخميس ثامن شهر صفر ستة ست وتسعين وتسعمائة . فكانت مدة صاحب الترجمة تسعة أشهر وثمانية أيام ، وسافر إلى الديار الرومية ، تلك الأقطار العلية ، وترقى إلى المناصب ، وظفر بالعلم من المراتب فى أسرع وقت وزمان ، وساد بين الأعيان ، إلا أن تولى قضاء العساكر المنصورة ، بولاية أناضولى المعمورة ، ثم بولاية روملى ، ثم تعفف عن ذلك كله ، وانقطع للعبادة ، والاشتغال بمنزله وحمله ، إلى أن أدركه الأجل وانقطع منه الأمل ، وانتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية ، ولم أقف على تاريخ وفاته وكثر التحزن على فقده . تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى فراديس جناته آمين .

[١] كانت ولايته من ٢٨ ربيع الثانى ٩٩٥ : ٨ صفر ٩٩٦ / ١٩ ابريل ١٥٨٧ : ٩ يناير ١٥٨٨ م ، بينما يذكر ابن أبى السرور البكرى ولايته وعزله ب آخر جمادى الاول ٩٩٥ هـ / ١٥ جمادى الاول ٩٩٦ هـ / ٩ مايو ١٥٨٧ : ابريل ١٥٨٧ م ، راجع الروضة المأنوسة ص ١٧٦ .

قاضى عسكر مصر

عبدالله بن على الشهير بين السادة الأروام

بعلى خان زاده (١)

وربما شهر على زاده . أخذ عن المولى جلال الدين الرومى أحد فضلاء الروم وأخذ أيضاً عن حامد أفندى مفتى الديار الرومية [٩٠] فى فنون من العلم كالفقة وغيره ، وأخذ أيضاً عن المولى فضيل الجمالى فى العربية الفرائض الفقه والأصول ، وقرأ عليه جملة من مؤلفاته ، "كالوا فيه فى مختصر الكافية" فى النحو "وعون الرائض فى الفرائض" وشرحه "إعانة الفارض" ، وكتاب الضمانات فى الفقه وكتاب "تنويع الأصول" وشرحه "توسيع الوصول" وحواشيه على جامع الفصول وغيره .

وأخذ عن المولى محمد الشهير بابن صارى كرز فى الصرف والمعانى البيان والمنطق وغيرها من العلوم .

وأخذ أيضاً عن الملا أبى السعود المفسر مفتى الديار الرومية فى علوم متعددة ، وقرأ دروساً من صنع الله أفندى المفتى فى "الكنز" و "المنار" ومختارات الفتاوى وغيرها .

وصار ملازماً من حامد أفندى ، ودرس بمدارس متعددة ، منها مدرسة داود باشا ، ومنها سليمانى أدرنة ومدرسة أبى أيوب الأنصارى ، ومنها مدرسة المولى أحمد لكورانى بالقسطنطينية ثم درس بإحدى المدارس الثمان ، ثم بدار الحديث بأدرنة ، ثم تنقل إلى السلیمانية ، ثم منها إلى قضاء مصر المحروسة .

[١] كانت ولايته من الاحد ٦ شوال ١٠٢٠ : ١٨ رمضان ١٠٢١ هـ / ١٣ ديسمبر ١٦١٢ م : ١٤ نوفمبر ١٦١٢ م ، ولكن البكرى يذكر الولاية بـ ٢٠ شوال . راجع الروضة ص ١٨٩ .

وورد الخبر بولايته عليها يوم الأحد سادس شوال [٩١] سنة عشرين بعد
الألف ، وقدم إليها يوم الخميس ثالث شهر صفر الخير من شهور سنة إحدى
وعشرين بعد الألف، وأرخ قدومه صاحبنا الشيخ الفاضل نور الدين على
العامري الشافعي عين العدول بحكمдар باب الشعرية بمصر المحمية، وضبطه
حروف الجمل :

بشرى لمصر قد وليها عادل	بحر العلوم الكامل المتناهي
قاضي القضاة أجل مولى في	الورى كنز الشريعة ذو التقى والجاه
كل الموالى أجمعين حقيقة	ما منهمو إلا به متباهي
قد دام فى مصر البهية حاكما	ليُزيلَ كُلَّ الجَوْرِ والإكراه
لقدومه بالسعد جا تاريخه	مصرأ أتى عبد الله

وأرخ قدومه أيضاً الشيخ على العامري المذكور وضبطه بحرف الجمل فقال :

افندى مصر قد اقبل	بها بالعز والبشرى
ولما حل قد أرخ	قدمتم مصرا

وكان من القضاة الحاكمين بالحق ، القائلين بالصدق ، على قدم كبير
من العدل والأنصاف ، والنزاهة والعفاف ، فى محبة للعلماء
والصالحين وإحسان إلى الفقراء والمساكين ، قائماً على حكام السياسة [٩٢]
مظهراً عليهم ناموس الشهامة والرياسة ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قامعاً كل
متجبر وظالم .

له الايادى البيضاء فى القيام على مصطفى بيك الصنجق ، الناظر على وقف
المرحوم جانى بك الدوادار حين أراد سد باب سوق الكتبيين (١) الذى من جهة سوق

[١] سوق الكتبيين : هذا السوق فيها بين الصاغة والمدرسة الصالحية احدث له سنة ٧٠٠ هـ وهو فى اوقاف
المارستان المنصوري . وهو لبيع الكتب وكان سوق الكتب قبل ذلك بجانب جامع عمرو بن العاص فى أول
زقاق القناديل بجوار دار عمرو ، لمزيد من التفاصيل راجع المقرئى ، مصدر سابق ج ٢ ، ص ١٠٢ .

خان الخليلي (١) وجعله حانوتاً وضده ومنعه ، وقام عليه وردعه حتى أبقاه على حاله ، مفتوحاً بعد ضيقه عن الحالة الأولى فجزاه الله تعالى عن قيامه في هذا خيراً ، ودفع عنه ضيماً ، وضيئراً .

له غير ذلك من المآثر المشهودة ، والحسنات المعدودة ، إحياء سنة إعطاء الجهات ، لأولاد الأموات ، بعد موتها من زمن طويل و أمد مستطيل وإطمأنت أنفس الناس في دولته على أولادهم بعد موتهم ، وبقاء جهاتهم في أيديهم بعد فنائهم وفوتهم ، ولو لم يكن له من الحسنات إلا هذه لكفاه .

وازد بذلك على من تقدمه شرفاً [ولعل الحامل له على ذلك والله أعلم وجود الأولاد فإنه حين ولايته لمصر كان معه نحواً من ثلاثة أولاد ذكور ، وقد أجرى الله العادة في الإنسان البشري أنه من كان معه أولاد أنزل الرحمة في قلبه ويحنو على الاولاد] .

ولم يكن له اهتمام بأمر المحصول ، بل في كل حين يشير على النواب في الأخذ إلا بالمعقول .

وعلى كل حال فهو من محاسن القضاة الذين شاهدناهم ، وانتسبنا إليهم وخدمناهم ، قد مدحته بأبيات في صدر عرض حال [٩٣] رفعت إليه وعرضته عليه وقلت :

إليك إله العرش أضرع طالبا	بأن تحفظ المولى العزيز على الأبد
كذاك بنوه في نعيم وصحة	ملازمة للشهر الدهر والمدد
إلى أن يراهم من موالى أكابر	نحوزون للإقبال والسعد والمدد
ويحلى بهم جيد الزمان وأهله	ويرزق نسلا منهم فائق العدد
بجاه نبي شرف الله قدره	وفضله حقا على كل معتمد

[١] سوق خان الخليلي : اسم أطلق على مجموعه من الابنية القديمة والجديدة يملكها افراد كثيرون وقد أنشأت وامتدت في أزمنة متعاقبه أو كونت طرقات وأزقه فيها تجار العاديات والمصنوعات العربيه الدقيقة ، وبالرغم من أنه غلبت على هذا الحى نسبته إلى جاركس الخليلي فالواقع أنه لم يبق هناك ابنيه تمت بصله إليه فقد اعاد السلطان الغورى بناوه في اوائل القرن ١٦ وزاد عليه ابنيه جديدة ، راجع عبدالرحمن زكى . موسوعة تاريخ القاهرة في الف عام ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ط ٨ ص ٩٤ .

واستمر صاحب الترجمة رادعاً للطغاة والمتجبرين ، قامعاً للبغيّة والمتمردين إلى أن بدل عن قضاء مصر المحمية ، بقضاء مكة المشرفة البهية ، بصالح أفندي بن الخجا سعد الدين ، الماضى ذكره فى هذا الكتاب ، الجليل الخطاب وكان ذلك فى ثامن عشرى شهر رمضان ، سنة إحدى وعشرين بعد الألف (١) فكانت مدته بمصر المحرسة ، حميت عن النحوسة ، من حين ورود خبرو ولايته إلى يوم ورد خبر تبديله ، سنة واحدة إلا ثمانية أيام .

ثم تجهز وسافر إلى مكة المشرفة ، صحبه الركب الشريف المصرى المتوجه فيها ، فنشر فيها لواء العدل فى الأحكام ، على رؤس الأنام ، وشكرت سيرته وحمدت طريقته ، فمكث فيها [٩٤] نحواً من سنة ونصف ، إلى أن أتاه العزل ، فاستمر إلى أن جاء صحبة الركب الشريف المصرى ، إلى مصر المحروسة ، فترك بمنزل بشنى بك ، بحارة القاضى عبدالباسط ناظر الجيوش ، إلى أن جهز حاله وسافر إلى بر الروم بحراً ، كتبه الله تعالى من السالمين هو الآن - الذى هو شهر المحرم سنة تسع وعشرين بعد الألف (٢) - مقيم بها وهو من الأمنين ، رقااه الله تعالى أرقى المناصب ، وبلغه فى الذرين أعلى المناقب والمراتب ، بجاه النبى الأمين وآله وصحبه أمين .

[١] ١٨ رمضان ١٠٢١ هـ : ١٤ نوفمبر ١٦١٢ م.

[٢] المحرم ١٠٢٩ هـ / ديسمبر ١٦١٩ م .

قاضي عسكر مصر

عبدالرؤوف بن محمد ويعرف بالعربي (١)

الرومى الحنفى

أخذ عن المولى تاج الدين إبراهيم الحميدى ، مفتى أماسيه ، وعن المولى أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده - صاحب الشقائق النعمانية - فى فنون من العلم ، وقرأ عليه فى الصرف تصريف الغزى ، والمزاح ، وفى النحو المصباح للإمام المطرزي ، كافية ابن الحاجب ، وقطعة من الوافية فى شرح الكافية ، وألفيه ابن مالك ، وضوء المصباح ، ومختصر ايساغوجى فى المنطق ، مع شرحه لحسام الدين الكاتى ، وقطعة من شرح الشمسية للرازى ، مع حواشى السيد عليه ، وقرأ عليه شرح العقائد للتفتازانى مع حواشيه للخيالى [٩٥] وهداية الحكم لمولانا زاده ، مع حواشى المولى خواجه زاده ، وشرح أدب البحث لمسعود الرومى ، وشرح الطالع للعلامة الأجهانى بتمامه مع حواشى لسيد عليه ، وغير ذلك .

وأخذاً أيضاً عن المولى أحمد بن مصطفى الشهير والده بمركز خليفة الرومى فى العربية والحديث والتفسير والتصرف والوعظ ، والتذكير ، وأخذ أيضاً فى ابتداء أمره عن المولى أحمد بن حمزة الشهير بليسى جلبى قاضى مصر سابقاً فى فنون متعددة ، وأخذ أيضاً عن المولى حسن القرمانى البكهرى فى التفسير والحديث ، والفقه والعربية ، الأصلين ، وأخذ أيضاً عن المولى حسام الدين

[١] عبدالرؤوف بن محمد : أصله من مجاورى الجامع الأزهر ، وحين تولى قضاء مصر لم يغير زيه فى لبس العربى والعمامة العربية ، لهذا أطلق عليه لقب العربى ، وقبل ولايته القضاء فى مصر ولى نائباً عن القاضى ابن معلول زادة ، وكان عبدالرؤوف بن العربى محبوباً جداً من الرعايا ومقرباً إليهم . راجع الروضة المأنوسة ص ١٨١ .

القراصوى القاضى بمدينة بروسة فى علوم شتى ، وأخذ أيضاً عن المولا سعد الدين الشهير بسعدى جلبى الأقشهرى شرعة الإسلام فى الفقه ، حمل عنه فى التصوف ، وأخذ أيضاً [عن] قادى أفندى مفتى الديار الرومية فى فنون من العلوم ولازمه كثيراً .

وأخذ أيضاً عن المولى عبدالقادر الشهير بمناويعدى قاضى مصر سابقاً فى الفقه والعربية وغيرها من العلوم ، وأخذ عن المولى على قاضى بروسه فى اللغة والمعانى [٩٦] والبيان وغيرها .

وقرأ على المولى كمال جلبى قاضى بغداد فى علوم القرآن انتفع به ، وأخذ أيضاً عن المولى شيخ محمد بن إلياس الشهير بجوى زاده مفتى الديار الرومية ، وصار ملازماً منه وقرأ عليه جملة من حواشيه ، تعاليقه ، ورسائله على تفسير القاضى وحواشيه والهداية وشروحها ، والتلويح وحواشيه ، وشرح المواقف وحواشيه ، وشرح التجريد وحواشيه ، وتعاليقه على شرح البخارى للكهرمانى ، وغير ذلك وناب عنه فى ولاياته كلها ، وأخذ أيضاً عن محمد بن حسام الدين قاضى القسطنطينية ، وقرأ عليه دورساً فى صدر الشريعة ، وفى الكنز وفى مجمع البحرين ، وغير ذلك .

وأخذ عن المولى محيى الدين الشهير بمحمد بيك قاضى الشام وحضر دورسه فى المنطق والمعانى والبيان ، وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى السيد الشريف محمد معلول زاده قاضى مصر فى العلوم العقلية والنقلية ، وناب عنه بمصر .

وأخذ عن المولى محمد الفنارى مفتى الديار الرومية فى التفسير ، وقرأ عليه حواشيه على شرح المفتاح للسيد ورسائله المتعلقة بشروح الوقاية وبعض كلماته وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن علاء الدين ٩٧ الجمالى الشهير بمولى جلبى قاضى أدونة فى فنون عديدة من العلوم الحكيمة وغيرها .

وبالجملة فقد اجتمع بموالى كثيرة ، وتلقى عنهم علوما غزيرة ، إلى أن ضلع بالعلوم ، وبرع فى المنطوق و المفهوم ، إلى أن استحق التصدير للتدريس والإقراء فى كل علم نفيس ، ودرس بمدارس جليلة ، وشهر بالعلم والفضيلة فكان أول المدارس التى وليها ، واشغل الطلبة باقراء العلوم فيها بالمدرسة الصغيرة بمدينة أرنيق ، ثم المدرسة بمدينة أماسية ، ثم إحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنه ، ثم مرادية بروسة ، ثم مدرسة مصطفى باشا بمدينة كيبوره ، ثم مدرسة الخاصكية ، والدة السلطان سليمان بمدينة مغنيسيا ثم بمدرسة أبى أيوب الأنصارى (١) ، ثم بأحدى المدارس الثمان ثم بالمدرسة السلیمانية إلى أن فوض له قضاء مصر المحروسة ، وورد الخبر بولايته عليه وتفويض الأمور له بما لديها ، فورد خبر ولايته فى أواخر سنة خمس بعد الألف وقدم إليها فى أوائل سنة ست بعد الألف (٢) .

وكان رجلاً شيخوخة مسناً ، قصير القامة متديناً عفيفاً نزيهاً ، ناصراً ، عاملاً بالمعروف ، قليل الطمع فى المحصول فى المحصول ، متعففاً عن الفضول وكانت أيامه بالعدالة شهيرة ، هو الذى فوّضَ إلى مؤلفه منصب العدالة بالباب العالى ، فى جمادى الأولى سنة ست بعد الألف (٣) .

ولم يزل صاحب الترجمة على جلالته ، وعظيم قدره ومهابته ، إلى أن ورد خبر ولايته حسن أفندى قتلى زاده الماره ترجمته فى جزاء مما سبق من هذا الكتاب ثانياً فى رجب سنة ست المذكورة . ومما رأيت به خطه بظاهر بعض الكتب ما نصه:

[١] ابو ايوب الانصارى : الخزرجى النجارى البدرى ، الذى خصه الرسول الكريم بالنزول عليه فى بنى النجار إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة ، وبنى المسجد الشريف ، وروى عدة احاديث ، ويقال أنه ممن شهد بيعه العقبة الثانية ، وحضر بدرا ولم يتخلف عن غزاه إلا عاماً ، وعندما خرج يزيد بن معاوية يريد القسطنطينية توفى كان أثناء مرضه ، زاده يزيد وسأله صاحبه قال له إذا انامت فاركب بى ثم تبيع بى فى أرض العدو وما وجدت مساعا ، فإذا لم تجد مساعا ، فادفنى ثم أرجع وقبره بالقرب من استانبول مازال موجود ويزار حتى الآن لمزيد من التفاصيل راجع ، الذهبى مصدر سابق ج ٢ ، ص ٤٠٢ ، وما بعدها .

[٢] كانت ولايته من ٢٥ صفر ١٠٠٥ : رجب ١٠٠٦م ، ١٩ أكتوبر ١٥٩٦ : فبراير ١٥٩٧م ، بينما يذكر أبى السرور البكرى ولايته وعزله ٢ رمضان ١٠٠٥هـ : ١٠ محرم ١٠٠٦هـ / ١٢ أبريل ١٥٩٧ : ٢٤ أغسطس ١٥٩٧ الروضة ص ١٨١ .

[٣] جمادى الأولى سنة ١٠٠٦هـ / ديسمبر ١٥٩٧م .

لله مجموع له رونق
كادت مجاميع الورى عنده
والفاظه سحرية تسب النهى
كتبه عبدالرؤف العربى
كرونق الحبات فى عقدها
تبلى من الخجلة فى جلدها
فلا منطق يأتى على ذلك النحو
جعله الله فى شفاعه النبى " انتهى
والبيتين الأولين لبعض المتقدمين .

وبالجملة ، فقد كان من محاسن القضاة علماً وعملاً ، وفضلاً ونبلاً ، معظماً
لشيخنا البدر القرافى عليهما رحمة الملك الكافى ، مخاطباً له على أعالى القصص
بلفظ الملوية والقضاء .

وتوجه إلى الديار الرومية قسطنطينية المحمية ، فلم يمكث فيها إلا قليلاً ،
ونقله الله تعالى إلى دار كرامته ، إلى روح وريحان ، فى بحابح الجنات ولم أقف
على تاريخ وفاته ، رحمه الله تعالى وإيانا ، آمين [٩٩]

[١٠٠] قاضى عسكر مصر

عبدالوهاب بن إبراهيم الروسى الحنفى

أخذ عن المولى تاج الدين الحميدى ، وعن المولى أحمد بن مصطفى
طاشكبرى زاده صاحب الشقائق النعمائية ومنه صار ملازماً وقرأ عليه فى فنون
متعددة من العلوم ، كالصرف والعربية والمنطق والأصول ، وعن المولى أحمد قاضى
دمشق فى الفقه وقرأ عليه دورسا فى الكنز وغيره من الكتب الفقهية ، وأخذ أيضاً
عن المولى حسن المنكسارى الحسينى قاضى مكة المشرفة فى التفسير والفقه
والحديث والنحو غير ذلك وأخذ أيضاً عن المولى محى الدين بن حسام الدين قاضى
القسطنطينية من علم الفقه وفى غيره ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد شاه بن سنان
جلبى فى علوم شتى وأخذ فى ابتدا أمره عن السيد الشريف محمد معلول زاده فى

المنطق والمعاني والبيان ودرس بمدارس متعددة منها مدرسة السلطان أورخان (١) بمدينة أزنيق (٢)، ثم بمدرسة اسكوب ، ثم بمدرسة السلطان بايزيد (٣) بمدينة أدرنة (٤)، ثم بمدرسة منلا خسروه بيروسة ، ثم بمدرسة دواود باشا بمدينة اسطنبول، ثم بمدرسة الخاصكية والده السلطان سليمان بمغنيسيا ، ثم بمدرسة شاه زاده بمدينة [١٠١] اسطنبول ثم بالمدرسة السلیمانیة ، ثم تولى قضا مصر المحرسة ، ورد الخبر بولايته يوم الاثنين غاية ربيع الأول سنة تسع بعد الألف (٥) عوضا عن قاضى القضاة يحيى افندى بن ذكرىا الآتى ذكره ، فى محله من هذا الكتاب ، وقدم صاحب الترجمة إليها فى يوم الخميس رابع عشرين ربيع الثانى منها ، فأول شئ بدأ به من

[١] أورخان : هو أورخان عثمان مؤسس الاسرة العثمانية تولى السلطنة بعد أبوه وكان مولده عام ٦٨٠ اتصف بعلو الهمة والشجاعة والاقدام . وكان اول عمل قام اجراه أورخان هو نقل مقر الحكومه إلى مدينة بورصة لحسن موقعها وارسل قواد جيوشه لفتح ما بقيمن مدن اسيا الصغرى وفتح السلطان بنفسه مدينة ازميد ، جذب اليه قلوب الاهالى لأنه عاملهم باللين ولم يعارضهم فى اقامة شعائر دينهم واذن لمن يريد المهاجرة ، يأخذ كافة منقولاته ويبيع عقاراته راجع محمد فريد ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

[٢] ازنيق : وتكتب ازنك ولقد حاصرها السلطان أورخان سنتين حتى فتحها وسقط بسقوطها نفوذ الروم فى اسيا الصغرى كلها ، اسس السلطان أورخان بهذه المدينة عدة مدارس وتكايا للقراء والمعوذين ووجعل اكبر اولاده سليمان باشا حاكما عليها وكانت من اهم المدن العثمانية فى اسيا الصغرى .

[٣] السلطان بايزيد الاول : اتفق رجال الدولة على توليته وخيف من يعقوب اخيه المتصف بالعنف والشجاعة أن ينازعه العرش فأنفقوا على قتله منعاً للفتنة ، تولى عام ١٣٨٩ م . ضم شريطه أن يدفع جزية من ذهب وأن يسمح للمسلمين بإقامة مسجد فيها ومحكمه شرعية ، ولكن عندما أغار تيمور لك على وسط اسيا نجح فى هزيمة بايزيدا سره وقيل أنه حبسه فى قفص حتى عام ١٤٠٢ م ، راجع د / حسين مجيب المصرى - معجم الدولة العثمانية ، الانجلو المصرية . درت القاهرة ، ص ٢٦٢ .

[٤] ادرنه : فى عهد السلطان مراد الاول استطاع احد قواده وصودلاله شاهين ، فتح مدينه ادرنه فى سنة ١٣٦١م سلمها قائدها الرومى بعد قتال قليل لما داخل من اليأس من استخلاصها ولاهميه موقعها الجغرافى ووجودها على ملتقى ثلاثة انهر تقل اليها السلطان تحت المملكه العثمانية واستمرت عاصمه لها إلى أن فتحت مدينة القسطنطينية عام ١٤٥٣ م . راجع لمزيد من المعلومات . محمد بك فريد . مرجع سابق ص ٤٤ .

[٥] كانت ولايته من غاية ربيع الأول ١٠٠٩ هـ : ١٢ صفر ١٠١٠ هـ / اكتوبر ١٦٠٠ : ١٣ اغسطس ١٦١٠ م . هذا بينما يذكر ابن ابى السرور البكرى تاريخا مخالفا فى الولاية والعزل ربيع الثانى ١٠٠٩ هـ / غرة ربيع الثانى ١٠١٠ هـ / ١٧ اكتوبر ١٦٠٠ حتى ٢٩ سبتمبر ١٦٠١ م .

الاحكام ، أن رفع غالب شهور المحاكم ولم يبق فى كل محكمة إلا نحو من أربع شهود^(١)، وابطل المذاهب الثلاث^(٢) من المحاكم جميعاً إلا محكمة الباب [العالى] ، وامعن النظر فى تفتيش الاوقاف ، وأراد بذلك اظهار العدل والانصاف ، ورفع الجور والاحجاف ، إلا أنه خرج عن الحد فرجع إلى الضد وعادت الحسنات سيئات وبالغ فى التعازير إلى أن وصل إلى حد النكال والتشهير ، وصار يعاقب على أصغر ذنب بأبلغ عقاب ، ونكل بالوجهاء والاكابر والمستورين ، فنفرت عنه القلوب وصار الناس معه فى أمر مريح وضاقّت معاش الناس فى زمنه ، خصوصاً أرباب المحاكم بتشديده فى عدم أخذ المحصول ، ماعدا كل حجة ثلاثة^(٣) عشر نصفاً ، والكتبة

[١] عدد الشهود فى المحاكم : لم يكن عددا الشهود فى المحاكم ثابتا فقد كان يتعرض من للنقصان والزيادة ويخضع المحكمه وعدد المتعاملين معها فقص عهد القادم العسكرى لطف الله محمد وجد من محكمه القسمه العسكريه اكثر من خمس عشر شاهدا ، وادى ذلك للاختلاف واللقط بينهم كذلك طمعوا فى اموال المسلمين ، ولكن فى الغالب كانت اعمال المحكمه تتم بشاهدين يمتاب الامور الشرعيه الصابره فى المحكمه . الشهر العقارى سجلات محكمة القسمه العسكرية س ٢٣ ، ص ١

[٢] ابطال المذاهب الثلاثه فى المحاكم : بدء العمل بالمذاهب الأربعة فى مصر (فى القضاء) منذ العصر المملوكى وتحديد من عهد بيبرس البندقدراى ، وعند مجئ العثمانيون القوا العمل بالمذاهب الاربعه وجعلوا المذاهب الحنفى هو المذهب الرئيسى فى القضاء وكان هذا من التغيرات القليله والنادرة التى دخلها العثمانيون فيمصر - ومع ذلك فقد ابقوا نواب من المذاهب الاسلاميه الاخرى حتى يلجأ اليهم اتباع مذاهبهم فى القضايا الخاصة بهم وبهم ، ولكن وجد احيانا من القضاة من جاء والقى وجود نواب المذاهب الثلاثه من المحاكم فيما عدا محكمة البابا العالى ، راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ٥٩ ومابعدها .

[٣] الرسوم القضائية فى المحاكم فى العصر العثمانى (لمعاونى القضاة) كان هناك رسوم قضائيه محدده للعاملين فى المحاكم فى مصر فى العصر العثمانى فمثلا الشهود "قررت لهم رسوم معنيه على الحجة لا يتعدونها لما قرره لهم قاضى العسكر وهو نصفات على كل حجة ومن خالف ذلك من الشهود ويعزل على الفور . الشهر العقارى : سجلات الباب العالى س ١٥١ س ١ من العلاف سجلات محكمة الصالح س ٣١٥ ، ص ٣٢ ، ص ٨ اما الكتاب فقد قرر لهم على حجة نصفين أيضا وسمح لهم بالعلم وظائف الاوقاف والعمال الادارته بها وذلك لزيادة دخلهم من هذه الأعمال وحمايتهم من تناول الرشوة ، الشهر العقارى سجلات تقارير التطرس ١٢ ، ط ٨٧ ، ص ١٢٩ . اما المحضرون : فقد حددت مراسيم قاضى العسكر الرسم الذى يحصل عليه المحضرون فى القضية بنصف واحد ولا يدخل فى القضية الواحدة سوى محضر واحد ولكن يبدون المحضرين كانوا يخرقون هذا النظام لذا فقد صدرت الاوامر العديدة التى تحذرهم من مقبه ذلك ، الشهر العقارى : سجلات محكمة الصالح س ٣١٥ ، ص ٣٢ ، ص ٨ . سجلات قناطر السباع س ١٢٦ ، ص ٢٧٢٢ ، ط ٦٤٥

نصفين هدد على ذلك [١٠٢] بالوعيد الشديد، والهوان المزد من ذكره .
وتعرض الشعرا له بالهجا سراً وعلناً وهجوا ما اعدده فى نفسه حسناً ولقد حضرت
معه بالمقياس (١) يوم جبر النيل السعيد (٢) بعد عزله وهو يدور بالمقياس ، وصحبته
تاج الدين أفندى قاضى الخانقاه السرياقوسية (٣) ، وهو يقرأ ما على الحيطان ،
وإذا به مكتوباً فى داخل القاعة الذى يجلس فيها الباشاه على كتفى باب الدخل ،
"تاريخين لولاية صاحب الترجمة أولهما ، قاضينا أبو جهل ، والثانى قاضى بجهل
حكم" ، فتالم لذلك كثيراً ، وقال لتاج الدين أفندى : ما فعلت فى أهل مصر حتى
أجازى منهم بهذا فقال : يامولانا عاملتهم بما لم يألوه سابقا ، فانما الفوا من

[١] المقياس : اهتم المصريون القدماء بضبط مياه منذ أربعين قرناً قبل الميلاد ، كما اهتموا بتسجيل حركات
الفيضات بإنشاء مقياس تعالى يقيسون به عمق مياه النيل ، وكذلك كان عندهم مقاييس ثابتة من البناء مثل
جزيرة الروضة ، وبعد الفتح الاسلامى أمر عمرو بن العاص بإنشاء مقياسين أحدهما بأسوان والآخر
بأرمنت وفى سنة ٨٠هـ أنشأها عبدالعزيز بن مروان مقياساً صغيراً على النيل فى حلوان ، وفى سنة ٩٧
هـ بنى مقياساً فى جزيرة الروضة وإنشاء السد العالى عند اسوان انتهت أهمية المقياس وأصبح لا قيمة
إلا من الناحية الأثرية التاريخية ، راجع لمزيد من المعلومات ، د / محمد كمال السيد محمد : أسماء
ومسميات من مصر القاهرة ، هـ . مع ١٩٨٦ ، ص ٦٣ .

[٢] يوم الجبر : كان بلوغ النيل فى المقياس ، سنة عشر ذراعاً ، ايذاناً بأفراح القاهرة بوفاء النيل ، فيبلغ
قاضى المقياس ولى الأمر أن النيل بلغ وفاء وينطلق المنادون فى شوارع القاهرة يزفون لأهلها البشرى
وفى اليوم الذى يحدد بعد ذل يقام الاحتفال فتزين السفينة "العقبة" كما تزين غيرها من السفن ، وقد
ترسل الدعوات لحضور هذا الحفل ، حيث يجتمع والى ونائبه ، وشيخ البلد وقاضى القضاة وكبار العلماء ،
والاعيان ويكسر والى او نائبه سد الجسر ، فإذا جرى الماء فى الخليج ، يشق القاهرة وتفيض منه بركة
الازبكية وغيرها منازة القاهرة ورياضها ويخرج أهلها إلى المقياس والروضة وغيرها يتنزهون ونطلق المدافع
وتقام الزينات على البيوت ، وتضاء القناديل فيها وعلى جنبات البركة وتسير فى الخليج الزوراق المزينة
تضيئها القناديل أيضاً . لمزيد من التفاصيل راجع محمود الشرقاوى . مصر فى القرن الثامن من عشر ،
الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٤ . ج ١ ، ص ١١٥ .

[٣] الخانقاه السرياقوسية : يستفاد مما ذكره المقرئى فى خطه عند الكلام على خانقاه سرياقوس أنه سنة
٧٢٢هـ ، أنشأ الملك الناصر محمد قلاوون خانقاه أى داراً للصوفية يقيمون فيها لعبادة الله بصحراء
سرياقوس وبنى بجوار الخانقاه مسجداً وحماماً وعمر قصوراً وبيوتاً جليلة وتمت هذه العمارة فى سنة
٧٢٥هـ ، وقد أقبل الناس على البناء والسكن حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت والحانات حتى
صارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، ثم قال المقرئى وتزينت فى العمارة
والسكان حتى أنشئ تابعه إلى ناحيه سرياقوس وفى تربيعة سنة ٩٣٣هـ فصلت من سرياقوس بزمان خاص
محلها بذلك أصبحت ناحية قاتمة بذاتها ويقال لها الخانقاه او الخانقاه او الخانكاه السرياقوسية . لمزيد من
المعلومات راجع : محمد رمزى : مصدر سابق القسم الثانى ج ١ ، ص ٣٢ وما بعدها .

الموالى السابقين مزيد اللين معهم وانتم عاملتموهم بمزيد الشدة ، فلم يخرجوا جواباً ، وأماما وقفت عليه من هجوه فمما ما انشدنى [١٠٣] الشيخ العلامة العمدة الفهامة شهاب الدين أحمد الحتاتى الشافعى أحد السادة العدول بالباب العالى كان ، لطف الله تعالى به فى مكان وزمان من لطفه لنفسه هاجيا صاحب الترجمة فقال :

قطعت قطعت ارزق الشهود	وبدلت التعارف بالبحود
جعلت بشوم راك طول شبر	وسرت كسير جبار عنيد
وخنت الله والمختار جهلا	وتهويداً وظلماً للعبيد
أما أوصى بهم خير البرايا	أوما أوصى بإكرام الشهود
وليت لمصر فارددنا غلاء	وخضنا فى البلاء إلى الوريد
ومات الغيث والمعروف فينا	وصرنا مثل سكان اللحد (١)
وجف النيل لما أن راكـم	ومس الارض نيران الوقود
وصار الزرع يلهب احتراقا	لفقده نراه من الصعيد
فهل من مبلغ عنا حديثا	لمحيى الجد سلطان الوجود
أبى البركات يحيى فى علاه	سما شرفا وفخرا كالجدول
رحيب الصدر سامى القدر رب	السيادة والسعادة والسعد
أن بعباده عنا عناء	عزانا من سياساته اليهد
[١٠٤] فهل عد لدهر قد تقضى	كقاضينا فى عيش رغيد
وهل تحى امانينا بيحى	ونجنى منه حبات الخلد
اعاد الله ايام التهانى	بدولته وشرده للصدور

[١] اللحد : اى القبور التى يدفن بها الموتى ، وهى هنا دلالة على الصمت والوحشة الشديدة .

انشدنى عن لفظه أيضا لطف الله به فى صاحب الترجمة فقال :

قطعت قطعت أرزاق البرايا	فويلك يوم تجتمع الرفات
وخنت الله والمختارا لما	توالت منك فينا المزعجات
ولم ترحم ضعيفا ذا عيال	كان القطع منك له صلات
وخلق الله يا هذا عيال	له فافطن لما قال الرواة
وعن قرب تحل بك الرزايا	وتأخذك الظبا والمرهفات
وتحكم فيك أسياف المنايا	وتعقبها عليك النابحات
وتصبح ثاويا فى قعر قبر	ضجيعك فيه تلك السيئات
نهارك فيه نيران تلظت	وفوقك سانجات محرقات
فلا تعجل فانا فى ابتهاال	وأوقات الاجابه باقيات

قلت وقد استجاب الله دعاه ، فلم تطل مدة صاحب الترجمة ، بل فاجاه المعزل بالسرعة ، فورد الخبر بعزله وولاية المرحوم عثمان [١٠٥] افندى الآتية ترجمته عقب هذا ان شا الله تعالى ، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سنة عشر بعد الألف ، فكانت مدته تسعة اشهر واثنا عشر يوما ، بل ولم تطل مدته فى الحياه أيضا بعد هذا ، فانه بعد العزل توجه إلى الروم ولم يمكث الا قليلا ، وتوفاه الله تعالى إلى رحمته عفى الله عنه ، وهكذا جرت عادة الله أن عمر الظالم قصير وعلى الخصوص فرعايا مصر الجند الضعيف كما وردت به السنة (١) فى غير ما حديث من ارادهم بسوء قصمه الله أو ما معناه لولا خشية النسبة الى التحامل لذكرت وقايعة فردا فردا . دون كثير من الناس اخباره وقد وقفت لبعض اصحابنا على جمع جمع فيه كلماته التى كان يكتبها على القصص ، وهى من قسم الهذيان وعلى كل حال فاخبره

[١] لمزيد من التفاصيل عن مصر فى السنة النبويه راجع عمر بن محمد يوسف بن الكندى : فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم أحمد العدوى ، القاهرة ١٩٧١م ، ابن ظهيره : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس هـ.م.ع. ، القاهرة ١٩٦٩م .

أحواله شاعت وذاعت ، وملأت الاسماع وتناقلتها الرواة والأمر إلى الله تعالى ، فإنه في ولايته هذه لم يحصل دنياه ولا آخره ولا ثناء حسنا ومن أحسن ما سمعت ووعيت قول ابن دريد في مقصودته مفرد :

إنما المرء حديثا بعده فكن حديثا حسنا لمن روى

[١٠٦] وقول بعض المتقدمين أيضا مفرد :

السيد من صحب الناس وولى والثناء عنه جميل وأرخ عزله شاعر العصر زين الدين عبدالرحمن الملاح الحنفى حفظة الله تعالى بقوله وضبطه بحروف الجمل فقال :

يا رب بلغنا المنا	واعظ كلاما سأل
يا رب أبعد ضدنا	ولقد ومنك الأمل
بلا رجوع سيرة	بحيث القت فى المثل
ونناظم أرخه	الأصـر عن مصر رحل

ومع ذلك فلا تخلو ولايته من محاسن منها انه لم يتعرض للنظارات ويخرجها عن أربابها بغير جنحة بل ربما أنه لم يتفق له مدة ولايته بلص أحد من النظار ، ولا وضع يده على شئ منها كما يفعله غيره من القضاة ، ومنها عدم الرشوة باطنا ولا ظاهرا ^(١) ومنها اعراضه عن الدنيا وحطامها إلا ما شذ .

[١٠٧] تلك السيئات ، وعلى كل حال فالانسان لا يخلوا من محاسن ،

ومساوى والسعيد من غلب خيره على شره ولقد سمعت من لفظه سامحه الله تعالى

[١] الرقابة على القضاء : لم تدلنا المصادر الخاصة بالعصر الأعلى مثال واحد من هؤلاء القضاة لذلك يصح أن نعم عليه أن الغالبية كانوا مرتشين فقد كانت السمة الغالبة على هؤلاء القضاة الورع والتقوى وغلبه الدين عليهم والعمل بالقواعد الفقهية التى أرساها الفقهاء من قبل والتحرى فى القضايا التى تعرض عليهم بغية أظهر الحق فيها . وكان القضاة يراعون القواعد الفقهية التى أرساها الفقهاء من قبل والتحرى فى القضايا التى تعرض عليهم بغية أظهر الحق فيها . وكان سلوك القضاة خاضعا لنوعين من الرقابة أحدهما خارجى والآخر داخلى ، وكان الخارجى لا توفره الاجراءات الرسمية الخاصة بالرقابة سواء كانت السلطات المدنية أو الموظفين فى الادارة القضائية بقدر ما توفره المنافسة الفيويرة من جانب منافسيهم المحتملين من العلماء . راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ص ٦٥ .

بعد عزله أنه لما مرض بالمنزل الذى استوطنه بعد العزل المتعلق بابن مسيح بالآزبكية (١) أنه باع جوخه (٢) من ملابسه بفرو أصرف ثمنها حالة المرض وهذا كله لعدم تقيده بالدنيا وجمعها وتحصيلها وعدم الانهماك عليها ، فإله تعالى يعفو عنه ويسامحه ويتجاوز عن سيئاته فإنه جواد كريم وبعباده رؤوف رحيم .

قاضي عسكر مصر

عثمان بن محمد باشا

[دوقه كين زاده] (٣)

ويعرف بين السادة الأروام بدقة كين زاده الرومى الحنفى أخذ "صاحب الترجمة" عن المولى تاج الدين الحميدى مفتى أماسيه وقرا عليه حاشيته على صدور الشريعة وأخذ أيضا عن المولى جلال الدين الرومى أحد فضلاء الدولة العثمانية فى الفقه والعربية والصرف والمعانى والبيان وأخذ أيضا عن المولى حامد

[١] الأزبكية : حى يتوسط القاهرة ، كان عباره عن أرض زراعية إلى الجنوب من خط المقسى (ميدان باب الحديد - رمسيس اليوم) وكانت مياه النيل تغمر تلك الأراضى سنويا ، وكان يتخلف بعد الفيضان بركة ، وكان أرض هذا الحى عامرة بالبساتين والمناظر وفى أيام الاخشيديين حفر كافور فى تلك المنطقة ترعه لتروى البستان المقسى الذى بقى حتى أيام الخليفة الظاهر الفاطمى وكان ماء الترعة يصب فى البركة السالفة الذكر ، وقد عرفت هذه الترعه باسم خليج الذكر لأن احدا امراء السلطان بيبرس يدعى شمس الدين الذكر قام بتطهيرها وتوسيعها فنسبت إليه وقد شيد فوق هذه الترعة قنطره وفوقها "دكه" لكى يجلس الناس عليها فى أثناء تنزههم ، وفى أيام السلطان قايتباى فى أواخر القرن ١٥ قام قائده ازبك بتعميد المنطقة ومن ثم اخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمره وعرفت بالأزبكية وفى عام ١٨٧٦ ردمت الأزبكية بطمى النيل بارتفاع مترين وانشئت فيها حديقة الأزبكية وكانت مساحتها ٢٠ فداناً ، راجع د / عبد الرحمن زكى - مرجع سابق ص ١٠ .

[٢] جوخه : فى الفارسيه جوخا بالجيم المشربه وألف بعد الخاء رداء صوفى قصير ، قد ترد بالقاف "جوقه" حسبها دومينار صقليه ، وأخطأ ، فإنها فى الفارسيه القديمه بالقاف ٩٩٧ ، فضلا على أن الخاء والقاف ، تحل إحداهما محل الأخرى فى التركيه فى كثير من الكلمات ، والجوخ قماش معروف ، أحمد السعيد سليمان ، مرجع سابق ص ٧١ .

[٣] يذكر محمد بن أبى السرور البكرى أن شهرته بين الأروام "تقادن زاده" وأنه ولى قضاء مصر مرتين ، لمزيد من المعلومات راجع الروضه ص ١٧٩ .

أفندى مفتى الديار الرومية وصار ملازماً عنه فى التفسير والحديث والفقه والصرف والمنطق ، وأخذ أيضا عن السيد الشريف حسن المنكسارى قاضى [١٠٨] مكة المشرفة فى التفسير والفقه والحديث والنحو وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى فضل الجمالى قاضى مكة المشرفة فى علوم متعددة وقرا عليه من مصنقاته الواقية فى "مختصر الكافية" فى النحو "وعون الرايى فى الفرائض" وشرحه المسمى "بإعانه الفارض" ، وكتاب "الضمانات فى الفقه" وكتاب "تنويع الأصول" وشرحه "توشيح الوصول" وغير ذلك ، وأخذ أيضا عن المولى محمد الشهير بابن صارى كرز قاضى حلب فى المنطق والمعانى والبيان والصرف ، وقرا عليه تعاليقه على شرح المفتاح للسيد ، وعلى الهداية ولأزمه ، وإنفع به وأخذ أيضا عن المولى فعلا ابو السعود المعمارى المفسر مفتى الديار الرومية فى التفسير والفقه والحديث والعربية والمنطق والمعانى والبيان والهيئة واليقات والجبر والمقابلة والبديع وغير ذلك ، وإنفع به ودرس بالمدرسة الحلبيه بأدرنه ، المدرسة المرادية وسلمية اسطنبول ، ودار الحديث بأدرنه ، وإحدى المدارس الثمان ، والمدرسة السليمانية ، ثم بأيا صوفيه ، ثم انتقل إلى قضاء مصر المحروسة ورد الخبر بولايته على هذه الديار الجليلة المقدار ، يوم الأربعاء سابع ذى الحجة سنة اثنين بعد الألف (١) عوضاً عن معروف أفندى بحكم عزله ، فاستمر [١٠٩] إلى أن ورد الخبر بعزله وولاية حسن أفندى قنلى زاده الماضى ترجمته فى محله من هذا الكتاب فى رابع عشر رجب سنة ثلاث بعد الألف ، فكانت ولايته هذه ثمانية أشهر ، وسبعة أيام ثم سعى وأعيد لقضا مصر المحروسة ثانيا عوضاً عن حسن أفندى المذكور فورد الخبر بولايته فى يوم الثلاثاء تاسع عشر صفر سنة

[١] كانت ولايته الاولى من ذى الحرة ١٠٠٢هـ / ١٤ رجب ١٠٠٣هـ / ٢٥ اغسطس ١٥٩٤ : ٢٦ مارس ١٥٩٤م هذا فى الوقت الذى يذكر فيه ابن ابى السرور البكرى أن ولايته كانت فى ٢ محرم ١٠٠٣هـ ، ١٥ رجب ١٠٠٣هـ / ١٨ سبتمبر ١٥٩٤م / ٢٧ مارس ١٥٩٥م ، وهذا ما يتفق زمنيا مع عزل القاضى السابق محمد بن معروف حيث كانت ولايته من ٥ شعبان ١٠٠١هـ : ٥ ذوالحجة ١٠٠٢هـ / ١٨ مايو ١٥٨٣م : ٢٣ اغسطس ١٥٩٤م ، راجع الروضة ص ١٧٩ .

أربع بعد الألف (١) ، وصورة مكتوبة الذى بخطه الذى أرسله لشيخنا البدر القرافى مخاطبا له بولايته لمصر .

ثانيا هو :

" الحمد لله كاشف غمة الغم عن عباده ، ومزيل ظلمة الظلم من بلاده ، والصلاة على من نسخ بدينه الاديان ، سيدنا محمد المبعوث من بنى عدنان ، وعلى آله وصحبه الذين سادوا بأن شادوا الدين وجاهدوا فى احيا الشرع المتين واعلاء الحق المبين ، وبعد فالذى ينهى المخلص الفقير الى الجنب الخطير مالك أزمة التحقيق فى مذاهب سيدنا الامام مالك سالك حجة التدقيق فى توفيق المذاهب والمسالك ، علم العلم والهدى ، منار الفضل والتقوى ، مولانا القاضى بدر الدين المالكى ، أدام الله بقاءه ويسر لنا لقاءه ، عما اكرمه بابلاغ التحية الزكية واجله ، وصدر صدر الشريعة واجله ، هو أنه صدرت فى حق محبكم عاطفة من العواطف السلطانية [١١٠] وعناية من العنايةات المحمد خانية .

الهم قبل التمكن والثبات ، لإسماعيل نعمة حصول السبب للإجتماع مع الأحباب ونيل الظفر بخير المكسرفى نيل قلب الأصحاب ، فالمرجو من مكارمكم انجاز الوعد الموعد والقيام بنفسكم فى استماع كلام الخصام والشهود ونحن على تحصيل ما وعدناه من الترقى فى المعلوم لعنا نرجع بالبرأة والمرسوم ، سلام عليكم طيبتم ، حضركم أو غبتم " .

ووصلت بإذن الله تعالى وبهمتكم العليا إلى اسكندرية يوم الخميس خامس عشر صفر المضر " انتهى .

واستمر صاحب الترجمة فى ولايته هذه إلى أن ورد الخبر بعزله وولاية منلا أحمد أفندى الأنصارى المتقدم ذكره فى أثناء سنة خمس بعد الألف ظنا ، وسافر

[١] اما ولايته الثانية فهي من ١٩ صفر ١٠٠٤ هـ : ١٦ شوال ١٠٠٥ هـ ، ٢٥ أكتوبر ١٥١٥ م ، ٤ يونيه ١٥٩٧ م بينما بذكر ابن أبى السرور البكرى ولايته الثانية ب ٢٠ جمادى الول ١٠٠٤ هـ ويحدد وعزله ب ٢٠ محرم ١٠٠٥ ، ٢٢ يناير ١٥٩٦ : ١٥ سبتمبر ١٥٩٦ م .

إلى الديار الرومية واستمر بها إلى أن أنعم الله عليه بقضاء الديار المصرية ثالثا
عوضا عن عبدالوهاب أفندى كما اسلفنا فى ترجمته فى يوم الثلاثاء ثانى عشرى
صفر سنة عشره بعد الألف قدم إليها فى مستهل ربيع الثانى منها وهرع إليه
الناس أفواجا يتلقونه [١١١] من بولاق القاهرة خصوصا قسم القضاة والشهود ،
فوجدهم جميعاً بأنه فى غدة يدخل إلى القاهرة لمنزله ، ويعيد كل إنسان إلى محله .
وعلى كل حال فكان من الموالى المشهورين بانعكاف ، والعدل والأنصاف ،
غير مكترث بمحصول المحاكم ، متعفف عن الجراير والجرايم ، حتى صار لرعايا
مصر كالأب الرحيم ، أو الصديق الحميم وودوا لو ابقاه بين ظهرائهم مدة حياته ،
بل إلى حلول وفاته ، بل كانت مدته قصيرة ، وعدالته شهيرة ففاجاه العزل بمحمد
أفندى بستان زاده الصغير الآتى ترجمته فى محله ، فى يوم الجمعة سادس عشرى
شوال من السنة المذكورة . فكانت ولايته هذه الأخيرة ثمانية اشهر واربعة أيام ،
وكانت عربيته فى غاية الفصاحة كأنه ولد بين العرب وله فى الإنشا اليد الطولى ،
عبارة وبراعة وقولا ، وأصدق دليل وأدل برهان ، وأعظم بيان وتبيان ، مراسلته التى
اسلفناها لشيخنا رحمة الله تعالى ورأيت له أخرى خطابا لشيخنا المذكور بعد ذهابه
إلى الديار الرومية بعد عزله من الولاية الثانية لأباس بايرادها هنا وهى :

[١١٢] امام الأنام وبدر التمام ونجم العلوم وشمس الظلام
ومنهل العيش فى هجرانكم كدر يا ليت شعرى متى يصفوا فى الكدر

إن أعظم ما رقم فى الواح أرواح النفوس القدسية ، واعبرما رسم فى
صفائح صحايف الاشباح الأحدية أشرف تحيات وامنيات ، وأوفى تسلمييات
ذاكيات ، تهب عليها نسيمات القول ، ويتجل بدرها فى أفق الكمال بلا أفول ، يهدى
لدى الفضائل التى بالبحر لاتقاس والكمالات التى برهانها جل عن القياس العالم

العامل هو العلامة الكامل فريد مصره ، بل وحيد عصره ، عزيزنا وصديقنا القاضي بدر الدين لازال محفوظاً بالعناية الربانية ، بحرمة الأمين أمين ، وبعد لا يخفى علمكم الشريف ما تفضلتم به من بقية استكتاب الجزء الأخير من شرح الكنز لابن نجيم ، ووصل الأصل إليكم فى بولاق ، حين الوداع والأفتراق ، فالمرجو من لطفه اتمام الأفضال بارسال الأصل والفرع حتى لا يتبقى الأصل والقرع ايتربق اعتر من مع بقية حاشية الطبى ، وأما المحله الأخير من لسان العرب [١١٣] فإن اتمامه فى الوقت تعب ، وأما إرساله على ما تيسر موكل إلى رأيكم الشريف ، واحسانكم المنيف ، لازال جنابكم مبادرا لكل خير ، ومنجياً من كل خير ، وحتفظا للعهد ، ومنجزا للوعد ، وأن تشرفتم بمشرفتمك فھر شرف يوجب تأكيد المحبة بلا منه ، وانتم فى امان الله وحفظه ، تحريراً فى رابع عشر رمضان المبارك . ومن إنشائه أيضا صورہ أمضا امضاة على وقفية الشيخ عبدالمعطى شيخ الجرابجية بالديار الصرية (١) . وما تضمنه فحاوى هذا الكتاب من أصل الوقف الموجب للثواب وشروطه المتسقة على سنن الصواب ، وتحقق لدى الباب . حكمته لصحبة ولزومه حكماً يعتد به عند أرباب الألباب واقفاً على مواقف الخلاف الواقع بين المجتهدين المستنقلين من السنة والكتاب ، وحرره الفقير إلى بر ربه الوهاب ، عثمان بن محمد القاضي بمصر المحروسة غفر الله ذنوبها يوم الحساب . بحرمة الذى اولى فضل الخطاب ، والآل والاصحاب ، قلت وهو انشا بليغ [١١٤] على كل حال يعجز عند الرجال ، فإنه التزم قافيه واحده ، هى براعه زايده ومدحه الشعرا بالقصايد العديدة ، والابيات الفريدة ، خصوصاً فى ولايته الثانية فإنه واسى اهل مصر معروف ، واسدى إليهم من الخيرات صنوفاً فما وقفت عليه من المدايح البديعة فى مقاماته الرفيعة ، وتلك قصيدة لصاحبنا الشيخ الفاضل ، حاوى الفضائل شمس الدين محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الدنوشرى الشافعى هى :

[١] بياض بالأصل .

بدر الدجا لاح فى وشى جليل
ملكك حسن ادام الله دولته
إن ما من نجل يافات وعص بقا
أرعى الشعور دلالة والعقول سا
ذو اللطف فى قوله والفعل منه زكا
قد سل سيفا على العشاق حيث سطا
شمس المحاسن باد نور طلعت
قاضى القضاة وذو النورين سيدنا
عثمان سيد أهل العصر قاطبة
[١١٥] قد صار نخبة هذا العصر حيث بدت
وحيد دهرى منه يكتسى حللا
أحى الشريعة لما قيل قد درست
فكم له جبر مكسور وملتهف
خلاصة منتقى مولى الأنام له
وقد تولى ديار الملك واتضحت
صافى السريرة كنز ماله مثل
نسل الاكابر ذو مجد وذو شرف
يامن يشابهه أنى أنا شهره
سل عنه روما ومصر ألتق عفته
سام وحام ذرى الشرع الشريف
قد جاء مصرا وصارت فى أجل بهاء
فاولا ثم ثان حاء شرفها
نهيبك مقدمك الزاهى فذاك به
لازلت فى أوج سعد مع أنهم
[١١٦] ناظم الدر عبد من عبيدكم

ومنه بدر السما قد صار فى خجل
ومنه اعداؤه فى غاية الوجمل
وأفرحتى أن يجد بالوصل والقبل
ولون حاجيه فها شفا المقل
قد صرت من حبة كالشارب الثمل
وقده لم يزل دوما بمعتدل
كنور طلعت رب المعلم والعمل
وشيخ الاسلام ذى الاحسان والخول
بمدحه تستبقى طوال المدا على
منه الفضائل والأعدا كالمهل
إذا ان من قبله فى غاية العطل
جاد للمرتجى بالعضد والأمل
وكم له نصر مظلوم ومعتقل
جواهر ترتضى والصد فى خذل
به العدالة فى مصر بلا حيل
عين الاكارم مدحى فيه من شغل
وراية سالم فى الدهور من خطل
ليس التكحل فى العينين كالكل
مامثلها عفة أنعم بذا البطل
ومن ضاه كان يرى من اعظم الشغل
وشرفت بدا نور بالامهل
وثالثا ماتجلت من غاية الذلل
كل الشرفه يرى عنه بمنتقل
هنا ولم تزل بشرفه معك مكتمل
فى سالف الدهر جاء بمدح من قبل

ومن مآثره أنه حناء الذى أثرها بمصر المحروسة حين ولايته القضا بها فى
الولاية الأولى المقعد الذى أنشاه بمنزل السادة الموالى ، قضاة القضاة بمصر
المحروسة، المشهود بهم ، المطل المقعد المذكور على سوق الرقيق وتلك فى سنة اثنين
بعد الألف، وأرخ له تلك صاحبنا المرحوم شاعر عصره يوسف ابن زكريا المغزلى
المالكي من ابيات صورتها .

قاضى قضاة المسلمين من حاز
عين العلو بجاه أحمد اسمه
باشاه محمد ذو الفخار
بسيادة وسعادة ومهابة
وفصاحة وبراعة ويراعة
وحماسة وسماحة وجمالة
ادعوا له بالسعد جهرا والورى
يا من بعد لك مصر أمست جنة
لازلتوا فى حفظه طه والضحي
[١١٧] ذا معقد بالحسن أمسى بهجة
بصناعة كصياغة لحديقة
لما امرت به تكامل حسنه
وبغاية المجد اسمكم تاريخه

العلامن ربه والتمكين
هذا العمرى غاية التبين
فرد وشهرته عدت دوقه كين
ومروءة للمرتجى المسكين
والمجد مع نصر تساما بالدين
فى صفوة تزهاوا على التكوين
فى ذا الدعاء تعيذى بالتأمين
تجلى لنا كالشمس كالخور العين
والنجم والاحزاب يقتلوا يسين
فيه فنون تزدهى بالتعيين
جليت لنا فى وردها النسرين
وغدا الهنا فايقا بالتحسين
عثمان بن محمد دوقه كين

وبالجملة فكان من محاسن القضاة الحكام ، وولاة أمر الاسلام ، من التمسك بالدين ، والنظر فى مصالح المسلمين والشفقة عليهم وإسدا المعروف والجميل إليهم ، واستمر على جلالته وعظيم مهابته إلى أن سافر إلى الديار الرومية ، وتلك الأقطار العلية للمأرب ، إلى أن أدركته المنية ، ولم تبلغه كامثاله الأمنية . ولم أقف على تاريخ وفاته واسف الناس على فقده ، وتذكروا أيامه . من بعده ، تغمده الله تعالى برحمته واسكنه فسيح جنته ، آمين .

على ياسين الطرابلسى الحنفى

أخذ عن علما ، فضلاء مصره ، وبرع فى العلوم ، ومهر فى المنطوق والمفهوم ، عد من الأكابر والأعيان ، ووحها العصر والزمان إلى أن ولى القضاء الأكبر فى آخر الدولة الجركسية (١) [١١٨] ، ولم أر من ذلك غير العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى ، الشافعى نفعا الله تعالى به ، ووصفه بشيخ الاسلام المجمع على صلاحه وعلمه الناس وصيامه وقيامه وضبط لسانه مفننا فى العلوم ، وكان رضى الله عنه تعالى متواضعا حسن الظن بالمسلمين ، وكان يؤذن فى شباك زوايته عند كل وقت من الخمس [أوقات] بصوت حسن وبخشوع وتدبر مع أنه ولى كرها ، وكان كثير الصدقة سرا وجهرا ، ولما عزل بقضاة العسكر لم يزل ملازما بيته على النسك والعبادة والافتا والتدريس إلى أن مات وانكر عليه قضاة الأروام لافتيائه بمذهب الراجح عنده ، وكاتبوا فيه السلطان ، وجرحه بما هو برئ فارس السلطان

[١] الدولة الجركسية : الجراكسة هم عنصر الجركس الذين ينتشرون شمالى بحر قزوين ، شوقى البحر الاسود وأول من عمل على استقدامهم من السلاطين المماليك هو السلطان المنصور قلاوون حتى بلغوا فى عهده أكثر من ثلاثة الاف مملوك واشرف بنفسه على تدريبهم على السلاح واسكنهم بجوار ايه فى ابراج القلعة ، ومن ثم لصقت بهذه الطائفة تسمية المماليك البرجية وكان اول سلاطين دولة الجراكسة هو السلطان برقوق واصله من قبيلة كسا الجركسية استولى على السلطان ٢٦ نوفمبر ١٢٨٠ واستمرت الدولة الجركسية حتى الفتح العثمانى لمصر ١٥٠٧م . لمزيد من التفاصيل راجع . د / حكيم أمين عبدالسيد اقيام دولة المماليك الثانية ، الدار القومية للطباعة على القاهرة ، ص ٥٨ ، وما بعدها

يأمر بنفيه أوقته فوصل المرسوم يوم موته بعد أن دفناه ، فكانت هذه كرامة له
رضى الله تعالى عنه ، ولما أن نزلت المحنة عليه قبل موته بثلاثة أيام رأيت في المنام
لوحة نزل من السما في سلسلة تجاه بيت الشيخ محب الدين الدهانة مكتوب فيه ،
أيدنا على الطرابلسي بمحب الدين بن الدهانة فكان الأمر كذلك ، وحصل له على
يديه الفرع [١١٩] والسرور ، انتهت عبارته ولم أقف على تفصيل هذه المحنة التي
ذكرها ولا على زمن وفاته رحمة الله تعالى أمين .

قاضي عسكر مصر

على بن امر الله الرومي الحنفي (١)

[قتل زاده - الحميدى]

ويعرف بين السادة الأروام بقتل زاده وبالحميدى ، كان اماماً علامة ، بارعاً
فهاماً ، أخذ عن المولى السيد الشريف إبراهيم العجمي مفتى أماسية درساً في
الفقه والحديث ، وأخذ أيضاً عن المولى الاصطنبولى (٢) الشهير بابن الجصاص
قاضي الشام في العربية والصرف والمنطق ، وأخذ أيضاً عن المولى أحمد بن

[١] على بن امر الله الرومي الحنفي : ذكره القرى بقوله على بن إسرافيل الامام العلامة الاوحد المفتى الفهامة
على جلبي قنالى زاده احد الموالى الرمية المشهورين بالعلم والفضيلة ، اشتغل في العلم على جماعة ،
واتصل أخيراً بخدمة ابن كمال باشا ، وولى دمشق فدخلها في غرة ربيع الآخر سنة ٩٧١ هـ . وكان عالماً
متبحراً بميل للادب والشعر ولعله أحسن علماء الروم شعراً ، وبقي قاضياً بدمشق نحو أربع سنوات ثم عزل
نحوها وأعطى قضاء مصر وبعد قضاء ادرنه ثم استانبول ثم قضاء عسكر الروميلي وقضاء عسكر الاناضول
ثم تقاعد عنه مقبلاً على مطالعة الكتب والنظر في العلوم والف حاشيته على شرح الدور من
شعره

أرى من صدغك المعوج دالا ولكن نقطت من مسك خالك
فأصبح دالة بالنقط ذاك فها أنا هالك من أجل ذلك

ويذكر أنه مات بعله النقرس في سنة ٩٧٩ هـ هذا في الوقت الذي يذكر فيه ابن العماد الحنبلي " في شذارت
الذهب " أنه كان مبتلى بعرق النسا فاشتد ألمه بالحركة وشدة البرد فعالجه بعض المتطبيب ودهنه فيه بعض
السموم ثم أعقبه بالطلاء بدهن النقط فوصل السم بطنه فمات . راجع ترجمته ، بالتفصيل في ، الغزى
الكواكب ج ٣ ، ص ١٦٧ ، وما بعدها . ابن العماد الحنبلي : شذارت الذهب ج ٨ ، ص ٢٨٨ وما بعدها .
[٢] يقصد بها الاستانبولى .

سليمان الشهير بابن كمال باشا مفتى الديار الرومية فى التفسير والحديث والفقه والاصول والكلام وصار ملازماً منه ، وقرا عليه جملة من رسايه وتعاليقه وحواشيه على الكشاف وعلى تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى وشرحه على الهداية وكتابه المسمى الاصلاح والايضاح فى الفقه وتجويد التجريد فى أصول الدين وشرح المفتاح وغير ذلك من الشروح والحواشى ، وانتفع به ولازمه ملازمة تامة ، وأخذ أيضاً عن المولى باشا جلبى الكاتى أحد فضلاء الديار الرومية فى فنون متعددة من العلوم ، وأخذ أيضاً عن المولى حسام الدين القسطنونى مفتى طرابزون فى علوم شتى من المعانى والبيان [١٢٠] والبديع والمنطق والحساب وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى عبدالرازق ابن أخى حجبى جلبى أحد فضلاء الدولة العثمانية فى الميقات والهيئة ، والجبر والمقابلة ، والعرض والقوافى ، وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى عبداللطيف القسطنونى أحد فضلاء الديار الرومية قرا عليه دورسا فى الفقه والعربية والصرف والمنطق والأصول ، ولازمه كثيراً وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن المولى عبيد الله بن يعقوب الفنارى قاضى حلب فى ذلك حتى مهر من النظم والنثر ، وأخذ أيضاً عن المولى علا الدين الجمالى البكرى مفتى الديار الرومية ، وقرا عليه كتابه "مختارات المسائل" فى الفقه وأخذ عنه متن الكنز بتمامه وشيا من الهداية وشروحها ، وانتفع به فى معرفة الفقه فروعاً ووقرا أيضاً عن المولى قطب الدين المزريقونى أحد فضلاء الديار الرومية فى الفقه والحديث والتفسير ، والاصول والكلام ، وقرا عليه تعاليقه على شرح الوقاية لصدر الشريعة ، وعلى شرح المفتاح للسيد غير ذلك وأخذ عن المولى محمد الشهير بافلاطون زاده البرسونى فى الانساب والشعر والمصطلحات ، وغير ذلك ، أخذ أيضاً [١٢١] عن المولى محمد شاه بن الحاج حسن عين فضلاء الديار الرومية فى الفقه والحديث والتفسير والعربية ، وقرا عليه شرحه فى المختصر القدورى فى الفقه وشرح ثلاثيات البخارى فى الحديث وامتته الذى الفه فى الفقه وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد العجمى الواعظ فى التصوف ومجالسه فى الوعظ والتذكير ، وقرا عليه جملة من مؤلفاته تعاليق ورسائله ، وغير ذلك ، ودرس بمدراس متعددة منها مدرسة السلطان أورخان بمدينة ازنيق ، ثم بمدرسة السليمية بأدرنة ومدرسة أبى أيوب الأنصارى ، ثم بمدرسة

الخاصكية ، والده السلطان سليمان بمغنسيا ، ثم بمدرسة مصطفى باشا بمدينة كيبوره ، ثم بمدرسة منلا خسرو وبروسه ، ثم باحدى المدارس الثمان ، ثم بالسلطانية ، ثم بايا صوفيه ، ثم انتقل منها إلى قضا مصر المحمية . ورد الخبر بولايته عليها مستهل شهر رجب سنة أربع سبعين ، وتسعمائة (١) عوضا عن قاضى القضاة محمد شاه الآتى ترجمته فى محلها من هذا الكتاب الجليل الخطاب فحصل منه لرعايا مصر اللطف والاحسان ، والجود والامتنان ووصفه بعض المؤرخين بقوله ، " فلم نجد منه لاحد أذية بل حصل منه [١٢٢] تلتف بالرعية ورجوا ان يطيب فى زمنه مورد الاسلام والسلم ، لأنه من أهل العلم والحلم " .

ونحن معه فى اثناء الأمر ، لكن بالجملة ليس بينه وبين شاه نسبة بوجه لأن ذاك فى الخسران ، النار والجمر ، ورجوا ان اقام بين اظهرنا ان لا يتغير عن تلك الحال ، فقد شاع فى المثل السانران مصر تفسد صلح بلا محالة ، وكان أصعب ما فى هذا القاضى اخراج الوظائف بحكم الشعور ، انتهى ، بلفظه وكان لصاحب الترجمة الباع الطول الزايد فى العلوم المنثورة (٢) . فمن تلك ماشهد فيه صاحبنا ولد العمة الشيخ ابو العز القرافى ، وسمعتة أيضا من الشيخ المعمر أبى الفتح

[١] كانت ولايته من مستهل رجب ٩٧٤هـ : ٥ صفر ٩٧٥هـ / وتاريخ العزل من الروضة ص ١٦٩ ، هذا فى الوقت الذى يوجد فيه خلاف حول تاريخ التولية فيذكر أبى السرور بـ مستهل رمضان ٩٧٤هـ / ١٢ مارس ١٠٦٧م . ويذكر الغزى الولاية بـ ذى القعدة ٩٧٤هـ .

[٢] مما يحكى الغزى فى ترجمته أنه كان له افتتان بالشعر والمطارحات مع الادباء والعلماء ويذكر فى ذلك أنه صاريته وبين " والده " والد الغزى " مفاوضه فى أبى حيان وتلميذه السمين أيهما أمثل ، فمال الشيخ إلى أبى حيان فقال : إن كلامه احسن واجود ومال القاضى إلى ضد ذلك ثم كتب بعد ذلك رقعة إلى الشيخ يتلطف فيها ، وذكر فيها ترجمته من كلام شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الكامنة ، وفيها قوله : إنه ناقش اباحيات فى إعرابه مناقشات غالبا جيد وصدر " القاضى " قعته بقوله .

ياسيد قدوره فى العلم مشتهر	وهل رأى الناس قدراً غير مشتهرا
يفوق فضلا عم على اهل العلوم كما	يفوق بدر جميع الإ نجم الزهر
بعثت قول إمام كان منعتة	تبيان كعبه فضل رافع الحجر
فى ذكر ترجمة الشيخ السمين شهاب	الدين اوردها كالنثر فى الدور
إن شئتم فانظروا لازل حضرتكم	مؤيدا من إله الناس بالنظر

وجرت بينها المطارحات الشعرية ممايدل على علو باعه فى الشعر لمزيد من التفاصيل راجع . الغزى ، الكواكب ، ج ٣ . ص ١٦٨ .

الغمري الشافعي ورايته مثبتا بخط شيخنا حافظ العصر البدر القرافي المالكي في
حنكه من نظم صاحب الترجمة ولفظه ، ومما هو لمولانا على جلبى الحميدى الشهير
بين الأروام بقنالى زاده قاضى قسطنطينة المحمية حينئذ حال قضائه بمصر عند
قول بعض الاصحاب هو الشيخ محمد الفارضى له : "أنا خائف من آخر اليوم،
فقال القاضى أى صاحب الترجمة أنا خائف من أول اليوم وأنشد :

الخائفين من اليوم الأخير بكوا ما بكيت فراد القوم فى اللوم

[١] قد جف من بعد ما خط القضا قلم فالخوف عندى أذن من أول اليوم

ومن نظمه مما رأيته بخط شيخنا المذكور ضاعف الله له الأجور فى
جنكه ولفظه صورة قصة دفعتها مولانا علامة الزمان على جلبى الحميدى
قاضى مصر المحروسة ، فى وظيفة بوقف جوهر ، وقررنى فيها وقد كان بينى
وبينه ابحات فقال لى : خطر لى فى نفسى أن أبين لك مدرسة فوق
أثناء المجالسة بانحلال هذه الوظيفة فرفعت له فيها قصة فكتب بخطه على
القصة ارتجالاً :

"أجزنا لكم ما كان فى وقف جوهر ، لامر لكم فى قلبنا كان قد عرض فأجبتة
أى شيخنا البدر المذكور منبها على أن هذه الوظيفة لا تفوت المدرسة فبادرت
بحوالها نظما وقلت مجيبا عند توهمى أن جملها عرض المدرسة :

قبلت وقد ضمت فرص الدعا لكم ، خصوصا إذا ما الدرس به غرض فالله
يؤيده ويسعده ، ويحرسه بالملايكة ويعضده أمين .

وأنشدنى شيخنا البدر القرافي ، أسبغ الله تعالى عليه ظلاله الواقى من نظم
صاحب الترجمة أيضاً فقال :

لك الحمد يا من أكرم الإيتس بعد ما هداه إلى التقوى وعلم بالقلم
تؤلف بين الكاف والنون أمراً وتنسخ لوح الكون من ذلك الرقم^(١)
وسحب من التسليم يسكب ويلها^(٢) على مرقد فيه المروءة^(٣) والكرم
تجافى عن الأقلام طمعت بقاته وقد نسخت من دينه كتب الأمم

قلت : وقد صنع شبيخنا المذكور على هذه الأبيات رسالة في وصف القلم
وسماها الرسالة القليجية ، وأثبتها بخطة في حبكة ، وهى بديعة لا يسع هذا الكتاب
إيرادها لإطالتها .

ولصاحب الترجمة من النظم البديع ، النثر الذى مقامه رفيع ماهو مشهور بين
السادات ، والموالى والأكابر والأعلى ، وفصائله مشهورة ، وعلوم معدودة مذكورة لا
تحتاج إلى إقامة دليل ولا برهان بل يشهد بها القلب والجنان .

وأقام صاحب الترجمة فى ولايته للديار الرومية المصرية ، والتخوت اليوسفية ،
وهو ناشر لواء العدالة على رؤس الأنام ، الخاص منهم والعام ، وماشياً فيهم
بالمعروف مغدقاً عليهم من الخيرات أنواع الصنوف [١٢٤] إلى أن عزل عن
قضائها ، وهم عنه راضعون ، وله شاكرون . متأسفون على فراقه متجرعون على بعده

[١] الشعر فى هذه الأبيات من بحر الطويل .

وعروضه (أى التفعيلة الأخيرة من تعديلات الشطر الأول = مفاعيلُه) مقبوضة (أى محذوف خامسها الساكن
فتصير إلى مفاعيلُه ، والضربُ (أى التفعيلة الأخيرة من تفعيلات الشطر الثانى) مقبوضة أيضاً .
وصور هذا البحر فى الشعر العربى ، لا تكون فيه العروض إلا مقبوضة ، ولا تأتى غير ذلك إلا عند
التصريع ، والتصريع لا يكون إلا فى مطلع القصيدة أو فى مطالع الأغراض داخل القيدة الواحدة ، إلا أن
الناظم أو الشاعر هنا قد خالف ، ثم القاعدة فى البيت الثانى فأتى بالعروض مخذوفة (أى حذفت سبباً
ضعيفاً من آخر التفعيلة السابقة ، والسبب الخفيف = حركة + سكون ، فتصير مفاعيلين إلى مفاعيلين
، رغم عدم اضطراره لذلك لا يوجد تصريع فى البيت . (التصريع : هو تغير العروض عما تستحقه
إلحاقها بالضرب فى بالضرب فى الوزن والروي)

والروي : هو الحرف الذى تنبى عليه القصيدة وتنسب إليه فيقال : سينيّه ، واليد ، رائيه إلخ .

[٢] الويل : المطر الشديد ، الضخم القطر (المعجم الوسيط ص ١٠٥٠ وبل) .

[٣] المروءة : آداب نفوسانية تحلى بها إلتسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق ، وجميل العادات ، ، أو
هى كمال الرجولية .

من الشراب مر مذاقه . وسافر إلى الديار الرومية ، مقر تخت السلطة العلية ،
فحصل له من السلطان الحظ الزائد ، والاقبال المتزايد . ففي برهه بسيره ومدة
قصيرة أنعم عليه بقضاء القسطنطينية وتلك الأماكن [الجلية] ، فمكث فيه مدة ،
وهو سالك طريقة النزاهة والعفاف ، والعدو الإنصاف ، ملاحظ لرعاياها بعين
الرعاية . والصون والحماية ، إلى «أن حصلت عاطفة من العواطف السلطانية
ولحظة من الحظات الخنكارية فأنعم عليه بقضاء العساكر المنصورة بولاية
أناتولى المعمورة ، فتفقد معارفه وأصحابه في سائر الممالك والأمصار من
الشرق والغرب وغالب الأقطار ، بالمدارس السنية والمناصب العالية الزكية ، ولم
يختص بإحسانه الروم دون العرب ، مبلغا لكل من الطرفين غاية المرام والأرب
واستمر على يزيد جلالته وعظيم قدره ومهابته ، نافذ الأوامر والحكام مبلغا من
دنياه ، غاية المرام إلى أن أدركه الحمام ^(١) وتقضت ليلاه والأيام وانتقل إلى
دارالسلام [١٢٥] [بسلام ، تغمده الله تعالى برحمته، ورضوانه ، وأسمنه أعلى
فراديس جنانه آمين] ^(٢) ، وانشدني شيخنا البدر المذكور أسكنه الله تعالى في الجنات
أعالي القصور من نظم صاحب الترجمة أيضا فقال :

انْفَقُ فَإِنَّ اللَّهَ كَاحِلُ عَبْدِهِ فَالْزُقْ فِي الْيَوْمِ الْجَدِيدِ جَدِيدُ
الْمَالُ يَكْثُرُ كُلَّمَا أَنْفَقْتَهُ كَالْبُرِّ يُنْزَحُ مَآؤُهُ فَيَزِيدُ

[١] الحمام : بكسر الحاء : قضاء الموت وَقَدَرَهُ .
[٢] ما بين الحاصرتين ، من ص ١٢٨ من المخطوط الحقناه بـ ص ١٢٦ لأنه متصل بما قبله إذا الفقرة السابقة
التي تنتهي بها ص ١٢٥ ، وهي قوله "إلى أن أدركه الحمام حتى قوله آين من ص ١٢٨" هو الدعاء
الذي يدعو به عادة لصاحب الترجمة عند نهاية ترجمته ، وحيث أن الصفتين التاليتين تبدآن بشعر ، ولم تنم
عبارة المؤلف التي أشرنا إليها : إذن الفقرة التي تنمها وتناسبها هي التي نقلناها آنفاً من ص ١٢٨ ،
وهذا يفضي بنا إلى نتيجة أخرى وهي أن ص ١٢٦ ، ١٢٧ من حقهما أن تسبقا ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، إلا أننا
التزمنا بترقيم المخطوطة مع نقل الفقرة السابقة التي أشرنا إليها فقط ليتم سياق المؤلف حيث أن تغيير
ترتيب تلك الصفحات لن يخل بالسياق ولهذا تركناها كما هي .

وأنشدنى صاحبنا علوان جلبى التذكرجى بالديوان الحالى بمصر المحروسة من نظم
صاحب الترجمة لما أن ورد إلى مصر متولياً قضاءها وجاءها ابراً ومر على المقابر
التي جهة باب النصر (١) فأنشدنى من لفظه فقال :

كذا حالة الدنيا فهل أنت صابرٌ أمورٌ تُفاجينا وموتٌ يُكابرُ
كفى حُزناً أن كل ما جئت بلدةً تلقَّتك من قبل القصور المقابرُ (٢)

ومن نظم صاحب الترجمة ملفزاً فى لفظ (بيداء) وراسل به العلامة سرى
الدين أحمد بن الصايغ الحنفى رئيس الأطباء بالديار المصرية وصورة اللفز
المذكور هو قوله :

وما اسمُ فى مُسمَّاه "دياب" وفيه مُصحفاً مقلوبٌ ديب
به قلب الأديب يحارُ لكن تراه بُعَيْنِه "قلب الأديب" (٣)

فأجاب السرى الصايغ المذكور بمانصه :

تَبَدَا لِي مِنْ "الْبَيْدَا" غَزَالُ بِمَيْس (٤) كَفُصْنُ بَانَ أَوْ قُضِيبُ [١٢٦]
يَصِيدُ بِلَحْظَةِ الْأَسَادِ فَأَعْجَبُ أَدِيبُ قَلْبُهُ عِنْدَ الْأَرِيبِ
تَبَدَّلَهُ أَبُوحَسَنٍ عَلَى فَتَرَشَّفُ ثَغْرَهُ الْأَلْمَى (٥) الشَّنِيبُ (٦)

**كما نظم صاحب الترجمة ملفزاً فى "نحل" (٧) راسل به السرى
الصايغ المذكور أيضاً ونص اللفز هو قوله :**

[١] باب النصر : بناه جوهر الصقلى وكان يقع على بعد عشرين متراً إلى شمال جامع الشهراء المعروف أيضاً
باسم وكالة فوصوت بشارع باب النصر تجاه زاوية القاصدين مدخل حاره العطوف وجامع الشهداء ، فلما
جدد بدر الجمالى سور القاهرة ١٠٨٧م نقل بتاب النصر والفتوح من مكانهما الاصلى إلى مكانها الحال
راجع فؤاد خرج - القاهرة - دار المعارف ، ١٩٤٦ ، ج ٣ ، ص ٤١٧ .

[٢] هذه الابيات من بحر الطويل والبيتان اللذان قبلهما من بحر الكامل .

[٣] هذه الابيات من بحر الوافر .

[٤] يميس : أى بتبختر واختيال .

[٥] اللمى : سهرة فى الشقة تتحسن .

[٦] الشنوب : جمال الثغر وصفاء الاسنان .

[٧] أى إذا نطقوا كلمة (نحل) مقلوبه فتصير "لحن" واللحن هو الخطأ فى الاعراب ومخالفة وجه الصواب فى
النحو .

وَمَا مُرْسَلٌ يُوصَى إِلَيْهِ وَ(طَرْدُهُ) يَجُوزُ فِي الْوَصَى الَّذِي جَاءَ لِلرُّسُلِ
شُجَاعٌ وَلَكِنْ يَدُبُّ الْقَرْنَ فِي الْوَعَى جَوَادٌ يَرَاهُ النَّاسُ فِي صُورَةِ الْبُخْلِ
إِذَا لَفَظُوا يَوْمًا مِنْ (الْقَلْبِ) بِاسْمِهِ صَحِيحاً غَدَاً مَا لَا يَصِيحُ مِنَ الْقَوْلِ
يَحِلُّ لَنَا تَصْحِيفُهُ مَعَ أَنَّهُ حَرَامٌ تَصَاوُفُ الْكَلَامِ لِذِي الْفَضْلِ
أَفِيضُوا بِحَلٍّ لِلْمَرَامِ فَذَلِكَ صُورَةٌ ابْتِغَايَهَا مِنْ أُولَى الْعَقْدِ وَالْحَلِّ

فأجابه لسرى الصايغ المذكور بما نصه :

لَكَ اللَّهُ كَمْ تَهْدِي بِفَضْلِكَ وَالنُّبْلِ أَخَا حَيْرَةٍ لِمَنْهَجٍ لَوَاضِحِ السُّبُلِ
أَذَقْتُ بِمَا أَلْفَزْتُ فِكْرِي حَلَاوَةً فَمَا زِلْتُ أُسْتَجْلِي سَنَاهُ اسْتَحْلِي
وَذَلِكَ شَيْءٌ كَمِ لَهُ مِنْ (خَلِيَةٍ) يَوَاصِلُهَا دُونَ امْتِنَاعٍ وَلَا فَضْلٍ
تَنْزَهُ عَنْ تَصْحِيحِهِ طَبْعُهُ الَّذِي تَنْزَهُ فِي آلَاءِهِ كُلِّ ذِي عَقْلِ
وَإِنِّي لِأَرْجُو الْعَفْوِ يَا ذَا الْكَمَالِ عَنْ فَهَامَةِ قَوْلِي عِنْدَ مَنْظُومِكَ الْجَزْلِ [١٢٧]

قاضي عسكر مصر

على بن يوسف الشهير بين السادة (١)

الأروام بسنان جلبى زاده الرومى الحنفى

أَخَذَ عَنِ الْمَوْلَى سَيِّدِي أَحْمَدَ حَمْزَةَ الشَّهِيرِ بَلَيْسِي (٢) جَلْبِي قَاضِي مِصْرَ
وَصَارَ مَلَاذِمًا مِنْهُ وَتَعَاطَى عَنْهُ النِّيَابَةُ فِي مَنَاصِبِهِ جُلَّهَا وَأَخَذَا أَيْضًا عَنِ الْمَوْلَى
شَمْسِ الدِّينِ الْأَصْفَرِ إِحْدَ فُضَلَاءِ الدِّيَارِ الرُّومِيَّةِ فِي الْفَقْهِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ

[١] على بن يوسف : كانت ولايته من ١٩ جمادى الآخر ١٩٨٩ : ١٦ جمادى الأولى ١٩٩١ هـ / ٢٥ رجب ٩٨٩ هـ :
غرة جمادى الأولى ٩٩١ هـ / ٢٦ أغسطس ١٥٨١ : ٢٣ مايو ١٥٨٣ ، الروضة ص ١٧٤ .

[٢] على بن حمزة : "المولى الفاضل بين أحمد بن المولى نور الدين الشهير بابن بليس جلبى ، اشتغل فى العلم
وحصل ، ودرس ببعض المدارس ، ثم بمدرسة اسكوب ، ثم بمدرسة مصطفى باشا بالقسطنطينية ، ثم
صار قاضياً بأسكوب ثم (قبرس) ، ثم بأدرنة ثم بدار الحديث بالمدينة المنورة ، ثم بإحدى الثمانى ، ثم
صار قاضياً بمصر ، ثم عزل عنها ، وأعطى تقاعداً بتسعين عثمانياً ذلك ، وكان ذا ثروة عظيمة ، وجمع
كتباً كثيرة ، ولم يصنف شيئاً توفي فى سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة (٩٥٢ هـ) رحمه الله تعالى . (الكواكب
السائرة ج ١٠٧ / ٢) .

والعربية والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبديع ، وغير لون وأخذ أيضاً عن المولى حسن القرمانى البكهشبرى فى التفسير والحديث والفقه والعربية ، والأصلين ، وغير ذلك . وأخذ أيضاً عن المولى حسام الدين القرصواى^(١) ، قرأ عليه دورساً فى الفقه ودورساً فى التفسير ، والكافية^(٢) فى علم العربية ، وشرحها لملا جامى^(٣) ، وأخذ أيضاً عن المولى خضر الملقب خير الدين الزيتونى^(٤) معلم السلطان مصطفى أبو السلطان سليمان فى حواشيه على قسم التصديقات من شرح الشمسية ، وقرأ عليه دورساً فى المطول وفى عقائد النسفى ، وحواشى التفتازانى ، وغير ذلك وأخذ أيضاً عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى الامشهرى فى التفسير والحديث والتصوف وغير ذلك ولازمه ملازمة تامة وانتفع [١٢٨] به وأخذ أيضاً عن المولى الصالح عبد الله بن الشيخ كمال الدين المشهور بابن الشيخ فى العلوم العقلية والنقلية ، وحضره فى التفسير كثيراً ، ومهر فيه ، وأخذ أيضاً عن المولى عبدالرحمن الشريف الحسينى أحد علماء الدولة العثمانية فى الوعظ والتذكير والتصوف وعلم

[١] حسام الدين القرصوى : هو جلبى القرصوى أحمد موالى إلى الروم . قرأ على العلماء ، ثم خدم المولى عبدالكريم بن المولى علاء الدين المغربى ، ثم درس بإحدى المدارس ، ثم بمدرسة أسكوب ثم بمدرسة بايزيد خان بطرابزون ثم بإحدى المدارس الثمانى ثم صار قاضياً بأدرنه ، ثم بالقسطنطينية ثم أعطى إحدى الثمانى أيضاً ، وعين له كل يوم مائة عثمانى إلى أن كوفى ، وكان سخي النفس ، حليماً ، صبوراً على الشدائد ، طارحاً للتكلف ، منصفاً من نفسه ، وكانت وفاته فى سنة سبع وخمسين وتسعمائة (٩٥٧هـ) . (الكواكب ج ٢ / ١٣٩) .

[٢] الكافية المقصودة هنا هى الكافية فى النحو للشيخ جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المالكى النحوى المتوفى ٦٤٦ هـ ، وله عليها شرح ، ونظمها فى أرجوزة ، وسماها : الوافية ، وشرحها . والكافية لها شروح كثيرة جداً ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون فانظرها إن (كشف الظنون ج ٢ / ٣٢٦ : ٣٣١) .

[٣] ملا جامى : هو المولى نور الدين عبد الرحمن بن أحمد نور الدين الجامى (ولد سنة ٨١٧ هـ وكوفى سنة ٨٩٨ هـ) . وشرحه المذكور هو المسمى : " الفوائد الضيائية فى شرحه الكافية) . وله مصنفات كثيرة فانظرها فى ترجمته (الكشف ج ٥ / ٤٣٣) . وانظر أيضاً ج ٢ / ٣٢٢ .

[٤] هو خير الدين خضر بن محمود عمر المرزىقونى الرومى الحنفى المعروف بالعطوفى ، المعلم الواعظ بالقسطنطينية توفى سنة ٩٨٤ هـ من مؤلفاته وتصانيفه : الأنظار فى شرح بعض الأحاديث والآثار ، حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوى حاشية على الكشاف الخ (كشف الظنون ج ٥ / ٢٨٤) .

التوحيد ، وغير ذلك وانتفع به ، وحصل له منه بخط ، وأخذ أيضاً عن المولى عبد الرحمن بن يونس أحد فضلاء الديار الرومية فى علم الكلام والمنطق والحقيقة ، وفنون متعددة ، وأخذ أيضاً عن قادى أفندى مفتى الديار الرومية فى فنون من العلوم المنطوق بها والمفهوم وترقى إلى المدارس العظيمة والمناصب المكرمة ، وأخذ أيضاً عن المولى عبد القادر الشهير بمنا وعبدى (١) قاضى مصر سابقاً ، وقرأ عليه دورسا فى صدر الشريعة وفى شرح الهداية (٢) لقاضى زاده ، وأكثر الأخذ عنه خصوصاً فى الفقه والتفسير ، وأخذ أيضاً عن كمال جلبى قاضى بغداد فى علوم متعددة منها الجبر والمقابلة ، وغير ذلك ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن عادل باشا المشهور بالمولى الحافظ البردعى (٣) ، فى حواشيه ، وتصانيف ؛ منها رسالته المسماه بالهيولى ، وشرحه على التجريد المسمى بالمحاكمات التجريدية (٤) وتأليفه المسمى بمدينة العلم وغير [١٢٩] ذلك من مؤلفاته ورسائله ، وتعاليقه ولازمه وانتفع

[١] عبد القادر مناو عبدى : سبقت الترجمة له فى هذا الكتاب وقد ولى قضاء محمد من ١٥ ديسمبر ١٥٤٦ حتى ٧ ديسمبر ١٥٤٨م وتوفى ودفن بمصر بالقرافة الصغرى داخل مقام عمر الفارض .

[٢] إما أن يكون المقصود كتاب "هداية الحكمة" للشيخ أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري المتوفى فى حدود سنه ٦٦٠ هـ ، وهى متن مرتب على ثلاثة أقسام وبالأول فى المنطق ، والثانى فى الطبيعى ، والثالث فى الإلهى وقد شرحه المولى موسى بن محمود المعروف بقاضى زاده كما ذكر حاجى خليفه (الكشف ج ٢ / ٨١٤) . أو يكون المقصود كتاب : الهداية فى الفروع (مذهب حنفى) لبرهان الدين على بن أبى بكر المرغيناتى فى الحنفى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ . وقد شرحه المولى شمس الدين أحمد بن قورد المعروف بقاضى زاده المفتى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ . (الكشف ج ٢/٨ / ٢) وانظر (الكواكب ٣ / ٩٩) .

[٣] محمد بن عادل باشا المشهور بالمولى الحافظ البردعى : أخذ المولى الرومية اصله من ولاية بردعة فى حدود العجم ، قرأ فى صباه على مولانا يزيد بتبريز ، ثم ارتحل لما وقعت فتنه اسماعيل بن ارويل ، وخدم المولى عبد الرحمن بن المؤيد وزكاه عند السلطان بايزيد خان فأعطاه تدريساً بأنقره فأكب هناك على الاشتغال بالعلم وله مصنفات متعددة منها ما ذكره المؤلف أنفاً (ترجمته يتفصيل فى الكواكب السائرة ج ٢ / ٢٦) الكشف (٦ / ١٩٢ - ١٩٣) .

[٤] ذكره فى كشف الظنون باسم : محاكمات الفريد فى حاشية التجريد (٦ / ج ١٩٣) .

بالقراءة عليه ، وأخذ أيضاً عن المولى الشيخ محمد بن إلياس الشهير بجوى زاده (١) مفتى الديار الرومية ، وعالمها فى فنون متعددة فى العلوم ؛ كالتفسير والفقه والأصول والحديث وقرأ عليه جملة من تعاليقه وحواشيه ورسائله ومؤلفاته وصار معيداً له وأخذ أيضاً عن المولى الزاهد محمد محى الدين بن بهاء الدين (٢) فى التفسير ، والاصوال والكلام والتصوف ولازمه فى التصوف حتى انتفع به فيه وأخذ أيضاً عن المولى محمد الفنارى (٣) ، مفتى الديار الرومية ، وقرأ عليه حواشيه على شرح المفتاح للسيد ، ورسائله المتعلقة بشرح الوقاية وبعض كلمات الهداية وتردد عليه كثيراً وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن علاء الدين الجمالى الشهير بمولى جلبى (٤) قاضى أدرنة فى العلوم العربية والصرف والمنطق وبرع عليه فيها حتى قدمه على سائر تلامذته ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن عمر بن أمر الله (٥) معلم السلطان سليم بن سليمان فى العلوم العقلية والنقلية ودأب وحصل ، وكان له ميل

[١] شيخ محمد بن إلياس : هو محمد بن إلياس المعروف بجوى زاده أحد الموالى الرومية ، قرأ على علماء عصره ، وترقى بالمدارس المختلفة ، وتولى القضاء بمصر (وسيترجم له المؤلف تفصيلاً فيما يأتى حد) ثم عاد من مصر واغسطس قضاء العساكر الأناطولية ، ثم صار مفتياً بالقسطنطينية ثم عزل عنها بسبب إنكاره على الشيخ محى الدين بن عربى . فر سنة ٩٥٤ هـ .

[٢] محمد محى الدين بن بهاء الدين : هو محمد بن بهاء الدين بن لطف الله ، الحنفى الصوفى محى الدين أحد الموالى الرومية الشهير ببهاء الدين زاده ، مال إلى التصوف ، جلس مدة فى وطنه بالى كسرى ثم رحل إلى القسطنطينية وكان عالماً فاضلاً فى العلوم الشرعية والفرعية ماهراً فى العلوم العقلية ، عارفاً بالتفسير والحديث والعربية ولما مرض مفتى التخت العثمانى العثمانى علاء الدين الجمالى عجز عن الكتابة اختار صاحبنا ليخلفه فى متامة لوثوقة به وبقحة وعمله ، وله تصانيف عدة منها : شرح أسماء الله الحسنى ، وتفسير القرآن ، وله رسائل متعددة فى التصوف ... توفى سنة ٩٥٢ هـ . (ترجمته بتفصيل أكثر فى الكواكب السائرة ٢ / ٢٨ - ٢٩)

[٣] محمد الفنارى : هو " محى الدين محمد شاه بن على بن يوسف بن بالى بن محمد بن حمزة الفناوى الرومى المفتى الحنفى ، له تفسير القرآن ، حاشية على شرح المفتاح للسيد ، ديوان شعر تركى (انظر كشف الظنون ج ٦ / ١٩١) .

[٤] محمد بن علاء الدين الجمالى : هو محمد بن علاء الدين على بن محمد الرومى الحنفى القاضى المعروف بجمالى المتوفى سنة هـ (كشف ٦ / ١٩٣) .

[٥] محمد بن عمر بن أمر الله : محمد بن عمر بن أمر الله بن أمه شمس الدين الرومى الشهير بخفير أمه شمس الدين ، له طبقات الحنفية توفى ٩٥٩ هـ . (كشف ٦ / ١٩٣)

زائد إلى العلم ، ومحبة في العلماء ما سمع بمولى من الموالى له شهادة في علم من العلوم إلا هرع إليه وقرأ عليه قواعد في العلوم ، إلى أن برع في المنطوق والمفهوم وتقرر في المدارس العديدة [١٣٠] منها مدرسة السلطان بايزيد خان بمدينة أماسية ، وأحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنة ، ومرداية بروسية ، ومدرسة الخاصكية والدة السلطان سليمان بمدينة مغنسيا ثم ترقى إلى سليمانى اصطنبول ، ثم مدرسة أبى أيوب الأنصارى ثم صار مدرساً بإحدى المدارس الثمان ، ثم بالسليمانية ، ثم بأياصوفيه ، ثم ترقى إلى قضاء مصر المحمية ، فورد الخبر إليها بولايته عليها ، فى يوم الجمعة وقت العصر تاسع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وتسعمائة عوضاً عن حسين أفندى قرا جلبى زاده (١) بحكم عزله وأرخ ولايته مؤرخ العصر

شهاب الدين أحمد بن جلبى الحنفى فى بيتين وضبطه بحساب الجمل (٢) فقال :

أَهْلَ مِصْرٍ أَبَشِّرُوا قَدْ وَلَّى قَاضِي وَلِيٍّ
فَدُ اتَّى تَارِيخُهُ خَيْرٌ حَاكِمٍ عِلِيٍّ

ومدحه شاعر عصره البرهان بن المبلط الشافعى بقصيدة طنانة سارت بها

الركبان وتناقلتها الرواة إلى سائر البلدان ، وهى :

[١] قره جلبى زاده : هو حسين بن محمد الكوتاهى الرومى الحنفى حسام الدين المعروف بقرا جلبى زاده

المتوفى ببروسه سنة ١٠٠٧ هـ (الكشف ٥ / ٢٩٥) ، وانظر بمزيد من التفضيل (الكواكب السائرة ٣ / ١٢٩) .

[٢] حساب الجمل : هو حساب الأحرف الهجائية المجموعة بترتيب (أبجد هوز) ... الخ ، ويقال له أيضاً حساب

الأبجدية ، وعليه تُبنى التواريخ الشعرية ، وكل حرف فيها يقابله رقم هكذا .

أ = ١ ، ب = ٢ ، ج = ٣ ، د = ٤ ، هـ = ٥ ، و = ٦ ، ز = ٧ ، ح = ٨ ، ط = ٩ ،

ي = ١٠ ، ك = ٢٠ ، ل = ٣٠ ، م = ٤٠ ، ن = ٥٠ ، س = ٦٠ ، ع = ٧٠ ، ف = ٨٠ ،

ص = ٩٠ ، ق = ١٠٠ ، ر = ٢٠٠ ، ش = ٣٠٠ ، ت = ٤٠٠ ، ث = ٥٠٠ ، خ = ٦٠٠ ، ذ = ٧٠٠ ، ض = ٨٠٠ ،

ظ = ٩٠٠ ، غ = ١٠٠٠ .

وتجمع الأرقام التى تقابل حروف الجملة التى يؤرخ بها الناظم متعطينا التاريخ الذى يعينه ويريده ،

وبالتطبيق على التى أرخ بها الشاعر أنفأ وهى : خير حاكم على نجد حروفها على التوالى تساوى = ٦٠٠

+ ١٠ + ٢٠٠ + ٨ + ١ + ٢٠ + ٤٠ + ٧٠ + ٣٠ + ١٠ = ٩٨٩ وهو التاريخ الذى تولى فيه صاحب الترجمة

قضاء مصر .

أَرَى كُلَّ تَغْرِ ضاحكا مَبْتُسِّمًا
وَأَنْظُرُ سَعْدًا طَالِعًا كُلَّمَا بَدَأَ
وَقَادِمٌ خَيْرٌ بِالْبِشَائِرِ قَى أَتَى
وَمَا هُوَ فِيمَا صَحَّ إِلَّا مَبْشَرٌ
هُوَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى عَلَى بْنِ يَوْسُفَ
وَعَلَامَةُ الدُّنْيَا وَعَمَاجِهَا الَّذِي
تَرَى الْعَدْلَ فِي أَيَّامِهِ الْغُرُظَاهِرَا
وَلَمْ يَعْدُ عَنْ حُكْمِي كِتَابِ وَسْنَةِ
إِذَا مَا قَضَاءُ النَّاسِ أَضْحَى مُعَلَّقَا
بِقَاضِي قُضَاةِ الْعَصْرِ مَصْرُ تَشْرِفَتْ
جَزَى اللَّهُ مَلَكَ الْعَصْرِ خَيْرَ جَزَائِهِ
لَهُ اللَّهُ مِنْ حَبْرِ هِمَامٍ مُحَقَّقٍ
يَصِيرُ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ تَيَقُّنَا
نَزِيهٍ طَرِيقُ الْخَيْرِ مَرَاهُ فِكْرِهِ
وَلَيْسَ يُبَالِي بِأَمْرِي غَيْرُهُ إِذَا
إِلَى سُدَّةِ الْجِدَارِ تَقَى صَاعِدَا لَهَا
وَرَبَّ حَسُودِرَامٍ يَرْقَى كَمَا رَقَى
وَمَا عَزَّهُ مِنْ جَهْلِهِ غَيْرَ أَنَّهُ
لَهُ سَلَّمَ النَّاسُ الْكَمَالَاتِ كُلَّهَا
وَيَكْفِيهِ إِطْرَاقُ الْأَنَامِ جَمِيعِهِمْ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجَمَّلًا
فَسَلَّمَ لَهُ أَمْرًا وَسَلَّمَ لَهُ يَدَا
جَوَادٍ بِمَا تَحْوِي يَدَاهُ لِأَنَّهُ
فَأَخْطَأَ مَنْ بِالْبَحْرِ شَبَّهَ جُودَهُ
وَضَلَّ الَّذِي بِالْغَيْثِ قَارَنَهُ نَدَى

وَكُلَّ نَهَارٍ جَاءَ عِيدًا وَمَوْسِمًا
بَطْلَعَتِهِ أَخْفَى بُدُورًا وَأَنْجُمًا [١٣١]
يُحَقِّقُ آمَالَ أَمْرِي قَرَّلَوْ سَمَا
بِإِبْقَاءِ قَاضِي مَصْرٍ عَزَّ وَعُظُمَا
مُبِينٌ مَأْمَنُ شَرْعٍ أَحْمَدُ أَبْهَمَا
يَفُوقُ الْأَنَامَ الْكُلَّ فَرْدًا وَتَوَامَا
وَلَمْ تَرَ مَظْلُومًا وَلَا مُتَظَلِّمًا
فَغَالِبٌ مَا يَقْضِيهِ بِالنَّصْرِ مِنْهُمَا
رَأَيْتَ الَّذِي يَقْضِي بِهِ هُوَ مُبْرَمًا
وَقَدْ لَبَسَتْ طَرْزًا مِنَ الْعَدْلِ مُعْلَمَا
بِتَنْصِيْبِهِ هَذَا الْوَلِيَّ الْمُحْكَمَا
جَيْبُ سُؤَالٍ لِلْأَفَاضِلِ أَفْحَمَا
خِلَافًا لِقَوْمٍ أَبْصَرُوها تَوْهَمَا
فَتَلَقَّاهُ فِيهَا مُكْرَمًا وَمُكْرَمَا
تَقَاعَسَ عَنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ وَأَحْجَمَا
وَمَدَّبَهَا أَطْنَابُهُ ثُمَّ خِيَمَا
بِجَهْلِ تَبَيَّنَ الْأَرْضِ عُلُقَ وَالسَّمَاءِ [١٣٢]
تَوْهَمَ مَرْقَاهُ الْفَضَائِلِ سَلَمَا
وَكَانَ بِهَا أَوْلَادُهُمْ مُتَسَلِّمًا
لَدَيْهِ سَكُوتًا كُلَّمَا قَدَّ تَكَلَّمَا
عَزِيزًا عَظِيمًا فِي الْأَنَامِ مُكْرَمًا
فَأَنَّى أَرَى التَّسْلِيمَ لِلْمَرْءِ أَسْلَمَا
يَرَى مَغْنَمًا قَدِيرًا لِمَرْءٍ مَغْرَمَا
فَمَا الْبَحْرُ تَحْكِيهِ إِذَا هُوَ قَدْ طَمَا
فَمَا الْغَيْثُ مَقْرُونًا بِهِ إِنْ تَكْرَمَا

وَمَوَاهِبُهُ لَمْ تُخْطِ يَوْمًا مَحَلَّهَا
 وَتَصْرِيفُهُ فِي مَالِهِ بِهَبَاتِهِ
 وَقَدْنَا لَنِي مِنْ فَضْلِهِ جَبْرُ خَاطِرٍ
 وَكَانَ جَزَاءُ الْفَضْلِ إِهْدَاءً مِدْحَةً
 تَسِيرُ مُسِيرَ الشَّمْسِ فِي أَفْقِ الْعُلَا
 وَفِي مَدْحِهِ تَنُونُ ذِكْرِي وَرَبِّمَا
 أَمْوَلَايَ بِي فَقَرُ أَضَرَّ يَحَالَتِي
 وَمَالِي فِي وَقْفٍ رَغِيفٍ مُقَرَّرٍ
 وَعِنْدِي أَوْلَادٌ صَغَارٌ ثَلَاثَةٌ
 فَأَنْتَ الَّذِي أَهْلَيْتَهُ لَشَهَادَةٍ
 وَمَا لِي ظَهْرٌ غَيْرُ صَهْرٍ بِفَضْلِهِ
 هُوَ ابْنُ أَمِينِ الدِّينِ خَادِمِ بَابِكُمْ
 أَعْلَلُ نَفْسِي بِالْأَمَانِي تَسْلِيًا
 وَأَلْزَمُ بَيْتِي مُدَّةً مُسْتَطِيلَةً
 وَلَوْلَا اقْتِضَاءُ الْحَالِ شَرَحُ قَضِيَّتِي
 وَلَمْ أَشْكُ حَالِي يَعْلَمُ اللَّهُ لِمَرِيٍّ
 مَعْطُفًا عَلَى هَذَا الْفَقِيرِ وَرِقَّةً
 عَسَى جَهَةً مَمْلُوءَةً مِنْ وَظَائِفٍ
 تُقَرَّرُ فِيهَا وَتُرَبِّحُ أَجْرَهُ
 فَمَا أَجْرُهَا عِنْدَ الْمَهِيْمِينَ ضَائِعٌ
 لَقِيتَ لَنَا عَوْنًا وَصِرْتَ لَنَا غِنًى
 وَدُمْتَ قَرِيرَ الْعَيْنِ بِالنَّجْلِ يَوْسُفَ
 بِجَاهِ رَسُولِ اللَّهِ أَكْرَمَ شَافِعٍ
 مُحَمَّدَ الْمَبْعُوثِ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
 وَآلَ رَسُولِ اللَّهِ وَالصَّحْبَ مَا شَدَا

وَلَمْ تَتَجَاوَزْ مُسْتَحَقًّا وَمُبَرَّماً
 عَلَى مَالِهِ الْمَوْلَى مِنَ الْخَيْرِ أَطْعَمَا
 لَنَجَلِي لِمَا أَنْ سَأَلْتُ فَأَنْعَمَا
 مُضْمَنَةً دُرّاً نَفِيساً مُنْظَمًا
 فَمَنْ مُنْجِدٌ سَيْرًا يَبْلُغُ مِنْهُمَا
 تَنْبَهُ حَظِّي مِنْ خُمُولٍ تَحَكُّمَا
 وَأَدْهَى قَوِي مَنِي وَأَوْهَنَ أَعْظَمُ [١٣٣]
 وَلَا دِرْهَمٌ يَرْوِي الصَّدَى مِنَ الظُّلَمَا
 وَرَابِعُهُمْ عَبْدٌ لَخِدْمَتِكَ أَنْتَمِي
 بِهَا صَارَ عَدْلًا فِي الشُّهُودِ مُقَدِّمًا
 تَكْفِيلَ بِي تَكْفِيلَ طِفْلٍ يَتِيمًا
 وَمَا خَدَمَ الْأَبْوَابَ إِلَّا لِيَخْدُمَا
 وَأَفْنِي زَمَانِي فِي عَسَى وَلَعَلَّ مَا
 عَلَى ضَيْقٍ عَيْشٍ صَابِرًا مُتَأَلِّمًا
 لَأَمْسَكْتُ عَنْ ذِكْرِي لَهَا مُتَكَتِّمًا
 سَوَاكَ وَحَاشَا أَنْ أُرَدَّوَا حُرْمَا
 عَلَيْهِ، وَإِشْفَاقًا لَهُ وَتَرْحُمَا
 تُقِيمُ بِهَا بُنْيَانَهُ الْمُتَهَدِّمَا
 وَلَا تَكُ فِي تَقْرِيرِهِ مُتَقَدِّمًا
 فَتَجْزِي بِهَا خَيْرًا وَتَكْسِبُ مَغْنَمًا
 وَكَثْرًا لَدَى الْإِعْدَامِ لَيْسَ مَطْلُسَمَا
 إِلَى أَنْ تَرَى أَبْنَاءَهُ مَلَأَ وَالْحَمَى [١٣٤]
 وَأَكْرَمَ مَسْئُولٍ لَهُ اللَّهُ أَكْرَمًا
 عَلَيْهِ [إِلَهُ] الْعَرْشِ صَلَّى وَسَلَّمَا
 حَمَامٌ بِأَعْلَى أَيْكِهِ مُتَرَنَّمَا

قلت : وصار صاحب الترجمة فى الناس سيرة حسنة ، بأخلاق محبوبة مستحسنه وانتسح الود بينه وبين أهاليها أعاليها وأدانيها ، لحسن أخلاق وطباعة وتؤدته وانطباعه ، وكان إذ ذاك فى الناس بقية صالحة ، وعصابة ناجحة ، يشار إليهم بالبنان ، ويقصدون بالجنان ، والأركان ، نهابهم الحكام والموالى ، ويقفون عند أمرهم العالى ، فصار فيهم كأنه واحداً منهم لا يبرم أمراً دونهم ، ولا يخفيه عنهم ، فرحاً بولايته عليهم ، مرحاً بالنظر فيما لديهم إلى أن فاجأه العزل بالشيخ المولى محمد بن مصطفى الشهير ببستان زاده الآتى ذكره من هذا التحبير ، العديم النظر ، وكان ذلك فى يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وتسعمائة فكانت ولايته على هذه الديار ، الرفيعة المنار ، سنة واحدة وأحد عشر شهراً وسبعة أيام وكثرت [١٣٥] بين صاحب الترجمة وبين شيخنا البدر القرافى - أنهلة الله تعالى من منهل احسانه الصافى - المكاتبات والمرسلات والاهداءات والمخاطبات بالانشاء البديع والتركيب الصنيع خصوصاً من صاحب الترجمة بما يشهد ببلاغته فى الصناعة الإنشائية ، والفصاحة التامة فى معرفة اللغة العربية . ولا بأس بإيراد شئ من إنشاء أته ومخاطباته ومراسلاته فى هذا المحل ، والمقام الأجل تصديقاً للمقالة ووضوحاً للحجة والدلالة .

فمن ذلك ما كتبه لشيخنا المذكور - أثابه المولى الغفور - وهو غب (١) إهداء سلام تمر به صبا القبول ، ونشر ثناء تزيح خبايا رياه نسيمات الشمال بين العقلاء الفحول ، إلى مولى ملك عنان النواضل ، فيمنع بها كل محتاج وضبط أزمة الفضائل فينشرها على كل لائذ ، أشرق فى فلك الكمال بدر كرمه ، وسام السماك الأعزل (٢) على هممه . لازال ملازماً لخلانه ، ومفضلاً لسائر إخوانه ، ما وفى بصدق الموده محب ، وألب فى ساحة عقد أواى المحبة كل كريم مدب ، المعروض شرف لا

[١] غب : بمعنى بَعُدَ

[٢] السَّمَاءُ : نجمان نيران ، أحدهما فى الشمال ، وهو الرامح ، والآخر فى الجنوب وهو السَّمَاءُ الأعزل (المعجم الوسيط ص ٤٦٧) . . هو المقصود .

يطاق ويضيق عن وصف بعضه نظام النطاق سيما عند تذكر تلك الأوقات السالفة [١٣٦] وإذ ذاك ظلال الانس وارفه نجتلى عرائس المكاملة ، وشوارد والفوائد فى غاية الانقياد والملائمة ، هذا وقد وصل المثال المشحون بفوائد اللال ، المزرى بفصاحة سحبان (١) ، والمجدد أدب أبى مام . الحق دل على أن مرسلة قد حل فى شحوب الفضل والكمال . وأن ما سواه من فحول العلماء إدخال . والحاصل أنى بأن عبارة أحصر عوارفه الزوارف وبأى لسان أصف ظل فضله الوارف ، مع أنه على احتوائه على ما وصفت هو أعظم ، واشتمالة على أكثر ما قررت فى الفضل أجسم . تضمن بشارة ، هى إرسال الأجزاء من البحر (٢) ، من سورة الفتح إلى ختام المعجزة الباقية مدى الدهر وذلك منحة لا توصف وإحسان لا يكيف حياك الله أيها الإمام المتفضل متيها لك النعم المستديمة . قد أخرجنا دوام إحسانك ، وزاد بحر جودك وامتنانك لكن "ومن شيم الكرام ذوى المعالى إذا بدأوا بأمر تتموه" بقى منه بقية أولها فى أواخر سورة البقرة عند تفسير قوله تعالى " لا يكلف الله نفساً" من قول المفسر : "لا يكلف من أفعال القلوب إلى آخر [١٣٧] السورة ، وثانيها فى سورة ال عمران عند تفسير قوله تعالى "وإذا أخذنا الله ميثاق النبين" من قول المفسر بعد سطور كثيرة إلى : أما من حيث اللفظ فإن إضافة المصدر من قوله ، ثم قال سيبويه ومثل ذلك لمن تبعك " ، وثالثها فى سورة الاعراف عند تفسير قول تعالى "يابنى آدم قر أنزلنا" من قول المفسر : "وما أضيف الى الألف واللام" إلى قوله "الشيء جملة" ورفع من السورة المذكورة . ورابعها فى سورة الفرقان عند تفسير أولها من قول المفسر بعد ورقات ثلاث : "وبل لترك اللفظ المتقدم" الى أول سورة الفتح فالمأمول من الكرم العميم ، صرف الهمة لاستكتاب البقية المذكورة ليتم التفسير الكريم ، ذلك فضل منه لا يحصى ، ومنحة عظيمة لا تستقصى وإذا عرض فى هذا الجانب خدمة

[١] سحبان : خطيب فصيح يضرب به المثل ، أعجب به معاوية (ت ٦٧٤م) (٥٥ هـ) [المنجد فى الأعلام ص ٢٩٨].
[٢] البحر : المقصود هنا تفسير أبى حيان بن يوسف الأندلسى المسمى البحر المحيط راجع كشف الظنون (ج ١ / ٢٤٤).

يعرفنا بها مولانا ، لنفوز بقضائها ، والكتب التي التمس إرسالها سيدنا في استانبول المحمية إذا ساقنا سائق التقدير إلى هناك إن شاء الله تعالى نرسلها إليكم ، وذلك غير منسى بمشيئة الله ، مولانا يوصل سلامنا إلى سائر علمائها خصوصاً الشيخ عمر دام مجده ، وفضله ، والشيخ أمين الدين ، لا برح يهطل علمه ونبله ثم إن مولانا حياه [١٣٨] الله يصرف الهمه في إرسال الأجزاء الباقية وفي الهمه العلية ما يغنى عن التأكيد :

إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مُرْسِلًا فَأَرْسِلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِ (١)

ومن إنشائه الرائق ونثره الفائق ما كتب به أيضاً إلى شيخنا البدر المذكور بؤاه الله تعالى من الجنات أعالي القصور وصورته : إن أخرى ما يصرفه نحوه أعنة الأقدام وأول مايزين به تأليف الكلام ، ثناء يزرى بالمسك عرفاً على من فاق في الآفاق علماً ولطفاً ، وسلام يستصحب أنواع لآكرام ، إلى الجهبذ العلامة عين الكرام ، يغنى به من جمع سائر الفضائل والفواضل على الإطلاق حتى ضاق في وصف محاسنه النطاق ، مالك زمام الفقه فهو مالك هذا الزمان وضابط شوارد العلوم فهو علامة هذا الأوان ، بحر مشرب عذب ، بدر نوره عم الشرق والغرب ، إن تكلم فسحبان باقل بين يديه ، وإن صمت فالعقول القدسية هيولانية في التفكير لديه . فلا برح مفهما نكت العلوم والفنون ، باقياً بقاء الدهر لتقربه العيون ، ما طلب صاحب من صديقه انجاز وعد سبق ، وما ابتغى كريم فعل [١٣٩] ما به نطق وإن سأل مولانا عن الأحوال فالحال بحمد الله تعالى حسنة والنفوس بحب سيدنا مرتنه، تحن إلى الأيام السالفة، وظلال الأنس الوافة، تتشوق إلى سماع الأخبار ، وتتشفو لما يرد عليه من المسار. وبينما هي في تلك الحال إذ ورد مكتوبكم الشريف ، المحتوى على كل معنى لطيف ، والضارب سهمه في بحور البيان المطبق، مفصل البدائع والتبيان ، متضمناً خلوص الموده مفصلاً عن ما استكن في الضمير من المحبة ، فحيا الله مرسله ، وإلى أعلى المراتب

[١] انظر هذا البيت في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج١٧ / ٣٧٧ ط دار الكتب العلمية .

أوصله مشيراً إلى العلة المستتغلة ، فسيدنا من عميم كرمه يوجه الهمة العلية فى إتمامه كذا ، وذلك ضيع لا يضيع ، وجميل يشتهر ذكره ويشيع ، وأيضاً لا يخض عن شريف علم مولانا من فحوى قول القائل :

ومن همم الكرام ذوى المعالى إذا بدأوا بأمر تميموه

ومضمون الكريم إذا وعد وفى ، فحاصله أن تتميم ما سلف ذكره ملحوظ من هممكم العلية ، أبقاكم الله تولون المنح ، ما غرد طائر وصدح ، ولا يخفى عن شريف علم مولانا أنا قد قرضنا خيام الإقامة بمحروسة دمشق موجه السير تلقاء مدينه بروسا المأنوسة ، وكان ورود [١٤٠] مثالكم المحشوب باللال ، الخالى عن الحشو الممل والإختلال ، فى أثناء مباشرتنا لدواعى السفر ، وربط الصناديق ، وقد أشار سيدنا إلى الفحص عن مختصر المدونة (١) ، فمادنا بدمشق لابد عن التفحص عنه فإن وجدناه نضعه عند أحد نعتمد عليه يرسله مع من يعتمد عليه انتهى ملخصاً .

ومن إنشائه اللطيف وتسجيه الطريف ما كتب به أيضاً إلى شيخنا البدر المذكور - صبت عليه سحاب رحمة المعلى الغفور - سائلاً منه إتمام تفسير القرآن العظيم والفرقان الحكيم لأبى حيان المسمى بالبحر ، وصورة المکتوب المسطور ، والرق المنشور هو قوله :

" بعد دعاء لا يحيط به حد ، وثناء حسن منشور أبدا لا يحصيه عد ، يهديان إلى خلّ استبد ، بمكارم الأخلاق ففاق أهل زمانه واستند ، على مستند الوفاء ، فتملك قلوب إخوانه . فاکرم به من أخ هو احنف حلم الصفع والأناة ، وأعظم به من وفى خلف . حاجباً عن عدم الوفا .

[١] المرونة : كتاب فى فروع المالكية لأبى عبدالله عبدالرحمن بن القاسم (ت ١٩١هـ) وهى من أجل الكتب فى مذهب مالك شرحها جماعة متكثرة من العلماء على مر العصور واختصرت أيضاً من قبل بعضهم منهم : تاج الدين أحمد بن محمد الاسكندراني (ت ٧١٩هـ) وعبدالوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) . (انظر الكشف ح/٢ ص ٥٣١) .

من أنه ملك أزمة البلاغة حتى أنسى سبحانه واستقى محاسن الصفات من غير أن يغيره وقت حتى كأنه مالك الزمان لازال مبدياً للفضائل ، مرجعاً للإخوان الأمثال ، مالمع برق ، وهمع ودق [١٤١] تحن إليه - أسبغ الله ظلال كرمه عليه - شوقاً لا يستطيع بيانه وهداً ثابتاً أرجأؤه وأركانها ، مقتضين نشر ما سبق بل وما انقطع من الأيادي في كل [واد] وذكر محاسن صفات هن نجوم الدراري للوراد والقصاد ، وبيننا نحن على ما وصفنا من الحالات ، إذا ورد المكتوب المشتمل على أنواع الكمالات مشيراً إلى صدق الوفاء ، وإشتداد عرى الإخاء ، فناهيك بوادر ملأ القلوب نوراً ، واكتست به الجوانح بهجة وسروراً لقد ذهب في البراعة كل مذهب ، واكتس من البلاغة بتوب مذهب ، وبلغ الله مرسله ماموله ، وأسبغ عليه ظلاً يناله به سوله ، هذا وقد ذكر سيدنا كذا ، والمأمول من مولانا إتمام الاحسان . كما بدأ به فإنه يعلم أن الكتاب بسبب ما ذكر من النقص عديم الانتفاع ، وأيضاً ما تستكره النفوس والطباع ، ومثله من إذا عهد وفي ، شنشنة^(١) معهودة فيه منه لكل من رجا ومولانا التمس في مكتوبه شرح البخاري المذكور ، إني تفحصنا عنه كمال التفحص فلم نقع على نسخة نرسلها ولكن جد قطعة من تفسيره لم نرسلها لعدم الثقة بالحامل ثم وجدنا الرأي إنه إن أرادها ورغب فيها مولانا مسنكتها هنا ونرسلها لمكتبته ، فليشير [١٤٢] مولانا بجواب لازلت ، نصوص تراكيبه دالة على أحسن الايمان ، وأكمل الأجانب^(٢) انتهى ملخصاً .

[١] الشنشنة : العادة . وفي المثل : "شنشنة أعرها من أخزم" يضرب في قرب الشبه في الخلق .

[٢] الأجانب : الجناب : الكنف والرعاية يقال : أنا في جناب فلان : كنفه ورعايته وفلان رحب الجناب ، وخصيب

الجناب : سخي (الوسيط ص ١٤٣) .

ومن إنشائه أيضاً البديع ونثره ذو المقام الرفيع ، ما خاطب به شيخنا المذكور، أثابه الله تعالى جزيل الأجور ، فى شأن تكمله كتاب فى التفسير المسمى بالبحر الشهير ولفظه :

غب دعاء يتسلق فى معارج القبول ، وثناء يتألق فى سماء ثابت الأركان والأصول ، نخص بهما معدن الفضل والكرم ، ونبع البلاغة وعلو الهمم مالك أزمة التحقيق بلا إشكال ، ضابط شوارد والعلوم بالفكر العجيب الشأن المطبق، مفصل البراعة يوم النضال ، وجامع صفات الكمال ، هامع ^(١) البيان من سماء الأفضال . ولا زالت فضائله مذكورة ، وأثنيته فى كل ناد منشورة ما تذكر شوق أويقات سلفت بتلك المعاهدة ، وحفظ صدق عهد استوثقت بتلك المشاهدة، فتنهى أننا على ما يعهد مولانا من المحبة التى يضيق عن وصف بعضها نطاق الأقدام ، ونشر الثناء الحسن فى كل مشهد لدى العلماء والأعلام، ولا يخفى على علم صديقنا الصادق فى محبته ما تطوى عليه الجوانح من الصدق والصفاء ولكن بهذه الضماير من الود الذى يغيره بعد اللقاء ، والمرجو [١٤٣] من الهمم العلية والشنشنة الأخزمية ، أن لا تنسى من مراسلات تطفئ نار الاشتياق . كيف لا وهن غذاء الروح ، وقراها ^(٢) ، يجمعهن دقائق البلاغة على الإطلاق ومن دعوات تبلغ المقصود المأمول ، لرقيتها إلى سماء القبول ، ومن حفظ ودهو محفوظا لدينا ، وسلام سيهدى مع الصبا إلينا .

وأن يلتبس مولانا من صلحاء تلك الديار الأدعية المرجو اجابتها ، لصدورها عن صدور صدقت إلى الله تعالى إنايتها وهو الملتبس الأهم ، والمقصود الأتم . فلا

[١] الهامع : الماطر والمقصود وهنا غزارة البيان كالمطر المتساقط من السحاب .

[٢] القرى : ما يُقدَّم إلى الضيف .

يخرج سيدنا من الخاطر لازالت أفنية معمورة بالمأثر والمفاخر وحاجة مولانا تقضى عن قريب أن شاء الله تعالى وسبب تأخيرها أن مولانا شيخ الاسلام خارج المدينة لماحصل فيها من الطاعون فإذا اجتمعنا تتم بعون الملك العلام ، ولا يخفى عن علم مولانا المومى إليه - أسبغ الله النعم عليه - كذا و المأمول إرسال الكراريس المومى ليتم الكتاب . والسلام إلى يوم المآب ، وينوب عنا مولانا فى السلام على العلماء والإخوان ، ويطلب لنا منهم خير الدعاء فى كل وقت وأوان انتهى ملخصاً .

ومن إنشاء صاحب الترجمة أيضاً مبشراً شيخنا البدر المذكور - ضوعفت له الأجور - بولايته قضاء عسكر أناضولى وصدرت بقوله : [١٤٤] .

غب اهداء أرجى الأدعية الشريفة المستطابة ، وإثر إيثار أسنى الأثنية اللطيفة المستجابة ، فالذى يمليه هذا المحب المخلص المشتاق ، كثرة الأشواق إلى الذات الشريفة الحاوية على حسن الشمائل ومكارم الأخلاق ، لازالت طلايع المحبة طالعه ولوامع المودة لامعة إلى يوم التلاق . وإن تفضلتم وسألتكم عن أحوالنا فنحن بحمد الله تعالى بخير وعافية وصحة وسلامة ومقيمون على ما تعهدون من الود القديم والعهد القويم ، وحصل بيمن همتمكم العلية ما كان مأمولاً ، ومن الله عز سلطان مسئلاً فحان وقت إنجاز الوعد ، فمهما كان ، لكم ولسائر الإخوان من المصالح ولامهمات فى الحال والمآل ، ستعلمونا بها لنفوز بقضائها على أتم وجه وأحسن حال ، هذا وإن حامل الورقة مولانا السيد محمد البروسوى ، من أعيان ملازمينا ، ومن أحضائنا ، والآن قد عيناه لخدمة القسمة العسكرية بالديار المصرية المحمية ، فحال وصوله إليكم وتشرفه بتقبيل يديكم ، تساعدوه بهمتمكم العلية ، وتمدوه بملاحظاتكم السنية ، فمهما حصل له من المساعدة والإعانة والاسعاف فهو راجع إلينا ، وعائدته علينا . [١٤٥] بلا خلاف ، والمأمول أن لا تنسوننا من الأدعية الصالحة الشريفة ، فى الأوقات الفالحة اللطيفة .

وتبلغوا سلامنا إلى المحبين ، والأصحاب ، والإخوة والأحباب لازلتكم بخير ، ودفع الله عنا وعنكم كل ضير إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير والحمد لله وحده ،

والصلاة على من لا نبى بعده . من المخلص الداعى فوق العادة ، على الشهير بسنان
جلبى زاده . انتهى .

وله غير ذلك من الإنشاءات اللطيفة ، والمكاتبات الظريفة ، ما يشهد له بالغوص
فى تيار بحارها ، والاستسقاء من عجائب أمطارها ، والمعرفة التامة بطريقتى
المنثور والمنظوم والمنطوق والمفهوم ، أضربت عن إيراد ما وقفت عليه منها وكشف
القناع عنها ، خشيه سلوك جادة الإطالة ، والوقوع فى مهاوى الملالة ، وبالجمله ؛
فكان من الموالى المقطوع لهم بالعلم ، والمشهور عنهم كمال التيقظ والحلم ، مع
انجبال طبيعته على حب العرب والميل إليهم ، والتفصص عنهم ، واغداق الأحسان
عليهم والتقرب إلى قلوبهم بكل طريق أمكن والسلوك معهم إلى كل سبيل أحسن ولم
يزل على جلالته ورفيع قدره ومهابته ، وتقلب فى المناصب [١٤٦] والترقى إلى أعلى
المراتب إلى أن أدركه الحمام ، وانقضت مدته والأيام ، ولحق باللطيف الخبير ، وقدم
على عفو العلى القدير تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته . آمين .

قاضى عسكر مصر

فيض الله على بن أحمد الرومى الحنفى

ويعرف بين السادة الأروام

بقاف زاده

أخذ عن المولى تاج الدين الحميدى مفتى أماسيه فى علوم متعددة ،
وأخذا أيضا عن المولى أحمد الشهير بابن طاش كبرى (١) صاحب الشقائق

[١] ابن طاش كبرى : هو أبو الخير أحمد بن مصلح الدين ، مصطفى طاش كبرى زاده عصام الدين ولد فى
بروسه سنة ٩٠١ هـ ، وتفقه على أبيه وغيره فى أنقره وبروسه ، ثم فى الأستانة وأماسيا ثم ترقى أستاذاً
فى مدرسة أوج باشا لما بلغ الثلاثين ، ثم انتقل إلى مدرسة المولى محيى الدين فى الأستانة ، ثم فى
الإسحاقية بأسلوب ، ثم أدرنة ، وتنقل فى مدارس مختلفة من بلاد الروملى ثم عين قاضياً فى الأستانة ثم
حلب . أصيب بالتهاب فى عينه أفقده البصر ، وتوفى سنة ٩٦٧ هـ ، ومن مؤلفاته : الشقائق النعمانية فى
علماء الدولة العثمانية ، مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، رسالة فى تفسير آية الوضوء وغيرها من
التصانيف المتعددة . (انظر كشف الظنون ٥ / ١١٩ : ١٢٠) (تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ / ٣٣٨) .

النعمانية^(١)، قرأ عليه تصريف الغرى، والمراح^(٢) فى الصرف، والمصباح فى النحو للإمام المطرزي، وكافية ابن الحاجب وألفيه بن مالك^(٣)، ومختصر إيساغوجي^(٤) فى المنطق مع شرحه لحسام الدين الكافي^(٥)، وشرح الشمسية للرازي مع حواشى السيد الشريف عليه، وقرأ شرح العقائد للتفتازنى^(٦) مع حواشيه للخيالى^(٧) وصار ملازماً منه، وأخذ أيضاً عن المولى جلال الدين الرومى^(٨) أحد فضلاء الروم فى جملة من العلوم، المنطوق منها والمفهوم، وأخذ أيضاً عن المولى أمير حسين^(٩) النكسارى الحسينى [١٤٧]

[١] الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية : هو خزانة تراجم عددها نحو ٥٢٢ رتبها حسب السلاطين الذين نبغ العلماء فى أيامهم ، ومن السلطان عثمان فما بعده إلى السلطان سليمان القانونى وفى ذيله ترجمة حياة المؤلف . وطبع بمصر على هامش ابن خلكان سنة ١٣١٠ هـ ، وله زيول متعددة انظر بعضها إن شئت فى : (تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ / ٨٤ : ٨٦) .

[٢] المراح فى الصرف : المقصود كتاب : "مراح الأرواح" فى التصريف لأحمد بن على مسعود وهو مختصر نافع متداول شرحه المولى أحمد المعروف بديكفوز ، وتاج الدين عبد الوهاب بن إبراهيم الشافعى سماه : فتح الفتاح فى شرحه المراح ... وشرحه غير هؤلاء واختصر كثير (انظر كشف الظنون ٢ / ٥٣٥) .

[٣] ابن مالك : نظم بديع فى النحو والصرف سماها ناظمها الخلاصة ، وانما اشتهرت بالألفية لأنها ألف بيت ، لها شروح متعددة لا حصر لها . (انظر كل ذلك بإسهاب فى الكشف ١ / ١٧٢ : ١٧٥) .

[٤] إيساغوجى : "هو لفظ يونانى معناه الكليات الخمس أى : الجنس والنوع والفصل ، والخاصة والعرض العام ، وهو باب من الأبواب التسعة للمنطق ، وله شروح كثيرة ومختصرات عديدة وشروح عليها (انظر كشف الظنون ١ / ٢١٠ : ٢١٢) .

[٥] حسام الدين الكاتى : هو حسن حسام الدين الكاتى توفى سنة ٧٦٠ هـ ، وله غير شروح مختصر إيساغوجى : شرح مفتاح العلوم للسكاكى فى المعانى والبيان (انظر الكشف ٥ / ٢٣٦) .

[٦] شرح العقائد التفتازانى : هو العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ . والعقائد المقصودة هى عقائد الشيخ نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد المتوفى سنة ٥٣٧ هـ ... وله شروح عديدة انظر تفاصيل ذلك فى (الكشف ٢ / ١٥٣ : ١٥٧) .

[٧] الخيالى : هو المولى أحمد بن موسى الشهير بخيالى شمس الدين الرومى الحنفى (توفى سنة ٨٧٠ هـ) وحاشيته سلك فيها مسلك الايجاز يمتدح بها الأذكىاء من الطلاب (انظر الكشف ٢ / ١٥٤) و (ج ٥ / ١١٠) وذكر فى الموضع الأخير بعضاً من تصانيفه .

[٨] جلال الدين الرومى : هو : "جلال الدين المولى الفاضل أحد موالى الروم خدم المولى بن الحاج حسن ، ثم صار مدرساً بمدرسة المولى المذكور بالقسطنطينية ، ثم صار قاضياً بعده من البلاد ، ثم تقاعد بثلاثين عثمانياً ، وصرف جميع أوقاته فى العلم والعبادة وكان فاضلاً محققاً مدققاً ... مات سنة أربع أو خمس وثلاثين وتسعمائة) . (من الكواكب السائرة ٢ / ١٣٣) .

[٩] أمير حسن : هو : "حسن المولى الفاضل ، والشهير بأمير حسن ، أحد موالى الروم ، برع وفصل ودرس وترقى فى التدريس حتى أعطى ، دار الحديث بأدرنه ، ومات عنها ، كان مشتهراً بالعلم ، له حواش على شرح الفرائض للسيد ، وحواش على شرح فى الرسالة فى آداب البحث لمسعود الرومى وغير ذلك (الكواكب ٢ / ١٣٧) . ولم يؤرخ لوفاته .

القاضي بمكة المشرفة في فنون من العلم كالتفسير ، والفقه والحديث ، والأصول وغير ذلك ولازمه ملازمة تامة ، وانتفع به ، وأخذ أيضاً عن المولى فضيل الجمالي (١) قاضي مكة المكرمة في فنون من العلوم كالعربية والفرائض ، والحساب ، والجبر والمقابلة ، والتصوف والميقات وغير ذلك وقرأ عليه جملة من مؤلفاته كالوافية ، في مختصر الكافية في النحو ، وعون الرايض في الفرائض ، وشرحه ابن الفارض وكتاب الضمانات في الفقه ، تأليفه أيضاً ، وكتاب تنويع الأصول وشرحه توسيع الوصول ، وغير ذلك من رسائله وتأليفه وتعليقه ، وأخذ أيضاً عن المولى محمد بن صارى (٢) كرز قاضي حلب وقرأ عليه دورساً في الفقه ، وتعليقه على شرح المفتاح للسيد وعلى الهداية وغير ذلك .

وأخذ أيضاً عن المولى أبى السعود العمادى (٣) في التفسير والحديث والفقه ، والنحو والمنطق ، والمعاني ، والبيان ، والحساب ، والميقات والحقيقة غير ذلك . ولازمه ملازمة تامة وانتفع به ، وكان سبباً له في الترقى إلى المدارس السنية منها المدرسة السليمية باصطنبول ، ومنها إحدى المدارس الثمان . وتنقل إلى السليمانية ، ثم إلى دار الحديث [١٤٨] ثم تولى قضاء الشام ، ثم تولى قضاء مصر المحروسة [في ثامن المحرم سنة ألف كما بخطه المؤرخ لخامس صفر منها] (٤) وورد الخبر بولايته عليها يوم الخميس ثامن عشر صفر منها ، وقدم إليها في يوم السبت ثالث ربيع الثاني منها ، فدخلها في موكب عظيم ، ومحفل كريم وتلقاه أهلها بالرحب والسعة ، والأمن والدعة ، فقابلهم بالإجلا الإكرام ، وحباهم مزيد الفضل والانعام ، ورحم صغيبرهم ، وعظم كبيرهم ، وسلك في أحكامه مسلك العدل والإنصاف ،

[١] فضيل الجمالي : كذا بالمخطوط وفي الكواكب فضلى . وهو : فضيل بن على أحمد بن قاضى القضاة ، ابن مفتى المملكة الرومية علاء الدين الأقسرائى الجمالى الحنفى ، تولى قضاء بغداد ثم حلب ، ثم تولى القضاء بمكة المكرمة . (انظر الكواكب ٢ / ٢٣٦) . ولم يؤرخ وفاته .

[٢] محمد بن صارى كرز : الرومى الأديب الحنفى ، كان قاضياً بحلب ، وتوفى سنة ٩٩٠ هـ ، صنف حاشية على شرف السيد للمفتاح ... وغيد ذلك (الكشف ٦ / ٢٠٢ - ٢٠٣) .

[٣] ابو السعود العمادى : راجع الكواكب ج ٣ / ٣١ . كشف الظنون ٦ / ٢٠٠ وما بعدها .

[٤] ما بين الحاصرتين من هامش المخطوطة بخط ناسخها .

والنزاهة والعفاف ، وكان على جانب من الدين المتين والفضل المبين . ومع التحرى فى الأحكام ، والنظر فى قضايا الرعايا بمزيد الإحكام ، وإجلال العلماء ، وإكرام الأجلاء والعظماء ، وعدم الالتفات إلى محصول المحاكم ، وترك المؤاخذة والجرائم ، وإظهار ناموس الشرع القويم ، وردع كل جبار لنئيم والانكباب على تحرير العلوم ، والبحث مع الفضلاء فى المنطوق منها والمفهوم ، حتى عد الناس أيامه أحلاماً ، ومورده الصافى [أحلاماً]

ومدحه [شعراؤها] بالقصائد البديعة ، والأبيات التى مقاماتها رفيعة وممن أحفظه من الشعراء : مدحه [١٤٩] صاحبنا الشيخ الفاضل والبليغ الكامل زين الدين عبدالرحمن الملاح الحنفى ، بقصيدة تشد إليها الرحال، ويترنم بها فحول الرجال ، فلا بأس بإيرادها فى هذا المحل ، والمقام الآجل وهى :

ماثغور تبسمت عن أقاح ^(١)	وخدود كالورد والتفاح
ورياض من نرجس وخزاما ^(٢)	وعبير من عنبر فَيَّاح
وزهور زهت وورد نضير	وغصون مالت بلطف الرياح
واغتاقى بمنيتي واعتناقى	واصطحابى بالحب ثم اصطباح
ومدام من سلبيل شريق	ما على من يصبوله من جناح
تذهب السوء والغناء سريعاً	وتوافى بالبسط والإنشراح
قام يسعى الساقى وطاف علينا	فى مقام الهناء والأفراح
بصحاف من فضة مذهبات	مذهبات الهموم والأتراح
فمأينا شمس الطلا فى هلال	مع بدر ضياؤه فى اتضاح
مشرف قد سبا الغزالة نورا	تمر فيه لا تطاع النواحي
نشأتى قبل نشأتى فى هواه	من مدا الأطراف لا الأقداح

[١] أقاح : جمع أقحوان ، وهو نبت زهره أبيض أو أصفر ، وكثرة فى الأدب العربى تشبيهه الأسنان بالابيض المؤلل منه ، ونه ما قاله الشاعر سالفاً .

[٢] الخزامى نبت زهره أطيّب الأزهار نَفْحة ، والتبخيره يُذهب كل رائحة منتنة . (القاموس ص ١٤٢٢ ، ط الرسالة) .

ثم ما قلته بمدح الفوانى
لم يقايس بلطف مولى الموالى
هو قصدي ذجئت نحو حماه
سيد قد حوى العلوم جميعاً
عالم عامل حليم حكيم
لم يزل فتص الله فى كل أرض
كنز علم مغن الفقير دواماً
هو مختار كل فضل وصدر
عهدة فى حديثه وقديما
حبه قد سرى بكل قواد
خير حبرٍ نحريرٍ وبرٍ
ياغدولا بالجهل رام افتضاحى
قمديحى ذا الحبر عين الفلاح
يا كريما حوى فخاراً وفضلاً
دمت فى نعمه وفى طيب عيش
ولعبد الرحمن نظم بليغ
وصلاة معها أثم سلام
وعلى الآل والصحابة جمعا

والطلا والزهو من إقتراح [١٥٠]
معدن الفضل والعطا والسماح
بامتداحى ، فلاح فجر فلاحى
جامع الخير والتقوى والصلاح
معدن الفضل والنجا والنجاح
حل فيها للضيم والعكس ماح
بهجة النور فيه كالمصباح
فاتح المقفلات بالمفتاح
أظهر المشكلات بالإنصاح
سريان الأرواح فى الأشباح
ذكره شاع فى جميع البطاح
فى مديحى له فما أنت صاح
لم أدعه ولو لحا ألف لاح
فائقا مالتاً جميع النواح
سالماً فى المساء ثم الصباح
قد حلاجكم من الملاح [١٥١]
على النبى المليح زين الملاح
من أبادوا العدا بجد الصَّفاح

[وأرخ] له أيضاً - عيد النحر من سنة ألف الشاعر المذكور فقال :

يا خير من بحر علم سما بهجة دام بها فى بها
وكان لصاحب الترجمة النظم الرائق ، الإنشاء الفائق مما ساد به بين أقرانه
وفاق فيه أهل زمانه ، وخصوصاً بين السادة موالى الروم ، أصحاب

الفضل المعلوم ، وتتبعه فى نظمه الأنواع البديعية ، والصناعة الأدبية وذلك مما يكسبه حلاوة ، ويكسوه رقة ، وطلاوة ، وقل أن يكون لأحد من الديار الرومية ، وأهالى تلك الأقطار العلية ، مثل رقة نظمه وبديع ترتيبه وحسن رسمه ، ولا بأس أن نحلى جيد هذا التحبير ، ونوشى موشح هذا التسطير ، بشئ من نظمه البديع ، ونثره الباهى القدر الرفيع ، ليكون عنواناً على فضل صاحب الترجمة ، وماله من الفضيلة والمكرمة ، فمن ذلك قصيدته الشهيرة [١٥٢] المشحونة بالفوائد الغزيرة ، المسماة بالقصيدة التبريزية ، التى نظمها فى واقعة تبريز السنية (١) ، فى زمن السلطان الأعظم ، والخاقان الأكرم ، المغفور له السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن عثمان (٢) ، ممتلك الديار المصرية ، والتخوت اليوسفية ، وقرض له عليها جلة العلماء والأعيان ، من فضلاء الزمان الخاتمة علماء الحنفية بالديار المصرية : نور الدين على المقدسى الحنفى (٣) ، والعلامة مفتى الحنفية بالديار الشامية شمس الدين محمد بن المنقار الحنفى والعلامة أبى المحامد محيى الدين عبدالقادر الغزى الحنفى شيخ الجامع الأزهر ، وولده الشاب الفاضل ، حاوى الفضائل ، شهاب الدين أحمد الغزى الحنفى ، تغمدهم الله تعالى أجعين برحمته ، وأسكنهم أعلى فراديس جنته . آمين .

[١] واقعة تبريز : انظر تفاصيلها فى (تاريخ الدولة العلية العثمانية) لمحمد فريد ص ١١٤ ، ط دار الجيل ١٩٧٧

[٢] انظر ترجمته فى : تاريخ الدولة العلية ص ١١٣ وما يلىها ، وفى تاريخ سلاطين بنى عثمان ص ٦٨ ، ٦٩ ، ليوسف بك بن همام أضاف .

[٣] على المقدسى هو على بن محمد بن خليل بن محمد بن إبراهيم بنى موسى المعروف بابن غانم المقدسى نذر الدين الحنفى نزيل القاهرة ولد سنة ٩٢٠ هـ ، وتوفى سنة ١٠٠٤ هـ ، له العديد من المصنفات (كشف الظنون ٥ / ٥٩٩ ، وانظر أيضا فيها مصنفاته) .

وصورة القصيدة البديعة المرقومة هي قوله :

لله در جيوش الروم إذ ظهروا
كم أبدعوا بدعاسبا ومظلمة
ويل لهم أمنوا من مكر ربهم
وقد أطالوا تدا للناس ظالمة
فالناس تجأ للرحمن من يدهم
حتى إذا جاء وقت الغوث وأقتربت
أتت إليهم جيوش الروم لقدحها
وعندما اقترب الجيش العرمم
فشجعوا أنفسهم منهم قد امتلات
ظنوا بأن الليالى نحوهم نظرت
وأملو سحرا من ليل كربهم
لما رأوا بأسنا حمر الرؤس إذن
قلوبهم خشيت أبصارهم عميت
سطوا بهم فتراهم ذا يفروذا
والنقع (٣) ليل شتاء لانجوم به
فالبيض فى يديهم صارت فى صوالجة (٤)
كأنما السمر مغناطيس أنفسهم
ذوت رياض أمنيهم فلا ثمر
والفرار إلى الأقطار قد نفروا
فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم

على الروافض قد صارت بهم عبر
لهم قلوب يحاكى لينها الحجر
حتى بصحب رسول الله قد مكروا [١٥٣]
عن هتكها حرمت الله ما قصروا
والله يسمع منهم كلما جأروا
أجالهم وأتتهم بالأسى النذر
من بأسها المنذارن الخوف او لحذر
تبريز ثم بدا فى جيشهم حور
جنبا وقد طاشت لأحلام والفكر
فأخطأ الظن لما أخطأ النظر
فلم يكن لدجى أوصابهم (١) سحر
فروا كما فر من أسد الشرى (٢) الحمر
شاهت وجوههم خوفا وقد حشروا
عان أسير وذا فى الترب معترف
يلوح للعين إلا [البيض] الشمر
والرؤس الخمر فيما بينهم أكر (٥)
فحيث نالت ترى الأوراح تنتشر
يلوح فيها ولا فى دوحها زهر [١٥٤]
ومالهم معشر فيها ولا نفر
وقد خلت ما بها عين ولا أثر

[١] الأوصاب : مقردها وصف وهى الوجع والمرض ، والتعب والفتور حى البدن .

[٢] الشرى : موضع كثير الأسد ، ويقال هم أسد الشرى : اشداء شجعان .

[٣] النقع : الغبار ، والبيض : السيوف والشمر : الرماح .

[٤] صوالجة : مفردها صولجان : وهى عصا معكوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة ، ومنه صولجان الملك :

وهى العصا التى يحملها الملك ترمز لسلطانه .

[٥] وأكر : الأكرة : لغة فى الكرة ، والمعنى المقصود أن كثرة الرؤس فيما بينهم كانت كالكرات .

وتحت تبريز نادى هو مبتهج
فيا مليكا له كل الملوك غدت
سر واملك الارض والدنيا فانت إذن
فيا لها نعمة أثار مفخرها
أجل من طى الغبراء من ملك
بدا له فى سماء المجد نور هدى
لعزمه ظهر الفتح الذى عجزت
وأصبح الملك محروس الجناح وقر
لو فاخرته ملوك الأرض قاطبة
هل يستوى الشمس والمصباح فى جنح دجى
عطفاً على العبد فيض الله نظمه
لا زال ملكك دورى السعود فلا
بدولة تخلق الأيام جدتها

هذا الزمان الذى قد كنت أنتظر
تدين طوعاً وتأتى هى تعتذر
إسكندر العصر قد وافا به الخضر
كانت لدولته الغراء تدخر
بأمره سائر الأملاك تأتمر
من دونه الينران ، الشمس والقمر
عنه السلاطين قد أمنتهم العصر
وفى به سعدان القدر والقدر
ما نالهم من معانى فخره العشر
أو يستوى الجاريان البحر والنهر
فؤاده من صروف الدهر ومتكسر
يرى له آخر فى الدهر ينتظر
ملاح فى جنح الدياجى الأنجم الزهر [١٥٥]

وحيث أوردنا القصيدة المذكورة ، البديعة المشهورة ، نورد ما عليها من
التعاريف للعلماء الأعلام ، أئمة الإسلام ، تنميماً للفائدة ، والصلة التى هى على
الواقف عائدة ، فصورة ما قرض عليها عالم الديار الشامية ، بل مفتى تلك الأقطار
البهية ، شمس الملة والدين عين الفضلاء المعبرين ، محمد الشهير بابن المنقار مفتى
الحنفية بالديار الدمشقية فقال ، وأجاد فى المقال :

يا ناظم الدر هذا مرّحل الغرر^(١)
أتيت بالنظم من بحر البسيط لنا
نظمت عقداً فريداً لا نظير له
وكنت أسمع بالسحر الحلال وقد
هو البليغ لذا أهل البلاغة إذ

فى جبهته الدهر حتى صار يفتخر
من فيض بحرك لاحت للورى درر
فجوهر الحسن مزد فيه مبتكر
رأيته ، وهو فيه الآن منحصر
أتى على مقتضى الأحوال يبتدر

[١] الغرر: مفردا غرة من كل شئ أوله وأكرمه ، وبياض فى جبهته الفرس (وهو المعنى المقصود هنا) ومن الشهر
: ليلة استهلال القمر ، ومن الهلال: طلعه ، ومن الأسنان بياضها وأدنها ، ومن الرجل : وجهه ، وكل ما بدا من
ضوء أو صبح فقد بدت غرته ، ومن القوم: شريفهم وسيدهم ، ومن المتاع ، خياره ورأسه . (الوسيط ص ٦٧٢).

فهل عجبت وفيض الله منشئة
له يراع (١) ونظم الدر منه وكم
إن هذه في حماسات ومكرمة
أو مال للذكر في فتح ، ومنقبة
لا سيما فتح تبريز فمنه علا
وانهدر كنهم الواهى فقد سقطت
أتتهم الناس والدنيا معجلة
فروا من الدين والدنيا وقد هدموا
فخربون بأيديهم بيوتهم
وذا بسعد مراد الله حاكمنا
من آل عثمان مبدى حب سادتنا
فيا إماما غدا يهدى لسنة من
جرد سيوفك نحو المارقين ضحى
لا زال ملكك محمى الجهات ولا
هذا وعبدك شمس الدين ناظمها

له الكمال وبالأفضال مشتهر
جواهر عند نثر القول تنتثر
نحو المديح المديح فما بيض ولا سمر
مع اختصار فما التاريخ والسير [١٥٦]
على الروافض فيه الشر والشرر
عروشهم واستعدت نحوهم سقر
من العساكر قصداً قبل ما قبروا
شعائر الشرع لما سبب عمر
مع الغزاة حماة الدين فاعتبروا
رأس السلاطين من دانت له البشر
وهم أبو [بكر] الصديق قل عمر
مضى من الصبح بالرضوان قد ذكروا
واعلم بأنهم بالسب قد كفروا
برحت بالسنة الزهراء تنتصر
وفى دمشق ينشر العلم يشتهر

وصورة ماكتبه شيخ الإسلام ، مفتى الأنام ، نور الدنيا والدين خاتمة العلماء
المحققين ؛ على بن غانم المقدسى الحنفى مفتى السادة الحنفية بالديار المصرية
على القصيدة المذكورة ، من التعريض الذى سادت به الركبان ، وتناقلته الرواة إلى
سائر البلدان ، هو قوله : [١٥٧]

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا نَعَادَلُهُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرِّ
لِلَّهِ دَرْكٌ يَأْمَنُ نَظْمُهُ دُرٌّ
أَوْ رَوْضٌ فَضْلُ نَضِيرٍ لَا نَظِيرَ لَهُ

يَدُومُ مَا دَامَتْ الْأَصَالُ وَالْبَكَرُ
وَالْأَلُ وَالصَّحْبُ مَا نَالَ الدُّجَى فَمُرُّ
قَلَائِدُ لِنَحُورِ الْحُورِ قَدْ خَسِرُ
فِي دَوْحِهِ ثَمَرُ مَا مِثْلُهُ ثَمَرُ

[١] اليراع : القلم .

مُسْكُ الْفَصَاحَةِ مِنْ فَحْوَاهُ [منتفح]
 بَلَّ وَأَسْطَاطَ عُقُودَ الدَّرِّ فَائِقَةً
 بِكُرِّ عَرُوسٍ وَفَيْضِ اللَّهِ أَبْرَزَهَا
 وَمَنْ يَكُونُ لَفَيْضِ اللَّهِ نَسْبَتُهُ
 وَمَنْ يَكُنْ لِرَادِّ اللَّهِ مَلَجَاهُ
 يُرْفَعُ مَقَامًا وَيُقْتَحُ بَابَ مَطْلَبِهِ
 لَمْ لَا وَخَيْرُ مُلُوكِ الْعَصْرِ نَاصِرُهُ
 نَاعَى بِهِ الْمَلِكُ حَتَّى قِيلَ ذَا مَلِكُ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا فِي مَجْدِهِ عَجَبُ
 لَوْ كَانَ فِي عَصْرِ قَوْمٍ سَارِ ذِكْرُهُمْ
 فَرَعُ ذِكْرِي أَصْلُهُ دَامَتْ مَفَاخِرُهُ
 فِي نَصْرِ دِيرِ الْهَدْيِ سَلَا فُلُوجُهَا
 فَاللَّهُ يُبْغِيهِ لِلدُّنْيَا يَوْمَهَا
 دَامَتْ فَتُوحَاتُهُ بِالْعِزِّ مُقْبِلَةٌ
 وَلِلْأَفَاضِلِ مِنْهُ الْفَضْلُ مُتَّصِلُ
 مُنَزَّهٌ عَنْ نَوَاهِي اللَّهِ مُجْتَنِبُ
 وَقَالَ هَذَا عَلِيٌّ وَابْنُ غَانِمٍ الدِّ

وَاللُّؤْلُؤُ الرُّطْبُ مِنْ خَدْيِهِ مُنْتَشِرُ
 أَوْفَى سَمَاءِ الْمَعَانِي أَنْجُمُ زُهْرُ
 فِي حُسْنِهَا حَارَتْ الْأَلْبَابُ وَالْفُكْرُ
 لَا غُرُوَّ أَنْ قَدْ بَدَأَ مِنْ لَفْظَةِ الْغُرُ
 يَنَالُهُ الْعِزُّو التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ
 وَكُسْرُهُ زَائِلٌ وَالْقَلْبُ مُنْجِبُ
 مَنْ ذِكْرُ عَلِيَّاهُ فِي الْأَفَاقِ مُنْتَشِرُ
 وَدَنَا بِهِ الْجُودُ حَتَّى قِيلَ ذَا بَشَرُ
 فِي كُلِّ لَيْلٍ لَنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَحَرُ
 بَيْنَ الْخَلَائِقِ لَمْ تُكْتَبْ لَهُمْ سِيرُ
 بِمِثْلِهِ دَامَتْ الْأَقْلَاكُ تَفْتَخِرُ [١٥٨]
 يَضُوعُ نَشْرُتَنَا هُمْ حَيْثُ مَا ذُكِرُوا
 بِالْعَدْلِ وَالسُّنَّةِ الْعَلِيَّاءِ يَنْتَصِرُ
 وَمَعْجَلُ قَادِمِ مِنْهَا وَمَنْتَظَرُ
 بِهِمْ بِفَيْضِ عَطَايَاهُ وَتَبْتَدُرُ
 عَلَى سَجَايَا التَّقَى وَالْبِرِّ مُقْتَصِرُ
 قُدْسِي يُدْعَى ، مِنْ التَّقْصِيرِ يَعْتَذِرُ

وصورة التقريض الذي قرضه نخبة العلماء المحققين ، مفيد الطالبين أبي (١)
 المحامر محي الهدى والدين، عبدالقادر محي الدين الغزى العمرى الفاروقى الحنفى،
 شيخ الشيوخ بالمدرسة الشيوخونية بمصر المحمية على القصيدة المرقومة ، البديعة
 المرسومة ، [وهو إذ ذاك بمدينة القسطنطينية المحمية دار السلطنة الشريفة السنية]
 وهو قوله :

[١] فى المخطوط : أبو عمر وهو خطأ ولعله سبعة قلم منه .

الْحَمْدُ لِمَنْ فَيْضُهُ بِالْفَضْلِ مُشْتَهَرٌ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى
وَبَعْدُ فَالِدُرُّ أَنَّ أَمْدَحَهُ نَاطِمُهُ
إِذْ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي أَجْمَعَتْ
سِحْرُ حَلَالٍ بِهِ قَدْ حَارَتْ الْفَكْرُ
صَفَاؤُهُ أَلْزَمَ النُّظَامَ حُجَّتُهُ
أَمْ فَيْضُ فَضْلٍ لِفَضْلِ اللَّهِ فَاضٍ فَمَنْ
أَمْ فِي عُكَازٍ تَلَأَقُسُ (٢) فَصَاحَتُهُ
أَمْ شَمَالُ عَطَّرَتْ أَرْجَاءَ كَاطِمَةٍ
أَمْ الثَّرِيَّا بَدَأَ عُنُقُودَ رَوْنِقِهَا
تَعَمُّ تَجَلَّتْ بِأَفَاقِ النَّهْيِ صُورُ
إِذْ كَانَ ذُو الْفَضْلِ فَيْضُ اللَّهِ نَاطِمَ مَا
مُضْمِنَاتٍ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا حَدَّثَتْ
فِي فَتْحِ تَبْرِيزَ آيَاتٍ مُبَيِّنَةٍ
لَمَّا عَتَا أَهْلُهَا عَنْ أَمْرِ مَا لَكِهِمْ
وَأَظْهَرُوا سَبَّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَمَنْ
بَرَّتْ صَوَاعِقُ أَمْلاكِ الْهَلَاكِ عَلَى
وَجَاءَهُمْ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ قَاصِمَةٌ
فُقَصِدَتْ مِنْهُمْ الْأَعْمَارُ مُسْرَعَةٌ
فَأَصْبَحَتْ مِثْلَ مَا مَتَرُ قَالَ سَيِّدُنَا

وَجُودُهُ فِي جَمِيعِ الْكَوْنِ مُنْتَشِرٌ
الْكِرَامِ وَأَصْحَابِ هُمُ الْغَرِ
أَوْ نَاشِرًا فَعَلَى التَّقْصِيرِ أَقْتَصِرُ
مَحَاسِنِ الْحُسْنِ فِيهِ وَهُوَ مُبْتَكِرُ
أَمْ قَدَّرَ عَلَى اللَّبَاتِ (١) مُنْتَشِرُ [لُوه ١]
إِنْ كَانَ فَرْدًا بِأَهْلِ الْحَقِّ يَنْتَصِرُ
فِيُوضِ طَابَ غُصْنُ الرُّوضِ وَالزَّهَرُ
فَلَمْ صَاقِعٍ مِنْ أَخْبَارِ سَيْرِ
فَفَاحَ رِيًّا شَذَا أَنْفَاسِهَا الْعَطَرُ
أَمْ أَشْرَقَ الْكُوكَبَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
تَتَلَّى عَلَى الدَّهْرِ مِنْ أَخْبَارِهَا سُورُ
فِي سِلْكِهَا دُرٌّ مِنْ دُونِهَا الدَّرُّ
بِهِ حَوَادِثُ دَهْرٍ قَادَهَا الْقَدَرُ
مِنْ بَعْضِهَا الْمُنْذِرَاتِ الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ
وَخَالَفُوا سُنَّةَ الْهَادِي وَمَا أَمَرُوا
يَسُبُّهُمْ فَهُوَ مِنْ قَوْمٍ بِهِ كَفَرُوا
أَمْ لَكِهِمْ فَاضْمَحَلَّتْ مِنْهُمْ الْجَدُّ
شِيَارُنَا الْغُرَبَا لِشَيْخَيْنِ قَدْ نُصِرُوا
وُخْرِيتَ مِنْ قُرَاهُمْ كُلَّمَا عَمَرُوا
وَقَدْ خَلَّتْ مَا بِهَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ [١٦٠]

[١] اللَّبَات : مفرد لها لبّة وهي موضع القلادة من العنق .

[٢] قس : خطيب جاهلي واسمه : قس بن ساعده الإيادي ، كان خطيب العرب وشاعرها وحكيما في عصره ، وهو اسقف من نجران ، وهو أول من علا شرف وخطب عليه ، : " وقد رآه الرسول صلى الله عليه وسلم في عكاظ وسمع منه كلاماً كان يرويه عنه ، وكان فصيحاً يضرب المثل بفصاحته) . (جورجى زيدان : مرجع سابق ، ج ١ / ١٣٥) .

فَهُمْ عَلَى الْأَرْضِ صَرَغَى تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ
مَا فَتَحَ تَبْرِيزَ إِلَّا النَّارَ مُضْرَمَةً
صَوَاعِقُ النَّارِ جَاعَتْهُمْ عَلَى عَجَلٍ
سَطَا عَلَيْهِمْ مُرَادُ اللَّهِ حِينَ سَطَوُا
فَيَا مَلِيكَكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا
يَا نَاصِرَ السُّنَّةِ الْغَرَاءِ وَالسُّنَّةِ الْ
يَا تَاجَ أَهْلِ الْمَعَالِي الطَّائِلِينَ يَدَا
يَا مَنْ جَمِيعُ مُلُوكِ الْأَرْضِ قَاطِبَةٌ
أَبْشِرْ بِكُلِّ مُرَادٍ يَا مُرَادُ فَفِي
لَهُ الْفَخَارُ بِقَصْرِ أَنْتَ مَالِكُهُ
مَا مَدَحُهُ فِيكَ إِلَّا جَوْهَرُ شَهَدَتْ
فَذَلِكَ أَوْلَى بِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ شَرَفٍ
بَلِ الْأَحَقُّ بِتَقْدِيمِ يَكُونُ لَهُ
حَوَى فَضَائِلَ فَوْقَ الْفَرَقْدِينَ مِيرَى
شَاهِدْنَهُ فِي مَيَادِينِ الْمَبَاحِثِ ذَا
لِلَّهِ دَرْكُ مَفْضَالِ الزَّمَانِ فَمَنْ
فِي فَتَحَ تَبْرِيزَ قَدْ أَعْرَبْتَ عَنْ غُرُ
إِذَا فَيُضُّ صَدْرَكَ بِحَرِّ طَابَ مَشْرَبُهُ
فَلَسْتُ كُفُؤًا أَرَى نَفْسِي لِمَدْحِكَ يَا
فَاسْلَمْ وَدَّمَ وَأَبَقَ وَارِقَ الْفَرَقْدِينَ فَمَنْ
وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ الْحَالُ إِذْكَ فِي
أَصْبَحْتَ فِي الرُّومِ فَذَا لَيْسَ لِي وَطَنُ
إِنْ أَشْكُ مَا بِي فَلَمْ يُسْمَعْ وَإِنْ أَكْ ذَا
فَضَائِلِي بَعْدَ مَا ضَاغَتْ مَآثِرُهَا
وَكُنْتُ أَمِلُ تَقْدِيمًا بِهَا فَأَبَى

وَالْأُرُوسُ الْحُمْرُ فَيَمَّا بَيْنَهُمْ أَكْر
عَلَى الرُّوَا فِضْ مِنْهَا الشَّرُّ وَالشَّرُّ
قَصِيرَتُهُمْ قُبُورًا قَبْلَ مَا قُبِرُوا
عَلَى الصَّحَابَةِ فَاشْتَاقَتْ لَهُمْ سَعْرُ
لَا زِلْتَ بِالْأَنْصَرِ وَالْتَّائِيْدِ تَنْتَصِرُ
شَهْبًا إِذَا ضَنَّ هَتَّانَ السَّمَاءِ مَطَرُ
يَا نَسْلَ قَوْمِ لِدِينِ اللَّهِ قَدْ نَصَرُوا
تَهُمَا بِهِ قَدْ أَمَرْتَ الدَّهْرَ يَأْتِمُرُ
إِشَارَةَ الْفَيْضِ فَيُضُّ اللَّهُ مَدْحُ
وَالْمُلُوكُ بِأَهْلِ الْفَضْلِ مُفْتَخَرُ
بِأَنَّهُ الْفَرْدُ نَقَّادُ لَهُ أَخْتَبِرُوا
بِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَقْرَانِ يَفْتَخَرُ
بِهِ جَمِيعُ الْمَنَى وَالنَّصَرِ وَالظَّفَرُ
فِيهَا مُطَوَّلُ أَهْلِ الْمَدْحِ مُخْتَصَرُ
سَبَقُ تَارِيهِ الْأَنْصَارِ وَالْفُكْرُ [١٦١]
عُلُومِكَ الدَّرُّ مَنْظُومٌ وَمُنْتَشَرُ
عَنْهَا عُقُودُ اللَّالِي الدَّرِّ تَعْتَذِرُ
عَنْ وَرْدِهِ مَا لِأَرْبَابِ الْحِجَابِ صَدْرُ
مَوْلَى لَدَيْكَ بِعَجْزٍ جِئْتُ أَعْتَذِرُ
فِيَا ضِ فَضْلِكَ كَسْرُ الدَّهْرِ يَنْجَبِرُ
مِيلَ بَعَيْنِ الرُّضَاعِنِ هَفَوْتِي نَظَرُ
بِهَا وَمَالِي بِهَا خِلٌّ وَلَا وَطَرُ
لَوْمْ فَلَوْ مَيَّ لَدَيْهِمْ لَيْسَ يُعْتَبَرُ
ضَاعَتْ فَمَالِي بِهَا خُبْرٌ وَلَا خَبْرُ
أَهْلُ التَّحَاسُدِ إِلَّا أَنْ بِهَا هَجَرُوا

فَحَسْبِيَ اللَّهُ مِنْ دَهْرٍ إِذَا أَحَدٌ
لَمْ يُبْقِ ذَا هُْمَةٍ فِي النَّاسِ يَقْصِدُهُ
مَنَا إِمَامًا مَارَقَى الْعُلِيَاءِ ذَا شَرَفٍ
أَقْبَلَ مَعَاذِيرَ عَجْزِي حِينَ أَبْعَثَهَا
فَأَنَّكَ الْحَبْرُ مَفْضَالُ الزَّمَانِ وَمَنْ
وَأَفَاكَ ذَلِكَ مُحْيِي الدِّينِ مُلْتَمًا
فَتَى إِلَى حَضْرَةِ الْفَارُوقِ مُنْتَسِبٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مَا دَامَتْ مَدَائِكُكَ الـ
ثُمَّ الصَّلَاةُ مَعَ التَّسْلِيمِ مَا طَلَعَتْ
وَالْأَلَّ وَالصُّحُبِ وَالْأَتْبَاعِ مَا تَلَيْتِ
وَمَا سَرَتْ نَسْمَةُ الْبَانَاتِ مُنْعَشَةٍ

أَصَابَهُ مِنْ رِعَاعِ الْأَشْقِيَا ضَرَرٌ
وَلَا هُمْامًا بِهِ فِي الْكُسْرِ يَنْجِبُرُ
الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ فِي جَدْوَاكَ مُنْهَصِرُ
عَنْ مَا بَدَّ إِلَيَّ مِنَ التَّقْصِيرِ تَعْتَذِرُ
قَوْمٌ إِذَا مَا بَدَى عَيْبُ الْفَتَى سَتَرُوا [١٦٢]
قَبُولَهَا وَهُوَ بِالْخِزْيِ مُشْتَهَرُ
فَاعْطَفْ حَنَانًا عَلَى مَنْ جَدَّهُ عَمْرُ
غَرًّا بِهَا جَبْهَةٌ الْأَيَّامِ تَفْتَخِرُ
شَمْسٌ وَمَا لَاحَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ قَمَرُ
لِلَّهِ دَرُّ جُيُوشِ الرُّومِ إِذْ ظَهَرُوا
فَفَاجَّ رِيًّا شَذَا أَنْفَاسَهَا الْعَطِرُ

صورة التفرييض الذي قرضه الشابُّ الفضلُ البارِعُ الكاملُ صدرُ المدرسين أحمد
شهاب الدين بن الشيخ محي الدين الغزي العمريُّ الفاروقي الحنفي وذلك حين قدوم
ناظمها صاحب الترجمة على قضاء مصر المحروسة حميت عن النحوسة ، ووافق
اختتامها بببيت حوى ثلاث توار يخ شاهدة بقدموه فقال :

الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ مِنْ مَعْنَاكَ مُنْتَثِرُ
وَعَقْدُكَ الْدُرُّ فِي الْآفَاقِ فَاقَ عَلَى
لِذَاكَ لِلرُّوحِ أَنْ رَوَّاحَ مَظْهَرَةٍ
إِنْ يُتْلَى فِي مَحْفَلٍ بَيْنَ الْأَلْيِ مَلَكُوا
وَأِنْ يُفَاخِرَ فَمَا قَسُ بْنُ سَاعِدَةٍ
فَمَطْلَعُ السَّعْدِ فِي دِيْمُورِ طَرَّتِهِ
حَيْثُ الْمَجْرَةُ وَرَدَّ عَزَّ مَطْلَبُهُ
كَأَنَّهُ الْفَيْضُ وَافَى بَلْقِعًا جَرًّا
لَمْ لَا يَكُونُ وَفَيْضُ اللَّهِ أَبْرَزْنَا
يِرَاعَةُ الْمَجْدِ قَدْ صَاغَتْ بِرَاعَتِهِ
فِي كَفَّةٍ حِينَ يَخْتَلُّ الْوَعْيُ عَجَبٌ
لَوْ لَا نَدَاهُ لَذَابَتْ مِنْ بِلَاغَتِهِ

وَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ مِنْ رَبَّاكَ فُنْتُ شَرُّ
فَرَقِ وَالسَّمَاءُ فَمَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ
وَالْجُسُومِ حَيَاةٌ حَلَّهَا الْخَضِرُ
سَحَرُ الْبِلَاغَةِ قَالُوا إِنَّهُ الْغَرُّ [١٦٣]
وَأِنْ يُسَامِرُ فَمَا الْأَخْبَارُ وَالسَّيْرُ
صَبِيحٌ فَمَا عِنْدَهُ مِنْ لَسِيلِهِ خَبِرُ
وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ فِي حَافَاتِهِ زَهْرُ
فَالرُّوضُ مِنْ سَبَبِ زِيَاكَ الْجَدَّ عَطِرُ
عِنْدَ الْفَتَى الْمِصْقَعِ الْعَرْنَيْنِ يَقْتَدِرُ
[فَكَلَّمًا] صَيْغَ مَنْ الْفَاطَةِ غَرُّ
وَهُوَ الْأَمَانُ وَمِنْهَا الْخَوْفُ وَالْحَذَرُ
خَوْفًا وَلَوْ [سَطَاه] أَوْرَقَ الْحَجَرُ

ذُو الْغُرْمَةِ الْبِكْرُ لَا يَفْتَضُّ مَعْرَكَةً
الْمُتْلَفُ الْمَالُ يَجْنِي الْمَكْرُمَاتِ بِهِ
فَجَاءَ وَمِيَاهُ السَّحَابِ جَامِدَةٌ
نَدَاهُ مِدْقِلًا جِزْرٌ يَشَانُ بِهِ
كُلُّ الشُّهُورِ ربيعٌ عِنْدَ مَقْدَمِهِ
المَصْقَعُ الْبَارِعُ الْخَبَرُ الْبَلِيغُ بِهِ
يَأْمَنُ أَيْادِيهِ أَبْكَارُ أَفْئُوزِ بِهِ
يَأْبَنُ الْأَلْسِي أَبَادُوا كُلَّ فَاقِرَةٍ
الْمُنْعَمُونَ أَكْفَاءُ أَيْنَ مَا وَجَدُوا
لِي وَالِدُ وَارِدٌ مِنْ جُودِ جُودِكَ مَا
نَضَرْتَهُ بِدِيَارِ الرُّومِ حِينَ سَطَا
فَعَادَ مِنْهَا يَجْمَدُ اللَّهُ مُنْتَصِرًا
فِي كُلِّ مُحَقَّلٍ فَضْلُ أَنْتَ مَدْحَتُهُ
اللَّهُ أَكْبَرُ يَضِلُّ اللَّهُ فَأَضَ فَلَمْ
هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَمَلُهُ
لَمَّا وَلَيْتَ بِمَصْرٍ زَالَ كُلُّ أَذَى
يَضُوعٌ مِنْ كُلِّ فَجٍّ تَرِبَ سَاحَتُهَا
لِذَاكَ أَحْمَدُ الْغَزِي جَاءَ عَلَيَّ
لَأَنْتَ يُوسُفُ إِنْ لِي أَرْزَمَةٌ عَرْضَتْ
عَزِيزٌ مَصْرٍ بِمَرْجَاةِ الْبِضَاعَةِ قَدْ
فِي كُلِّ قُطْرٍ أَرَى مَدْحَ الْبِلَاغَةِ مِنْ
عَلَى الْخُصُوصِ لَمَّا أُبْرِزْتَ مِنْ دَرٍّ
وَكَمْ لِفَضْلِكَ مِنْ فَيْضٍ بَدَأَ قَبِدَتْ
فَمَا مَدِيحِي بِوَأَفٍ مِنْ مَقَامِكَ إِذْ
نَظَمْتُ كَمِيْقَاهُ وَسُفِي هَدْيِهِ سَدَدُ
لِذَاكَ أَحَبَبْتُ خَتَمَ النَّظْمِ مُنْدَرَجًا
فَقُلْتُ بَيْتًا حَوَى فِي نَظْمِهِ غُرْرُ
بِشْشَرِي لِمِصْرٍ

الْأَوْخَاصِ إِلَيْهَا الصَّارِمُ الذِّكْرُ
وَالْقَائِلُ الْفَضْلُ [مَنْقُولٌ] بِهِ الْخَضِرُ
وَمُقَدِّمُ وَضْرَامِ الْحَرْبِ تُسْتَعْرِ
وَعَيْتُهُ الْغَوَّانُ ضَمِنَ الْحَيَا مَطَرُ
وَكُلُّ شَهْرٍ سَوَى أَيَّامِهِ صَفَرُ
نَظْمِ الْمَعَارِفِ فِي الْأَقْطَارِ مُنْتَشِرُ
وَمِنْ زَمَانِي لَدَيْهِ كُلُّهُ بُكْرُ [١٦٤]
فَطُولُ أَيْدِي نَرَاهُمْ مَا بِهِ قَصْرُ
وَالطَّيِّبُونَ ثَنَاءً حَيْثُمَا ذُكِرُوا
بِهِ عَلَيَّ سَائِرِ الْأَقْرَانِ يَفْتَخِرُ
عَلَيْهِ قَوْمٌ مِنَ الْأَشْرَارِ وَاعْتَوِرُوا
لَهُ بِمَدْحِكَ مَا بَيْنَ الْيُورِيِّ سِيرِ
كَأَنَّهَا اللَّيَالِي عَمْرُهُ سَمِيرُ
يَظْمَأُ فَتِي دَامَ فَيْضُ اللَّهِ نَنْتَظِرُ
الْحَمْدُ لِلَّهِ زَالَ الْكَرْبُ وَالْكَرْبُ
عَنْهَا فَلَا أَصِرُ يَعْرِوْهَا وَلَا ضَرَرُ
كَأَنَّمَا فَتَتْ فِيهَا الْعَثَرُ الْعَطِرُ
مِنْوَالِ وَالِدِهِ بِالْمَدْحِ يَعْتَذِرُ
تَخْشَى وَمِنْ فَضْلِ أَحْكَامِ الْقَضَا عُمَرُ
أَتَيْتَ فَارْحَمْ فَمَنْكَ النُّصْرُ وَالظَّفَرُ
غَيْبِ نَظْمِكَ بِالْأَمْدَاحِ تَذَكَّرُ
فِي فَتْحِ تَبْرِيزٍ قَدْ حَارَتْ بِهَا الْفَكْرُ [١٦٥]
لَهُ بِدَائِعِ نَظْمِ كُلِّهَا دَرُّ
مَثَلِي عَلَيَّ رُبَّةُ النَّقْصِ مُقْتَصِرُ
فَأَقْبَلَهُ فَضْلًا فَأَنْنِي جُنْتُ أَعْتَذِرُ
فِي سِلْكَ مَنْ هُمْ التَّارِيخُ الثَّنَا ذَكْرُوا
ثَلَاثَةٌ مِنْ تَوَارِيخِ هِيَ الْبَدْرُ
أَرْخُ بِذَلِكَ دَيْنَ اللَّهِ مُنْتَصِرُ

وحيث قد أوردنا هذه القصيدة التبريزية وما عليها من التعاريض السنية ،
دلالة على مهابته في النظم البديع ، فتعين أن نورد من إنشائه الفائق القدر الرفيع ،
ليقف الناظر في هذا الكتاب ، الفصيح الخطاب ، على حسن معرفة صاحب الترجمة

بطريقتي ، المنشور والمنظوم ، وبديع بلاغته في المنطوق والمفهوم ، وليعلم أن صاحب الترجمة [فرداً] ^(١) في أنباء جنسه في معرفته بطرق العربية ، ومالها من حسن تلك اللغات البهية .

فمن إنشائه الفائق ، ونثره الرائق ماكتب به إلى شيخنا شيخ الإسلام، علامة الأنام البدر القرافي المالكي مبشراً بولايته لقضاء مصر المحروسة وصورته : [١٦٦] .

أزكى تحية يفوح بالصدق نشرها ، ويلوح بالود الخالص بشرها تحية ثناؤها العطر ، يشهد بها الضمير ويزكيها خاطر ، تنبئ عن الود الصميم ، والحب الذي هو عن الرياء سليم ، المنهى لدى الأسماء على الكريمة ، لازالت عن سماع المكاره سليمة ، هو أنه أنعم علينا بقضاء مصر ، حميت عن الإصر وذلك في ثامن المحرم من هذه السنة ، وقد شاع وذاع ، وملاً الأسماع حسن استقامتكم ، كحال سعيكم ، وكفايتكم ، وقرأ قمنا مولانا عبد الباقي الجمال مقامنا إلى حين حضورنا ، فالقصرين الكرم ، والمأمول من لطف تلك الشيخ ، بالمحادثة وحسن المظاهر ، سلوك الجادة القويمة، والطريق المستقيمة ، وما ظهر من المساع ، فمكثوا لدينا وراجع إلينا، والباقي إلى التلاقى ، تحريراً في خامس صفر انتهى .

ومن إنشائه أيضاً ماكتب إلى البدر المذكور أسكنها الله تعالى من الجنات أعالي القصور-بعد انفصاله عن قضاء الديار المصرية والتخوت اليوسفية،وصوته :

لازال في سموات تحقيقات العلوم بأقمار أبكار أفكاره مبرراً ، وما برح بين العلماء كالقمر ما بين النجوم نيراً ومتزيداً قدراً [١٦٧] أخص تلك الطلعة الفاخرة والوجه البسيم ، بتحية أزكى عرفاً من المسك ، وارق لطفاً من النسيم ، وأبث من الواعج الإشواق ما لا تسعه الصحف والأوراق ، وأهدى هدايا التحايا ، الخالص "عن الرياء المنبعثة عن الصدق والصفاء رلى حضرة من هو بدر أفق الكمال وشمس فلك الفضل سواالأفضال بقية السلف ، خير الخلف الفاضل الفاصل بين الحق والباطل بفكره الثاقب ورأيه الصائب ، الفائق في الخلق ، والخلق بين الخلق ، الخلق بين الخلق ، الحائز في ميادين الكمالات السنية والفضائل العلية قصب السبق ، الذي

[١] كذا بالمخطوطه والصواب فرد .

له يد طولاً في التفسير والحديث والأصول والفروع والفتوى ، وقدم راسخ ، وأنف شامخ في الزهد والورع والتقوى لا برحت الأكباد العطاش بفيض فضلها تروى ، مازالت أحاديث الكمال عن طلعتها الزاهدة تروى ، وبعد : فإن خطر ببالكم الخطير ، التفحص عن أحوال محبكم الفقيد إلى الغنى الكبير ، فبهتمكم العلية وصلنا إلى قسطنطينية في اليوم الخامس عشر من شهر شوال على أحسن أحوال ، من غير إصابة مكروه في الطريق في التلال والجبال ، وعند وصولنا إلى أصحاب الجاه والجلالة ، حصل لنا منهم كمال الراية والاجلال [١٦٨] والمواعيد السنوية بالمناسبات العلية كل ذلك لير إلا ببركة دعائكم ، وحسن تنائكم ، وتكلمنا في شأنكم مع قاضي العسكر العلي الشأن محبكم ، مولانا على أفندي بن سنان ، فأخرجنا الأمر الشريف السلطاني ، والحكم المنيف الخاقاني ، بأن لا يفنتي أحد غيركم في مذهب المالكية ، إلا بإجازتكم العلية ، ولاتنسونا من الدعوات المستجابة في المزارات والاوقات المستطابة ، فإنني على صدق المحبة باق ، إلى يوم التلاق عصمنا الله تعالى وإياكم عن النفاق من المحب الفقير فيض الله المنفصل عن قضاء مصر المحروسة . انتهى .

ومن إنشائه اللطيف ، وسجعه المنيف ، أيضاً ما كتب به إلى شيخنا المذكور ، صبت عليه رحمة الملك الغفور ، وصدر ذلك بأربعة أبيات ، عن غيره أبيات من نظمه الرايق ، وشعره الفائق ، وهي قوله :

قَدْبَانِ يَوْمَ الْبَيْنِ أَنْكَ مَالِكِي	بِهَوَاكَ مَوْلَايَ الْقَرَا فِي الْمَالِكِي
بِفِرَاقِ مَوْلَانَا الْقَرَا فِي فِي الْحَشَا	نَارُ الْهَوَى اضْطَرَّمَتْ فَضَلَّ مَسَالِكِي
يَا نَفْسُ حَاكٍ بَعْدَ بَعْدٍ أَحَبِّهِ	يَوْمَ الْفِرَاقِ كَلِيلُ أَسْوَدَ حَاكٍ
أَرْجُو مِنْ اللَّهِ الْكَرِيمِ بَقَاءَكُمْ	بِالْخَيْرِ فِي مِصْرٍ أَجَلٌ مَمَّا لَكَ [١٦٩]

"بعد اهداء التحية النجية الطيبة في مقابل ما أنعم علينا من كتاب المحبة وأحسن ، بمقتضى قوله تعالى " وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها " .

المعروض على مسامع من هو معروف في الألسن ، ببراعة يراعة الفضل

واللسن بحيث لو قيس إليه مس فى البلاغة لكان أبكر وألكن ، بدر سماء الفضائل ،
شمس فلك الفواضل ، مالك ممالك الاستقامة والتقوى وسالك مسالك الورع والهدى ،
بقية السلف ، خير الخلف ، الأملعى الأريب ، واللوزعى اللقن الأديب .

إن ما اندرج فى تضاعيف الكتاب ، من صدق الوداد ، فغير خاف على أولى
الألباب سوما هو متعلق بالوظيفة ، وإخراج الأوامر الشريفة ، فلا تكاد تبرح فى
تشمير الساق ، لإتمام هذا المرام ، بحسب مقتضى الساق ، ولو لزم منه مشتاق
فتلتزم حسبما يقتضيه العهد والميثاق ، فلا تمنعونا من صالح الدعوات فى القرافة
صانكم الله عن كل عاهة وأنه ، من الفقير فيض الله المنفصل عن قضاء مصر
المحروسة انتهى .

قلت : ولم يزل يترقى فى المناصب اليهبة ، ويتقلب فى المراتب العلية إلى
أن تولى قضاء تخت السلطنة السنية [١٧٠] قسطنطينية المحمية واستمر فيه
مده ، لازماً فيه للين معوضاً عن الشدة ، ثم تنقل إلى قضاء أناضولى ثم منه
إلى روملى ، كل ذلك وهو ملازم فى ذلك كله سبل الانصاف ، مجانباً للجور
والإجحاف وناشراً لواء العدالة على رؤس الأنام ، مغدقاً على أهالى تلك الديار
من يد الجود والإنعام ، حتى حمد الناس سيرته وشكروا سريره إلى أن
انفصل عن المناصب وتنزه عن التنقل فى المراتب ، وألف النسك والعبادة ،
وعكف على القناعة والزهادة مشغلاً فى العلوم ، مبيناً للمنطوق منها والمفهوم ،
إلى أن أدركه حمامه وانقضت شهوره وأعوامه فعاش سعيداً ومضى شهيداً
وبلغنا خبر وفاته ، بتلك الديار ، العلية المنار ، فيما أظن بعد سنة إحدى عشرة
بعد الألف ، وكثر الأسف على فراقه ، وتألم العامة والخاصة لأليم بعده ، تغمده
الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته أمين .

حرف الهميم قاضى عسكر مصر محمد شمس الدين السرسى

الحنفى هكذا ذكره العارف بالله تعالى عبدالوهاب الشعرانى (١) فى ذيل طبقاته ، ولم يذكر أحداً من أحواله .

قال بعد ذلك : صحبتته نحو عشرين سنة فما أظن أن كاتب الشمال كتب [١٧١] عليه فيها سيئة ، وكان رضى الله عنه كثير الصمت لا تكاد تسمع منه كلمة لغو أبداً .

وأخبرنى جماعة كانوا يقرأون عليه أن من كراماته أن الله تعالى يأخذ بسمعه إذا كلمه أحد بعيب أو كلام فاحش ، حتى كأنه أصم وهذا حفظ من الله تعالى عظيم ما سمعناه إلا عن سيدى محمد بن زين بالتحارية رضى الله تعالى عنه وكان رضى الله تعالى عنه عالماً بالقراءات فى السبع ، وولاه السلطان الفورى مشيخه الإسلام كرهاً عليه ، وكان عامة ليله بكاء ومراقبة وتهجد إلى الصباح فيكحل عينيه ويدهن وجهه كأنه كان نائماً طول الليل .

شرح كتاب المختار شرحاً عظيماً ، وسافر إلى مكة المشرفة فمات بها رضى الله تعالى عنه ورحمه . انتهى كلامه .

ولم أر من ترجمه غيره ، ولم أقف على تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

محمد بن إبراهيم بن خليل التتائى (٢)

— بتاعين فوقائتين مخففتين — المالكى شمس الدين أبى عبدالله قاضى القضاء بمصر .

[١] عبدالوهاب الشعرانى : هو عبدالوهاب بن أحمد بن على أحمد بن محمد ذوقان بنى موسى بنى أحمد السلطان ، ونسبته لقرية (ابن شعرة) من قرى المنوفية ، صوفى الطريقه ، توفى سنة ٩٧٣ هـ ، راجع ترجمه فى الكواكب ج ٢ ، ص ١٥٧ وما بعدها .

[٢] محمد بن إبراهيم بن خليل التتائى : الشيخ الامام العلامة شمس الدين التتائى المصرى المالكى ، اقام بمدرسة الشيخونيه بالقاهرة ، وشرح الرسالة شرحاً حافلاً ، وعدة كتب ، وكان معمور الاوقات بالعلم والعباده والاوراد ، وكان صواماً قواماً مؤثراً للخمول ، لا يتردد إلى الاكابر او يأكل لأحد من الظلمه ، أو من أعوانهم شيئاً ، وكان محدداً لنقول مذهبه ضابطاً لها ، وقال الحمصى : كان قاضياً بمدينة طرابلس ، ثم حضر إلى دمشق ، فحصل له محنة وضع فيها بالسجن ، ثم حصل له ضعف فنقل إلى البيمارستان النورى بدمشق واستمر به إلى أن توفى يوم الأحد ١٢ ربيع الآخر ٩٣٠ هـ ، راجع الفرى ، الكواكب ج ١ ، ص ٩٤ .

- كان موصوفاً بالديانة ، والأمانة، والعفة ، والصيانة ، والفضل ، والتواضع ،
ثم ترك القضاء ، وأقبل على الاشتغال ، والتصنيف ، شرح مختصر الشيخ خليل
شرحين ، أحدهما سماه : الفتح الجليل بشرح مختصر الشيخ خليل ، وثانيهما :
[١٧٢] جواهر الدرر فى شرح المختصر ، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعى ،
وشرح رسالة ابن أبى زيد ، سماه : تنويه المقالة ، فى حل ألفاظ الرسالة ، وشرح
الإرشاد ، وشرح الشامل لبهرام الدميرى لكنه لم يكمله ، وعمل حاشيته على التدريب
للجزيرى وشرح مقدمة ابن رشد ، وشرح القطرانية وشرح ألفيه العراقى فى مطلع
الحديث ، وله حاشيته على جمع الجوامع للمحلى فى أصول الفقه وغير ذلك فى
الفوائض والحساب والميقات .

قال شيخنا البدر العراى فى ترجمته من كتاب : موشح الديباج وحلية
الابتهاج : وقد بعض تلامذة صاحب الترجمة من أصحابنا حاشيته على المحلى
وسمعت بعض أشياخى يقول : أنه أخذ بعض ماتعب فيه الشيخ أبو الحسن على
الشاذلى معا صره فى شروحه الستة على الرسالة ووضعها فى شرحه باختصار ،
وأنه كان ذايد طول فى الفرائض . توفى بعد الأربعين وتسعمائة ووصفه عارف وقته
الشيخ عبدالوهاب الشعرانى فى ذيل طبقاته بالشيخ الامام العلامة شمس الدين
التتائى المالكى رضى الله تعالى عنه [١٧٣] المقيم وبالمدرسة الشيوخونية ، شرح
الرسالة شرحاً عظيماً ، وشرح عدة كتب ، ولم يزل على قدم الزهد والورع ومحبة
الخمول وعدم التردد للأكابر إلى أن مات ، وكان وقته كله معموراً بالعلم والعمل ،
والأوراد ، مازرته قط إلا ورأيته مشغولاً بالله عز وجل .

وأخبرنى جماعة من الصوفيه من جيرانه أنه لاينام من الليل الا قليلاً على
الدوام ، وكان كثير الصيام ، وكان لا يأكل لأحد الظلمة وأعوانهم طعاماً ، وجمع
الناس على جلالته وتحريره لنقول مذهبه . وحفظ جوارحه الظاهرة والباطنة رضى
الله تعالى عنه ورحمه .

قلت : وكانت ولاية صاحب الترجمة الشمس التتائي لمنصب قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية من السلطان طومان باي (١) الجركسى ابن أخى الغورى المتملك بعده فقلده فى رمضان سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة (٢) ، واستمر إلى ذى الحجة منها إلى أن دخل قاضى القضاة يحيى الدميرى المالكى (٣) الآتى ذكره فى محله من هذا الكتاب - صحبة السلطان سليم بن عثمان متملك الديار المصرية من الغورى - على بقاءه على منصب قضا القضاة بالديار المصرية وعزل صاحب الترجمة واستمر بمنزله ملازماً للاقراء والإفادة ، وتحر العلوم [١٧٤] والاجادة إلى أن جاءه وقته المعلوم ، وأجله المحتوم كما مرفى صدر الترجمة .

وقفت لصاحب الترجمة على نظم بديع ووشعر مقامه رفيع فى مسائل علميه ، وفوائده دينية ، رأيتها بخط الجد قاضى القضاة محمد الدميرى المالكى الآتى ذكره فى محله من هذا المحل ، والمقام الأجل ، تتممياً للفائدة ، لعل أن يحصل به صلة فائدة .

فمن ذلك عده لأولى العزم من الأنبياء على ما ذكر ابن عطية فى تفسيره وهم خمسة ، والعلامة الزمخشري فى كشافة ، وهم خمسة فصار عدتهم عشرة ، فنظم اسماهم صاحب الترجمة فقال :

محمد إبراهيم موسى كلمه ونوح وعيسى هم أولو العزم فاعرف
وداود أيوب ويعقوب يوسف واسحاق ذو صبر على الذبح (٤) واكتف
ومن نظمه أيضاً المسائل التى لا يحكم فيها القضاة ومن
غيرهم على قاعدة مذهب الإمام مالك فقال :

[١] طومان باي : راجع ترجمته واخباره ابن اياس : مصدر سابق جده .

[٢] كانت ولايته من رمضان ٩٢٢ : ذى الحجة ٩٢٢ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٥١٦ : ٢٦ ديسمبر ١٥١٦ .

[٣] يحيى الدميرى : الإشارة هنا لترجمة يحيى الدميرى مهمة حيث أن الموجود من المخطوط ينتهى بنا عن حرف الميم ، وهذا ما يؤكد أن المخطوط غير كامل فعلاً .

ويحيى الدميرى : هو بن يحيى بن إبراهيم الدميرى قاضى القضاة شرف الدين ابراهيم قاضى القضاة برهان الدين الدميرى القاهري آخر قضاة المالكية بالقاهرة المحمية فى الدولة الجركسية ، كانت له شهامة ورئاسة ورفاهية فى العيش ، وقدم مع الأشرف الغورى دمشق ودخل معه حلب ، وذلك فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ، وأخذ عنه ابراهيم الحنبلى ووالده وأجاز لهما راجع الغزى : الكواكب ج ١ / ٣١٣ - ٣١٤ .

[٤] يذكر البعض أن الذبيح هو اسحاق وليس اسماعيل وهذا الامر عده بعض المحدثين والمفسرين من الاسرائيليات لان اليهود تريد ترويج ذلك بقضا منهم للعرب لأن اسماعيل جد العرب واسحاق جد اليهود .

قصا ص وحدثم حبس فعقب ولاء ورشد ضنده أمر غائب
وقال يتيم والوصايا ونسبة فدونك عشر ما بها من معائب [١٧٥]
ولا حكم إلا للقضاة بها ومن تعدى فمخط حكمة غير صائب

ومن نظمه الفائق وشعره الرائق قوله :

لا تأكل الأرض جسما للنبي ولا لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ، محتسب إذا أنه لإله مجرى الفلك

**ومن نظمه أيضا المسائل الممنوع جمعها مع البيع فى الحكم
على مذهب السادة المالكية وهى ستة مسائل فقال :**

عقود منعناها مع البيع ستة ويجمعها فى اللفظ "جص مشنق"
فجعل ، وصدف ، والمساواة شركة نكاح وقرض ؛ منع هذا محقق

من أنظمة أيضاً فى أدوية السعال ، فقال :

دوا السعال إذا ماومت صورته يفلفل وبمرثم أفيون
وميعة بيضة رطباً سائله ورب سوس نفيس غير معفون
وقدر الكل أجزاء مساوية بقدر الحمص البدون

ومن نظمه أيضا أدوية الضرس المزعج فقال :

عفص وورد وبلوط ولفلة وجلنار وقطران قلت به
دواء ضرسك والأجزاء واحدة إفادة من طبيب فى تطبيقه [١٧٦]

ومن نظمه أيضا فى المسائل التى لا يباع عقار اليتيم إلا

فيها على المذهب المالكى فقال :

عقار يتيم بيعه غير جايز سوى عشرة مع واحد تتعطر
لحاجته ، أو غبطة ، أو لكونه موظفا أو جزء كذا إذ يعمر
ولا مال أو خوف انتقال عمارة وإذا غلة قلت فهذا يفى

وجيران سوء أو لقصد شريكه ببيع ولا مال أو البيع أظهر
أو الجار ذمى عليك بحفظها تقف فى ميادين الكلام وتظفر

ومن نظمه أيضا مسائل النوافل التى إذا قطعت عمداً وجبت
إعادتها على المذهب المالكى فقال :

صلاة عكوف وإتتمام وعمره وحج طوف ، ثم صوم لمن دعا
فقاطعها عمداً معيد محتما لعودتها فرضا وكانت تطوعا
وقد بحث الفرسى خليل وقال لا يعاد أئتمام فانظر الحق واتبع

ومن نظمه أيضا فى المسائل إذا فعلت للمكلف غير ما أمر به
يجزئه ذلك عما أمر به فقال :

مقيم بالفاظ الأذان وذابح ترامى لقطع الرأس وانحاز وانفصل [١٧٧]
ومخرج عن شاله بعير وساجد على الأنف فى الإيما الفرج له حصل
فعن فرضه خوف الجراج تيمم فأبدله غسلاً وللأصل قد فعل
وهذا كلام تعدى لفعله فكن حافظ الأشياء تظفر بالأصل

وله غير ذلك من المنظوم والمنثور، والمحرو والمشهور، وقد أودع شرحه الكبير على
المختصر فوائد جمه، وفوائد مهمة، لا يستغنى اللبيب عنها، ولا يسعه إلا الاغتراف منها.
وبالجملة فأوصافه الجميلة يقصر عنها اللسان ، أخلاقه الحسنة لا يحصرها
البيان ، تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى فراديس جنانه - أمين .

هُجَمْدُ بن عبدالكريم بن أحمد بن صديق

الشمس بن الزين بن الشهاب الدهيرى المالكى

جدى والد والدى، قاضى الدولتين ورئيس الطائفتين الإمام العلامة والمحقق الفهامة .
ولد فى حدود سنة ثمانين ، ثمانمائة تقريباً (١) ، وحفظ القرآن الشريف وحفظ

[١] ٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ هـ .

مختصر الشيخ خليل في المذهب المالكي ، ومتوناً ، وعرض على جماعات من العلماء
المعتبرين ، والأئمة الراسخين من أعيانهم الشرف المناوي ، والجلال البكري
الشافعيين والسراج بن جرير [١٢٨] المالكي ، والمحيوي بن تقى الدميري المالكي ،
والبرهان اللقاني المالكي ، والزين قاسم النويري المالكي ، والشمس بن قدامه
الحنبلي ، وداود القلقاوي الأزهرى المالكي وحمزه البجائي المالكي ، والبدر السدرسي
السعدي الحنبلي ، والقاضي ناصر الدين الأحميص الحنفي ، والحافظ المسند
شمس الدين محمد السخاوي (١) الشافعي ، والكمال بن أبي شريف القدسي
الشافعي ، والجلال بن الامانه ، بن الابيارى الشافعي ، وقاضي القضاة عبدالغنى
بن تقى ، والحافظ فخر الدين عثمان الديمي الشافعي والحافظ المسند الرحلة جلال
الدين عبدالرحمن السيوطي الشافعي (٢) والشيخ سليمان الجيري المالكي (٣) ،
والبرهان الدميري المالكي (٤) وشيخ الإسلام زكريا الانصارى السنيكي الشافعي (٥)
، وقاضي القضاة محمد التتائي المالكي ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة .

[١] السخاوي : محمد عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد ولد سنة (٨٣١هـ) وتوفي سنة
(٩٠٢هـ) وله مؤلفات وتصانيف عديدة (انظر ترجمته بتفصيل في الكواكب ج ١ / ٥٣ : ٥٤ ، الكشف
ج ٦ / ١٧٤ - ١٧٦) .

[٢] جلال الدين السيوطي : عبدالرحمن بن أبي سابق الدين بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن
محمد بن الشيخ همام الدين ، الشيخ العلامة الإمام المحقق المدقق ، المسند الحافظ شيخ الاسلام جلال
الدين أبو الفضل ابن العلامة كمال الدين الأسيوطي الخضيرى الشافعي صاحب المؤلفات الجامعه
والمصنفات النافعة ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة (٨٤٩هـ) ، وتوفي
يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة فى منزله (٩١١هـ) وانظر ترجمته
ومؤلفاته بالتفصيل فى الكواكب ج ١ / ٢٢٧ - ٢٣٢ ، والكشف ج ٥ / ٤٣٤ - ٤٤١ .

[٣] سليمان البحيرى : هو "سليمان ، الشيخ العلامة علم الدين البحيرى المصرى شيخ المالكية ومفتيهم بمصر ،
توفي يوم الخميس ثامن شعبان سنة اثنتى عشرة وتسعمائة (٩١٢هـ) . ودفن بالصحراء بالقاهرة رحمه الله
تعالى" (الكواكب ج ١ / ٢١٢) .

[٤] هو والد يحيى الدميرى المتقدم ذكره فى هامش من قبل وستأتى ترجمته .

[٥] زكريا الأنصارى : هو زكريا بن محمد زكريا الأنصارى قاضى القضاة زين الدين أبو يحيى السنيكى
الشافعي ولد سنة ٨٢٣هـ وتوفي سنة ٩٢٧هـ . وله ترجمة حافلة فى (الكواكب ج ١ / ١٩٨ - ٢٠٨) ،
(وانظر أيضاً الكشف ٥ / ٣٠٧ : ٣٠٨) .

وحضر دروس السراج بن حريز المالكي في الفقه وأكثر من ملازمة البرهان اللقاني فيه وفي غيره ، وأخذ عن البجائي في العربية ولازمه ملازمة تامة وأخذ عن الزين قاسم النويري فنونا كالصرف والمنطق والمعاني والبيان وسمع على كل من النويري فنونا كالصرف والمنطق والمعاني والبيان وسمع على كل من البدر السدرس والناصر الأحميمي ، في الحديث وعلومه وقرأ [١٧٩] البخاري بتمامه على الحافظ السخاوي الشافعي وحمل عنه شرح شيخه^(١) عليه ، وقرأ عليه جانباً من صحيح مسلم ، واتصلت له الكتب الستة من طريق الفخر الديمي والحافظ السيوطي .

وأخذ عن الشيخ زكريا في المعقولات جملاً مستكثرة وأخذ عن الشيخ سليمان البحيري حاشية على مختصر الجلاب وشرحه للإرشاد وإجازله الشرف المنادي والجلال البكري والسراج بن حريز والمحيوي بن تقى والبرهان اللقاني ، والشمس بن قدامه ، والبدر السدرس والناصر الأحميمي ، والشمس السخاوي ، والحافظ الديمي ، والجلال السيوطي ، والشيخ زكريا والبرهان بن أبي شريف ، والقلقشندي ، والشنشيني الحنبلي ، وأجاز له بالافتاء والتدريس غير واحد من مشايخه ، وثبتت عدالته على الشهاب الحبشي المالكي بإذن من قاضي القضاة تقى الدين عبدالغني بن تقى المالكي ، وذلك من قاضي القضاة تقى الدين عبدالغني بن تقى المالكي ، وذلك في التاسع من ربيع الأول سنة سبع وتسعمائه ، وكتب له عدالة معتبرة في نحو أربعين وصلاً من الورق الشامي وصورتها :

بعد " إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم " : الحمد لله الذي رفع لمحمد دينه القويم [١٨٠] مقاماً سنياً ورزق أمته التوفيق ، والاشتغال بالعلم لتحى قلبه ويكون مرضياً وأمره بصله البدهان الموصل إلى الكمال ولا يزال رقياً واكسبه من سراج فضله أنواراً كسسه من خلع العدالة حلاً سنياً وكتب له توقيع السعادة فنظمت إلى الرقي السيادة جواهر غايته السنية ، فكان في جميع أقواله وأفعاله مرضياً ، وفضل من الأزل بالتوفيق فسلك في بدايته الهداية أحسن طريق بتهذيب مع حسن التبصرة في الخيرات ، أخذاً في مقدمات الطاعات .

[١] أي ابن حجر العسقلاني والشرح المقصود هو كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المشهود" .

أحمدته حمداً دائماً مرضياً وأشكره على ما أنعم ، من سوامغ النعم ظاهراً وخفياً لم يكن لربه شقياً واشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله الذى اختاره نبياً فهو الذخير لأمته يوم الفزع الأكبر ، وخلاصة القول فيه صلى الله عليه وسلم أن المسجد والمطلب المنتقى والنهاية وهو سيد الحكام ، وسيد الأنام ، وزمام الأمم يوم الزحام ولم يزل بذلك ملياً .

وهو الذى نسخت شريعته الشرائع حتى السليمانية والموسوية والعيسوية [١٨١] الذى جاء بالشرائع المبينه والجواهر الثمينه والنوادر من الأحكام بين العباد فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة لحسن الإرشاد فهو الهادى والشافى والعدة والعمدة يوم المعاد والداعى إلى الله فلم يزل بدعاء ربه خفياً ، فمن توضيح شرعة لباب للباب ، وعمده الناسك الشامل بنفعه يوم يقوم الحساب ، من كان تمسكه بهديه قوياً . ومن فصاحته مختصر المختصر ، وتلخيص التلخيص ببدايع البيان ، وتلقين الحاصل والمحصول بأفصح لسان وأصح بيان ، والأخذ بطريقه لم يحد عن سراها غنياً ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، أظهرت اللمع من المجموعة فى فروق الأحكام مسائل الشرائع التى أصبح بها ميت الجهالة حياً صلاة وسلاماً داعيين بدوام قول الله تعالى المنزل على لسان محمد : " تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقياً " .

وبعد : فإن من استقام على الحق ظاهره ، وصلحت فى سره مع الله سرايره ، وتربى فى حجر أبيه سالكا طرق العفاف والسيادة داخل فى أثواب العز والسعادة ، وسلك مسالك المتقين ، واقتبس أنوار المتفقهين فى الدين ، ونطقت الألسنه ببث [١٨٢] محاسنه وشكره وتعطرت المجالس بطيبه وطيب نشره ، وكانت مناهج سداده واضحة ونشأته بين أقرانه صالحة ، واقتفى آثار آبائه الحسان ، واجتهد فى تحرير أصغريه : القلب واللسان .

وقد اشتغل من كتب هذه الأسجال برسمه بالعلم الشريف وتمرن وتمهد ، وترك النوم فى الليل وهجد ، وقرأ كتاب الله فى مدة يسيره ، وساد على أقرانه بحسن

السيرة ، ولاحت على من كتب هذا السجل باسمه آثار العدالة ، وخضعت لبراعته وبراعه رقاب العدالة ، وأختار أن يسلك من الطرق الحميدة أحسنها له ، واستقر بذلك من الرتب العلية فى أحسن هالة ، وفاق على نظائره بنباهة وديانه وعقلاً ، واستحق أن يكون بذلك عدلاً فلذلك استخار الله سبحانه وتعالى الذى ما خاب مستخيره ، واستجار بحرم كرمه الذى ما ندم مستجيره ، سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة ، الأوحد الحافظ الحجة . المدقق القدوة ، المحقق الرحلة الحافظ الخاشع الناسك الأمة ، قاضى القضاة تقي الدين [١٨٣] لسان المتكلمين ، وحجة المناظرين عمدة الحفاظ بقية المجتهدين سيف المناظرين ، إمام النحاة الأصوليين . شيخ الإسلام مفتى المسلمين محقق القضايا والأحكام ، حسنة الليالى والأيام صدر مصر والشام ، قانع المبتدعين ، القائم بأعباء سنة سيد المرسلين ، قاضى المسلمين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الفضل عبدالغنى بن سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق العمدة الحافظ شهاب الدين لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، عالم المسلمين ، أبى العباس أحمد بن تقي المالكى ، الناظر فى الأحكام الشرعية بالديار المصرية ، والمملكة الشريفة الإسلامية أدام الله تعالى أيامه الزاهرة ، وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة .

فوض لنائبه سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة شهاب الدين شرف العلماء ، أوحد الفضلاء ، مفتى المسلمين أبى العباس أحمد الحبشى ، المالكى ، خليفة الحكم العزيز بالديار المصرية أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه ، بمقتضى قضية متوجه بالخط العالى ، أعلاه الله تعالى . فصل يتضمن [١٨٤] تزكية العبد الفقير إلى الله تعالى شمس الدين محمد بن الفقير إلى الله تعالى عبدالكريم الدميرى أعزه الله تعالى ، فامتثل سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ شهاب الدين المشار إليه أعلاه ، أدام الله تعالى علاه ، التفويض والامر المطاع ، وتحرى فى البيئة حسب ما استطاع ، وسمع البينة بتزكيته ، وصرح له بعدالته ، وقبلها القبول الشرعى وأشهد على نفسه الكريمة ، من حضر مجلس حكمه وقضائه ، وهو نافذ القضاء والحكم قاضيا .

وذلك فى اليوم المبارك التاسع من شهر ربيع الأول الذى هو من شهور عام
سبع وتسعمائه (١) .

إنه ثبت عنده ، وصح لديه ، أيد الله تعالى أحكامه وأحسن إليه على الأوضاع
المعتبرة الشرعية ، والقوانين المحررة المرعية بالبيئة العادلة المرضية ، التى تثبت
بمثلا الحقوق الشرعية ، عدالة الفقير إلى الله تعالى شمس الدين محمد المشار إليه
فى تحمل الشهادة وأدائها ، وبسط قلمه فى أندية الأرض وأرجائها ، ليحفظ
الحقوق بذلك على أربابها ، وأوليائها ونصبه بين كافة الناس شاهداً عدلاً ، إذ كان
صالحاً وأهلاً وأجراً ، أجرى الله تعالى الخيرات على يديه ، جرى أمثاله من الشهداء
المتميزين ، والعدول المبرزين الاعتبارين ، وسلك به مسلك الفقهاء المنفقيين فى الدين
فليبسط بذلك لساناً وبياناً وعند حصول المشكلات يتفوه بها تبياناً وفأسأل الله
تعالى أن يوزع شكر هذه الرتبة العلية ، والمنزلة الشريفة السنية ، التى أضحى بها
فى أرض الله تعالى بين العباد من جملة الشهداء الاعتبارين ، وعلى خلق الله عز وجل
وأموالهم ودمائهم ، وفروجهم من المؤمنين ، تتغذ فيهم شهادته ، وتقبل فيهم مقالته
[١٨٦] فعليه حفظ الله بتقوى الله وطاعته ، وخشيته ومراقبته فى سره وعلايته ،
فإنه من سلك طريق الحق مع الصدق نجا ، "ومن يتق الله يجعل له مخرجاً" ،
وليتناول كتاب هذه العدالة بقوة ، وليحمد الله أن بلغه مرجوه ، وليسلك فيها ما يجب
لها سلوكه من شروط المروءة ، وليعلم أن الله تعالى مطلع عليه فى سائر أقواله وأفعاله ،
فليراقبه فى جميع أعماله وأحواله ، وليتجنب ما نهاه الله عز وجل عنه فى القعود
والقيام ، وليتصف بصفات أبائه الكرام ، وليعتمد فى الله اعتماد من لا تأخذه فى
الله لومة لائم ، وليحذر ارتكاب الهوى ، فى السر والنجوى ، وليراقب الله عز وجل
فيما يبدى ويعيد ، ولنتذكر قوله سبحانه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ،
وليتذكر قوله تعالى فى كتابه المكنون "ستكتب شهادتهم ويسألون" وليتق الله قائلاً
قولاً سديداً ، فإن الله شهيد ، وكفى بالله شهيداً ، والوصايا كثيرة ، وملاكها التقوى
والفوز بها هو السبب الأقوى ، وهى لا تعد ولا تحصى ولكنه بحمد الله [١٨٧] أهدي

[١] ٩ ربيع الأول : ٩٠٧ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٥٠١ م

من أن يوصى ، والله تعالى يحرسه من الخطأ والزلل ، ويوفقه لما يرضيه ويسدده ، فى القول والعمل ، بمنه وكرمه ، وأشهد سيدنا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ شهاب الدين شرف العلماء أوجد الفضلاء ، مفتى المسلمين أبى العباس أحمد الحبيشى الحاكم المالكى المشار - إليه أعلاه - أدام الله تعالى عزه وعلاه - على نفسه الكريمة فى تاريخه المتقدم ذكره المهياً محله بخطه الكريم بين أسطره أعلاه ، الذى سيكملة فى محله ، - شرفه الله تعالى وزاد فى علاه - حسبنا الله ونعم الوكيل ..

هذا كله لفظ العدالة وصورة خط الموثق للعدالة المذكورة ما نصه :

أشهدنى على نفسه الكريمة سيدنا ومولانا ، العبد الفقيد إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة شهاب الدين شرف العلماء ، أوجد الفضلاء مفتى المسلمين ولى أمير المؤمنين ، أبى العباس أحمد الحبيشى المالكى المنوه باسمه الكريم أعلاه ، أدام الله تعالى رفعة وعلاه - بجميع مانسب إليه فى أسجاله المسطرة أعلاه ، فشهدت عليه به فى تاريخ ولى أحمد بن على الداودى المالكى [١٨٨] الأزهرى .

وعلى العدالة المذكورة خطوط جمع من أكابر الشهود ، ووصفه شيخنا البدر القرافى المالكى فى كتابه "توشيح الديباج وحلية الابتهاج الذى ألفه ذيلاً على "الديباج المذهب فى علماء المذهب " لابن فرحون ، قال : وبرع فى الفقه وهو جدى لأمى القاضى المعتمد الشهير العول عليه فى المهمات بها ، والمشار إليه فى معرفة القضايا والنوازل ، ومميز صحيح الوثائق من سقيمها ، وما دخله منها بحيث لا يَخْتَل ما قاله ولا قدح فيه ، وكان رحمه الله لا يقر على باطل ، وضرب بحجته المثل فصار الناس يقولون فى حياته : أهى حجة الدميرى ؟ أخبرنى والدى أنه يملى وثيقتين لكاتبين فى وقت واحد بحيث لا يجف قلم أحدهما ، ولا يسأله أين وقف .

"أخذ عن قاضى القضاة محمد بن إبراهيم التتائى ، وعن قاضى القضاة

إبراهيم الدميرى (١) المتقدم ذكرهما ، وغيرهما ثم عين بخطابة الغورية من قبل واقفها السلطان الغورى ، ثم درس الفقه والحديث بالجامع الطولونى ، والفقه بالمدرسة المنصورية (٢) [١٨٩] والفخرية (٣) والأشرفية (٤) العتيقة والشيخونية (٥) والصالحية (٦) ، وكان ذا همم وصرامة منفذاً للأحكام ، ويعترف الخصوم من هيئته بالحق ، انفرد بقضاء المالكية بمصر مع وجود أشياخه ومن فى رتبهم .

قلت : وناب فى القضاء عن البرهان الدميرى المالكى ثم عن ولده قاضى القضاء يحيى مدة ، ثم لما عين السلطان قانصوه الغورى خطابه مدرسته الصاحب الترجمة وقع التنافر بين صاحب الترجمة وبين مستنبيه قاضى القضاء يحيى الدميرى المذكور إلى أن أدى الأمر إلى قاضى الحنفية إذ ذاك ، هو السرى عبدالبر بن الشحنة (٧) الحلبى فى شأنه مع سلطان الوقت الأشرف الغورى فى ولاية صاحب الترجمة قضاء المالكية فألزمه السلطان بذلك على يد القاضى عبدالبر بن الشحنة المذكور وأرسل له خطه صحبته ، فامتنع صاحب الترجمة عن القبول وصمم على الامتناع أياما كل ذلك والسلطان يلهج بولايته وتكرر مجئ قاضى الحنفية له على لسان السلطان وطلب له ، وكثر تردده عليه ، كل ذلك وهو مصر على الامتناع إلى أن

[١] هذه الإشارة إلى الدميرى أيضاً تبين لنا نقص المخطوط من أوله حيث أن الموجود لدينا من أول حرف الحاء ، وهو الشيخ العلامة إبراهيم قاضى قضاة المالكية بالقاهرة برهان الدين الدميرى توفى بالقرب من الصالحية بين القصرين بالقاهرة فى يوم الأربعاء ثالث عشرى رمضان سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٩١٣هـ) . (الكواكب ١١٠ / ١) .

[٢] المدرسة المنصورية : بشارع النحاسين تجاه المدرسة الكاملية ، انشأها الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى وتعرف بجامع المارستان . على مبارك ج٦ ص ٣٩ .

[٣] الفخرية : فيها بين سويقة الصاحب ودرج العداس عمرها الامير فخر الدين ابو الفتح وفرغ منها سنة ٦٢٢هـ . على مبارك ج٦ ط ٣ .

[٤] الاشرفية : بجوار مدرسة تربة ام الصالح بقرب المشهد النفيسى . على مبارك ج٦ ص ٤ .

[٥] الشيخونية - توجد بشارع الصليبية تجاه جامع شيخو ، انشأها الامير شيخو العمرى سنة ٧٥٦هـ وتعرف بجامع شيخو . على مبارك ج٦ ص ٢٠ .

[٦] الصالحية : بخط بين القصريين تجاه الصاغة ، انشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠هـ ، وتعرف بجامع الصالح . راجع على مبارك ج٦ ص ٢١ .

[٧] عبدالبر بن السخنة : هو عبدالبر بن محمد قاضى القضاة أبو البركات ، سرى الدين ، ابن قاضى القضاة أبى الفضل محب الدين ابن الشحنة الحنفى ولد سنة ٨٥١هـ وكانه وفاته سنة ٩٢١هـ وانظر تفصيل ترجمته فى الكواكب (ج ١ / ٢٢٠ - ٢٢٢) وايضا ابن اياس ج ٥ .

حذره من سطوة السلطان فحينئذ وافق [١٩٠] على القبول وطلع بصحبته للسلطان فولاه القضاء وألبسه لذلك صوفاً أخضر بفرو سمود ، وكان ذلك فى منتصف القعدة سنة سبع عشرة وتسعمائة (١) .

فنزّل وصحبته القضاة الثلاثة وهم : قاضى الحنفية المذكور وقاضى الشافعية الكمال الطويل القادري ، وقاضى الحنابلة الشهاب بن النجار إلى المدرسة الصالحية (٢) ، ومكث بها للتهنئة على جارى عادة أمثاله من القضاة ، وفوض للنواب وشدد على النقيب الشيخ شهاب الدين الفيشى المالكى فى النظر فى أمور الأوقاف ، والسعى فى عمارتها وتنمية ريعها ، وإجراء مصارفها على شروط الواقفين وبأشر المنصب بعفة وصرامة وصيانة ونزاهة وشهامة ، معرضاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة فخضعت لمهابته الأمراء والكبراء ، فمن دونهم . وبعد صيته ، قوالاً بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم ، منفذاً للأحكام بغاية الجلالة .

كل ذلك وهو ملازم مع إلقاء الدروس ، والتصدر للاشتغال والأشغال ، غير مكترث بالمنصب إلى أن حصل له قلق من المنصب ، وطلب الاستعفاء من السلطان فأمتنع [١٩١] من اعفائه .

وكثر تطلبه للاستعفاء فأعفى فى رمضان سنة تسع عشرة وتسعمائة (٣) ، وشغّر المنصب نحواً من شهرين إلى أن ألزم الجلال عبد الرحمن بن قاسم المالكى بالولاية فى ذى القعدة منها .

فكانت ولاية صاحب الترجمة نحواً من سنتين مع الدين المتين والفضل المبين ، والقيام فى نصرة الدين والاهتمام بمصالح المسلمين وانقطع صاحب الترجمة بمنزلة مكباً على الاشتغال والتدريس ، والإفادة والتصنيف ، والتأليف والإجادة ، إلى أن

[١] منتصف القعدة ٩١٧هـ / فبراير ١٥١٢ م .

[٢] المدرسة الصالحية : وكانت مقر القضاء الأربعة فى العصر المملوكى وكانت مشهور فى ذلك العصر بقلعه العلماء . سبق الحديث عنها من قبل .

[٣] رمضان ٩١٩هـ : أكتوبر ١٥١٣ م .

زالت الدولة الجركسية واستولت الدولة العثمانية ، وتوفى السلطان سليم بن عثمان متملك الديار المصرية وتولى ولده السلطان سليمان خان ، وحصر قضاء الديار المصرية فى قاضى رومى حنفى المذهب يستنيب من شاء من ذوى المذاهب الأربع كما أسلفناه فى كتابنا "الروض الزاهر بمفاخر أهل القرن العاشر" .

فلما أن قدم إلى مصر قاضى القضا { أحمد أفندى الرومى الحنفى المعين لقضاء مصر المحروسة فى سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة سأل (١) : من علماء مصر وكبرائها من فيه كفاءة للنيابة عنه والقيام [١٩٢] بأعباء الأمور والقيام بمصالح الجمهور فوصف له صاحب الترجمة عليه فامتنع أشد الامتناع ، وتوارى وتغيب ، وترددت عليه الأكابر فى القبول كل ذلك وهو مصمم على الامتناع إلى أن ألزم بذلك قهراً فاستقر نائباً بالصالحية وكلمته النافذة فانحصر الأمر فيه .

وكان العلامة ناصر الدين اللقانى إذا عرضت حجة عليه يستفتى عنها يتحرز ويقول : يحتمل أن يقول الدميرى أردت وجهاً شرعياً بلفظ كذا واستمر ، صاحب الترجمة ملزماً بالنيابة من كل قاض يلى مصر إلى أن ولى القضاء بها الشيخ محمد بن الياس الرومى الحنفى الآتى ترجمته فى محله من هذا الكتاب وألزمه بالنيابة على عادة من تقدم من قضاة الأروام واستمر نائباً عنه إلى أن وشى به بعض معاصرية عنده فى أنه حكم فى مسألة بقول ضعيف فسأله عن ذلك فقال : نعم ؛ من قواعدا أنه إذا حكم الحاكم فى مسألة بالقول الضعيف قواه ويصير معمولاً به ، وأنا وصلت الى مرتبة ينتقد على فى احكامى [١٩٣] وأنا شارح المذهب لا حاجة لى بالمنصب ، عزلت نفسى ، عزلت نفسى ، عزلت نفسى ، والقاضى يقول له اعدتك فلم يقبل وقام مغضباً ، حصلت له حمى

[١] ٩٣١ هـ : ١٥٢٤ .

غضبية مكث بها ثلاثة أيام وتوفى رحمة الله فى تانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة (١) .

وكان له مشهد عظيم وموقف كريم حضره كافل الديار المصرية إذ ذاك هو سليمان باشاه وقاضى القضاة محمد بن إلياس المذكور ومن بمصر من العلماء والأكابر والعظماء ، بحيث لم يجد أحد له فى الجامع الأزهر مقام يسعه للصلاة .

وتقدم الناس قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن النجار - القنوجى الحنبلى ، وكتب صاحب الترجمة على مختصر الشيخ خليل شرحاً من الأول إلى صلاة السفر ومن البيع إلى الجوايج ، وكتب على الرحبية فى الفرائض شرحاً لطيفاً لكنه لم يتم ، وشرح الألفية شرحاً لم يسبق إليه ، جامع الفوائد شرح الراعى وابن المصنف ، وكتب على توضيح الشيخ خليل كتابة مفيدة وعمل حال ولايته لخطابة الغورية ديوان من إنشائه إلا [١٩٤] أنه لم يجمع منه إلا نحو كراستين .

وله نظم لطيف حسن مقبول فى مسائل علمية وغيرها ، فمن ذلك قوله فى مسألة المربوط فى السارية أو على شجرة ، ما حكمه فى الصلاة : وحكى الخلاف فى ذلك ، وهومها أورده فى شرحه على المختصر المذكور فقال :

ومن لم يجد ماء ولا متيماً فأربعة الأقوال تحكين مذهباً
يصلى ويقضى عكس ما قال مالك وأصبغ يقضى والاداء الاشهباً

ومن نظمه أيضاً المسائل الثمانية الواجبة مع الذكر والقدرة الساقطة مع العجز والنسيان ، وهو إزالة النجاسة ، والتسمية عند الذبح والنضج والموات فى الضوء والغسل ، وترتيب قضاء الصلاة ، وكفارة الصوم فى رمضان ، وطواف القدوم ، وقضاء التطوع من صلاة واعتكاف فقال :

[١] ١٢ ربيع الأول ٩٤٣ هـ / ٣٠ اغسطس ١٥٣٦ .

ثمانية قد أوجب الشرع فعلها
وتسقط بالنسيان والعجز دائماً
موالات طهر ثم ترتيب فائت
وكفارة عن فطر صوم لحاضر
وتسمية عند الزكاة ومثلها
قضاء وصلاة واعتكاف تطوعاً
وناظمها العبد الدميرى حامداً
على مستطيع قادر حيثما ذكر
إزالة رجس ثم نضج وقد شهر
من الصلوات الواجبات على البشر
بلا عذر في رمضان عينهما الأثر [١٩٥]
طواف قدوم بالشرائط معتبر
كصوم وقد تمت به جملة الصور
وراج بأن الله للذنوب قد غفر

ومن نظمه مكماً على من نظم المسائل المعقولات والأربعة
أبيات الأول لبعض المتقدمين والباقي لصاحب الترجمة فقال :

عشرة وست فيعفى نجاستها
بالماء وأحداث ذى سلس مع ثوب مرضعته
ومخرج النجو ، والسيف الصقيل ، وما
وبول خيل لغاز أو يسير دم
واليد والثوب فى بل يكون بها
والطين من مطر أثر الذبات كذا
وذيل أنثى ورجل بل قد مررا
وواقع عند مر الشخص آخرها
لأجل الضرورة دون الفسل
ودمل وجراح لا بإنكاء
بالمستحاضة بعد لغسل من داء
والخف والنعل من أرواث عجماء
من رد صاحب بأسور الشكواء
مواضع الحجم فافهمه لعلياء
بيابس نجس رفعا لبلىواء
عصر البراغيث فاحفظ ذا بإصغاء

[ومن نظمه] أيضاً ضابطاً مده الخلفاء الأربعة الصحابة من
بحر الرجز فقال :

[١٩٦] ولاية الصديق للخلافة
وعمر الفاروق عشر فى العدد
عشر وعامان ، وذى الشجاعة
عامان بالإنصاف والديانة
وجامع القرآن وهو المعتمد
سته أعوام تمام الغاية

ومن نظمه أيضاً بالمعنى المذكور فقال :

وعمرو الفاروق عشر تبعا	خلافه الصديق عامان معا
عشر وعامان وكان مرجعا	وصاحب النورين عثمان الرضى
تمام قول المصطفى المشريا	ثم على ست أعوام بها

ومن نظمه أيضاً فى مدح النبى صلى عليه وسلم والخلفاء
الأربع راضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال :

وأشرف مقصود لساع وطالب	وأكرم مخلوق على الله أحمد
أبو بكر الصديق بدر الكواكب	وأفضل خلق الله بعد نبيه
وصيرته ذخراً ليوم العواقب	وحب أبى حفص لدى وديعة
وفى خدمة الديان أرغب راغب	وعثمان ذى النورين أفضل فانت
وأولاده د خصصوا بالمناقب	وأشجع شجعان البرية حيدره
ومذهبنا فى الدين خير المذاهب [١٩٧]	فهذا اعتقادى فى النبى وصحبه

ومن نظمه أيضاً مادحاً السلطان الأعظم والخاقان الأكرم ، السلطان
سليم بن عثمان متمك الديار المصرية حين قدومه إليها بتسعة وعشرين قصيدة
مرتبة على حروف المعجم ، كل قصيدة من ذلك عشرة أبيات محلاة عن الأنواع
البديعية من النوع المسمى بمحبوك الطرفين وهو أن يكون أول صرف فى
البيت كآخره .

رايت أن أورد فى هذا المحل ما رأيته بخطه رحمه الله تعالى من النظم
المذكور وهو من أول حرف الصاد . فإن من حرف الهمزة إلى هذا الحرف
اضمحل خطه ورسمه من ممر السنين والأعوام ، والشهور والأيام ولم يبق إلا ما
ذكرناه من حرف الصاد إلى الياء ، وهو قوله :

حرف الصاد :

وتذلل وتعشق وتفحص
يدعى سليم لم يكن بمنقص
أتاه نصر لم يكن بتنقص
بيدى المكارم لم يكن بتنقص
وعلا يحسن تطف وتبرص [١٩٨]
وهى التى تتلى بحسن المخلص
ملك الأنام بجوده وتخصص
يحنو على ضعفى الدفع تنقص
حتى سكرت به وطاب تشخصى
حقا به سدا بغير ترخص

صدق المحبة قد وفى بتخصص
صف ما تشا فى نعت مالكن الذى
صدمت حبال عداه ما بين الورى
صاج الزمان لقد تولى حاكم
صاد القلوب لعزة وجماله
صدرت بدائع مدحه لذوى النهى
صح بانفراد المجد فى أوطان من
صبر المصافى ورده ولعله
صافى شراب الحب فيه ذقته
صعب العريكة سهلت أخلاقه

حرف الضاد

أهل المكارم من سمع أعراضى
ونوالها كالبحر فى الإنهاض
أعنى سليما من علا بمرراض
نحظى به بلطافة وتراض
حامى الحمى بعزائم ومواض
أرجو بذاك العزيلة تقاضى
يخشاه أهل الحلف بالأمراض
حتى طردناهم مع الأرفاض
كما بدا فيهم بحسن تقاضى [١٩٩]
تلقاه يشفيننا من الأمراض !!!

ضحكت ثغور محبتى بأراضى
ضاهت لأديم السحاب بحورها
ضج الوجود بجود من أحبته
ضىء يا زمان وغن لى طرباً عسى
ضاع السعار بيسر كف مليكنا
ضمنت فى غزلى مديحاً قد جلى
ضل العدد وخاب عنه تقايز
ضاف على الحساد رجب فى الفضاض
ضمنت يوقع الحرب فى شأن الوغى
ضف فى حمى السلطان واسعى نحوه

حرف الطاء

طاب الزمان وقد حلى بتعاطى
طبنا به مدخل راووق الهنا
طب يانديمى فى رياض أحبتي
طوبى لمن وافى جناب مليكننا
طف فى الخيام ترى السلطان الورى
طل يا زمان ببهجة ولطافة
طرباً بمحفوظ الجناب سليم من
طاو عته وعصيت فيه عواذلى
طلقت نومي عند سعيى لأجل من
طوق الوجود به قوى مذبدا

حرف الظاء

ظهر الجمال بكثرة الألقاظ
ظفراً وهجنا بالتعشق عندما
ظرفت خلائق وأضحى حامداً
ظل ظليل تحن فيه بسيد
ظهرت عساكر ذا المليك سليم من
ظبى به حسن وإنى تالى
ظاهرت فيه عواذلى بين الورى
ظهر لدين الله مالك رقنا
ظلم تولى مذبدا من لم يزل
ظامى الفؤاد بحبه تلقاه فى

كأسر المحبة فى ألد بساط
صرفاً بلا كدر بحسن نواط
طرباً بما حزننا بغير شطاط
ماحى الردى ذا الخير بالأنماط
تدبير فاق لحكمة ابقرات
ومعزّه فى، سائر الأسباط
حب له فى القلب وسط مناط
ورميتهم بالذل والأسواط
يدعى بن عثمان بغير خباط
فاله يحفظه ليوم صراط

ورمى صميم قلوبنا بشواظ
جاء الحبيب عصيبة مفتاظ [٢٠٠]
باللحظ غزلان وعكاظ
مازال يحمى الجند بالإيقاظ
فيه اللطافة ليس ذا أغلاط
فيه مدايح جواهر الأقاط
وزجرتهم بمراتب الوعاظ
من لم يزل فى رقعة وتحاظ
بتدى النوال والمحبة [حاضى]
أمن وفى خير بحسن حفاظ

حرف العين

عزل العوازل لم يكن بمطاع
عاز على مثلى فى الثرى
عهدى مقيم فى رضا ملك الورى
عين الوجود أبو المعالى والرضا
عضد الجنود وركن دين ياله
عين الأنام وقطب دولة ملكه
عالى المراتب من بعزته اهتدى
عج نحوه يا طالباً لحمائه
عجباله لما يجوز بعسكر
عجباله لما يجول بعسكر
عمر يطول له ليحفظ ملكه
حرف العين المعجمة الفوقية

غزلى حلافى مالى بى بلاغ
غب يا حسود بذله وكأبة
غنوا لنا بأحبتي بين الورى
غاب العدو فما لنا ما نمتدح
غيث الوجود سليم من فى عهده
غم يدوم لمن وشى فى ملكه
غصص لنا السلطان من
غيظ لمن وافى حماه بريية
غفل الرقيب وقد وهى من غيبة
غفران ربي عم من فى أرضه

فيمن أحب ولم يمل بسماع
ملك الفؤاد بلطفه وطباع
أعنى سليم الصدر بالإجماع
من وجهه كالشمس عند شعاع
يردى عداد بشدة الأرداع
من ذكره قد عم كل بقاع [٢٠١]
من كان فى ملك بكل قلاع
فالأسد تخشاه وكل ضباع
ما مثلهم للردع إل الداعى
ما مثله فى بلدة وضياع
فى شرذى شر بغير نزاع

ما دمت فى مدح مع الإبلاغ
فالسعد قد وافى بدفع الباغى
طربا ولا تصغوا للغو اللاغى
من تدمى بعقارب الأصداع
هذا بجود عم بالإسباغ
وأذله بالفقر والأصراغ
مامثله شمس مع الإبزاغ
وأحله فى ذل كل مراغ
وأنا له قهراً وكل مداغى [٢٠٢]
ورمى المدحى قد تلا والصاغى

حرف الفاء الموحدة الفوقية

أمضى من السيف الصقيل المرهف
حتى به سرنا بحسن تآلف
ما جاء من مجد بعظيم تطف
وأتيته طوعاً ولم استنكف
ولها عليه في الذ تشفف
والله والأبناء بل والمصحف
حتى رجافى دولة بتعفف
يحمى النزىل ومن أتى بتأفف
فى كل ناحية بغير توقف
فى هذه الدنيا وبلى فى الموقف

فيك اللواظ من حبيب أهيف
فلكم نعمت بقربه بين الورى
فلأثنين عزمى طالباً
فارقت من حب المليك أهاليا
فانظر لقلبي فيه أضحي هائما
فهو الحبيب وليس أعشق غيره
فسليم قد ملك الوجود بعزه
فى [قوتها] له مقام ناله
فرض على مديحه بين الورى
فالله يحفظه ويحفظ ملكه

حرف القاف المثناة الفوقية

وبما شهدت عيني بدمع المفرق
يصول بسيف بل بحسن المنطق [٢٠٣]
كذا المرتضى بالعدل والخير يرتقى
وفيه لنا أصل بحسن تفرق
نرأتم بنعماء على غيظ من شقى
وذلك من ريب لهم مثل أحرق
سما بسليم ذا اهتدا فى التطرق
فمن ذا يضاهيه بصرف ومنفق
وذاك بتسليم وخير توفى
وذلك من عجزى يحن ينتقى

قضى بتلاق الروح بعد تحقق
قفوا وانظروا حالى فأنى احب من
قدام حسود ذى المعالى والتقى
قصدها يحمينا فلم نر مثله
قلايد معناه بأعناق سلوة
قبيح على العذال لوم محبه
قطعنا الفيافى والبوادرى لأجل من
قل العقل عنه فهو بالجود ماهر
قضى الله أن لا يرتقى العز غيره
قليل المعانى فى علاه نظمها

حرف الكاف

كاد المحب تكون من أسراكا
كلفتنى شغفا بودك مدخلا
كيف الخلاص وأنت مالك مهجتي
كن كيف شئت فأنتى بك مغرم
وكذبت فيك عوازل يا مالكي
كل الأنام لعز مجدك يخضعوا
كلفتنى بالفضل منك ولم تزل
كف الملام وخلصنى يا عازلى
كم قد أهيم بحبه بين الورى
كرب عليك فإن كربا قد أتى

حرف اللام

لاح لطف الجمال بهجة فحلالى
لله أياما مضت فى حب من
لذ أيها المشتاق نحو حمائه
لهفى على زمن يقضى لم أفرز
لو كان يسعدنى الزمان خدمته
لا حول لى إن لم ألد بجنابه
لقد انمحي رسمى وقد ضعف القوى
لك يا سليم مهابة ما حازها
لجنابه ندعوا على رغم العدى
للملك أنت لشارث عن حارث

فكفاك قبلى من هوى عيناكا
فين التهتك كل ممن ولا كا
يا من علا بالطف ما أحلاك
يا سيد السادات ما أعلاك
وأتيت سعيلا لا أريد سواكا
حياك ربى بالرضى حياكا [٢٠٤]
تقوا معوذة لدفع عداكا
فالأمر للخنكار ما أطفأكا
طول الزمان ولم أفق لفناكا
ملك الورى مولاي بل مولاكا

قتل لدى من حل فيه حلالى
ملك الوجود بغاية الأفضال
تلقى حماة بكل مجد عال
فيه برتبة من حلا بكمال
طول المدى فى الخط والترحال
وينالتي منه أعز نوال
من أجل حب حل فى الأوصال
ملك ولا بطل من الأبطال
من ربنا مجداً له بنوال
أعنى سليمان الذى لك وال [٢٠٥]

حرف الميم

ملك الحبيب قلوبنا بمرامى
من ذا يضاهى ذا المليك قوله
ملك له فى الحرب غارات لها
مبدى الرضا مردى الردى أمثله
مدد له من ربنا بين السورى
مل نحوه تأتيك غايات المنى
مصر الأعداى واشتفى أحيابنا
من كان مولاه سليم تلقه
منى السلام عليه ما قصد الحمى
فالا قتى فى حبه إلا الذى

حرف النون

ناغت شحارير على الأفنان
نصر من الله الكريم مؤيد
نم يا عدو وخلصنى فى مدحه
نح يا هزار وهز مولى قد سما
تره يخاطب فى جمال وجوده
نبي محبيه بكل كرامة
نادى وقل يا سعد لذ بجنابه
نجم السعادة لاح فى أوطان من
لعمان واديه به كل الهنا
نعم اهتديتا مذ أتى بجماله

طنابها شفقاً بحس خيام
قد عمم أرض الروم بالإنعام
قد سار بين العرب والأروام
فى الحرب ذا حزم مع الإقدار
قد جاءه بالحفظ والإكرام
وتسود عند العرب والأعجام
والسعد قد وافى يحسن ختام
فى ألف خير هاطل كغمام
وأعزّه بالجنب والخدام
لا يدر معنى مجده بمقام

بمثال منى نفمة ومثانى
لسليم من يرعى عظيم الشأن
أتلوم دائحته على العيدان [٢٠٦]
بالعدل والإنصاف بالديوان
تزدد أشتواقاً مع الأشجان
قد حازها السلطان فى الأزمان
فالفرح قد وافى بلا أحزان
ملك الأنام بغاية الإحسان
وبقومنا قدحك فى إمكان
وأنالنا فضلاً بغير توان

حرف الهاء

هام الفؤاد لمن له يرعاه
هاج الوجود ولم يكن أمن له
هاجر إليه تراه عوناً يا له
هذا ملك وأبن سلطان الورى
هو مالك الدنيا وعسكره الذى
هملت دموع عداه خيفة بطشه
هل فى الوجود له نظير يرتجى
هيهات ليس له نظير فى الورى
هانت علينا فى محنته إذا
هنئة فى الأوطان وأنشد نحوه

حرف الام ألف

لان اللسان بذكركم لما جلا
لا شئ يحلولى سوى أوصافكم
لا تهجرونى إننى أنا عبدكم
لا نال منكم حاسدا ما يرتجى
لا تخس ياملك الزمان معانداً
لازم حماه ترى العساكر أهدقت
لا تعجبوا من لطفه فهو الذى
لام العذول ولست أسمع عذله
لأفرئمن ببابه خدى ولا
لا عزلى إلا بعز وجوده

أعنى حبيبى سيدى لولاه
والحق حـزب وابل الاله
يحمى النزيل ومن أتى لحماه
والله من شوم العدل عافاه
قد قال قولاً أنه ضاهاه
والأسد ترعاه وبل تحشاه
فى ردع أعداء فهاك وهاه [٢٠٧]
والله أيده وقد أسماه
أرواحنا ترجوه بل تهواه
هذا ملك كم فتى جللاه

مدح لكم بين الموالى فى الملا
ولحبكم خالفت فيكم عزلا
وإليكم ذلى يهون بلا قلا
وأجله فى الأرض فى كل البلا
أنت السليم ومن شفاك له البلا
من حوله ترعاه لن يتغفلا
جعل الفرام بقلبنا متسللا
فى حب ذا السلطان من حاز العلا
أخش اللئام ومن سعى متهللا
والله للسادات حقاً أرسلا

حرف الياء المثناة التحيّة [٢٠٨]

يا من حلا بجماله أنظر إلى	وأعطف على ريقى بشئ من دوى
يا من عليه الروح زاد غرامها	بمحاسن قد حزتها قاضن على
يا مالكي فأنا المسكين الذي	قد همت فيك بعشقى سبه الرجى
يا من جعلت له القريض مدايحا	تقرا وتتلّى لم تكن من شعرعى
يا من شغفت به ويحسب أننى	حى وها أنا ميت فى زى حى
يا من لجسمى قد أذاب وها أنا	حقا لو أنى حبه فى القلب كى
يا من نوال يديه قد لذنا به	يلقى مكارمه علت أهلاً لطفى
يا من عذلى لم تنل ما نلته	من نفت من يدعى بقوم من قضى
يا حاسرى كف الملام وخلصنى	أتلومديح سليم شىء لا كشيى
يا رب فارفع قدره والطف به	حتى أراه فى الجنات يحنو إلى

قلت : ولم أر فى مسوداته التى كتبت منها هذه القصايد حرف الواو ولم يغفله وإنما ضاع بين الورق وإنما أثبت جملة هذه القصائد نشرأً لفضيلة وحرصاً على إظهار معرفته .

وحيث أوردنا طرفاً من المنظوم ، تعين أن نورد شىء من إنشاء المرقوم حتى لا تخلو هذه الترجمة البديعة من الإحاطة بالقيام بالطرفين [٢٠٩] اللذين حسنَ فيهما صنيعة .

فمن ذلك الخطبة البليغة التى أنشأها للسلطان سليم بن عثمان وخطب بها حين صلاته بالمدرسة الغورية ورأيت أن أورها فى هذا المحل فإن الحديث شجون ، وذكر الفضائل مما تقربه العيون ، وصورتها بعد الحمد من ستار العيوب .

" الحمد لله مؤيد الحق وناصره ومشير الإسلام ، ومؤازره ، جاعل من أقامه
لنصرته مظفراً ، وممده بالملائكة التي ترى آثارها ولا ترى ، ومسدده في حركاته
وسكناته ، وموفقه في أوهامه وخطوته ، ومانح من عظيم المآثر ، وواهب من جسيم
المفاخر ، ما تتسامر به الركبان ، وتتفاخر به العصور والأزمان ، منح ربابيه ،
ومواهب رحمانيه ، ولا تحصل بالاكْتِسَاب ، ولا تنال بالتوسل والأسباب ، بل هي
محض أفضال من ذى الأكرام والجلال ، يخص بها من شاء من عباده ، ويجعله
رحمة في أقاليمه وبلاده يفصل بين الباطل والحق ، ويرد ما أفحش فيه الفتق ، من
أمور الإسلام إلى الرتق ، ويأخذ على يد القوى للضعيف ويقضى للدنى على
الشريف لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يتجاوز في حدود الله ظالم ، بل يده بالعدل
[٢١٠] مبسوطة ، ودائرة فضله بالعدل محيطة فسبحانه من أله أعطى فأجزل ،
وتفضل ومنح وتطول ، أحمده وإلهام الحمد من جملة النعم ، وأشكره والشكر
يستدعى مزيد الكرم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من شهد
الحق فاتبعه ، وحاد عن مناهج الظلمه والمبتدعين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده
ورسوله الذى جلا ظلم الكفر بنور هديه ، وجعل الفلاح منوطاً بامتثال أمره ونهيه ،
أرسله وشمس الإيمان مأفولة وسيوف الإسلام مغلولة ، ونجم الباطل قد ظهر ونجم ،
ومصباح الحق طغى في العرب والعجم ، والعدل طوى سجله فلا ينشر ، والانصاف
نسى شأنه فلا يذكر ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم ، فى ذات الله مستمراً ولما خرب
من ربوع الإيمان معمرأ ، حتى أثرت شمس التوفيق ووضحت سبل التصديق ولاحت
أعلام الخير ، ومحيت آثار الشر والضير ، انبسطت يد العدل بعد الغلول ، وطلعت
نيرات الفضل بعد الأفول ، اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم ، والسيد العظيم
وعلى أله وأصحابه وخواصه وأحبابه ، ما رجع الحق إلى أهله ووضع [٢١١] الشئ فى
محله ، أيها الناس ؛ اتقوا الله واحمدوه على جزيل الكرم واشكروه فبالشكر تستدام
النعم واعلموا أن الله منحكم بمنح لا تؤدى شكرها ولا يطاق حصرها ، بأن ولى
عليكم ملوك هذه الأمة ، وكشف عنكم ظلم الجوار المدلهمه ، واسترعاكم لكم

ونعم الراعي ودعوتموه أن يولى عليكم خياركم فأجاب الداعي وجلا بنور سعادته ظلم الكروب ، وجلا بحسن سياسته خواطر الخطوب ، فاصبحت الأكوان مشرقة بعد ظلامها ، والأزمان مستبشرة بطيب أيامها ، وقامت من الشرائع الشعائر ، وكادت تهتز لذلك المنابر والمناثر وأطمانت القلوب بعد أن بلغت الحناجر ، وسر البر وغم الفاجر ، وانقضت أيام الجور وانصرمت ، وتناسقت أوقات العدل وانتظمت ، وأقبلت وجوه الخيرات مسفرة ، دبرت ثغور المبرات ضاحكة مستبشرة وسر الوجود ومن فيه من المؤمنين ، بهذا الخير المتين، والفتح المبين" وقطع وابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين " .

فاحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة العظيمة واشكروه على تواتر هذه المتن الجسيمة واستديموها بدوام الشكر فإنها [٢١٢] أنفس المرغوبات قيمة ، وابشروا بهذه الأيام التى كنتم تنتظرونها ، وأخرجوا بمعينة الأمانى التى كنتم تخبرونها وارتقوا فى رياض عدلها آمنين ، وتفيأوا بظلالها دائمين ، والزموا الانقياد والطاعة، وأياكم ومفارقة السنة والجماعة ، فإنها مذلة القدم ومظنة الندم ، واعتبروا بمن غير، حين ملك واقتدر ، ونهى وأمر وعسف وظلم، وجار لما حكم . وما عفى بل انتقم ، كيف ذهبت لياليهم وأيامهم ، وانقضت شهورهم وأعوامهم وضربت ديارهم ، ومحيت رسومهم وآثارهم ، واستوى فى ذلك القريب منهم والبعيد ، " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه اليم شديد " .

واضرعوا الى الله فى دوام هذه الدولة العادلة وتخليدها ، ونصر جيوش مالکها وتأييدها ، فإن ذلك من أجل المطلوب ، وأنفس المرغوب إذ هو دعاء باعزاز الاسلام ، وخذلان الكفرة اللئام ، جعلنا الله وإياكم ممن ورد موارد السعادة واستحق على ملازمته سنن الطاعة الحسنی وزيادة . انتهى .

قلت : وأثرى صاحب الترجمة وتمول ، وجمع [٢١٣] وتخلو وحصل الأملاك والعقارات ، وتقرر فى الوظائف الجليلة والجهات قرزق الله تعالى أقواله وأفعاله القبول ، وكساه ثوب المهابة حتى خضعت له الأجلاء الفحول ، وصار اذا تنازع خصمان فى حق يقول أحدهما لصاحبه : تدفع لى حقى وإلا اذهب بك الى الدميرى فيدفع له حقه من غير مرافعة ، حتى شاع ذلك بين الخاصة والعامة وانقطعت به الخصومة والمنازعة ، وبالجمله فقد انفرد بأشياء وخصوصاً فى باب القضاء ، لم يصل إليها أحد من أقرانه ، ولا حام حولها خيال أحد من فرسانها فى ميدانه ، مع الوجاهة والجاه ، ونفوذ الكلمة وانتظام الحرمة والدين ، والتعفف عن كل مايشين ، والتقرب من قلوب الملوك والسلاطين ، والحكام وأرباب الدواوين حتى إن الاشرف الغورى لقربه منه أنعم عليه ببعض خطاياها وأسف الناس على فقده ، وتألوا لأليم بعده ، دفن بتربة المرحوم انسبائ تجاه تربة الجد الاعلى المرحوم الحسامى المعروفة بالخشبة بصحن القاهرة ، تغمدة الله تعالى برحمته ، وأسكنه فسيح جنته ، بمحمد واله أمين . [٢١٤] .

محمد بن على بن محمد بن بهادر الجمال بن العلاء

بن ناصر الدين القاهرى القادرى الشافعى (١)

ويعرف بالطويل . كان أبوه من أجناد الحلقة (٢) النازلين فى آخر عمره بقرب الجعبرى من سوق الدريس . فنشأ ابنه هذا فحفظ القرآن وألفيتى الحديث والنحو ،

[١] محمد بن على محمد بن بهادر الجمال : هو محمد بن على الشيخ العلامة قاضى القضاة شيخ الاسلام ، كمال الدين الطويل القاهرى الشافعى ، قاضى الشافعية بالديار المصرية ، فى اواخر الدولة الجركسية ولد سنة ٨٤٦هـ ، كان اما ما فى العلوم والمعارف ، متواضعا عفيفا ظريفاً ، لا يكاد جلسه يمل من مجالسه ، دخل دمشق صحبه السلطان الغورى ٩٢٢هـ ، وعاد للقاهرة وتوفى بها ٩٣٦هـ . ودفن بترية باب النصر قريبا من المدرسة الحاجبيه ، وكان اما ما بارعا فى المذهب الشافعى واتبع الناس فتاويه واحكامه .

راجع الغزى : ج ٢ ، ص ٤٥ ، وما بعدها .

[٢] اجناد الحلقة : عرف بمالك السلطان الحاكم بأسماء مختلفه اشهرها " الجلباب " ومشتروت والسلطان الحاكم هو الذى اشترى هؤلاء الممالك واتممهم ، ونتيجة لهذا وجدت رابطة قوية بين هؤلاء الممالك واستأذهم وبالمقبل وجدت رابطة قوية عرفت بالخداشية ، بين الممالك الذين اشنروا ودرسوا واعتقوا سوية ، وكان السلطان يختار عادة منهم ويعين حكام بلاد الشام ويمنحهم اقطعات كبيرة ، ويختار عادة من بين اجلايه حرسه الخاص المعروف بالخاصاكية . راجع /عبدالكريم رافق : مرجع سابق ص ١٥ .

والمنهاج والبهجة الفرعيين ، وجمع الجوامع وعرض على جماعة ، وقرأ على
عبدالقادر الفاخوري في شرح الألفية لابن عقيل وكأنه تخرج به في جل اوصافه ،
على البدر حسن الاعرج في الفتن والفرائض ، وفي التقسيم عند ابن الفالاتي ثم
عند العبادي والمعتني والبكري ، بل لازم المناوي .

وكذا أخذ عن أبي السعادات البلقيني في الفقه والعربية وعن ابن قاسم
المغني وحواشيه بل وعن التقي الحصني قطعة من القطب وعن العلاء الحصني
في العضد والحاشية وعن الكمال بن أبي شريف في الأصول أيضاً ، وكذا
التفسير ثم قرأ على أخيه البرهان في التقسيم وعرف بالذكاء واستحضر
محافظة مع توع .

وناب في القضاء عن شيخه أبي السعادات وجلس خارج باب النصر
قريباً من الاهناس ، ثم واختص [٢١٥] بفتح الدين ابن البلقيني ثم البدر بن
المكيني ، وقرأ بين يديهما في الخشائية وغيرها وكان الحل والربط فيهما مؤمناً
بنيته ، وحضر على شيخه الحوجري وأبي السعادات وكذا حضر في سنة تسع
وثمانين تقسيم ولد الكمال بن كاتب حكم ثم استمر مديماً للحضور عنده والتردد
له وشاركة في تقسيم التنبيه عند شيخه البكري جلال الدين بن أخي الشهاب
الأبشيهم ممن هو في عداد من يشتغل معه .

وقد تنزل في الجهات وخطب لجامع ابن الطباخ ثم انتزع له تغري بردي
الاستادار خطابة سلطان شاه بعد تجديده له من خطيب قيل لمزيد اختصاصه
به وملازمته حضور مجلسه سفيراً وحضراً ، حيث قرره في قراءة شباك بقية
النيرين وقور ولده في إمامه المجلس بها بعد المحب صهر ابن قمر وراح به
يسيراً حتى إنه جلس في الازهر للتقسيم عدة سنين بل أقرأ بعض الطلبة في
غيره فقوناً ، وحج واستنابه الذيني زكريا القضاء في أثناء سنة تسعين وعين

عليه الشيخ ولكنه لم يتوجه للقضاء ، وكأنه إنهارام بذلك تضمنه للعدالة ، وأعلى من هذا تقرير الاستادار له في مشيخيه [النيرين] بعد البكرى بحيث أطمأن الناس [٢١٦] في الجملة لا نتزاع ابن الاسيوطى لها منه وإن كان الكمال أفضل من ابن الكمال ، وكذا عينه مشيخة سعيد السعداء ، نعم وقف بها كتباً كثيرة وجعله خازنها وأقبل على البين مزهر اقبالاً كلياً بحيث كان يحضر الختوم عنده ، ويفيض عليه الخلع السنية ، وبالجملة فهو مع تمام فضيلته ، وأرجحيته على رفقته ، زائد الفضل ، وحالة الآن أشبه مما قبل . هذا كله للام الحافظ السخاوى مع حذف مافيه ، مما هو عادته في ترجمة لأعيان عصره .

[قال] الشهاب المنوفى الشافعى تلميذ الحافظ السخاوى المذكور فى اختصاره لكتاب شيخة المذكور الضوء اللامع لأهل القرن التاسع المسمى :
المختصر المذكور بالبدر الطالع من الضوء اللامع .

ولى صاحب الترجمة القضاء الأكبر بالديار المصرية يوم الخميس مستهل ربيع الأول سنة أربع عشرة وتسعمائة بتفويض من قنصوة الغورى بعد صرف الجمال القلقشندى ، ووصفه عارف وقته الشيخ عبدالوهاب الشعرانى الشافعى فى كتابه ذيل الطبقات المسماه بلوافح الأنوار فى طبقات الأخيار بلفظ شيخنا الشيخ [٢١٧] كمال الدين الطويل رضى الله تعالى عنه : كانت الأنوار تخفق على وجهة وكان رضى الله تعالى عنه . إماماً فى العلوم والمعارف متواضعاً عفيفاً ظريفاً لا يكاد جلسه يمل من المجالسة . انتهت اليه الرئاسة فى العلم ووقف الناس عند فتاويه ، وكانت كتب مذهب الشافعى كأنها نصب عينيه لاسيما كتب الأذرعى والزركشى ، وكان من أولاد الترك وبلغنا أنه كان فى صباه يلعب بالحمام فى الريدانية فمر عليه سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله

تعالى عنه وهو ذاهب الى بركة الحاج (١)، فقال له مرحبا بالشيخ كمال الدين شيخ الاسلام ، فاعتقد الفقراء أن الشيخ يمزح معه إذ لم يكن عليه إمارة الفقهاء ، فمن ذلك اليوم ترك لعب الحمام واشتغل بالقرآن والعلم وعاشر جماعة سيدى ابراهيم الذين ظنوا أن الشيخ كان يمزح معه حين لقبه بشيخ الإسلام فظهر لهم صدق كلام الشيخ ، ولما دنت وفاه الشيخ كمال الدين رأيت سيدى ابراهيم فى المنام فقال لى قل للشيخ كمال الدين ليتها للموت ويكثر من [٢١٨] الاستغفار فقد دنا أجله فاعلمته بذلك فقال سمعاً وطاعة فعاش بعد ذلك شهراً ونصف شهر .

فانظريا أُمى ملاحظة سيدى ابراهيم له اول امرة وأخره ومناقبه كثيرة ، توفى بعد دخول ابن عثمان مصر ، ودفن بترتيه خارج باب النصر قريباً من المدرسة الحاجية رضى الله تعالى عنه .

قلت : ولم أقف على تاريخ وفاته تحقيقاً ، وإنما تاخرت وفاته الى بعد الثلاثين وتسعمائة (٢)، وكان من الائمة الاعلام قضاة الاسلام المشار بالعدل اليهم والمعول فى المهمات عليهم مع الورع والزهد والفضل والعلم والجلال رحمه الله تعالى .

محمد بن احمد العز بن الشهاب الشنشينى الحنبلى

أخذ عن والده وغيره فى علوم شتى (٣) [٢١٩]

[١] بركة الحاج : هذه البركة فى الجهة البحرية من القاهرة على تحويلريد منها عرفت لولا بجب عميره ثم لها ارض الجب ، وعرفت ليوم ببركة الحاج من اجل نزول حجاج البر بها مسيرها القاهرة ، وعند عودتهم كذلك .
المقريزى ج ٢ ص ١٠٢ .

[٢] يذكر ابن العماد الحنبلى أنه توفى فى ٩٣٦ هـ .

[٣] كذا فى المخطوطة ولم يذكر المصنف ترجمته غير ذلك وترك بقية الصفحه بيضاء ولعله أراد أن يكملها ولم يفعل .

المحب بن قدامه الحنبلى (١) [٢٢٠]

قاضى عسكر مصر

محمد جلبى الرومى الحنفى (٢)

وهو الثانى من قضاة الاروام ، ولاء السلطان سليمان بن سليم بن عثمان قضاة مصر المحروسة فى جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة استمر بها الى أن عزل عنها فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وتسعمائة (٣) وأعيد القضاة (٤) الاربع وهم : قاضى القضاة محمود بن الشحنة (٥) الطبى الحنفى ، وقاضى القضاة يحيى الدميرى المالكى ، وقاضى القضاة كمال الدين الطويل القادرى الشافعى ، وقاضى القضاة شهاب الدين بن النجار الفتوحى الحنبلى . هكذا رأيت بخط جدى قاضى القضاة الشمس الدميرى المالكى المتقدم ذكره تزييلاً على الذكر الذى عقده الجلال السيوطى الشافعى فى كتابه حسن المحاضرة فى

[١] كذا أيضا بالمخطوط ولم يذكر فى هذه الصفحة إلا الاسم فقط وترك بقية الصفحة بيضاء ولعله كما ذكرنا فى التعليق السابق أن يكملها ثم لم يفعل .

[٢] تتفق روايه الدميرى مع روايه ابن إياس حول أن أول من ولى قضاء عسكر مصر من جانب الدولة العثمانية بعد القاء قضاء القضاة الأربعة هو "جلبى أفندى" هذا فى الوقت الذى يذكر فيه ابن أبى السرور البكرى أن أول من ولى قضاء عسكر مصر هو مصطفى أفندى الرومى ويؤرخ حضوره محرم فى ٩٢٩ هـ ، وعلى الرغم من تناقض الروايتين إلا أننا نميل إلى ابن إياس أنه معاصر للأحداث وكذلك الدميرى الذى جاء بعده بفترة وجيزة واهتم كلاهما (ابن إياس والدميرى) بتسجيل المتغيرات التى أدخلها العثمانيون على النظام القضائى وذلك بعكس ابن أبى السرور البكرى الذى عاش فى فترة متأخرة زمنياً عن هذه الأحداث. راجع عبدالرازق عبدالرازق عيسى : مرجع سابق ، ص ٥٨ ، وما بعدها .

[٣] كانت ولايته من جمادى الآخر ٩٢٨ : ذى القعدة ٩٢٩ هـ .

[٤] لم تذكر أى من المصادر التاريخية الخاصة بذلك الفترة شئ عن عوده قضاء القضاة الأربعة إلا كئوايا فقط للعمل فى المحاكم تحت رئاسه قاضى عسكر العثمانى وما ذكره الدميرى هنا ليس حقيقى ولا يتفق مع سياق الأحداث التاريخية .

[٥] محمود بن الشحنة : هو محمود بن عبدالبر بن محمد ابن قاضى القضاة حسام الدين ابن قاضى القضاة سرى الدين بن الشحنة الحنفى ، ولد بالقاهرة وولى قضاء حلب ، ثم كان آخر القضاة الحنفية بالقاهرة فى الدولة الجركسية . راجع . الغزى : الكواكب ج ١ ، ص ٣٠٦ .

أخبار مصر والقاهرة ، وعلى قضاة المالكن رحمهم الله تعالى اجمعين ، وبلغنى عن أدرك صاحب الترجمة وشاهده انه كان حاكماً عادلاً فاضلاً ذا مهابة وجلاله وشهامة لا تأخذه فى الله لومة لائم متصفاً بالحلم والعلم أخاذ بالجرير والجرائم على قدم كبير فى الورع والعبادة والنسك والزهادة حتى قيل إنه لم يل هذا البلد فى عصره مثله رحمة الله تعالى آمين ... [٢٢١]

قاضي عسكر مصر

محمد بن إلياس بن شيخ محمد بن إلياس

بن حاجى بن عمر الهيلالى (١)

[الرومى الحنفى] وميلاث بلدة من بلاد منتشية بأرض الروم ويعرف كجدة يشيخ محمد من غير ألف ولام وكان إماماً علامة محققاً فهامة جمع مفردات الكمال وخص ذاته الشريعة بمحاسن الخصال وجعله من القائمين بالحق القائلين بالصدق ، والمدافعين عن دينه ، العارفين بحنجه وبراهيه ، الذين لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، ولا يصددهم عن طريق الانصاف رهبة ظالم .

ولدليه ثانى عشر شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وثمانمائة قبل وفاة والده المتقدم ذكره بأربع سنوات ، وكفله عمه مصطفى وتزوج والدته ، وكان عمه هذا من أهل العلم يكتب الخط الجيد ، وكان قاضياً ببعض نواحي منتشية ، ثم لمات عمه دخل الى مدينة قسطنطينية طالباً للعلم الشريف ومحصلاً للقدر المنيف ، وأخذ العلم عن جماعة ، أعلامهم بالفضل منشورة ، ومآثرهم بالفواضل مشهورة .

منهم المولى العلاقة صدر الوزراء محمد باشاً الشهير بخوجا زادة ، قرأ عليه حين كان مدرساً بالمدرسة المعروفة بقلندر خانة [٢٢٢] بمدينة اصطبنول ، وقد كان

[١] وكانت ولايته كما يذكر ابن ابى السرور البكر بد غره جمادى الثانى ٩٣٨هـ / ١٠ يناير ١٥٣١م ، راجع الروضه ص ١٦٣ .

من الوزراء الذين جمعوا بين رياضة السيف والقلم ، ومنهم المولى الفاضل ذو القدر العالى المدعو بالمولى بالى .

ومنهم المولى سعدى بن تاجى وصار ملازماً منه مع أنه كان إذ ذاك فى خدمة المولى بالى يقرأ عليه ويلزم دورسه والسبب فى ذلك هو أن السلطان سليم خان بن بايزيد خان كان مسافراً الى قتال طغاة الروافض بديار العجم فاتفق فى غيبته عن مدينه اصطنبول موت المولى سعدى المذكور فعين قضاة العسكر ملازميه وعرضوهم على حضرة السلطان ومن جملتهم صاحب الترجمة ظناً منهم أنه باقى فى خدمة المولى سعدى الى حين وفاته ، وامضى ذلك .

وكان بينه وبين محى الدين الغزى (١) منافره سببها أنه جاء الى المولى محى الدين للاخذ عنه ، وسكن بمدرسته ثم عن له قبل القراءة عليه أن يرجع الى شيخة الذى كان عنده قبل مجيئه ، وهو محمد باشا المذكور واستمرت المنافرة بينهما الى أن لحق كل منهما باللطيف الخبير وكان المولى محى الدين [٢٢٣] بعد ذلك يذكره فى مجالسه ومصنفاته ويحط عليه وقد صار المولى المذكور بعد الملازمة مدرساً بمدينة أدرنة بالمدرسة المشهورة بمدرسة البكرى (٢) بعشرين عثمانياً ثم بالمدرسة المعروفة بالفرهادية فى مدينة بروسه (٣) ثم بمدرسة ابن ولى الدين بالمدينة المذكورة

[١] محى باشا الوزير : هو معلم السلطان بايزيد خان اشتغل بالعلم وبرع فيه ، وصار مدرسا فى "قلندر خانه" بالقسطنطينية ثم بأحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنة ، ثم صار موقفا فى الداينون فى ايام السلطان سليم خان ثم استوزره وكان له عقل وافر وتديبير حسن ومعرفة بالأداب ولهذا ابتعد عن السلطان سليم ومات وهو شاب فى سنة ٩٢٣هـ... الغزى الكواكب ج١ ص ٨٩ .

[٢] بكر بك : بمعنى بك البكوات او الحاكم العام ، ووجد من يتبوأ هذا المنصب الرفيع فى اوائل عهد الدولة العثمانية وكان يضطلع بمسئولية الجيشى نفوذه جد عظيم ، واول من كان له هذا المنصب واللقب فى تاريخ الدولة سليمان بانشاة ابن أورخان وخلفه فى المنصب "لاله شاهين" ، وقد أخذ العثمانيون هذا المنصب عن السلاجقة وتطور هذا اللقب إلى "ملك الامرا" وتغير كذلك إلى أمير الامراء . راجع حسين مجيب المصرى ، مرجع سابق ص ٤٨ .

[٣] بروسه : حاصر العثمانيون مدينه بورصه منذ ٧٧٧هـ ، ١٣١٧م وهى مدينه قديمه تدعى نيكولاس تقع على بحر مرمرة وفتحوها بعد أن فتحوا جميع ما حولها من القلاع والحصن وحاصروها نحو ١٠ سنوات لمزيد من المعلومات راجع : د / محمد فريد : مرجع سابق .

ثم بمدرسة أحمد باشا الجارح بمدينة مصر المحروسة فى مدينة حورلى وهو أول مدرس بها ، فلما خرج الباشا المذكور ترك مدرسته ودخل الى اصطنبول واقام بها نحو أربعين يوماً ثم فوض اليه التدريس بمدرسة المرحوم محمود باشا ثم بالمدرسة المشهورة بأوج شرقلى بمدينة أدرنة نحو أربع سنين ثم فوض اليه التدريس بإحدى المدارس الثمان بمدينة فسطنيطية ، ثم فوض إليه قضاء الديار المصرية ، فلما دخلها أخرج شياطين الظلم منها وبث جيوش العدل فيها . [رأيت خضع مع بعض الحجج المغلفة لسيدى المرحوم الوالد مؤرخ فى ربيع الاخرة سنة ثلاث واربعين وتسعمائه] (١) .

وكان فى زمنه من الأمراء بمصر سليمان باشا ، وكان ظلوماً غشوماً فيه جور وعسف ، ومحبة للدنيا واعراض عن الاخرى وله من وقائع يطول شرحها ومن جملتها قضية الكنيسة التى أحدثها اليهود بأمر سليمان باشاه ، ومساعدته لهم فى ذلك ، فقام فى إبطالها أتم القيام وتصدى لإزالتها أكمل التصدى ، وقام [٢٢٤] معه فى ذلك سائر علماء الديار المصرية ، وصنفوا الرسائل فى نصر قوله بعدم جواز إحداثها ، ووجوب أزالتها ، وكان من جملتهم الإمام العلامة ناصر الدين اللقانى ، والشيخ العلامة ناصر الدين الطبلوى وابن عبدالحق ، وابن الحلبي ، والغزى والرملى ، والبرهمتوشى وغيرهم ، من على تلك الديار من أصحاب المذاهب الأربع ، ونفذ الله كلمته وكان إذا توجه الى زيارة من بالقرافة من قبور الصحابة ، والعلماء والصلحاء رضى الله عنهم أجمعين لا يدخلها راكباً ، بل يدور فيها ماشياً على قدمية إكرماً وأعظاماً لمن بها ممن ذكرناه .

ثم فوض اليه قضاء العسكر بولاية أنا طولى فى سنة أربع وأربعين وتسعمائة ، فأقام بها مدة يسيرة ، ثم صار مفتياً بدار السلطنة السنية قسطنطينية عوضاً عن المولى سعدى جلبى وذلك بعد وفاته فى سنة خمس واربعين وتسعمائة ، وأقام فى منصب الفتوى مدة ثم عزل وتوجه الى الحج الشريف فى سنة خمسين ، فلما عاد من الحج فوض إليه التدريس بأحدى المدارس الثمان بخمسين عثمانياً

[١] ما بين المعكوفتين من هامش المخطوطة

زيادة على ما كان مقرراً له سابقاً ، وهو مائة وخمسون عثمانياً ثم فوض اليه قضاء
العسكر بولاية روملى [٢٢٥] فى ثمانى عشرى شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة (١)
ومات وهو متول المنصب المذكور بعد عشاء الأخرة فى الليلة الرابعة من شعبان سنة
أربع وخمسين وتسعمائة (٢) وصلى عليه عند جامع السلطان محمد الكبير ، وكان
المقدم للصلاة العلامة ابو السعود العمادى مفتى الديار الرومية ، وكانت له جنازة
حافلة لم يتخلف فيها أحد من الوزراء والأمراء ، وأصحاب الحل والعقد ، ودفن
بجوار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه تجاه الشباك الذى يلى الصف الأول من
الجانب الشمالى المتوجه الى القبلة .

وتأسف الناس عليه ، وجزعوا الفقرة ، واصيبوا به رحمه الله تعالى ، وله
تعليقات وحواش كثيرة على تفسير القاضى وحواشيه ، والهداية وشروحها ،
والتلويح ، وحواشيه ، وشرح المواقف ، وحواشيه ، وشرح التجريد وحواشيه ،
ورسائل فقهية واصوليه ، وتعليقات كثيرة على شرح البخارى للكرمانى ، وله قطعة
يسيرة من تفسير القرآن من مكانين . ولم يتفق له جمع ما ذكر ولا ترتيبه لاشتغاله
بمصالح المسلمين ، والكتابة على الفتوى ، فإنه بما كان يكتب فى بعض الأيام على
نحو ألف سؤال وكانت فتاواه لا تنقص [٢٢٦] فى الغالب عن مائتين وخمسين . كذا
أخبر ولده المولى العلامة مفتى الديار الرومية محمد الاتى ذكره قريباً ، وكان صاحب
الترجمة حافظاً لكتاب الله العزيز ، ملازماً لتلاوته فى أكثر الأوقات ، وكان قد أجاز
له جماعة كثيرون من علماء الحديث منهم ابن البخار المحدث الحافظ ، والسيد
عبدالرحيم العباسى وسمع منهما ومن غيرهما .

[١] ١٢ شعبان ٩٥٢هـ : ٢٠ أكتوبر ١٥٤٥ م .

[٢] ٤ شعبان ٩٥٤هـ : ٢٠ سبتمبر ١٥٤٧ م .

وتفقه عليه جماعة كثيرة وانتفعوا به منهم العلامة مفتي الديار الرومية عامر افندى ، ومفتيها أيضا قاضى زاده ، وقاضى القضاة سنان جلبى ، وقاضى القضاة محمد بن عبدالكريم وقاضى القضاة على جلبى بن أمر الله الشهير يقتلى زادة وولده المفتى محمد بن شيخ محمد ، والعلامة محمد شاه الشهير بشاه أفندى ونعمان زادة ، وعطا الله وعبدالكريم ، وعبدالغنى ، وغيرهم ، ومدحة أكبر فضلا عصره من أهالى الديار المصرية ، والرومية وغيرهما .

هكذا ذكره غيره من المؤرخين كالعلامة شيخ الشيوخ النور ابن الجزار ولفظة :

" كان فيه فضيله لم تكن فى غيره من الأروام ، هى حفظ القرآن العظيم [٢٢٧] عن ظهر قلب ، وكان سبباً لغناء المجاورين بالجامع الأزهر يومئذ ، فكان يعطى الواحد منهم من الباب الى المحراب ويتنزل فى رسم الحجة الى ثمانية أنصاف ، والى ستة أنصاف والى لاشئ أصلاً ، فكان يقرر بخطة الحسن على هوامش القصص بغير مقابل ، ومكث مده مديدة ، وكان أقرب العلماء عنده شيخنا الشيخ شهاب الدين بن عبدالحق السنباطى الشافعى .

ووجدت بخط بعض معاصرية أنه كان يحب العلماء والفقراء وكان شهماً ديناً ، حتى إنه طلب الأمير جانم الجركسى أمير الحاج الشريف لمجلس الشرع الشريف فتأخر عن حضوره صحبة القاصد وحضر عقبه بسرعة ، فأمر بضربه فى الحوش ، وكان لابساً ملوطة موصلى ، وكان الحوش مرشوشاً ، فسودت من الرش بالطين . ثم قام من ذلك الوقت وطلع للديوان لصاحب السعادة سليمان باشا وشكر ما وقع له وتظلم فلم يبلغ مرامه .

وعرض صاحب الترجمة فى قاضى القضاة نور الدين الطرابلسى الحنفى القاضى فى الدولة الجركسية فى أن الشيخ نور الدين يعارضة فى احكامه ويتعقبه فى أمور وأن أقامته بمصر فيه معارضة [٢٢٨] له فى أقواله وأفعاله ، وضرر عليه فأمر السلطان بخروجه من مصر .

فعند دخول الساعى بالحكم لصاحب الترجمة قيل له أنه بالجامع الأزهر
يصلى على الشيخ الطرابلسى فتوجه إليه بجامع الأزهر ، فوجده يركب فأعطاه
الحكم فقرأه ، فقال : لا إله إلا الله ظهرت كرامته وأخطأنا نحن قلت : وهذا من
انصاف صاحب الترجمة رحمة الله تعالى ، واعترافه بالحق قلت : والذي اجاز به
السيد عبدالرحيم السيد العباسى صحيح الإمام البخارى والحديث المسلسل بالأولية
. تغمده إليه تعالى برحمته واسكنه فسيح جنته . آمين .

قاضى عسكر مصر

محمد بن عبدالقادر^(١) السيد الشريف محيى الدين

[الرومى الحنفى] الشهير بالمعلول ويعرف بين

السادة الأروام بأسير جلبى أفندى

قرأ على جماعة من الافاضل والاعيان؛ منهم المولى محيى الدين الفنارى^(٢)
وابن كمال باشا^(٣) وغيرهما . واشتغل وحصل وأجمل وفصل وبهر فى الفضائل

[١] محمد بن عبدالقادر : أحد الموالى الرومية أخذ عن جماعة منهم المولى محيى الدين الفنارى والمولى شمس الدين كمال
باشا ، والمولى حسام جلبى ، ثم خدم الدين معلم السلطان سليمان ، ثم ولى مدرسة قاسم باشا ببوسا ثم مدرس
الأفضلية باستانبول ، وولى قضاء عسكر مصر ، ثم قاضى عسكر الاناضول ، وتقاعد بمائه درهم لاختلال عرض له
برجله منعه عن مباشرة المناصب ثم ضم له فى تقاعده خمسون درهما ، وكان عارفا بالعلوم العقلية والنقلية ، وله ثروة
بين دار للفقراء باستانبول ، ودار للتعليم فى قرية قرمانه سنة ٩٦٣ هـ . راجع الغزى . ج ٢ ص ٤٣ .
[٢] محيى الدين الفنارى : محمد بن على بن يوسف ابن المولى شمس الدين الفنارى ، تولى قاضى العسكر الاناضولى .
ثم الروملى ، ولد فى ايام السلطان محمد خان بن عثمان ، كان رحمه الله تعالى صاحب أخلاق حميدة ، وطبع ذكى ،
وجه بهى ، وكرم وفى ، وكان ذا عشرة حسنة ، ووقار عظيم ، وله حواشى على شرح المواقف ، وشرح الفرائض ،
لاسيما للسيد الشريف ، وحواش على اوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة ، وتوفى وهو قاضى عسكر الروملى فى سنة
٩٢٩ هـ ، ودفن عند قبر جده شمس الدين بمدينة بروسا .

الغزى . الكواكب ج ١ ، ص ٥٩ .
[٣] ابن كمال باشا : هو شمس الدين محمد بن أحمد بن سليمان بن كمال (باشا) خدم وهو شاب فى الجيش فى سلطنه
بايزيد ، ثم تعلم الحديث فى ادرنه على يد لطفى وصار استاذا فى مدرسة على بك فى اسكوب ، وفى الحلبيه بادرنه
، وتولى الافتاء بالاستانة حتى مات سنة ٩٤٠ هـ ، وله مؤلفات تزيد على ١٢٥ مؤلفا فى الحديث والاصول موجود
كمخطوطات فى الكتب المصرية . من اهمها طبقات الفقهاء .
رساله فى الخضاب . طبقات المجتهدين الحنفية . كتاب من الكلمات .
لمزيد من المعلومات راجع جورجى زيدان ، مرجع سابق ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

العلمية ، ودأب فى تحصيل الفواصل العملية وولى التداريس بمدارس متعددة ، منها إحدى الثمان ، ثم ولى قضاء مصر .

موتين : الأولى بعد شيخ محمد بن الياس المتقدمة ترجمته .

الثانية : بعد صالح [٢٢٩] أفندى بن جلال المتقدم ذكره ثم صار قاضياً بالعسكر المنصورة فى ولايه أناضولى ثم عجز عن خدمة الديوان لأجل عله حدثت له برجله ، وعزل عن المنصب ، وعين له من العلوقة كل يوم مائة وخمسون درهماً عثمانياً ، ومات سنة ثلاثة وستين وتسعمائة ، وكان من أهل العلم والفضل ، وكانت له ثروة زائدة ومحبة للخير وفعله وبنى داراً للقراء بمدينة قسطنطينية وداراً للتعليم فى بعض القرى ، وكان من أهل الخير ، ذكره التقى التميمى فى طبقاته بنمو هذا وأثنى عليه .

قال النورين الجزار فى تاريخه : " وهو القاضى الشريف ، كان رجلاً حسن الوجه والشيبه ، لطيف العمامة ، يأخذ ثلث الثلث من أموال القسمة فيصرفه ذهباً سليمانياً وغورياً ويرمده للعلماء والشعراء ، ومكث بمصر قاضياً نحو سبع سنين ، [ورأيت امضاءه على بعض الحجج المتعلقة بالمرحوم الوالد مؤرخة بأواسط جمادى الأولى سنة أربعين وتسعمائة] (١) .

قلت : ولعل هذه الولاية الأولى ، وكان أقرب العلماء عنده صاحبنا الشيخ زكريا الأنصارى والدول شيخ الإسلام زكريا الأنصارى السنيكى الشافعى المذكور فى الاصل .

ثم لما عزل صاحب الترجمة نعى عزله النورين الجزار المذكور بقوله:

على فقد الأحبة يميل صبرى فتلما لأحكام للطيف [٢٣٠]

بكيت ليعدهم أسفا وحزنا بكامصر على القاضى الشريف

[١] ما بين المعكوفتين من هامش المخطوط بنفس الخط ، وكانت ولايته من ١٥ ذى الحجة الحرام ٩٤٨ هـ ، ٥ رمضان ٩٥٣ هـ / ٣ أبريل ١٥٤١ : ٤ نوفمبر ١٥٤٦ م ، وتاريخ التولية والعزل من الروضة ص ١٦٤ .

ونعى عزله أيضاً بقوله :

أها على مامر من حلو اللقا بين الأحبة والزمان الماضى
إنى بكيت وليت لو يجد البكا كبكاء مصر على الشريف القاضى

قلت : وكان صاحب الترجمة على قدم كبير من العبادة والعفة والزهادة ، مقرباً للعلماء الأخيار مبعداً للجهلة الأغمار وكان فى زمنه الحظ الوافى ، والخير المتكاثر ، ولما عزل عنها حصل لأهل مصر فى لأهاليها عليه البكا والعيول ، والحزن الطويل سامحه الله تعالى ، وواتر فضله على رمسه ووالى ، أمين .

قاضى عسكر مصر

محمد شاة بن حرم وينتسب إلى سيدنا أبى بكر

الصديق رضى الله عنه الرومى الحنفى (١)

أخذ عن المولى ابن كمال باشاه ، وصار ملازماً منه ، وقرأ على المولى سيدى أحمد بن حمزه المشهور بابن بليس جلبى فى الفقه والعربية والمنطق ، وحضر عند المولى خضر الرومى (٢) الملقب خير الدين المرزىقونى فى المنطق ، وقرأ عليه حواشيه على قسم التصديقات من شرح الشمسية ، وأخذ عن المولى خير الدين الأصفر فى العربية والصرف [٢٣١] وقرأ عليه الكافية تماماً ، وأكثر من الحضور عند سعدى جلبى وقرأ عليه فى علوم عديدة ، منها الفقه والعربية والصرف ، وغير ذلك ، وأخذ

[١] كانت ولايته من ٢١ رجب ٩٧١ : مستهل رجب ٩٧٤ / يناير ١٥٦٧ : ١٢ يناير ١٥٦٧ هذا بينما يذكر ابن أبى السرور ولايته ب ٢١ شعبان ٩٧١ / أول رجب ٩٧٤ / ٦ ابريل ١٥٦٣ يناير ١٥٦٧ م . وهم يتفقان فى العزل الروضه ص ١٦٩ .

[٢] خضر الرومى : خضر ابن الرمى الشيخ العارف المولى ابن المولى أحمد باشا الرومى الحنفى ، تربى عند والده ، وحصل فضله واخذه من العلم وصار مدرسا بمدرسة السلطان مراد الغازى ببوسا ، وانتفع به الطلبة وفضلوا عنده ، ثم مال إلى حافظا لاداب الطريقة مقبولا عند الخاصة والعامة ، حتى توفى سنة ٩٢٣ هـ . راجع الغزى - الكواكب ج ١ ، ص ١٩١ .

عن المولى عبدالرحيم المشهور بابن المؤيد المعروف بحاجى جلبى (١) فى التفسير والصرف والتصوف والحديث وقرأ عليه كتاباً من الفنون ، رواية ودراية ، وقرأ دورساً على قادى أفندى مفتى الديار الرومية ، ثم صار مدرساً بمدرسة بروسه ثم مدرسة أبى أيوب الأنصارى ثم بإحدى المدارس الثمان ثم تولى قضاء الديار المصرية وقدم إليها فى حادى عشرى رجب سنة إحدى وسبعين وتسعمائة فدخلها فى أبهة زائدة ، وعظمة متزايدة ، وباشرها بتطلب وشهامة ، ونفوذ أمر وصرامه ، وعقد له بها الناموس حتى طأطأت له الرؤوس وصار الباشا فمن دونه تحت نهيه وأمره ، واقفون عند قوله وزجره حتى ضرب بذلك المثل فى الأمصار وتناقلت بسيرته رواة الأخبار ، ومكث متولياً بها أزيد من ثلاث سنوات إلى أن ورد الخبر بعزله وولاية على أفندى ابن أمر الله الحميدى الشهير بقتلى زاده المتقدم ذكره فى مستهل [٢٣٢] رجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة .

ومن جملة أحكامه بمصر : أنه سجن الشيخ أبوبكر بن الشيخ الغمرى بسبب وقف جده المذكور ، وخصامه مع بعض أقاربه ، وكان فى عصره إذ ذاك من العارفين الصادقين الظاهرين : القطب الريانى ، والعارف الشيخ عبدالوهاب الشعرانى الشافعى نفعا الله تعالى ببركاته ، وبركات علومه ، ومنطوقه ، ومفهومه ، فكتب لصاحب الترجمة فى شأن الشيخ أبى بكر الغمرى المذكور مكاتبة لا بأس بإيرادها بقصد التبرك ، وللوقوف مع مقام السادة العارفين بحق ، وإطالة لسانهم على الحكام ، وعدم خوفهم منهم ، رضى الله تعالى عنهم وصورتها :

[١] حاجى جلبى : أحد الموالى الاجلاء بالروم . كان أولا من طلبه العلم الشريف وقرأ على المولى الفاضل سنان باشا ، وعلى المولى الفاضل خواجه زادة ، وكان مقبولا عندهما قال : وكان المولى الوالد [نقلا عن الشقائق النعمانية] يحكى ويقول إن خواجه زاده كان يذكر بالفضل المولى المذكور ، وكان يذكر زن ما سمعته لا يشهد لاحد طلبته بالفضل مثل شهادته له .

ثم أن الشيخ المذكور سلك مسلك التصوف واتصل بالشيخ العارف بالله تعالى محيى الدين بن الاسكلىبى ونال عنده فى التصوف غايه متمناه ، وجلس للإرشاد فى زاويه شيخه الشيخ مصنىح الدين السيروذى ، ورعى كثيرا من المريدين ، قال : وبالجمله كان جامعا بين الفضيلتين العلم والعمل ، كان فضله وذكاؤه فى الغايه لاسيما فى العلوم العقلية واقسام العلوم الحكيميه وكان له معرفة تامه باللغة العربية ، وآيه كبرى فى معارف الصوفيه ، وقد ظهرت له كرامات عليه ، توفى سنة ٩٤٤ هـ .

راجع الغزى : الكواكب ج ٢ ، ص ١٦٤ .

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم :

لعلم مولانا أفندي كان الله لنا وله وللمسلمين آمين ، أن من أعظم بيوت
سلاطين الأولياء والأقطاب بمصر المحروسة أربعة بيوت : أولهم بيت السادات بنى
الوفاء ، ومن أعلامهم أولاد الفقراء كشجرة الزيتون ، كلها طيب ؛ أصلها طيب ،
وفرعها طيب ولا تخلو من زيت طيب ، فهم آثار أنوار الرحمن فى الأرض فمن تهاون
[٢٢٣] بهم كمن تهاون بالرحمن وقد أسرع هلاكه ، ومن تعاهدهم كفاهم الله بالجنة ،
ومن سترهم ستره الله وجبر كسره ، وبعد :

بيت سيدى شمس الدين الحنفى الشاذلى ومن كلامه : " إذا كان ابن الفقراء
رماداً فلا تطفأ عليه بقدمك تحترق ويوشك أن تقع فى سوء الخاتمة ، وبعده بيت
سيدى أبى العباس العمرى الطوينى جد هذا الرجل الذى سجنته ومن كلامه : لحوم
أولاد الفقراء مسمومه فمن يعاديهم عجل هلاك نفسه بمسير ساعة ، وبعده بيت
سيدى مدين ومن كلامه : لا تقاطع رحم أولاد الفقراء تقطع ، فهم رحم أستاذيك من
أهل الولاء والعرفان والمعانى ، وقطيعتهم أقطع لك من قطيعة رحم المبانى فإن
الأولى مقاطعة لسيدك ، وزبك ، والثانية مقاطعة لأهلك وحرملك وقد عرضت نفسك
لبلاء عظيم خطر وداء لا دواء له والرأى عندى التدارك بالمبادرة إلى إطلاقه
واستعطافه واغتنام السلامة من العطب ونسأل الله تعالى الحفظ والأمان من مقتته ،
ولقد نصحتك فاختر لنفسك ما يحلو ، والسلام وكتبه : [٢٣٤] عبد الوهاب بن أحمد
الشعرانى الأنصارى عفى الله تعالى عنه آمين .

قلت : وإلى الآن أسمع من أدرك صاحب الترجمة أنه كان عفا الله عنه على
جانب كبير من الشدة وبهذا المقتضى هداية النفوس فإن أهالى مصر إنما طبعوا على
اللين وعلى أهله . فكان مسيره خلاف ما يألفون ، ومناقضاً لما يعهدون ثم بعد عزله
توجه إلى الديار الرومية فلم يقم بها كثيراً وولى قضاء اسطنبول ، ثم ترقى منه إلى
قضاء أناطولى ، ثم قضاء روملى ، واستمر على جلالته وعظيم مهابته إلى أن أدركه
أجله المعلوم ، وفاجأه وقته المحتوم ، ولحق باللطيف الخبير ، ولم أقف على تاريخ
وفاته ، ولكن كان له يوم مشهود بين السادة الموالى . وموقف معدود عن أولئك القوم
أهل المعالى رحمه الله تعالى واسكنه فردوس جنته آمين .

قاضي عسكر مصر

محمد بن أحمد بن عبدالقادر السيد الشريف الطاهر القدر المنيف

ولد المتقدم ذكره أخذ العلوم عن أبيه [٢٣٥] وعن غيره من السادة الموالى كالمولى سيدى أحمد بن حمزه قرأ عليه دورساً فى الكنز ، وفى مصابيح البغوى ، وأخذ عن المولى شمس الدين الأصفر فى الفقه والعربية والتفسير والصرف ، ثم عن المولى حسام الدين القراصوى المنطق ، وقرأ عليه شرح الشمسية ، وفى الصرف شرح المراح ، والمطول بتمامه فى المعانى والبيان ، وحضر دورساً عند المولى خير الدين المرزىقونى فى المنطق والجبر والمقابلة ، وعن المولى سعدى جلبى الاقشهرى فى الحساب ، والتصوف والبديع ، والعروض وأخذ عن المولى قادى أفندى مفتى الديار الرومية فى فنون كثيرة وعلوم شهيرة وصار ملازماً منه ثم حضر عند المولى عبدالقادر أفندى الشهير بمنا وعيدى ، قاضى مصر المتقدم ذكره مجالس عديدة ، فى علوم مفيدة ، وأكثر من الأخذ عن علماء عصره ، وموالى مصر فى طبقة بعد طبقة إلى أن مهر ، وحصل وأجمل ، وفصل ، وولى المدارس المتعددة كمرادية بروسه ثم منها إلى إحدى المدارس الثمان ، ثم صار مدرساً بأياصوفيه ثم فوض [٢٣٦] إليه قضاء الديار المصرية فدخلها غاية ربيع الأول سنة سبع وسبعين وتسعمائة (١) فى أبهة زايدة وعظمة متزايدة ، وحصل له من الوجاهة والرئاسة ، والسؤدد والنفاسة ، وتلطف بأهلها فى الوداد إلى أن حصل بينهما مزيد من المحبة والاتحاد ، وكان من أجلهم شيخنا البدر القرافى المالكى رحمه الله تعالى ، وتطارحا بالنظم البديع الذى هو أزهى من زهو الربيع .

[١] كانت ولايته الاولى ٩٧٧هـ / ١٥٦٩ ، ولكن نجد ان السرور البكرى اغفله ذكره من هذا التاريخ القاضى شيخ محمد بن الياس الروضه ، ص ٢٧ .

فما كتب له شيخنا المذكور حين [قدومه إليها] أبيات عن غيره
أبيات قوله :

إن لله عنايات سمت	وسعادات لها فخر لطيف
ساقها الله إلى مولى زكى	سامى المجد مع الأهل المنيف
بقضاه سعدت مصر كما	بأبيه الباهى القدر المنيف
يكفيها مجداً وفخراً وثناً	قد تولاهما شريف بن شريف

ثم كتب له شيخنا المذكور^(١) حين مرض صاحب الترجمة فى
أوائل الجمادى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة قوله^(٢) :

لا غاب شخصك عن ناظرى	ولا ضاع ذكرك من خاطرى
فكن بارزاً لتذيب العدى	مديماً للذكر اسمه الظاهر

وكتب له شيخنا أيضاً فقال :

يا شريف الأصول والأفعال	دمت ذا رفعة وفضل موال
عبدك المخلص المحب بحق	ذاب شوقاً لحسن ذاك الجمال
أسأل الله حفظ ذاتك أصلاً	رافلاً فى سيادة وكمال

ومما كتب له أيضاً شيخنا المذكور قوله : [٢٣٧]

عزومات هاشمية	وصلات حاتمية
بعلاها أترجى	خير حالات بهية
أطلب الإذن بصرف	لنجاز فى القضية
إن معلومى وصحبى	ثابت بالاشرفية
مع ختم الوصول	لم يكن معه بقية
دمت فى مجد بهى	فى حمى خير الدية

[١] ما بين الكوفتين من هامش المخطوط بخط الناسخ أو المؤلف .

[٢] جمادى الاول ٩٧٨ هـ : اكتوبر ١٥٧٠ .

ومما وقفت عليه من نظم صاحب الترجمة الرائق وشعره الفائق ما كتب به إلى شيخنا البدر المذكور ، ضوعفت لهما الرحمة من العلى الغفور :

وهو ضبط لفظ (الحبر) وما ورد فيه فقال :

أيهما الحبر الهمام المرتجى	دمت فى الخير وإقبال مزيد
قصدنا منك جواباً شافياً	فيافى مقصد للمستفيد
ما ترى فى الحبر ضبطاً محكما	هل بكسر نجا أو فتح مزيد
فتفيدوا النقل فى ذابينا	عن إمام فى اللغة مولى سعيد
أوضح الشأن وبين مطلباً	دمت بين الخلق ذا نفع أكيد

أجاب شيخنا المذكور بما نصه :

بعد حمد الله ذى قدر علا	صلاة لجليل وفريد
خذ جواباً كافياً فى مطلب	بطريق واضح النفع حميد
هذه مسألة فيها جرى	اختلاف القول مع فكر سدسد
فالحديث النبوى حفاظه	قدروا فتحا جميعاً لمريد
وكذا تقلب فى تأليفه	ليس إلا الفتح من غير مزيد
وحكى القاضى عياض مفكراً	كسرهما فانظر إلى وضع رشيد
وصحاح الجوهري دل على	كسر جا مع جحان محيد
بعد صاحب قاموس غدا	لم يصحح واحداً مما تريد
فاخطب الأ Bakar من أشرافها	تجد المطلوب مع خير مديد
يعرن العلم لأهليه زكوا	كل ذى فضل وعلم مستزيد
خير عمر ما جرى فى عمل	يرتضيه الله ذو الفضل العديد
وصلاة الله تهدي أبداً	يشفيح الخلق فى يوم الوعيد
قاله البدر القافى داعياً	ومصلياً دهرأ على حير فريد

وبأثر الجواب المذكور إيضاح وبيان لا بأس بإيراده تكميماً
للفائدة وصورته :

قال الجوهرى فى الصحاح : الحَبْرُ والحَبْرُ واحد أحبار اليهود وبالكسر أفصح لأنه يجمع على الأفعال دون المفعول ، قال الفراء : هو [٢٣٩] حَبْرٌ بالكسر يقال ذلك للعالم ، وإنما قيل كَعْبُ الحَبْرِ لكان هذا الحبر الذى يكتب به ، وذلك لأنه صاحب كتاب . قال الأصمعى : الحَبْرُ الرجل العالم ، وقال أبو عبيد : الذى عنده أنه الحَبْر بالفتح ومعناه العالم الخبير بالعلم وتحسينه . قال : وهكذا يروى المحدثون كلهم انتهى .

وقال الزركشى شارح البردة : " قال الحريرى : الكسر أفصح وكلام تعلب فى الفصح يدرك على أن الفتح أفصح فإنه اقتصر عليه " انتهى .

وقال القاضى عياض فى المشارق : " كعب الأحبار : كعب العلماء ، واحدهم حبر وقال ابن قتيبة : وجد العرب : ابن عباس ، والحبر العالم حيث وقع " انتهى .

ومن القاموس : " الحَبْرُ بالكسر " النَقْيُ والعالم أو الصالح ويفتح منهما (١) كما قال : " وكعب الحَبْر ولا يُكْسَرُ (٢) ولا تقل الأحبار " (٣) انتهى ، المقصود منه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده . قاله ناظمه وجامعه بدر الدين القرافى المالكى عفى عنه انتهى .

[١] القاموس : ص ٤٧٢ (ماده حبر)

[٢] كذا بالمخطوطه ، وفى القاموس : وَيُكْسَرُ بدون "لا" .

[٣] القاموس ص ٤٧٣ ، ونقل مصحح القاموس عن الشنقيطى قوله تعقيباً : " ربما لا يقال كعب الأحبار إذا نُؤِنَ ، وأما إذا أُضِيفَ فلا امتناع فيه " . هكذا بخط المؤلف بالهامش ، ومنه نقلته " . أ.هـ ، السابق ص ٤٧٣ هامش (٨) .

قلت : ولم يزل صاحب الترجمة مقبلاً على أهل البلد بالتودد والإنعام مغدقاً عليهم أنواع الفضل العام ، وهم باسطون الأكف بالدعاء بدوام دولته [٢٤٠] وتأيد عزته وهم راضون عن حسن سيرته شاكرون عظيم سريرته إلى أن اغتالته صروف الأيام وفاجأه العزل على غرة من الأحلام وأسف أهل مصر على فراقه وتجرعوا لذلك كأساً لا يحد مرارة مذاقه لما وألفوه من العلم والعمل والخير والمير الذي لا يزال وبه في همل . ولكنه بعد توجهه من هذه الديار ، ووصوله إلى عظيم تلك الأقطار ، تلقاه أهلها بالخبر والقبول ، وبلغ من جانبهم كل مأمول ، وفي أسرع وقت وزمان فوض إليه قضاء بروسه المأنوسه ، فباشرها بالعدل والإنصاف وأزال عن أهلها الضيم والإجحاف ، ورزق السعد في مناصبه بحسن مخالطته لأهالي المناصب والفوز منهم بمأربه ، لأنه كان له في العلوم القدم الراسخ ، وفي الغوص في تيار بحارها كأنه الطود الشامخ ، ثم انتقل إلى قضاء تخت السلطنة السنية قسطنطينية المحمية ولم يزل يترقى في المناصب وتقلب في أعلى المراتب إلى أن فاجأه الحمام وانتقل إلى دار السلام بسلام رحمه الله تعالى أمين . [قلت : ورأيت بعض المؤرخين ذكر صاحب الترجمة بما نصه : ثم تولى مولانا أمير جلبي أفندي فكان فيه حال الشرف مانعاً من ذكر بعض السرف ، وبالجمله فموضوعه يقرب من سير المخاليق وهو الجمع بين الضدين لأنه كان يتساهم ويتشاهم ويقرب الأحداث ويقرر في الأوقاف الأحداث إلى أن تمت مدته بخير انتهى] (١) [٢٤١] .

[١] ما بين المعكوفتين من هامش المخطوط .

قاضي عسكر مصر

محمد بن شيخ محمد بن إلياس بن شيخ

محمد بن إلياس [الرواسي الحنفى] (١)

وهو ولد المتقدم ، نشأ فى حجر السيادة ، وغذى بدر السعادة وأخذ عن والده جملاً من العلوم مستكثراً ثم أخذ عن غيره وجد فى الطلب ، ودأب فى التحصيل فممن أخذ عنه أيضاً تاج الحميدى فى الفقه قرأ عليه ما كتبه من الحواشى على صدر الشريعة وأخذاً أيضاً عن المولى أحمد بن مصطفى طاشكبرى زاده صاحب الشقائق النعمانية قرأ عليه تصريف العزى والمراح والمصباح فى النحو للأمام المطرزى وكافيه ابن الحاجب ، وضوء المصباح ومختصر ايساغوجى فى المنطق مع شرحه لحسام الدين الكاتى وقطعة من شرح الشمسية للرازى وقرأ عليه شرح العقائد للتفتازانى مع حواشيه للخيالى وهداياه الحكم لمولانا زاده مع حواشى المولى خواجا زاده ، وشرح أدب البحث لمسعود ، وشرح المطالع لعلامة الأصبهاني فى تمامه مع حواشى السيد الشريف عليه ، وأخذ أيضاً عن المولى أحمد بن مصطفى وأخذ عن المولى حسن القرمانى فى الفقه والعربية والأصليين والمنطق [٢٤٢] وأخذ عن المولى سعدى جلبى الأقشهري فى التصوف والعقائد والمعانى والبيان والمنطق وقرأ دورساً على المولى قادري أفندى مفتى الديار الرومية (٢) .

واستجازله عدة من علماء الأقطار وأئمة الأمصار على استدعاء لفظه

[١] ما بين المعكوفتين من هامش المخطوط .

[٢] بعد هذه الكلمة سبعة سطور شطب عليها المؤلف وهذا يرجح أن المخطوط بخطه إذ أن الناسخ لا يتصرف هكذا بالشطب من تلقاء نفسه .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، الآل
والصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فالمستأول من تفضلات موالينا مشايخ الإسلام أهل العلم ونقلته للموفق
الرشيد نجل سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام وملاذ العلماء الأعلام [٢٤٣] فريد
دهره ووحيد عصره نسيجٌ وحده (١) وصديق وعده متين الدين ، وقويم اليقين ، صادق
القول ، طائل الطول ذى الهمة والعزيمة والبأس . مولانا وسيدنا شيخ محمد بن
إلياس هو سيدى شمس الدين محمد جلبى حفظه الله تعالى ، وأعزه بعزه وجعله هو
ووالده فى كنفه ، وحرزه ، وحقق فيه الظنون ، وأقربه العيون وبلغ والده فيه ، ما
يؤمله ويرتجيه ، فهو سميع الأصوات ، ومجيب الدعوات ، ما يجوز لهم وعنهم روايته
من مروي وتصنيف وسماع وإجازة ، ونظم وما يندرج تحت أنواع الإجازة ، وأن
ينعموا بذكر مولا هم مثابين فى ذلك مأجورين إن شاء الله تعالى .

وكتب فى رابع جمادى الأول سنة أربع وأربعين وتسعمائة أحسن الله ختامها
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين والحمد لله وحده .

هذا لفظه ، وأما من كتب له من العلماء قاضى القضاة أحمد بن عبدالعزيز بن
على الفتوحى الحنبلى الشهير بابن النجار (٢) ، والعلامة محمد بن محمد بن محمد
الزكى العثمانى الشافعى وفقه عصره العلامة ناصر الدين اللقانى الشافعى [٢٤٤]

[١] نَسِجٌ وَجَدَهُ : مَثَلٌ يُضْرَبُ وَيُقْصَدُ بِهِ : "ليس له ثان" . ، ذلك أن الثوب النفيس لا يُنْسَجُ على منواله عِدَّة
أَثواب . انظر القاموس ص ٢٦٥ مادة نسج .

[٢] أحمد عبدالعزيز بن على الشيخ : الإمام العلامة ، شيخ الإسلام قاضى القضاة ، شهاب الدين الفتوحى
الحنبلى ، والمعروف بابن النجار قاضى قضاة الحنابلة بالديار المصرية ولد سنة (٨٦٥هـ) ، وتوفى فى
سنة (٩٤٩هـ) ، وانظر تفصيل ترجمته فى الكواكب (ج ٢ / ١١٣)

وفقيه وقته ، أحمد بن أحمد بن حمزة الرملى الأنصارى الشافعى (١) ، ومحدث عصره الشهاب أحمد بن عبدالحق السنباطى (٢) الشافعى أجاز صاحب الترجمة بالكتب الستة (٣) وما قرأه من مسند (٤) أحمد ومسند النسائى الكبير راويه ابن الأحمر ، ودلائل النبوة للبيهقى ومسند الدرامى ، ومسند عبد بن حميد والغيلانيات ، والثقفيات ، وسيره [ابن] اسحاق ، وتهذيب ابن هشام ، وسيره الحافظ ابن سيد الناس ، والترغيب والترهيب للمنذرى ، ورياض الصالحين والأذكار للنووى ، وبمسموعاته ، وهى الموطأ لإمام دار الهجرة مالك بن أنس روايه يحيى بن يحيى ، وقطعة كبيرة من المعجم الأوسط للطبرانى ، ومن المعجم الكبير ، ومن الصغير ، كلاهما له ، وغالب المستخرج على صحيح مسلم لأبى نعيم ، وقطعة كبيرة من الحليه لأبى نعيم ، ومن كتب على الاستدعاء والشهاب أحمد بن يونس الشهير بابن الشبللى (٥) ، ومنهم العلامة محمد بن على بن أحمد الراوى المالكى ، وأجاز صاحب الترجمة بمقروءاته ومسموعاته ومن مقروءاته مسند الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان

[١] هو أحمد بن أحمد بن حمزه الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام الرملى شهاب الدين الأنصارى الشافعى تلميذ القاضى زكريا ، وتوفى فى بضع وسبعين وتسعمائة (الكواكب ٣ / ١٠١) .

[٢] أحمد بن عبدالحق بن محمد : الشيخ الإمام العالم العلامة ، شهاب الدين ابن الشيخ عبدالحق السنباطى المصرى ، الشافعى الواعظ بجامع الأزهر ، توفى سنة (٩٥٠هـ) ، ترجمته بتفصيل فى الكواكب ج ٢ / ١١٢ .

[٣] المقصود بالكتب الستة : الصحيحان (صحيح البخارى ، وصحيح مسلم) وسنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وسنن الترمذى وسنن ابن ماجه .

[٤] المسانيد : هى الكتب الحديثية (الأحاديث) التى صنفها مؤلفوها على مسانيد أسماء الصحابة ، بمعنى أنهم جمعوا أحاديث كل صحابى على حده دون النظر لموضوع الحديث ذاته ، والمسانيد التى صنفها الأئمة المحدثون كثيرة ربما تبلغ مائه مسند أو تزيد ، وقد ذكر الكتانى فى "الرسالة المستطرفة اثنى وثمانين مسنداً" منها ثم قال : "المسانيد كثيره سوى ما ذكرناه" . (انظر أصول التخرج ودراسة الأسانيد للدكتور محمود الطحاوى ص ٤٠) ، ومسند أحمد : هو كتاب كبير يشتمل على نحو أربعين ألف حديث ، صنفه الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيبلى المتوفى سنة ٢٤١هـ ، ورتبه على مسانيد الصحابة ، أى روى فيه أحاديث كل صحابى على حده ، بغض النظر عن موضوع الحديث ، فالجامع بين كل مجموعة من الأحاديث هو الصحابى الذى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[٥] أحمد يونس : المعروف بابن الشبللى الشيخ الإمام العالم العلامة ، شهاب الدين المصرى الحنفى المتوفى سنة سبع وأربعين وتسعمائة (٩٧٤هـ) تفصيل ترجمته فى الكواكب ٢ / ١١٦ .

بن ثابت بن روطا رضى [٢٤٥] الله عنه والموطأ لإمام دار الهجرة النبوية النبوية مالك ابن أنس رواية أبى مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى ، ويحيى بن يحيى بن يحيى الأندلسى ، ويحيى بن عبدالله بن بكير ، ومحمد بن الحسن الشيبانى ، ومسند الإمام الشافعى محمد بن إدريس ومسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ، وصحيح البخارى ومسلم والسنن لأبى داود ، والجامع لأبى عيسى الترمذى ، والسنن لأبى عبد الرحمن النسائى ، والسنن لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجد ، والمستخرج (١) على صحيح مسلم لأبى عوانه الاسفراذينى ، وصحيح أبى بكر محمد بن اسحاق ابن خزيمة ، وصحيح مسلم لأبى حاتم محمد بن حبان البستى ، والسنن لأبى الحسن الدار قطنى ، والسنن لسعيد بن منصور ، والمسند لعبدالله بن عبد الرحمن الدارمى ، والمعجم الثلاثة لأبى القاسم سليمان بن أحمد بن مطير الطبرانى ، والمسند والمصنف لأبى بكر ابن أبى شيبه والجامع لسيفان الثورى ، وجزء سفيان بن عيينة ، والسنن وشعب الإيمان ، ومعرفة الآثار والبعث والنشور كلهم لأبى بكر أحمد بن الحسن البيهقى ، ومسند مسدد بن سرهد ، ومسند أبى يعلى أحمد بن محمد الموصلى ومسند أبى بكر البزار ، والسيرة النبوية لأبى محمد عبد الملك بن هشام وشرح معانى الآثار لأبى جعفر [٢٤٦] الطحاوى ، والترغيب والترهيب لأبى الشيخ الأصبهانى ، ولأبى القاسم الطلى ، وتفسير البغوى ، وتفسير الزمخشرى ، والإمام فخر الدين الرازى ، ومنهم العلامة محمد بن شعبان الدرديرى الشافعى ، تلميذ الجلال ، السيوطى رحمها الله تعالى ، ومنهم العلامة عمر بن إبراهيم بن محمد ابن عبدالعزيز محمد [القبارى] الشافعى ، ومما أجاز به صاحب الترجمة جميع صحيحى البخارى ومسلم ، وبقيّة الكتب الستة والحديث المسلسل بالأوليه

[١] المستخرج : المُستَخَرَجُ عند المُحَدِّثين هو : " أن يأتى المصنف المُستَخَرَجُ إلى كتاب من كتب الحديث فيُخَرِّجُ أحاديثه بأسانيد لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه فى شيخه أو من فوقه ولو فى الصحابى وشرطه ألا يصل إلى شيخ أبعد حتى يفقد سندا يوصله إلى الأقارب ، إلا لعذر من علو أو زيادة مهمة . وربما أسقط المستخرج من أحاديث لم يجد بها سندا يرتضيه ، وربما ذكرها من طريق صاحب الكتاب (أصول التخرىج ص ١٠٠ نقلاً عن تدريب الراوى للسيوطى) .

والمسلسل بالصحبة والمحمدين وبالمصافحه ، وبقراءة سورة الصف ، وحديث زهير العشاري ، والترغيب والترهيب للحافظ المنذري ، والاذكار والرياض للنووي ، والتذكرة للقرطبي ومنهم العلامة ناصر الدين بن سالم على الطبرلاوي الشافعي (١) ، ومنهم العلامة محمد بن عبد القادر بن محمد الدميري الحنفي ، ومما أجاز به صاحب الترجمة جميع صحيح البخاري وجميع صحيح مسلم ، وسنن أبي داود وجامع أبي عيسى الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وكتاب الشفا جميعه ، سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن سيد الناس ومن سماعه جميع الموطأ [٢٤٧] للإمام مالك رضي الله عنه روايه يحيى بن يحيى الليثي ، وجمع كتاب المسند للإمام الحافظ أبي عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي السمرقندي رحمة الله عليه ومنهم العلامة أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن المحب المالكي ومنهم (٢) قاضي (٣) أحمد بن عبدالعزيز بن علي بن إبراهيم الفتوح الحنبلي الشهير بابن النجار أجاز به بالمسلسل بالأولية ، وكذلك بصحيح الإمام البخاري بالسند ، وكذلك صحيح مسلم بن الحجاج وكذلك سنن أبي داود ، وكذلك جامع الإمام الترمذي ، وكذلك سنن النسائي الصغرى وكذلك سنن ابن ماجه القزويني وذكر سنده إلى كل كتاب منها برجاله فرداً فرداً ثم إن صاحب الترجمة رحمه الله تعالى حال ولايته القضاء بالشام ، واجتمع بالحافظ المسند عالم بيت المقدس محمد بن محمد بن أبي اللطف بن علي بن منصور بن زين العرب القدسي وطلب منه الإجازة بمقروءاته [٢٤٨] ومسموعاته فإجازته بجزء ابن عز المشتمل على المسلسلات من الأحاديث وبصحيح البخاري بالسلسلة الحمديّة وبالحديث المسلسل بالمحمدين ثم بعد أن ذكر رجال مسلسلات

[١] محمد بن سالم بن علي الطبرلاوي : الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام بقية السلف الكرام الشيخ ناصر الدين الطبرلاوي الشافعي ، توفي سنة ٩٦٦ هـ انظر تفصيل ترجمته في (الكواكب ج ٢ / ٣٢ - ٣٣) .

[٢] يوجد بعد هذه الكلمة ثلاثة أسطر (شطب) عليها المؤلف .

[٣] محمد بن محمد بن أبي اللطف : ولد سنة ٩٤٠ أو ٩٤١ هـ ، تولى الافتاء بالقدس الشريف على مذهب الشافعي ، وتوفي ٩٩٣ هـ (تفصيل ترجمته في الكواكب ٣ / ١٠) .

جزء ابن عز اعقب ذلك بمنظومة تلذ لها الأسماع ويميل إليها الطباع لا بأس بإيرها
فى هذا المحل تنميماً للفائدة ولتحلى سطور هذا الكتاب بهذا النظم البديع الشهى
الخطاب وصورته :

بداءة حمد بالبديع تعرب
إلى الرفع فى أوج الفضائل ينسب
مما قدر ما يبديه بدر وكوكب
ففاح بأمطار البسيطة زرنب
تولد مندوب الصلاة وتوجب
صلاة وتسليم من الطيب أطيب
لنا منه بالواد المقدس أشهب
مناط الثريا دونها وهى أقرب
بدورهم أن لاح فى الكون عنب
ونقوس بألواح البسيطة تكتب [٢٤٩]
هو العمدة البحر الهمام المهذب
رفيع الذرى المأثور ما فيه يعذب
إلى جده إلياس فى الناس ينسب
بمصر له كنز العدالة مطلب
ولا زال ذيل المجد فى السعد يسحب
وزدنا به فخراً به انهل صيب
لحضرته العليا التى ليس تنكب
رواياته اللآتى بها ضاء غيب
إليه كبوداً للرواحل تضرب
فقلت وإمساكى عن القول أنسب
وسائر ما أروى ومالى ينسب

جلائل آلاء المهيمـن توجب
لمن فى سلوك المجد سلسل مفرداً
وألمع فى الآفاق شمس علومه
واشدى لدى أهل المعارف عرفه
وخيرات خير المصطفين محمد
عليه مع الاصحاب والآل جملة
وبعد فلما لامع المجد أشرقت
وبالحرم القدسى حلت أخامص
خامص مولانا فاق طولاً أئمه
أقاصيص ما أورتية من كل حكمة
هو الحجة الإمام الحبر الذى سما
عزيز الورى المشهور فى كل مجلة
إمام الموالى ذو المعالى محمد
رئيس قضاة الشرع قاضى العسكر
رعى الله ما أسدى إليه من على
شرفنا به قدراً وزودنا به هدى
ووجه نحوى أمره بإجازة
بجزء لعز فيهم قد تسلسلت
وأنى لمثلى أن يجيز لوحلة
ولكننى قابلت بالسمع أمره
أجزت له يرويه عنى مسلسلاً

وعن والدى أروى وعن ذا فتى أبى
عن ابن على الزمزمى بمكة
بإسناده المسطور هذا وإننى
أبوء بتقصيرى وفضل إقالة
فواخجلى مما به فهت إذا أن
يوارى عوارى منه منه أرتجى
وفى صغر حررته عام يسعه
واسم أبى واسمى وجدى محمد
إلى القدس أنمى فى البلاد مصليا

شريف كمال الدين يروى ويكتب
برهان دين فى الأنعام يلقب
لمن عثرة لى خائف أترقب
لذى عثرة عن علمه ليس يهرب
فهيه لدية من يعرب معرب
وعن أضرب التقصير منى أضرب
وسبعين مع تسع مئتين ترتب
إلى جدى الأعلى أبى للطف أنسب
على المرسل المختار ملاح كوكب

ثم إن صاحب الترجمة حال ولايته لقضاء الشام المذكور اجتمع بعالمه وفقهه
شيخ الإسلام أبى البركات محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن بدر بن مفرج بن
بدر بن عثمان بن جابر القرشى العامرى الشافعى الشهير بابن المغزى واستجازه
فأجازه بأجازة حافلة تزيد على كراسة مشتملة على نظم ونثر من نظمه وشعره ،
وفوائده ، وذكر رجال سنده إلى الحديث المسلسل بالأولية وسلسلة سنده إلى
صحيح الإمام البخارى وكذلك صحيح الإمام مسلم ، وكذلك إلى سنن الحافظ أبى
داود ، وكذلك جامع الترمذى ، وكذلك سنن النسائى وكذلك سنن ابن ماجه وكذلك
الحديث الأول من عشاريات السيوطى ، وكذلك الحديث المسلسل بالمحمدين وكذلك
الحديث المسلسل [٢٥١] بالعلماء الأعلام ، وبأبيات السهيلي المشهورة بإجابة الدعاء
وهى :

وبلافتقار إليك فقرى أرفع
فئن رددت فأى بابا أقرع
إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
الفضل أجزل والمواهب أوسع

مالى سوى فقرى إليك وسيلة
مالى سوى قرعى لبابك حيلة
ومن الذى أدعو واهتف باسمه
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا

وذكر فى الإجازة المذكورة أسماء جملة من مؤلفاته وذكر تقارب المائه ، وأبيات مفيدة من نظمه ، وبديع فهمه ، وهى فى الحقيقة إجازة مشتملة على مهمات الفوائد ، وبدائع الفوائد ، أوردتها بتمامها فى التذكرة لكثرة لطائفها .

كم أن صاحب الترجمة أيضاً حال ولايته لقضاء الشام أيضاً اجتمع بالعلامة المقرئ أحمد بن أحمد بن بدر بن إبراهيم الطيبى (١) واستجازه فأجازه بما يجوز له وعنه روايته ، وبقراءة القرآن العظيم بالتجويد ، والقراءات السبع والعشر وبالقراءات السبع من طريق [٢٥٢] الشاطبية والتنبيه وبالقراءات العشر من طريق النشر للعلامة أبى الحير ابن الجذرى وبرواية ذكره ابن الجزرى فى كتاب النشر .

وجصل صاحب الترجمة من الفضائل العلمية ، والفواضل العملية ما لم حصله غيره ، واجتمع له من علو السند فى كتب الحديث وغيره ما لم يجتمع لاحد من أمثاله ، وبرز فى العلوم فى معرفة المنثور والمنظوم ، وولى المدارس المتعددة منها مراديه بروسه ثم إحدى المدارس الثمان بأيا صوفيه ثم ولى القضاء بالشام المحروس ثم منه إلى قضاء الديار المصرية ، وكان لدخوله إليها يوماً مشهوداً وتقيد بالركوب معه من السادة العلماء والأجلاء والعظماء [وأرخ لولايته خاتمة شعراء عصره البرهان بقوله :

إن ابن إلياس الذى ولى القضاء بمصرنا
تاريخه فى قولنا (٢) سنة ٩٧٨

ولما أن حل ركابه بها نشر بها لواء العدل والأمان ، وبذل لأهاليها كمال

[١] أحمد بن أحمد الطيبى : هو أحمد بن أحمد بن بدر الطيبى ولد سنة ٩٥١ هـ ، اشتغل على والده العلامة المقرئ شهاب الدين الطيبى ، وغيره ، وبرع فى الفقه والأصول والنحو والمعانى والبيان والتجويد والقراءات ، والتفسير ، توفى سنة (٩٩٤ هـ) .

انظر ترجمته بالتفصيل فى الكواكب (ج ٣ / ١٠٣) .

[٢] الشطر الثانى الذى يحوى التاريخ بياض فى الأصل وكتبت سنة ٩٧٨ تحتها مباشرة .

المعروف والإحسان ، وطارح علماءها المسائل الفقهية ، والأبيات الشعرية ، فما وقفت عليه من نظم البديع ، وشعره الذى مقامه رفيع ، ما أجل به شيخنا شيخ الإسلام مفتى الأنام البدر القرافى المالكى على أبيات كتبها له شيخنا المذكور ، وصورة أبيات شيخنا هى قوله [٢٥٣] :

دمت تعطى وتوالى مننا	تورث المجد على طول الزمن
صاحب القصة يحتاج إلى	ما به العيش إلى أدنى سنن
إن ترد إعطاء ما يرتجى	لهو خير لفقير مرتتهن
ومرادى الدعاء من مثل ذا	دمت تولى لجميل وحسن

فأجاب صاحب الترجمة رحمه الله تعالى بقوله :

دمت بدر الدين يا فخر الزمن	بازلا من لفظك النصيح الحسن
قد علمنا أن من جاء به	ذو عيال وفقير مما نممتحن
هذه قد أخرجت من قبل أن	تأتى القصة بالشعر الحسن
وسأرضيه بشئ غيره	عاجلاً إن شاء ربى ذو المنن
من نظم صاحب لترجمة أيضاً ماقرض من على بعض الكتب فقال :	
رأيت قريضاً فيه أبهج ناظرى	حكى الروض رواه من السحب ماطر
حوى من بديع النظم عقد بلاغة	له جواهر فى طرسه متنائر
وكم فيه من معنى يروق بديعه	فيا حسن ما أملت عليه المحابر

ومما وقفت عليه من إنشاء صاحب الترجمة الفائق ، ونثره الرائق ، وصورة إمضاء على حجة شرعية بخطة ما نصه : [٢٥٤]

فصح واتضح ، وبشعار الصحة اتزر واتشح ، بين يدي ما نظم ، فى سلك سطور هذا الكتاب ، ورسم فى سمط سطور ذا الخطاب ، من الدعوى الصحيحة الشرعية ، والموافقة الفصيحة المرعية ، الموافقة لما فى الكتب المعتبرة ، والمطابقة على الفتاوى المحررة ، على وجه يصونه الشرع الشريف الأنور ونهج يسوغه الدين

الحنيت الأزهر عالماً بالمذاهب الأربعة ، وواقفاً على الأقاويل المجمععة ، وإنى غب مار
اعيت ما يجب رعايته شرعاً ، وأثر ما يلزم ملاحظته أصلاً وفرعاً ؛ حكمت برد المبلغ
المرقوم وقضيت بعود الدين المرسوم ووجدت الوثيقة المضاة بأَمْضاء قاضيان
وصادفت الحكم الصادر عن هيان بن بيان ، على محض الكذب مكتوبة ، وفى قالب
الضلال مصبوبة بحيث يفوح منه فوايح التعصب والافتراء ويلوح منها لوائح الكذاب
بلا مرء . وعطلت الحجة المشتعلة على الخطأ والخلل وأبطلت الحجة المتضمنة على
الزيغ والزلل ، ومنعت العمل بموجبها وقسمت من التنفيذ بمضمونها ، ورفعت
الاتصال [٢٥٥] مما نسب إليها ، وما كان هذا سدى منى بل كنت فى هذا على
هدى من ربى فصار العمل بموجبه حتماً مقضياً ، لا يبطله إلا من كان للرحمن
عصياً .

حرره أقل عباد الله الأحد محمد بن محمد القاضى بمصر القاهرة (١) حميت
عن المساءة والقاهرة .

أحسن الله لهم بالحسنى وزيادة ومنّ عليهم بأحسن المحاسن لنفوز بأحدى
الحسنين آمين .

قلت : وقوله (بامضاء قاضيان) مشى فيه على طريقة من يلزم المثنى الألف
فى سائر حالاته . انتهى .

ومن إنشائه الذى سجعه يزرى بالمطوقات ذات السجع ، وفواصله تحلو فى
الأذواق ، وتخف على السمع ، ما كتب به إلى شيخنا البدر القرافى المالكى فى
الديار الرومية بعد انفصاله عن الديار المصرية ، ولا بأس بإيراده هنا ، للوقوف على
رقة ماله من الإنشاء الذى بالبديع موشى ، وللوقوف على تواضع صاحب الترجمة

[١] كانت ولايته من ١٦ جماد الاول ٩٩١ : رجب ٩٩٤ . ١٠ / يونية ١٥٨٣ : يونيه ١٥٨٦ م بينما يذكر محمد
بن أبى السرود البكرى ولايته بدعوة جماد الثانى ٩٩١ : ٧ ذى القعدة ٩٩٤ هـ / ١٢ يونيه ١٥٨٣ : ٢١
أكتوبر ١٥٨٦ م . الروضة ص ٧٥ .

وحبه للفضلاء والعلماء ، والإجلاء العظماء ، وللوقوف على فضل ذلك العصر المشحون بالأفاضل ومن كان به من العلماء الأكابر أهل العلوم والفضائل وصورته :
أكاتبكم يا أهلى وذوى ، وبيننا من البين والبعد المشتت فراسخ ، [٢٥٦] فأما التلاقى ؛ فهو بالبين زائل ، وأما الذى فى القلب منكم فراسخ ، من الملك المعبودم امتنانه ، سلام على المولى الهمام المفخم كأخلاقه العذاب ، ومحاسنه الرحاب ، وعدد مكارمه ومعاليه ، وآثاره الحميده ومساعديه وسلاماً كأيامنا التى مضت معه نضره ، ومناقبه العديدة كثرة ، وبعد ذلك فالداعى ينهى إلى جنابكم من الأشواق ما يفوق العد ، ولا يقف عند حد ، قد استنفذ الخلد ، وملك الحكم ، وجرح الجوارح ، وجنح على الجوانح ، ونحى أيضاً قرة المحبة والغرام ، وكثرة المودة والوثام ، إلى سائر أحبته من الفضلاء الأخيار بل إلى نفس مصر المباركة وتلك الديار .

إذا لاح من أكناف مصر بوارق تلظى فؤادى واستطار جنانيا
ولولا زمانى لاختيارى سالب ثنيت إلى ذاك الجناب عنانيا

وتخص مولانا الشيخ نجم الدين أطال الله تعالى مدته بقاء الليالى والأيام بتقبل أيديه العميمة الأيادى ، ومن التحية والسلام ، بأوفر الأقسام وأجزل السهام ، وكذلك نهدي من السلام غصناً طرياً ، وورداً جنبا إلى السادة الفضلاء ، مولانا الشيخ البكرى ، والشيخ الرملى ، وإلى مولانا الشيخ نور الدين [٢٥٧] القرافى أطال الله تعالى بقاءهم ، ونسلم كثيراً على مولانا الشيخ بهاء الدين الشنشورى ، وولديه ، ونستمد صالح دعواته ، فى أوقات خلواته ، ونسلم على أولاد مولانا الشيخ شهاب الدين بن عبدالحق وكذلك على سائر من هنالك من العلماء ، والصلحاء سدد الله تعالى أحوالهم وكثر أمثالهم والفقير إذا استولى ذكر أحبته وفكرهم على الشاعر ، ينشد قول الشاعر :
يالىت شعرى على بعد اذا كرنى عصابة لست طول الدهر ناسيها

ثم يسيل خاطر بشعر آخر هو للقلب الكسير جابر، وهو ما قيل :
وليست وإن طاشت سهامى بأيسٍ فان مع العسر الذى يتقى يسرا

وقبل هذا التاريخ كان قد وصل الكتاب الكريم فحصل به
للقلب السرور العظيم :

أتانى كتاب بالبلاغة منته	إلى غاية ليت تقارب بالوصف
فمنظومه كالدر جاء نظامه	ومنثوره مثل الدرارى فى اللطف
فأصبحت مشتاقاً إليه مشاهداً	بقلبي تحياه وإن غاب عن طرفى

لكن المحب كثير الانتظار إلى الكراريس التى تمت من تفسير الرازى ، ولسان
العرب فألما مول المبادرة بإرساله حتى نقضى منه الأرب ، وتشريف [٢٥٨] هذا
الجانب بما حدث هناك من الأخبار ، فالداعى لا يمل منها وإن ملئت بها الأسفار لا
زال جنابكم الشريف مقصداً لرجال الفضل والكمال ، ومحطاً لرجال ذوى المجد
والجلال وأما أسف الداعى على فقد تدبيرات مولانا السديدة ، التى اعجزت عن
الوصول إلى كنهها العقلاء ، وأراؤه الحميدة التى أعيت عن إدارك حقيقتها الأذكىاء ،
فذلك أمر لا يمكن وصفه بالبيان ولا يمكن يسع الكاتب تسطيرة ، بالبنان ، وهكذا
جرت العادة القديمة بأنه عند شدة الحاجة يعرف القدر ، وفى الليلة الظلماء يفتقد
البدر . إنتهى

ومن إنشائه : ما كتب به إلى شيخنا المذكور اسكنهما الله تعالى من الجنات
أعالى القصور وصورته :

بعد إهداء أزكى تحيات شريفة تؤذن بصدق الوداد ، وأعطر نسيمات
لطيفة تنبى عن ما فى الفؤاد من المحبة والاتحاد ، وأعظم بركات منيفة ، أدعية
مقرونة بتأمين صالح العباد ووصية بتقوى الله فى السر والعلانية فيما يتم
المراد ونخص بذلك علم العلماء الأعلام ، وسلالة السادة الأفاضل الكرام الوارث
لمرتبة العلم والعلا عن أبيه وجده وكل من الافران والأمثال يقف معه فى ذلك عند
حد [٢٥٩] أجل من فوقت برور الفضائل بذكره ، وشنعت مسامع الكمال بحمده

وشكره الشيخ الأمجد والعلامة الأوحد مفيد أنواع العلوم الشرعية ، مقرر مسائلها الأصلية ، والفرعية المشرقة ، شمس معاليه من آفاق المذهب الأصبحى الأنوار الرافلى فى حلل الإفادة افتاء وتدرىس على طريق إمام دار الهجرة الأفخر عمدة النواب ، ومرجع القضاة والحكام حيث العقد الحكم بانفراد ذلك الهمام الناظر فى مصالح المسلمين بعين الإنصاف على أتم الوجوه الشرعية ، صدر المدرسين ، ومفتى المسلمين ، وعين أعيان المعتبرين بالقاهرة المعزية أطال الله تعالى بقاءه وأدام به نفعا ، وأبد سعادته وصير بافادته للقلوب صدعا وأسبغ عليه انعامه ، وبلغه فى الدارين مرامه ، والذي بيديه المحب الداعى كثرة دعائه ، وخالص وده وثنائه ، وشدة اشتياقه إلى ذاتكم السعيدة حرسها الله تعالى من الا سوء والآفات ، ولطف بها فى المهمات ، ووقفها للخيرات ثم المأمول ابلاغ ، السلام على الموالى العظام، والسادة الفخام، أيد الله تعالى بمصر الإسلام ، من الداعى المخلص محمد الشهير بجوى زاده [٢٦٠] .

قلت : وحين ولايته الديار المصرية حصل بينه وبين شيخنا البدر القرافى المالكى الممازحة بالأبيات الشعرية واللطائف الأدبية ، كما أسلفنا فى صدر الترجمة، حتى إنى بعد ذلك وقفت على جمع جمعه شيخنا المذكور بخطه أورد فيه نبذه من نظمه الفائق ، وشعره الرائق وقائع أحوال صدرت له مع صاحب الترجمة المذكور فى مجالس مصاحبته له واجتماعاته عليه ، مما يعزب ذوقه ، ويكثر من الإنسان إليه شوقه فمن ذلك ما رأيت به بخط فى [الحبك] الذى جمعه بخطه الحاوى للفوائد المشتمل على قلائد الفوائد ، من بدائع أقوال وقائع أحوال مما تقر به :

العيون وتسرية خاطر ، ويتمتع بمشاهدته السامع والناظر ، فما كتبه عند دخول قاضى القضاة محمد بن مولانا شيخ محمد بن الياس القضى بمصر المحروسة :

بمصر فجر قد غدا باهر
العالم الفضال بحر لتقى
تجاذبته مصر والشام كى
فازت به مصر وباهت به
جدد آثار أبيه بها
ينشر طول الدهر أوصافه
فى ليلة القدر أتاها وقد
واستبشروا عند ولاء زكى
قالوا هو العيد الذى سرنا
رب آدم فى مصرنا عدله
بحر من المبعوث خير الورى
الناظم البدر القرافى له

حين تولاهما وحيد الزمان
من وصفه يقصر عنه البيان
تفوز كل بالتقى والأمان [٢٦١]
إذا أشقرت منه عقود الجمان
وهو الإمام المرتقى فى الجنان
فيا لها آثار حبر وشاق
توجه الخلق له بالجنان
لا سيما فى مثل هذا الأوان
لله حمد كل وقت وأن
وأبقه لنا مادام شكر اللسان
بهديه أذعن إنس جان
ومن الثناء والمدح فوق العيان

[ووجدت] بخط شيخنا المذكور فى جمعه المذكور ما نصه :

ومما قلته ارتجالاً فى حضرة مولانا المشار إليه عند ذكر قوله : "إن دار قاضى
مصر حكى أصحاب التاريخ أنها كانت محل المحبوسين فأنشد بعض من حضر
مجلسه قول الشاعر :

تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

[٢٦٢]

ما يفيدك سر ما قد شهد
قاضى القضاة الواحد المتفرد
دامت معاليه العلا تتجدد
وإلى القضا قد صار داراً تحمد

إنى اطلعت على البقاع وجدتها

فكتبت مضمناً لهذا البيت :

انظر إلى حال الزمان وصنعه
فأفاد سيدنا ومالك أمرنا
أعنى ابن إلياس الإمام المقتدى
عن منزل قد كان حبساً أولاً

فتبدلت تلك المساوىء بالتي قد صاراً أجر توابها يتأبد
ولقد أفاد الأقدمون مفاخرأ من بعضها قول زكى يعهد
إنى اطلعت على البقاع وجدتها تسقى كما تشقى الرجال وتسعد
وقلت : عندما ما تنبه لزحف وقع فى البيت الثانى فأصلحته
بإشارته :

أعطيت من سر البلاغة رتبة حلت فحاز الناظر المتأمل
أرجو سماحاً قد جرى فى لفظه حشوفما للقول فيها حاصل
والذنب لى إذا لم أحرر وصفها وجميل عفوك عن قصورى عامل
الله أعطاك الكمال فما عسى أبدى وأنت الكامل المتفضل
[وقرات] بخطه أيضاً فى جامعه المذكور :

وكما تيسر نظمه وأنا فى مجلس قاضى القضاءه محمد بن إلياس وهو راكب
بالبحر ببولاق القاهرة وقد مر على مدرسة الجيعانيه ، وقد [٢٦٣] . نظر ما بناه
القاضى حسن والباشا بجانبها وصارت بينهما فقال :
هذا عجيب ، جيعان بين الباشا والقاضى ؛ فقلت : من يدخل بين الباشا
والقاضى لا يخلو من تعب وقلت بالمجلس :

سرت ببحر النيل فى المركب بن يدى من حكمه قاضى
قالت لنا مدرسة قد عدت أنقاضها تشكو بأمرض
قد صار بى الحال إلى ما ترى ولم يشاهد ذاك فى الماضى
جاورنى الباشا وقاضى وقد بقيت فى شدة أعراض
ما حال من صار إلى حالة خاصمه الباشا مع القاضى
[ووجدت] بخطه أيضاً فى جمعه المذكور مانصه :

"ومما كتبت له لمولانا قاضى القضاة محمد الشهير بجوى زاده قاضى مصر ،
دام اقباله عندما سأله أعمى فى خبز فى سعيد السعد فى أواخر القعدة سنة ثمان
وسبعين وتسعمائة :

صاحب الحاجة أعمى	مستحق للرغيف
إن عرضى مثل هذا	غرضى وجه اللطيف
ليس يخفى عنك ما جا	أبلغوا حال الضعيف [٢٦٤]
واليك الأمر فافعل	أنت ذو الأمر المنيف
دمت ممدوحاً ببذل	من وضيع وشريف

قلت : ورأيت إمضاء صاحب الترجمة على حجة متعلقة بالجد والد لوالدة مؤرخ
بجمادى الأولى سنة تسع وسبعين وتسعمائة ، ولما أن عزل صاحب الترجمة ، عن
قضاء الديار المصرية كتب له القاضى معروف الكوفى بقوله :

سافر إلى ما يُنيل المجد والظفرا	فكم ترى سفراً عن مغنم سفرا
وقل ما أمكن الإنسان فى دعة	أن يجمع الوطن المألوف والوطرا

ولما أن توجه صاحب الترجمة إلى الديار الرومية ، وتلك الأقطار العلية حصل
له من كبرائها القبول التام ، والاعتناء العام ، فلم يمكث إلا برهة يسيرة ، وتولى
قضاء مدينة القسطنطينية تحت السلطنة البهية ، فسار فيها سيره شهدت بعدالته
فيها العصور والأحقاب ، وتدرع من لبسها أعظم حلية . كل ذلك والسعد يكنفه فى
سائر حركاته ، ما يخدمه فى خطواته وسكناته إلى أن ولى القضاء بأناطولى ثم
بروملى ، ولم يزل يترقى على المناصب ويترقب الفوز بنيل المآرب إلى أن انتهت
إليه [٢٦٥] الرياسة وتأهل للتصدير والنفاسة ، وساد على الأقران ، بما شاد الدين
من الأركان ، وشهد الجلة بتقدمه واستحقاقه ، وحسن تودته وكريم أخلاقه ، فخطب
للتصدر للفتوى والتمسك من أذيالها بالسبب الأقوى ، وأنعمت عليه الحضرة
الخنكارية ، والسدة السليمية ، وبتفويض ذلك والتحلى بسلوك هذه المسالك ، فمش
فيها على هدى العلماء العاملين والأئمة المهديين ، مالكاً سلك الدين والعفاف ، متحلياً
من شعائرها بأحسن الأوصاف ، قائماً فيها بوظيفتى الأمر بالمعروف والنهى عن
المنكر على الوجه الأتم الأفخر ، صادعاً بالحق ، ناطقاً بالصدق ، لا تأخذه فى الله
لومة لائم ، يهابه كل من أولى الجراير والجرائم كل ذلك وكلمته النافذة ، أمره مقبول

، وأفعاله متلقاه بالرضى والقبول ، إلى أن انشيت فيه المنية أظفارها ، وسلبته الحياة دثارها ، ونقل من القصور إلى القبول ، وقدم بفعله الجميل على العلى الغفور ، وبكى الناس على فقده ، وتحزنوا لأليم بعده ، وكان له يوماً مشهوداً وبين العلماء والأولياء الكرام معدوداً ولم أقف على تاريخ وفاته ، تغمده [٢٦٦] الله تعالى برحمته وأسكنه الفردوس الأعلى من بحابح جنته أمين .

قاضي عسكر مصر

محمد بن مصطفى ويعرف بين السادة الأروام

ببستان زاده الرومى الحنفى (١)

روض العلوم وبحرها ونور رياض الفهوم وزهرها ، قرأ على المولى حسن جلبى بن بستان الشهير بأمير حسن قاضى مكة فى التفسير والفقه والحديث والنجوم أخذ أيضاً عن المولى حسن القرمانى البكبرى فى الفقه والعربية والأصليين وأخذ أيضاً عن المولى سعد الدين الشهير بسعدى جلبى الأقمشهرى وصار ملازماً منه ، وحضر دروساً عند المولى قادى أفندى مفتى الديار الرومية فى التفسير والمعانى والبيان والمنطق وأخذ عن المولى شيخ محمد بن إلياس الشهير بجوى زاده مفتى الديار الرومية ، وقرأ عليه تعاليقه وحواشيه على تفسير القاضى البيضاوى على الهداية وشرحها .

وغير ذلك ، وعن المولى محمد بن حسام الدين فى الفقه والعروض والتاريخ وغيرها من العلوم ، وعن المولى محمد شاه اليكانى فى أنواع عديده وعلوم مفيدة ، وعن السيد محيى الدين بن عبد القادر الشهير بالمعلول فى التفسير والعربية والمنطق والمعانى والبيان والحساب [٢٦٧] وغير ذلك ، وجمع وحصل وأجمل وفصل ، والقى

[١] كانت ولايته من ١٦ جمادى الأول ٩٩١ هـ : ١٠ يونية ١٥٨٣ م .

الدورس المفيدة ، بالمدارس العديدة منها إحدى المدارس الثمان ثم سليمان
اصطنبول، ثم بمدرسة شاه زاده بها أيضا ، ثم بمدرسة أبي أيوب الأنصاري ثم
بدار الحديث السليمانية ثم منها إلى قضاء الشام ، فأغدق على أهاليها أنواع
الإجازة والإكرام ، ثم أنعم عليه بقضاء الديار المصرية ، والتخوت اليوسيفة ورد
إليها خبر ولايته عليها في يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى سنة إحدى
وتسعين وتسعمائة ، فقدم إليها في أبهى زائده ، وعظمة متزايدة ، ويلقى أهاليها
بالرحب والسعة ، ويبسط لهم بساط الأمن والدعة ، وسلك معهم سلك العدل
والإنصاف ، والورع والعفاف ، صائناً مائهم وأعراضهم متحملاً لخبائهم وإعراضهم
، لم يأت من زمن بعيد من يضاهيه في الحكم السيد ، وحسن السيره ، وصفاء
السريرة ، والرفق الكبير والصغير والرعاية التامة للجيل والحقير ، حتى ضرب
بمدته المثل ، بين من علا ومن سفل ، ولم يزل نافذ الأوامر [٢٦٨] والنواهي معرضاً
عن المنكرات والمناهي ، إلى أن خرج منها وهو باق على ولايته ، والناس شاكرون
لسيرته وسياسته . في رجب سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، وكان لخروجه يوماً
مشهوداً ، ومأثراً عند أهلها معدوداً وكثير الأسف على فراقه وربما سارع بعضهم
إلى لحاقه .

وبالجملة فلحسن أخلاقه الشريفة ، وأفعاله المنيفة ، حصل بينه وبين علمائها
وأجلائها وعظمائها ، مزيد الائتلاف ، وشدة الوفاق وعدم الاختلاف ، حتى بعد
وصوله إلى ديار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية ، وصار يتفقد أعيانها ،
وأكابرها وأركانها بالمكاتبات البديعة ، والإنشاءات التي مقاماتها رفيعة ، المشتمة
على النظم البديع الفائق ، والإنشاء البليغ الرائق ، والتمس منهم السرور بما يرد
إليه مما صدر عنهم ، حتى لقد كاد أن يكون واحداً منهم فما رايته من نظمه البديع
ونثره الرائق وشعره ما كتبه إلى علامة الديار المصرية ورئيس المفتين على مذهب

السادة الحنفية شيخ [٢٦٩] الإسلام مفتى الأنام على المقدسى الحنفى وترجمه بعضهم بما نصه :

صورة مكتوب مراسلة أرسله شيخ الإسلام مفتى الأنام قاضى القضاة ورافع إشكال مشكلات الاشتباه محمد أفندى بن مصطفى الشهير نسبه الكريم بابن بستان القاضى بمصر المحروسة سابقاً إلى شيخ الإسلام والمسلمين ، نور الملة والدين ، صدر المدرسين ، مفتى العالمين أبى الحسن على بن غانم القدسى الحنفى تغمدهما الله تعالى برحمته وأسكنهما فسيح جنته أمين .

على كعبة الأفضال والحرم القدسى سلام كنشر المسك من حضرة القدس لا نأى عهد التواصل بيننا فجدد به رسم التواصل بالأنس ، ولا تنسى وداً شاع ذكره ولأئه ، وفيه الا وافى بيننا أحكمت أمس وداد كصنو الماء أوراقه الصبا سرت سحراً تشفى الفؤاد من المس . فات الذى لولاه مافاه لى فم ولا كتبت كفى ولا هجت نفسى ، علوم المولى محيطة بأن يراع الفضل وأن نظم درى الأفلاك كما تنظم عقود الدر فى الأسلاك فهو عاجز أن يصف قدر علت فضائله السنية ، هام السماك ، ونمت فواضله العلية مستقر [٢٧٠] الأملاك ، مطلع الأنوار القدسية ومنبع الأسرار [البهية] عالم رباع الربع المسكون ، وغيثه الواكف الهتون ، المولى الفاضل العلامة والجهبذ الكامل الفهامة شيخ مشايخ عصره ، وعميد أفاضل عصره ، سالك مسالك التحقيق ، وناهج مناهج التدقيق ، والفائز بذلك القطر بأوفر حظ من الظهور ، والحائز قصب السبق بين ذلك الجمهور ، المستقر فى مراتب رؤسايها ، استقرار الفلك إرسالها ، بحر البيان الزاخر ، وفخرا الأوائل والأواخر ، عمدة المذهب ومصنفه ، وحفوظ البيان ومشنفه ، بتوالمف كأنها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، [على] بها من الزمان عاطلاً وأرسل منها غمام العلوم هاطلاً ، إن تكلم فى علوم الأوائل بهى الأبواب ، وولج على مشكلاتها من كل باب ، إلى أدب هو فيه منتهاه ومحل شمس المنيره وسماه ، هذا وإن ما عندنا من كثرة الأشواق جاذبه نحوكم بالأطراق ،

الدروس المفيدة ، بالمدارس العديدة منها إحدى المدارس الثمان ثم سليمانى
اصطنبول، ثم بمدرسة شاه زاده بها أيضا ، ثم بمدرسة أبى أيوب الأنصارى ثم
بدار الحديث السليمانية ثم منها إلى قضاء الشام ، فأغدق على أهاليها أنواع
الإجازة والإكرام ، ثم أنعم عليه بقضاء الديار المصرية ، والتخوت اليوسيفة ورد
إليها خبر ولايته عليها فى يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى سنة إحدى
وتسعين وتسعمائة ، فقدم إليها فى أبهى زيده ، وعظمة متزايدة ، ويلقى أهاليها
بالرحب والسعة ، ويبسط لهم بساط الأمن والدعة ، وسلك معهم سلك العدل
والإنصاف ، والورع والعفاف ، صائناً مالههم وأعراضهم متحملاً لخبائهم وإعراضهم
، لم يأت من زمن بعيد من يضاهيه فى الحكم السيد ، وحسن السيره ، وصفاء
السريرة ، والرفق الكبير والصغير والرعاية التامة للجيل والحقير ، حتى ضرب
بمدته المثل ، بين من علا ومن سفل ، ولم يزل نافذ الأوامر [٢٦٨] والنواهي معرضاً
عن المنكرات والمناهي ، إلى أن خرج منها وهو باق على ولايته ، والناس شاكرون
لسيرته وسياسته . فى رجب سنة أربع وتسعين وتسعمائة ، وكان لخروجه يوماً
مشهوداً ، ومأثراً عند أهلها معدوداً وكثير الأسف على فراقه وربما سارع بعضهم
إلى لحاقه .

وبالجملة فلحسن أخلاقه الشريفة ، وأفعاله المنيفة ، حصل بينه وبين علمائها
وأجلاتها وعظمائها ، مزيد الائتلاف ، وشدة الوفاق وعدم الاختلاف ، حتى بعد
وصوله إلى ديار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية ، وصار يتفقد أعيانها ،
وأكابرها وأركانها بالمكاتبات البديعة ، والإنشاءات التى مقاماتها رفيعة ، المشتمة
على النظم البديع الفائق ، والإنشاء البليغ الرائق ، والتمس منهم السرور بما يرد
إليه مما صدر عنهم ، حتى لقد كاد أن يكون واحداً منهم فما رايت من نظمه البديع
ونثره الرائق وشعره ما كتبه إلى علامة الديار المصرية ورئيس المفتين على مذهب

السادة الحنفية شيخ [٢٦٩] الإسلام مفتى الأنام على المقدسى الحنفى وترجمه بعضهم بما نصه :

صورة مكتوب مراسلة أرسله شيخ الإسلام مفتى الأنام قاضى القضاة ورافع إشكال مشكلات الاشتباه محمد أفندى بن مصطفى الشهير نسبه الكريم بابن بستان القاضى بمصر المحروسة سابقاً إلى شيخ الإسلام والمسلمين ، نور الملة والدين ، صدر المدرسين ، مفتى العالمين أبى الحسن على بن غانم القدسى الحنفى تغمدهما الله تعالى برحمته وأسكنهما فسيح جنته أمين .

على كعبة الأفضال والحرم القدسى سلام كنشر المسك من حضرة القدس لا نأى عهد التواصل بيننا فجدد به رسم التواصل بالأنس ، ولا تنسى وداً شاع ذكره ولائه ، وفيه الا وافى بيننا أحكمت أمس وداد كصنو الماء أورقه الصبا سرت سحراً تشفى الفؤاد من المس . فات الذى لولاه مافاه لى فم ولا كتبت كفى ولا هجت نفسى ، علوم المولى محيطة بأن يراع الفضل وأن نظم درى الأفلاك كما تنظم عقود الدر فى الأسلاك فهو عاجز أن يصف قدر علت فضائله السنية ، هام السماك ، ونمت فواضله العلية مستقر [٢٧٠] الأملاك ، مطلع الأنوار القدسية ومنبع الأسرار [البهية] عالم رباع الربع المسكون ، وغيثه الواكف الهتون ، المولى الفاضل العلامة والجهبذ الكامل الفهامة شيخ مشايخ عصره ، وعميد أفاضل عصره ، سالك مسالك التحقيق ، وناهج مناهج التدقيق ، والفائز بذلك القطر بأوفر حظ من الظهور ، والحائز قصب السبق بين ذلك الجمهور ، المستقر فى مراتب رؤسايها ، استقرار الفلك إرسالها ، بحر البيان الزاخر ، وفخرا الأوائل والأواخر ، عمدة المذهب ومصنفه ، وحفوظ البيان ومشنفه ، بتواليف كأنها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، [على] بها من الزمان عاطلاً وأرسل منها غمام العلوم هاطلاً ، إن تكلم فى علوم الأوائل بهى الأبواب ، وولج على مشكلاتها من كل باب ، إلى أدب هو فيه منتهاه ومحل شمسه المنيره وسماه ، هذا وإن ما عندنا من كثرة الأشواق جاذبه نحوكم بالأطراق ،

يضاعفها تذكر تلك السجايا من ما انطوات عليه من أمس النوايا ، التي لو كانت
نسيماً لكانت سلسبيلاً وزماناً [٢٧١] لم يك إلا سحراً ولئن اعترض عائق
الزمان وبالله حوله والمستعان ، فإن القلوب فى المقاصد والأغراض ،
متلاقية عن موار الإخلاص والأمحاض ، على أن وجدها لا ينفك فى مزيد
فكان لا ينجى فيه من بعيد ، والظن فى الله جميل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل
من المحب المخلص المشتاق محمد القاضى بالعسكر المظفر بروم أيلى عفا الله
عنه آمين .

ورأيت لشيخ الإسلام علامة الأنام نور الدين على بن غانم القدسى الحنفى
المتقدم ذكره بما صورته :

من الملك الأعلى إلى مالك العلى	سلام على الموصوف باللفظ والانس
على من غدا فى الحلم والعلم مفرداً	وبين نجوم الفضل كالبدر والشمس
له سيرة فى الخلق تخير أنه	محمد وصف عند ذى العرش والكرسى
وقد شرفت مصر بنور قضائه	وصارت علينا بعده مصر كالحبس
نأى فنأت معه الحسرة والهنا	وبدل سعد القرب بالبعد والنحس
ولم ينسنا فى بعده مثل قربه	وحيا تحياني فأحى به نفسى
وعظم مقدراى اعلى مراتبى	وضاعف لى أنسى وضعف من يأسى [٢٧٢]
وذكرنى بالفضل والود والولا	وليس الوداد المحض عندى بالمنسى
وإنى على تلك العهود محافظ	مقيم على رسم الدعا مصبح ممسى
وأسأل ربى أن يمن بجمعنا	بجمع وسلع ثم فى حضرة القدس

أما بعد :

فقد ورد على العبد الأصغر والمحِب الأكبر ، من الجَناب الأقدس الأفخر كتاب كريم ، وفضل عظيم ، فكرم وشرف ، وحلى المسامع بדרه وشنف ، فظفر العبد بالجوهر والعنبر ، والياقوت والمسك والإزفر فالتقط منه وعرف وأهدى إلى أحبابه منه وأتحف ، قدم النفس إلى الغاية بالأشواق ، وطائر القلب إلى نهل موارده تواق ، فانتصب العبد قائماً له على الحال ، وقابلته بما يجب من التعظيم والإجلال. وقبلته ألفاً وألفاً فقال لى عزامى زده واضرب الألف فى الألف وتأملته فإذا الفصاحة [قسية] والبلاغه أو سية ، والأنفاس من الفتوحات المكية ، والحضرات القدسية ، كيف لا ، والمنشئ هو الفصيح الذى إذا اتكلم أجزل ، وأوجز ، وأسكت كل ذى لسن [٢٧٣] بفصاحته وأعجز ، والبليغ الذى أبدع فى مكتوباته المنشورة والمنظومة ، واللبيب الذى أطلع فى بستان معارفه من أزهار كلمه ما يخجل الروض إذا أفخر بمشمومه .

بل البحر الذى جرت سفن الأذهان فلم تدرك قراره ، وعجز الأمثال والنظراء أن يخوضو تياره ، بل العالم الذى أذعنت له العلماء الأعلام ، وشهد بإحكام أحكامه عظماء الحكام . ما برز فى موطن بحيث إلا برز على الأقران ، ولا أخبر عن فضله إلا تمثل "ليس الخبر كالعيان" كم أظهر من العلوم فى الفصل بين الخصوم ما بهر العقول ويحير الفهوم ، وأثار بذكا ذكائه ظلم النوازل والواقعات ، ودجى المشكلات ، والمعضلات وخلص المظلوم من الظلوم ، فلا جرم أن كان هو المجتبى المختار لا شرف المناصب الدينية . إذا هو طراز الحلة العثمانية ، والمملكة السعيدة المرادية . دام ظلها ، وعم على أهل الإسلام وبلها وطلها ، وأماما عندنا من الاشتياق والغرام فهو [٢٧٥] كما يشهد به خاطر الخطير متزايد على الدوام لاسيما عند تذكر تلك الأوقات السعيدة والأيام سقاها الله شأبيب الغمام ذات الأنسجام ، وبلغنا من فضله فى ذلك غاية المرام ثم المطلوب الفضول عن العبد حيث قضى وتجراً حيث قابل نفائس الدر بخسيس الحصاد المدر . انتهى

كاتبه به عارف وقته العارف بالله تعالى محمد أبى الحسن البكرى الصديقى
التميمى الشافعى ، وصدر به مراسله وأرسلها له [لليار الروميه بعد انفصاله من
اليار المصري فقال] :

أشرق ربي نوره اعلانا	وخص منه بالثنا اعلانا
وزاد مجد عبد محمد	فصار فى عين الورى إنسانا
متخذاً للشرع فى مجلسه	مما يفيد دائماً ديواناً
مرتقياً فى علمه لرتبة	يحط دون شأمها كيانا
حتى عنا بحر العلوم كلها	ومن سواه أصبحوا غدرانا
وأينغت أدواحه بفضله	فأصلها كان له بستانا
يا يها المولى الذى أقواله	قد أعجزت سحبانا
ومن إذا أبعدنا ناظره	يقولى من عجب به سجانا [٢٧٥]
أرسلتها رسالة قدسية	بكريمة تهدي لك لعرفانا
وكان ودى أن أكون حاضراً	بالذات ألقى ذاتكم عيانا
ولست بالآيس مما قلته	بل ذاك عندى باهر لاهانا
ومصرنا [مسيركم] فإنها	بذاتكم تستوهب الرحمانا

نظم صاحب الترجمة ما يدل على فضائله العلية وفواضله
الجلية ، ما كتب به تقریظاً على بعض الكتب فقال :

لقد جمعت فيه فضائل جمة	وقد نظمت فيه العلا والمآثر
إليه يميل الطبع من كل	ومن كل فج نحوه المدح سائر
وناظمه يستأهل للطف والندى	فطوبى لمن بالفضل يكسر جابر

ثم بعد توجهه إلى تلك الديار الساطعة الأنوار تنقل فى المناصب العلية والرتب
السنية إلى أن ولى قضاء أناضولى ، وفعم إحسانه اهالى بلاد الروم والعرب من بعد
منها ، ومن أقرب تولاه مدة مديدة وأظهر فيه أخلاق حميدة ، ثم تنقل منه إلى ولاية
رومىلى ، فخضعت له رقاب الجبابرة ، وكسر أعناق الأكاسرة ، وأقام نظام الشرع
الأنور ، والدين الأفخر ، ولم تأخذه فى الله لومة لائم بل قمع بعدله كل جبار وظالم ،

[٢٧٦] وأعطى مناصب العلم لأهاليها ، وقدم فيها من هو من مستحقيها وذويها ، واذعنت له الأكابر ، وأقرت بعلمه ألسنة الأقلام وأفواه المحابر ، فذكر للسلطان سليم بن سليمان حسن سيرته وصفاء سريرته ، وأنه لم يكن أحد يستحق منصب الفتوى سواه ، ولا جدير به ولا حري له إلا إياه ، فعين له منصب الفتوى الأعظم ، وألبسه لذلك الطراز المعلم فسلك في ذلك مسلك الجنيد أو ابن أدهم ، وكشف عن عويصات المشكلات ما أشكل وأبهم ، وانقاذ السلطان فمن دونه إلى قوله ، ورجعوا إلى ما أبداه من تحريره وطوله ، ولم يزل عاكفاً على تحرير العلوم وكشف القناع عن منطوق منها والمفهوم .

إلى أن وافاه الحمام وانتقلت روحه الزكية إلى دار السلام بسلام ولم أقف على تاريخ وفاته ، وماله من التواليف الرائقة والتصانيف الشائقة ، ولعله لم [يهدنى] بذلك ، ولم يخص تيار بحار ما هناك لاشتغاله بالعبادات وقطع أوقاته وساعاته في الخيرات والتقيد بمصالح المسلمين والأجتهاد فيما يرضى رب العالمين [٢٧٧] وكان له يوماً مشهوداً ، وفي الأيام الساميه معدوداً ، وكثر الأسف على فقده ، وتألموا لعظيم بعده ، تغمده الله تعالى برحمته وأسكنه بحبوة جنته أمين .

محمد بن كمال

ويعرف بين السادة الأروام ببيك زاده الرومى الحنفى

ولد ياماسية ، ودخل القسطنطينية ، وهوى سن المراهقه مع عم له فتربى في بيت حامد أفندى المفتى وقرأ عليه متوناً ثم صار ملازماً من جوى زاده الثانى المفتى الأعظم وقرأ عليه في علوم شتى منها العربية والصرف والمنطق والمعانى والبيان ، وأخذ أيضاً ، عن عالم الديار الروميه فضل الجمال البكرى ، وقرأ عليه جملة من مؤلفاته منها الوافية في مختصر الكافيه في النحو ، وعون الرائص في الفرائض ،

وكتاب الضمانات فى الفقه وكتاب تنويع الأصول وحواشيه على جامع ودخل مصر مع السيد الشريف محمد الشهير بمعلول وولى النيابة عنه بها ببعض المحاكم كالصالحية وغيرها واجتمع بفضلائها ، وأخذ عن علمائها ، كالعلامة على المقدسى الحنفى ، والنجم الغيطى وغيرهم .

ثم رحل مع استاذة المذكور بعد عزله عن قضاء الديار المصرية فتصدر فى المدارس [٢٧٨] وتنقلت به الأحوال إلى [أن] صار معيد المفتى الأعظم ، مفسر كلام رب العالمين [المنلا] أبو السعود العمادى ثم انتقل إلى دار الحديث ثم منها إلى قضاء الديار الرومية المصرية ابتداء ورد الخبر بولايته إليها فى يوم السبت سابع ذى الحجة الحرام ختام شهور سنة ثمان وتسعين وتسعمائه ، وقدم إليها يوم الثلاثاء خامس عشر محرم سنة تسع وتسعين وتسعمائة (١) ، وهو فى سن الشيخوخه ، فدخلها فى يوم كان من الأيام المعدودة ، والأوقات المشهودة ، وكان إذا ذاك فى الناس بقية حسنة ، فأظهر شعائر الإسلام وأقام منار العدل فى الأحكام ، وأغدق على العلماء والصلحاء ، وأقر الإنعام ، حتى شمل بإحسانه الخاص والعام . ومشى فى المنصب بالنزاهة والعفاف ، سالكاً طريق العدل والانصاف وكانت الناس فى مدة قضائه ، وأيام ولايته وولائه آمنون على أموالهم وأعراضهم ، مبالغون من عدد غاية مأربهم ، وأعراضه ، مع إجلاله للعلماء وأرباب الفضائل ، مسدياً إليهم أنواع المكارم والفواضل قريباً لهم مقبلاً عليهم ، موجهاً وجهته الكلية إليهم . حتى تمنى الكبير والصغير منهم عدم عزله عنهم ، وبسطة الأكف [٢٧٩] .

[١] كانت ولايته ٧ الحجة ٩٩٨هـ / ٨ أكتوبر ١٥٩٠ م هذا فى الوقت الذى يؤرخ فيه ابى السرور البكرى ولايته

بـ ٢٠ صفر ٩٩٩هـ : ١٩ ديسمبر ١٧٩٠ الروضه ص ١٧٨ .

الفهرس

* الاهداء

* المقدمة

* أولا : الدراسة

* الفصل الاول : القضاء فى الدولة المملوكية ٥

* الفصل الثانى : القضاء فى العصر العثمانى ٣٣

* الفصل الثالث : تعليم القضاء وانتاجهم الادبى ١٠٩

* الفصل الرابع : المؤرخ ، المخطوط ١١٩

* ثانيا : النص محققا ومعلقا عليه

- قاضى عسكر مصر : حسن أفندى بن عبدالمحسن ١٢٨

- قاضى عسكر مصر : حسن بن على بن امر الله ١٣٥

- قاضى عسكر مصر : حسين بن محمد المولى ١٤٣

- قاضى عسكر مصر : حامد بن محمد ١٤٨

- قاضى عسكر مصر : حيدر بن إبراهيم ١٥٠

- قاضى عسكر مصر : رمضان افندى الرومى ١٥٢

- قاضى عسكر مصر : صالح بن جلال الرومى ١٥٣

- قاضى عسكر مصر : صالح بن سعد الدين ١٥٦

- قاضى عسكر مصر : الجلال بن قاسم ١٥٩

- قاضى عسكر مصر : عبدالرحمن بن سيدى ١٦٣

- قاضى عسكر مصر : عبدالبر بن محمد ١٦٧

- قاضى عسكر مصر : عبدالقادر على ١٧٣

- قاضى عسكر مصر : عبدالقادر بن أحمد ١٧٧

- قاضى عسكر مصر : عبدالقادر بن عبدالرحيم ١٨٠

- قاضى عسكر مصر : عبدالباقى بن على ١٨٢

- ١٩١ قاضى عسكر مصر : عبدالباقى طوسون
- ١٩٣ قاضى عسكر مصر : عبدالكريم محمد
- ١٩٥ قاضى عسكر مصر : عبدالغنى ميرشاه
- ٢٠١ قاضى عسكر مصر : عبدالله برويز
- ٢٠٣ قاضى عسكر مصر : عبدالله بن لطف
- ٢٠٦ قاضى عسكر مصر : عبدالله بن على
- ٢١٠ قاضى عسكر مصر : عبدالرؤوف بن محمد
- ٢١٣ قاضى عسكر مصر : عبدالوهاب بن إبراهيم
- ٢٢٠ قاضى عسكر مصر : عثمان بن محمد
- ٢٢٧ قاضى عسكر مصر : على ياسين
- ٢٢٨ قاضى عسكر مصر : على بن امر الله
- ٢٣٠ قاضى عسكر مصر : على بن يوسف
- ٢٤٩ قاضى عسكر مصر : فيض الله على
- ٢٦٦ قاضى عسكر مصر : محمد شمس الدين
- ٢٦٦ قاضى عسكر مصر : محمد بن إبراهيم
- ٢٧٠ قاضى عسكر مصر : محمد عبدالكريم
- ٢٩٣ قاضى عسكر مصر : محمد بن على
- ٢٩٦ قاضى عسكر مصر : محمد بن أحمد
- ٢٩٧ قاضى عسكر مصر : المحب بن قدامه
- ٢٩٨ قاضى عسكر مصر : محمد بن إلياس
- ٣٠٣ قاضى عسكر مصر : محمد بن عبدالقادر
- ٣٠٥ قاضى عسكر مصر : محمد شاة
- ٣٠٨ قاضى عسكر مصر : محمد بن أحمد
- ٣١٣ قاضى عسكر مصر : محمد بن شيخ
- ٣٢٩ قاضى عسكر مصر : محمد بن مصطفى
- ٣٣٥ قاضى عسكر مصر : محمد بن كمال

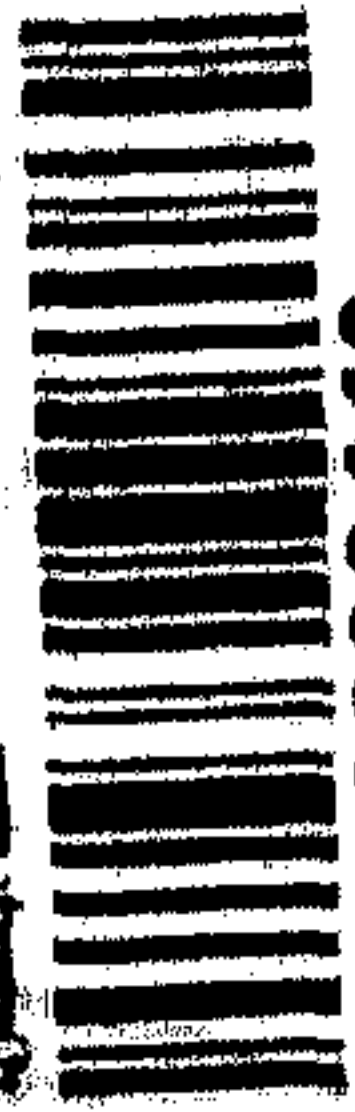
رقم الإيداع
٩٨ / ١٥٩٠٠

I.S.B.N

977-319-001-3

مطبعة المِكنِي
المؤسسة السعودية بعمّان
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت ١٩٧٨٥١

Bibliotheca Alexandrina



0298448



٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) القاهرة

ت: ٣٥٥٤٥٢٩ - ٥٩٤١٩٤٣

ت فاكس: (٢٠٢) ٣٥٤٧٥٦٦

E-Mail: alarabi5@intouch.com